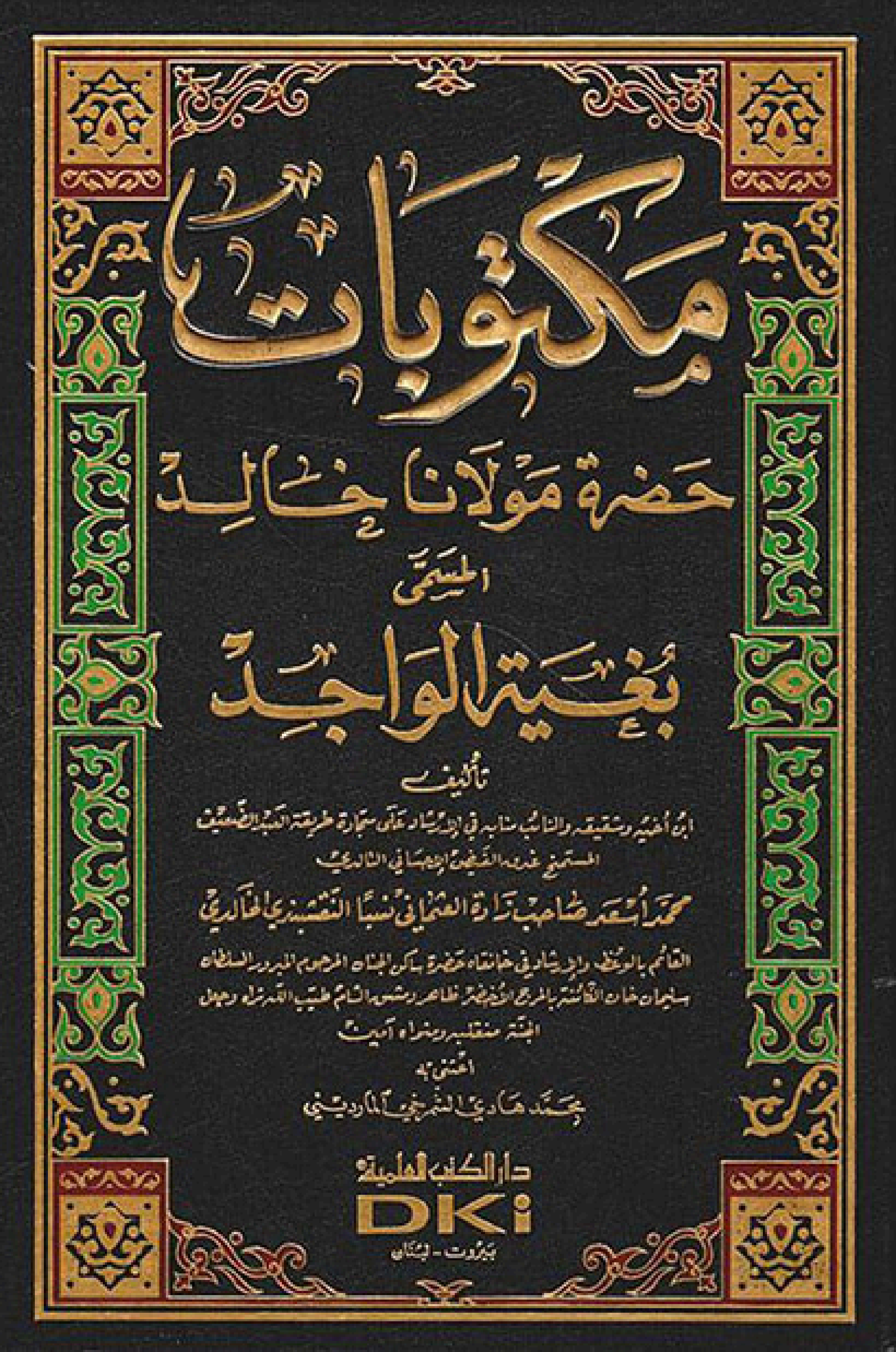
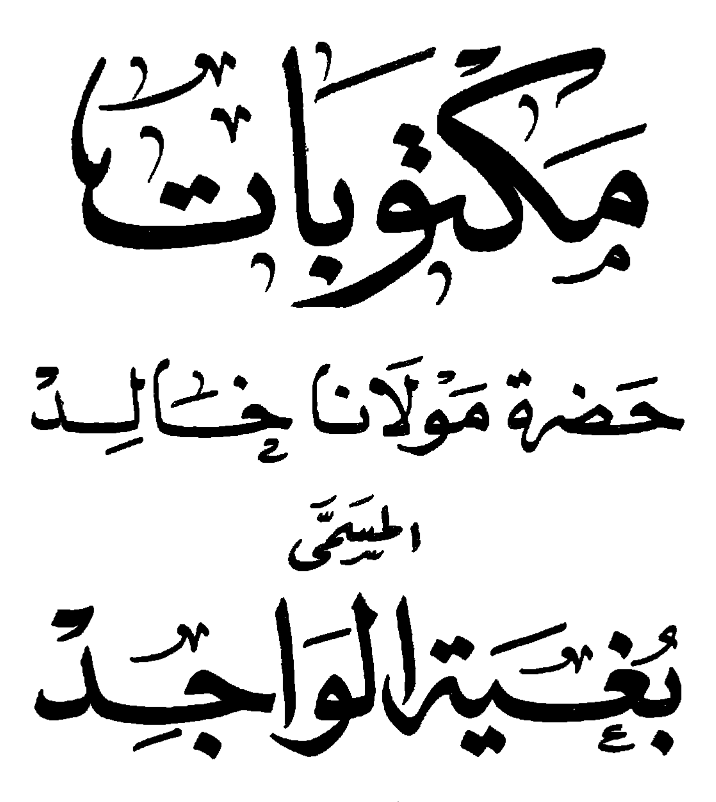

مكتوبات
حضرة مولانا خالد
المسمى
بغية الواجد
تأليف
محمد أسعد صاحب زادة العثماني نسبا النقشبندي الخالدي
اعتنى به
محمد هادي الشرنخي الماردیني
دار الكتب العلمية
DKI
بيروت - لبنان



تأليف

ابن أخيه وشقيقه والنائب منابه في الإرشاد على سجادة طريقته العبد الضعيف
المستمنح عفوه الفيض الإحساني الخالدي

محمد أسعد صاحب زادة العثماني نسبا النقشبندي الخالدي

القائم بالوعظ والإرشاد في خانقاه حضرة ساكن الجنان المرحوم المبرور السلطان
سليمان خان الكائنة بالمرج الأخضر ظاهر دمشق الشام طيب الله ثراه وجعل
الجنة منقلبه ومثواه آمين

اعتنى به

محمد هادي الشرخي المارديني

مكتبة سيدا
للطباعة والنشر والتوزيع
ديار بكر - تركيا

الكتاب : مكتوبات حضرة مولانا خالد
المسمى بغية الواجد

Title : Maktubāt Hadrat Mawlānā Hālid
Called "Buğyat Al-Wājid"
The Writings of The Holy Man Khaled

التصنيف : تصوف

Classification: Sufism

المؤلف محمد أسعد صاحب زادة العثماني النقشبندي

Author : Muhammed As'ad Saheb Zada Al-Othmani Al-Naqshabandi

اعتنى بها : محمد هادي الشمرخي الماردين

Edited by: Mohammed Hadi al-Shamrakhi al-Mardini

الناشر : مكتبة سيدا

Publisher : Librairie Seyda

Pages	400	عدد الصفحات
Size	17 * 24 cm	قياس الصفحات
Year	2012 A.D. -1433 H.	سنة الطباعة
Edition : 1st	: الأولى	الطبعة

مكتبة سيدا
للطباعة والنشر والتوزيع
ديار بكر - تركيا

تلفون : ٠٤١٢٢٢٤٥٤٤٠
جوال : ٠٥٣٧٢٤٠٧٨٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة من حياة حضرة
مولانا الشيخ خالد

ولد سنة 1193 في قصبة قرة داغ، وقرأ في بعض مدارسها مبادىء العلوم، وبرع في النثر والنظم ولمّا يبلغ الحلم. ثم دأب في تحصيل العلوم حتى اشتهر خارق علمه وطار في الآفاق صيت ذكائه وفهمه، فرغب بعض أمراء اليابان في نصبه مدرَّساً في بعض المدارس قبل التكميل فلم يجبه وأخذ يتصاغر عن هذا المنصب الجليل ثم رحل إلى سنندج وقرأ كثيراً من العلوم على الشيخ محمد قسيم، وكمل عليه المادة على جاري العادة ثم رجع إلى وطنه وتولى سنة 1213 التدريس في بعض المدارس مستغرقاً أوقاته في الإفادة والطاعة نافذ الكلمة محمود السيرة إلى أن جذبه سنة 1220 شوق الحج إلى بيت الله الحرام وتوق زيارة روضة خير الأنام، فتجرَّد عن العلائق وخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله وأخذ في طريقه الطريقة القادرية عن بعض شيوخها ووصل المدينة المنورة ولقي فيها بعض الصلحاء فاستنصحه استنصاح الجاهل المقصر العالم المستبصر فنصحه بأمور منها أن لا يبادر في مكة بالإنكار على ما يرى ظاهره مخالفاً للشرع. فلما وصل إلى مكة وهو مصر على العمل بتلك النصيحة بكّر يوم الجمعة إلى الحرم ليكون كمن قرب بدنة من النعم وأخذ يقرأ دلائل الخيرات، فرأى رجلاً ذا لحية سوداء وقد أسند ظهره إلى الشاذروان ووجّه وجهه إليه فحدَّثته نفسه أن هذا الرجل لا يتأدّب مع الكعبة، فقال له الرجل: يا هذا أما عرفت أن حرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى من حرمة الكعبة؟ أما سمعت

نصيحة مَن في المدينة؟ فلم يشك في أنه من أكابر الأولياء، فانكبّ على يديه وسأله العفو وأن يرشده بدلالته إلى الحق، فقال له: فتوحك لا تكون في هذه الديار، وأشار بيده إلى الديار الهندية وقال: تأتيك إشارة من هناك. فأيس من لقاء شيخ في الحرمين ورجع بعد قضاء النسك إلى وطنه وباشر تدريسه متشوفاً إلى مرشد يسلك على يديه طريق فحول الرجال إلى أن أتى السلمانية أحد خلفاء الشاه عبد الله الدهلوي، فاجتمع به وأبدى له ما في قلبه من الاشتياق، فدلّه على شيخه وأخبره أنه سمع منه إشارة بوصول مثله ثم إلى المراد، فأخذ القول بمجامع قلبه وعزم على السير بالتجربة فرحل سنة 1224 مقتحماً لأعظم المصاعب ومتجرّعاً لغصص أقسى المتاعب ولسان حاله ينشد:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى   فما انقادت الآمال إلاّ لصابر

إلى أن وصل دهلي بعد مسير سنة كاملة. قال رضي الله تعالى عنه: ولقد أدركتني نفحات شيخي وإشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة وهو قد أخبر قبل ذلك بعض خواص أصحابه بوفودي إلى أعتاب قبابه، ثم أخذ الطريقة النقشبندية من حضرة الشيخ واشتغل بخدمة الزاوية والذكر الملقن بفرط المجاهدة، فلم يمض عليه خمسة أشهر إلاّ وصار من أهل الحضور والمشاهدة وما تمّت له سنة حتى صار الفرد الكامل والمصفى الواصل فعند ذلك خلفه شيخه الخلافة المطلقة ثم أرسله الشيخ إلى بلاده فشيّعه بنفسه نحو أربعة أميال وسار في طريق البر والبحر خمسين يوماً لا يغتذي بغير الحضور والذكر حتى وصل السليمانية سنة 1226 وقدم في هذه السنة بإشارة من شيخه إلى بغداد ليزور الأولياء، فنزل في زاوية الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه وابتدأ هناك بالإرشاد. وبعد خمسة أشهر رجع إلى وطنه ثم رحل إلى بغداد سنة 1228 ـ وأقام بها يفيد الطالبين ويبث أنواره بين الراغبين الوافدين على أعتابه من الأقطار والأرضين ويخلف الخلفاء الكاملين المنتشرين في الأصقاع لنشر العلم ونفع المسلمين. ثم رحل إلى دمشق الشام وقد كانت نفحاته قد أفعمت هاتيك المشام في سنة 1238 وأقام فيها وأمره في علوّ وشأنه في ازدياد إلى أن

وافته منيته مستشهداً بالطاعون سنة 1243 ليلة الجمعة 14 ذي القعدة وسنه خمسون سنة سوى شهر ونصف.

وجلالة هذا الإمام تتجلى في أمرين، **الأول**: هذا الإرشاد العام الواسع النطاق والنشر البعيد المدى لهذه الطريقة العلية في هذه المدة الضئيلة التي لا تزيد على ستة عشر عاماً، فقد نشرها في هذه المدة الوجيزة بين العرب والفرس والكرد والترك فلا ترى شعبة من شعب الطريقة النقشبندية بين هذه الشعوب إلاّ وتَمُتُّ إليه بصلة، وهذا أمر لا يتم لمئات الشيوخ الكمَّل في عشرات السنين فقد بارك الله تعالى في عمره وجعله من الرجال الذين قال فيهم القائل:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً إلى الفضل حتى عُدّ ألفٌ بواحد

والثاني: انقياد أفذاذ العلماء العاملين وأساطين الجهابذة الكاملين له وتتلمذهم عليه وانخراطهم في سلك إرادته وانضوائهم تحت حيطة قيادته، فقد تمَّ له من هذا الأمر ما لم يتم قبله إلاّ لأئمة معدودين وهذا الأمر أعظم الدلائل على كمال الشيخ وتفرُّده، فمن أولائك العلماء: العلماء السورية، والعلماء الحيدرية، وخاتمة الفقهاء المحققين من الأحناف ابن عابدين، وخاتمة الفقهاء المحققين من الشافعية الذي أطبق علماء العراق على وصوله إلى مرتبة الترجيح لتخريج محشى تحفة المحتاج الشيخ يحيى المزوري، وخاتمة المفسرين المحقق العلاَّمة محمود الآلوسي والعلاَّمة المحدث الشيخ عبد الرحمٰن الكزبري وغيرهم من العلماء الأعلام والمحققين من مشايخ الإسلام والقارىء للمصيدة التي اصطاد بها هذا الإمام البازي الأشهب الملا يحيى المزوري والصولة صال بها على الليث الضرغام الملا علي السويدي، والأولى مسطورة في ص 127 من هذا الكتاب، والثانية في ص 132 ينجلي له مدى ما يتمتَّع به هذا الإمام الهمام من كمال صوري ومعنوي وما يتحقق به من جلال علمي وعملي.

* * *

الشيخ أسعد الصاحب

ليس لدينا معلومات عن حياته سوى ما أورده صاحب الأعلام، وما ينطوي عليه هذا المجموع، ونكتفي بما أورده صاحب الأعلام ـ 1271 ـ 1347 هـ = 1855 ـ 1928م.

أسعد بن محمود الصاحب متصوِّف كردي الأصل، انتقل أسلافه من شهرزور إلى دمشق، فولد وتوفي بها. له رسائل في التصوُّف منها: الجوهر المكنون ط. ونور الهداية والعرفان ط. والفيوضات الخالدية ط. وله كتاب: رجال الطريقة النقشبندية ط. اهـ.

محمد صالح بن أحمد الغرسي

في 29 ذي الحجة سنة 1405 للهجرة

الموافق 14 أيلول سنة 1985 للميلاد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حمداً لك يا مبدع السماوات والأراضين، يا منشىء الأكوان، ويا بارىء النسم من العالمين وصلاةً وسلاماً على نبيِّك محمد مَن بعثته رحمة وأرسلته نعمة تدوم بدوام الخلق ونشور المخلوقات منّة علينا لجلال عظمتك الأحدية الصمدية التي لا شريك لها ولا ندّ، فهو النبيّ الأميّ الذي تفجرت من ينابيع حكمه أنوار الهداية وطلعت من سماء كمالاته شموس الإرشاد والعناية فاستضاءت بها جميع الموجودات وأشرقت من كمالها الكائنات القائل: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها»[1] كما رواه العدول الثقات، وعلى آله الكرام البررة الأعلام وأصحابه أئمة الدين وأساطين الإسلام وسلَّم تسليماً.

أما بعد: فيقول عبدك الضعيف الذليل الفاني محمد أسعد صاحب زادة النقشبندي الخالدي العثماني: إني أتقرب إلى طاعتك المحتومة على كل نفس برأتها منذ أزلك القديم بتدوين وطبع مآثر قلم عبدك ووليّك عالم الأمة والمجدّد لها أمر دينها في القرن الثالث عشر، ومرشدها بمقتضى وراثته لعلوم نبيك خير البشر غوث الثقلين المستضيء من الكتاب والسنَّة بمصباحين ضياء الدين سيدي وعمي مولانا الشيخ خالد العثماني النقشبندي المجددي الشهير بذي الجناحين والمهتدي بأنوار قدسك وإمداد معونتك في عالم الأرواح المجتمعة في حومة قربك والداعي لطريق نبيِّك الأمين من المكاتبات والرسائل التي دبجها يراعه النوراني من جواهر الوعظ والإرشاد وزواجر التربية والإسعاد إلى خلفائه المرشدين الكرام ومخلصيه من علماء أعلام وأمراء ووزراء كرام عظام وذلك لما

(1) روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه، وأبو داود في سننه، والبيهقي في شعب الإيمان.

وجدت الزمان مُلِيءَ بعجائب المحن وسطا على طريق المرشدين كلكل الإحن عمدت بعد الاستخارة الشرعية النبوية والاستشارة من أرواح سادات هذه السلسلة السنية إلى جمعها وتدوينها ونشرها وتعميمها لما لي من شرف النسبة إلى عظيم جنابه والقربة في خدمة طريقته وانتمائي لأعتابه احتفاء بما لها من المكانة عند المتّقين والرغبة لدى سائر المرشدين الكاملين، ولما حوته من فرائد الفوائد وجواهر القلائد التي تأخذ بالألباب وتأتي بالعجب العجاب من جليل الحكم والمواعظ وسحر البيان في حقائق التبيان حيث لم تغادر صغيرة ولا كبيرة مما يستفيد منه الإنسان في طريق أهل الإيمان إلاَّ وأحصته، ومن مطويات حقائقها إلاَّ نشرته، فهي تدخل القلوب من وراء الحجب والغيوب فتشع فيها أنوار هدي السنَّة النبويَّة على محور أصل الطريقة النقشبندية الواضحة الجلية المستمدة من سلسبيل تلك الأنوار والمستفيضة من الحقائق الشريفة تنويراً لأولي الأبصار وقد جمعتها بعد عناء وبحث في آثار الأصفياء، متجشماً أنواع المشاق والمتاعب متمنياً في جمعها حسن القبول من العارفين الأولياء ومؤملاً الريّ من كوثر الواصلين الأتقياء، فلم أترك حافظاً لها إلاَّ رويتها عنه ولا واعياً لمنشوراتها من عشّاق لذتِه الضيائية إلاَّ أخذتها منه وتفحصت ما وصلت إليه يدي بعد جهد واجتهاد من خزائن كتب العلماء والمشايخ الأمجاد فقضيت عشرات السنين والأعوام حتى عثرت على عدد منها ليس بالقليل منها ما هو باللِّسان العربي المبين، ومنها ما هو باللِّسان الفارسي المشهور بالعذوبة واللين، ولقد حوت في كل منهما لباب عقيدة أهل اليقين وثمرة شريعة سيد الأولين والآخرين بائحة بأسرار لم تكشف فرعها حتى الآن بل على أبكار أفكار لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان رسائل قد أرسلت عن محض أنوار الإيمان مغترفة من بحر شريعة سيِّد الأكوان معانيها مبرأة عن شطحات الوالهين ورموز أهل الجذب المستغرقين ينتفع بها الفئتان من أهل الحق ويبشِّر لها مسروراً أرباب الصدق صادرة على نحو ما أشار إليه العارف النابلسي:

(وكل فتًى على مقدار ما قد   سقاه بكفه الساقي يُغنِّي)

وهي بلسان حالها تقول:

(أنا صخرة الوادي إذا ما زوحمت وإذا نطقت فإنني الجوزاء)

هي رسائل، بل آيات بيِّنات محلها الجوزاء وغيرها لا يسمو فوق النبات، هي صخرة الوادي فلا تزاحم، والبحر الذي لا يقتحم إذا هو تلاطم إن خطب ودّها من كان من أهلها قالت: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحِجر: الآية 46]، وإذا دنا منها المحجوب قلبت معدنه وجعلته مع أهلها ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحِجر: الآية 47]، وإذا لحظها من يروم لها كيداً ردّته إلى الحضيض فجعلته له مهداً وهي الشمس تعطي كل من طلعت عليه نفعاً وتسقيه من كرمها وتراً وشفعاً ما من حامل علم يردها إلاَّ وصدر عنها رياناً وكست علمه من برود الجمال ألواناً مغترفة من بحر الكتاب المبين ما هو تبصرة للعارفين ومنهاج للسالكين بأوضح عبارة وألطف إشارة ناهجة منهج السلف الذين عقدت على فضلهم الخناصر وعرف فضلهم الأول قبل الآخر تخاطب أهل الأذواق باللغتين العربية والفارسية، وتسقيهم من جداول كوثرها العذبة الروية، ألفاظها تأخذ بالألباب وتأتي بما يلذّ ويستطاب، فلما أن جمعت شملها من الأقطار وحمدت وصلها في مطالع مشارق الأنوار بلغت مجلداً جليلاً لطيفاً وسفراً مباركاً عزيزاً منيفاً يتلذّذ بتلاوتها كل قارىء لها وينتعش بمطالعتها كل مسترشد بها وقد حذفت منها المكرر وأثبت كل ما هو مطلوب محرر فكان اختياري منها ما لا تراه عين أو تسمع به أذن أو يخطر على قلب بشر مما ألهمه ذلك العارف الغارف من قاموس عوارف المعارف وفتح عليه مولانا الفتَّاح من الأسرار الإلٰهية والآداب والأخلاق المحمدية، وإن هذا وإن يكن موعده الجنان بعيد مناله في هذه الدار للإنسان لكن الجنة جنتان جنة حورٍ وولدان وجنة أسرار وعرفان، فتلك آجلة الوصول وهذه عاجلة الحصول، وكفى بذلك شاهداً ما جاء في محكم القرآن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية 46] ولا ريب أن أهل اليقين من كُمَّل العارفين إنما يعتبرون ما اعتبره الله ورسوله في جميع الأحكام لا ما عوّلت عليه عقول الناس وأنظار الأنام إذ أن الفضائل عندهم لا تكون إلاَّ بحسب العلوم الباطنة والأسرار القلبية والأنوار العرفانية كما قال رسول الله ﷺ: «ما فَضَلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكنه بشيء وقر في قلبه». وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ

﴿ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: الآية 11] فذكر تعالى في الفضيلة الإيمان والعلم ولم يذكر العمل، فثبت بكتاب الله تعالى كما ثبت بحديث رسوله ﷺ أن الفضائل بالعلوم الإلٰهية والتجليّات الربانية والأحوال القلبية لا بمجرد الأعمال البدنية ونوافل العبادات والطاعات الصورية. وجاء في حديث آخر: أعلمُ الناس أبصرُهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصراً في عمله أو كان يزحف على إسته. ولبعض العلماء في هذا الحديث إشارة إلى ما كاد أن يكون مجمعاً عليه عند القوم من أن العارف لا يضرّه قلّة العمل إذا كان سيره قلبياً لأن القلب الإنساني مرآة للجمال الرباني ومجلى كماله، فلذلك اختار الله تعالى من الكائنات العلوية والسفلية ومن ابن آدم القلب فقال: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»، ولا شيء أحب إلى المحبوب من المرآة إذ هي محل نظره يشاهد فيها جماله وكماله جلّت عظمته وكبرياؤه.

روي أن سيدنا يوسف الصدِّيق على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، لما صار عزيز مصر زاره بعض أصدقائه فقال له: بماذا جئتني يا أخي من الهدية، فقال: نظرت فلم أر فوق حسنك وجمالك شيئاً فجئتك بمرآة تشاهد فيها حسنك وجمالك. وإذا علمت أن المرآة عند المحبوب أحب شيء لديه وأعزّ مرغوب إليه، فاعلم أننا ما جئنا إلى هذا العالم إلاّ لأخذ المرآة منه وهي القلب السليم إذ لا ينفع هناك لا مال ولا بنون سواه كما أخبر به الكتاب الكريم، ومن المعلوم أن المرآة لا ترى إلا إذا كان لها وجهان: وجه لطيف ووجه كثيف، وهذا هو السبب في تنزُّل لطائف القلوب والأرواح إلى كثائف النفوس والأشباح فلا تُوجد هذه المرآة إلاّ في هذا العالم وهو قلب ابن آدم الذي له وجهان: وجه إلى لطيف الغيب، ووجه إلى كثيف الشهادة. والله تعالى جميل يحب الجمال بل لا أجمل منه ولا أكمل، بل كل جمال وكل كمال خرج إلى عرصة الظهور والإظهار فمن ضمن جماله وكماله مستعار، فالقلب محل نظر الحق تعالى وتقدّس، لا الأعمال الصورية كما ورد في الحديث الشريف: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم». وإذا كان نفس القلب مِلِكاً والجوارح والقوى جنوده ورعاياه كما ورد: «إن في جسد ابن آدم لمضغة إذا

صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» فيكون عمل القلب أيضاً كذلك ملك الأعمال وعليه تتوقف ظهور الحقائق والعرفان، ولذلك ورد في الأخبار: «ذرة من أعمال الباطن خير مما كان من أعمال الظاهر كالجبال الرواسي» لأن أعمال الظاهر قد يعارضها النفس والشيطان وأعمال الباطن لا معارض لها قطعاً ولا تتوقف أعمال الباطن على أعمال الظاهر بخلاف العكس، شبَّه أعمال الظاهر بالجبال الكبار لأن معها اللطيفة الأنانية والنفس والشيطان معارضان لها، والإضافة غير ساقطة عنها.

وأما أعمال الباطن ففيها إسقاط الإضافة والفناء وعدم الصفة. والتوحيد إسقاط الإضافات، وذكر في أسباب النزول أن هذا الحديث ورد في معاوية، فإنه رضي الله عنه في مبادىء إسلامه لم يكن له مشرب الباطن وذوقه، فقال ﷺ: «ذرة من أعمال الباطن» إلخ، وفي حديث آخر: «قليل العمل مع العلم كثير، وكثير العلم مع الجهل قليل» وذكر في أسباب النزول أيضاً أنه ليس المراد من إسناد الجهل إلى معاوية رضي الله عنه الجهل المستقبح بل ذلك كناية عن أنه رضي الله تعالى عنه كان رجلاً زاهداً ولم يكن له مشرب التجليات الذوقية فأرشده صلى الله تعالى عليه وسلم إلى هذا المشرب بقوله: «قليل العمل مع العلم كثير».

ثم اعلم أن هذا الحديث وأمثاله كلها محمولة على زوائد الأعمال وعلى نوافل الطاعات ومصروفة لا على أصول الأعمال والفرائض التي هي بين الناس مشتركة ومعروفة، ومن المعلوم أن زيادة الخدمة للسلطان مثلاً لا توجب زيادة الفضيلة عنده، فإن الذين يخدمون أبواب السلطان ويتعبون في كنس القمامات وتنظيف (السرايات) وخدمة الخيل والأمتعة وإن كانت المشقة عليهم عظيمة وهم ممتثلون أمره ونهيه على أبلغ ما يكون ليسوا عنده أفضل ولا أعزّ ولا أشرف من ندمائه وجلسائه الذين يكلِّمهم ويباسطهم ويحبّهم وهم قائمون معه بالآداب في ظواهرهم وبواطنهم مع أداء واجب الخدمة اللازمة عليهم، بل لعمري هم الأفضل عنده والأعرف والأعز والأشرف من أولئك الخدَّام وإن كانت خدمة هؤلاء قليلة وتعبهم نادراً جزئياً بالنسبة إلى تعب أولئك فإن هؤلاء إنما فضلوا

عنده بحسب أحوالهم الباطنية وحرية الأدب معه في الظاهر والباطن وكمال أذواقهم وزيادة حبهم له واحترامهم وتعظيمهم اللائق به في ظواهرهم وبواطنهم. وبهذه الخاصية التي فيهم شرفوا على غيرهم وزادت مزاياهم عنده حيث لم يكن عند غيرهم ما عندهم من ذلك.

فأصل جميع الكمالات والفضائل العلمُ، وأصل جميع النقائص والرذائل الجهلُ. وفي الحديث: «ما استرذل الله عبداً إلاً حظر عليه العلم والأدب (أي منعهما عنه لكونه لم يره لذلك أهلاً ولا يكون لخسّة همّته للنعمة شاكراً) وهذه سنّته سبحانه في حكمته بأن يجعل النعم الدينية لأهلها وهم الشاكرون المعظّمون لها، وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها، والعلم الذي يمنعه عن الأراذل علم الإيمان والمعرفة صيانة له عنهم. وأما الأدب فأدب الإسلام والتخلُّق بأخلاق الإيمان، فأدب العبودية مع الحق وأدب الصحبة مع الخلق وهذا الحديث وما قبله تنبيه عظيم على أنه ينبغي لمن زهد في العلم أن يكون فيه راغباً ولمن رغب فيه أن يكون له طالباً، ولمن طلبه أن يكون منه مستكثراً، ولمن استكثر منه أن يكون به عاملاً. وبالجملة فلا كمال مثل العلم فإنه خير محض لا يزال ينفع ولو تجرّد عن العمل واتصف صاحبه بكل نقص وخلل، وأقل ذلك أنه لا يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً كما وجدنا الكل بهذا موصوفاً وشاهدنا الجميع اليوم كذلك مبتلي بذلك، ولا يكون مثلهم مغترّاً يفعل الشر ويحسبه خيراً ويجتنب الخير لظنّه شرّاً، بل كلما كان بالأمر خبيراً بصيراً لا يجد له إلاً تقصيراً فيعترف بالتقصير في القليل والكثير والاعتراف يمحو الاقتراف، وإذا كان له مع ذلك رجوع إلى الرَّحيم الغفور وسعي في العمل فهو نور على نور، كما هو في زبدة الرسائل مذكور، وفي عمدة المسائل مسطور. وفقّنا الله للسعي في العمل ووقانا عن الزيغ والزلل، وإني التزمت أن أذكر منها ما لا بد منه وما لا يستغنى عنه وما كان على نمط غريب أو طرز عجيب.

ومن المعلوم أن كلام الأولياء مثل كلام الأنبياء ينبغي سماعه وحفظه وأداؤه كما سُمع وعلى قدر الاقتباس من أسرار علوم وعرفان مثل هذا الوارث المحمدي والمرشد الكامل المجددي يكون الإنسان على أثر العارفين الأبرار

والمرشدين الكاملين الأخيار، وبإجماع أهل السنَّة ممن كان معاصراً لحضرته الخالدية ومن جاء على أثره حتى اليوم أنه خير مجدد للقرن الماضي فكان من إرشاده تعميم الهداية في الخافقين ونشر لواء الشريعة والطريقة التي لحمتها وسداها اتِّباع سنَّة سيِّد الكونين فكان لصداهما رنين يتموج في الآفاق كاد أن يملأ السبع الطباق، وكان رضي الله تعالى عنه مع اشتغاله بنشر العلوم الشرعية وتشييده دعائم الطريقة النقشبندية لم يشغله الخلق عن الحق ولا الجمع عن الفرق، فغصت أبوابه بالزحام وهرع إلى خدمته الخاص والعام، نافذ الكلمة فيهم بلا نقض ولا إبرام، تترى إليه المراسلات والسؤالات من وزراء الدولة العثمانية المنصورة ومن علماء وأمراء الممالك الإسلامية المعمورة، فاستمدوا من تيار بحار علومه الباطنة والظاهرة وتكرَّم عليهم من أسرار معارفه الزاخرة فاغترف أكثر الموفقين من بحر علمه الرائق وأفاض عليهم من كوثر سلسبيل إمداد إرشاده الفائق فلا تبدو نفائس لآلي التحقيق من بحار التدقيق إلاَّ بالغوص في قاموس أفكاره ولا تجلِّي عرائس جواري الترفيق على منصات التنميق إلاَّ لخطاب أنظاره فتليت آيات فضائله على ألسنة الأصائل والبكور ونشرت رايات فواضله على رماح الظهور وتألق نور بدره التام في أقطار بلاد الإسلام وكان نفعه عاماً للقاصي والداني، فالداني ومن أمكنته الرحلة إليه كان يسترشد من إمداده بالاجتماع معه على نحو ما ذكرنا. وأما القاصي فكان يستمد الأسرار منه بالمكاتبات التي كانت تنهمر عليه انهمار الغيث المدرار من أهل الأمصار، ومنهم العالم والوزير والأمير والمسترشد والمستفتي والمتعلِّم إلى غير ذلك، فينثر درر تلك الأجوبة من حكمه الرائقة ويغذيهم بإرشاداته المقدسة الفائقة التي كانت تدخل القلوب فتعيها الأفهام وتهدي بأسرارها الأنام، ومن ثم كان ما نظمته في هذا العقد الفريد جديراً بأن يكون هدية أسعدية ومنحة صاحبية لأهل هذا العصر ولمن بعده، والهدايا على مقدار مهديها رجاءَ دعوةٍ صالحة تصدر من قلب ظاهر متحلٍّ بطيب السرائر، ولطالما تطاولت إلى ما جمعته أعناق الإخوان المخلصين وتشوّقت لرؤيته أعين الناظرين، فخذه أيها المخلص الأمين باليمين وعدّه تحفة «ونعمت تحفة» المحسنين، فإن أطباق أوراقه حلوة المذاق عند أهل الأشواق كيما يبدو بدرها

الخفّاق في جميع الآفاق ويسير نميرها الدفّاق بمارق وراق في حياض رياض الإطلاق، وتغني بلابلها ذوات الأطواق على غصون القلوب والأحداق، وتشنف مسامع المشتاق بما عنه نطاق البيان ضاق، وتصدّ أهل الابتداع والشقاق عن سيء الأفعال وذميم الأخلاق، وليس لي في جمعها وتدوينها ونشرها غرض سوى إنارة القلوب والعقول والتقرُّب فيها إلى الله تعالى وحسن القبول ولأكون في خدمتي هذه مستمداً من فيوضاته وعميم بركاته ولا غرو فإنني ممن يفتخرون بالانتساب إليه وإلى نسبه العالي، كيف لا وهو سيدي وسندي وعمي وعضدي فكان لي السمو بهذه النسبة الشريفة والشرف الأعم أسوة بالرسول الأعظم والنبي المكرَّم صلَّى الله تعالى عليه وسلم، كما باهى بعمّه سيّدنا العباس رضي الله تعالى عنه حيث قال: «العباس عمي وصنو أبي فمن شاء فليباهي بعمه». ولا أفتأ أعدّ نفسي أسعداً لفوزي بهذه النسبة أزاء مقامه العثماني النوراني الرفيع والتزامي باب الإرشاد في طريقه الصدِّيقي المنيع.

لي سادة مِن عزّهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي في قربهم عزّ وجاه

وقد سمّيته «**بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد**» والله الكريم أسأل وبجاه نبيّه الكريم أتوسل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وسبباً للفوز لديه بجنّات النعيم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان 88 - 89]. وقد رتّبته على مقدمة وبابين وخاتمة. أما المقدمة ففي تصحيح عقيدة طالب الحق على وفق معتقدات أهل السنَّة والجماعة وبيان المشرب الصافي العذب الورد، وتحقيق منازل الصفاء عند أهل العرفان والشهود ألا وهو العلم النافع والعمل الرافع المقرون بالمعارف والأسرار والكشف والأنوار كما أطبق عليه العارفون من أهل الله وخاصته الذين صحت أذواقهم وتطهرت بمناجاة الحق أخلاقهم.

والباب الأول: في رسائله العربية وما ينضم إليها من الجواهر واليواقيت العلمية والأخلاقية، مذيَّلة بما كتبه أولو التحقيق من مريديه في الرد على مَن أنكر على جنابه من أهل الاعتراض والتلفيق.

والباب الثاني: في بيان ما ظفرت به من مراسلاته الفارسية، ويندرج معها ما كتبه إليه شيخه ومرشده مولانا الشاه عبد الله الدهلوي، وما كتبه لبعض مَن تَبع هديَه من كبار خلفائه المجددية تذكرة للإخوان وتبصرة لأهل الإيقان.

والخاتمة: في نبذة من مناقبه الشريفة وكراماته الكونية المنيفة، ومن ثم قد ساعدني الحظ والتوفيق بالاجتماع والتشرُّف بحضرة محسوب الأولياء العارفين ومنسوب العلماء العاملين الشهم التقي الهمام والفاضل النقي المقدام الذي نقش بنده بطراز الطاعات حتى برز نقشبندياً وطهر عن السِّوى خلدهُ بمياه المجاهدات فظهر خالدياً الدستور الوقور والليث المحنك الإداري الجسور «عزمي بك أفندي» والي ولايتنا السورية العالي وبدر سماء أفقها الساطع المتلالي، وفقّه الله تعالى لعمران البلاد وأعانه على إحقاق الحق في مصالح العباد، وهو حفظه الله قد شوّقني إلى طبعها ونشطني في أمر نشرها وتعميم نفعها فامتثلت أمره في الحال وباشرت بذلك متوكِّلاً على الله في البدء والمآل.

وهذا أوان الشروع في المقصود بعناية الربّ المعبود، فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى أقوم طريق:

المقدمة

وفيها فصلان:

الأول: في تعريف التصوُّف والصوفي، وبيان المشرب الصافي العذب الورود، وتحقيق منازل الصفاء عند أهل الشهود.

والثاني: في بيان الطريقة النقشبندية وتعريف النقشبندي مع بيان اختلاف تسميتها باختلاف القرون ومجدِّديها على وجه يدخل في الآذان من غير استئذان، وسرد ما تجب معرفته على المريد السالك من الأمور الدينية والعقائد اليقينية.

اعلم أيها الطالب للحق الخاطب وداد مقام الصدق، الراغب في أن ترد المنهل صافياً وتشرب الكأس حالياً أن المطلب الأعلى والمقصد الأسمى هو معرفة الربّ الجليل ثم القيام بعبادته قيام عبد ذليل، ولا تحصل ذلك إلاً بعد معرفة صفات الباري تعالى وأحكامه بأن تعلم علماً يقينياً أن ربّك واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وعالِم بجميع المعلومات، وسميع لجميع المسموعات، ومريد لجميع المرادات، ومختار في جميع الاختيارات، ومتكلِّم بالكلام القديم الأزلي، ومقدِّر لجميع المقدورات، وموصوف بكل وصف يليق به، ومنزَّه عن ضدّ ذلك.

قد أوجد العالَم على وفق ما سبقت به إرادته وعلمه وتقديره، ومن جملة ما أوجد: هذا النوع الإنساني وقد قدَّر على بعض أفراده السعادة وعلى بعضه الشقاوة على حسب ما اقتضته حكمته العلية، وجعل هذا النوع نسخة جامعة لا يكاد يفقد فيه ما يناسبه من العالم العلوي والعالم السفلي، وركَّب جسده من ماء وطين ونار وهواء، وأحياه بروحه وجعل قلبه مرآة الإدراكات والمعارف

والحقائق، ووضع فيه العقل وأركز فيه الشهوة المائلة إلى المألوفات، وسلّط عليه الشيطان الآمر بمخالفة ربّ الموجودات، ووكّل به ملَكاً معيناً على الخيرات، ثم أرسل إليه رسلاً من عنده بكتب سماوية من لدنه فيها بيان ما شرَّعه تعالى لعباده اعتقاداً وقولاً وفعلاً وتركاً فمن سبقت له منه السعادة آمن به وصدق، ومن غلبت عليه الشقاوة كفر به وتزندق.

ثم المؤمنون على مراتب، فمنهم من هو مؤدٍّ كل ما أُلزم به من الدين ظاهراً وباطناً ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: الآية 24]، ومنهم من هو مؤدي أكثرَه وتارك أقلّه، ومنهم من هو مؤدي أقله ومضيع أكثره على طبق ما قدر في الأزل، فسبحانه ما أعظم تصرفه في خَلْقِهِ. وأن جميع ما شرَّعه الله تعالى وجاء به سيّدنا محمد المصطفى صلَّى الله تعالى عليه وسلم هو حق وصدق، وقد رغَّب تعالى عباده في عبادته ونهاهم عن معصيته فوجب على العبد أن يفعل ما أُمر به ويترك ما نُهي عنه ولا يتيسر له ذلك إلاَّ بعد معرفة المأمورات والمنهيات المفترضة عليه لقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وقد اختلفت العلماء الأعلام في هذا العلم المفروض فحمله المتكلِّمون على علم الكلام، والفقهاء على علم الفقه أصلاً وفرعاً، والمحدِّثون على علم السنَّة، والمفسِّرون على علم الكتاب، والصوفية على علمهم، والحق الأحرى بالقبول ما اختاره الأئمة العارفون والأولياء الكاملون، فإن العقلاء قاطبة قد أجمعوا على أن المقصد الأسمى هو التقرُّب إلى الله تعالى، وإنما الخلاف في العلم الموصل إلى ذلك المطلب العزيز، فادعى كل فريق منهم أنه علمهم الذي هم به مشتغلون وكل حزب بما لديهم فرحون. فينبغي أن يحمل على العلم الذي يتقرّب به الطالب إلى الله تعالى على كل حال، ومنه علم الشريعة وما عداهما من المعارف والفنون، فبين هاتين المرتبتين فكل علم من تلك العلوم وإن كان له مدخل في باب القربة إليه تعالى لكن القربة التامة إنما تكون بالعلم الذي اختاره السادَّة الصوفيَّة إذ به الوصول إلى كعبة الوصال وبه الدخول إلى سرادقات الجلال والجمال، وبه تُقطع المراتب وتُرفع الحُجب المانعة عن الحصول على أعلى المطالب. ولا ريب أن ما يتوقف عليه أعظم المطالب الذي هو المقصود من

الفرض والواجب لجدير بأن يعد من أهم الفرائض، فمن لم ينظر إلاَّ من كوة مرتبة واحدة ظنّ أن الغرض علمه الذي يشتغل به فقط، وأما من عرج إلى أوج العلا من حضيض البشرية فقد نظر في جميع المراتب وعلم الفرض منها والواجب.

فالعلماء الربّانيون وكُمَّل الأولياء الوارثون بشرف حسن الاقتداء بسنَّة سيِّد الأنبياء قد وصلوا إلى غاية الغايات فنظروا بنور الله وعرفوا أعظم القربات، فهم حقاً ورثة الأنبياء والرُّسل، وهم على أقرب الطرائق وأقوم السبل التي لا يعرفها إلاَّ السالكون ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية 43]. ولم يزل الصلحاء والمتورِّعون والأئمة المجتهدون يعترفون بفضل أهل الباطن وأرباب القلوب وأصحاب النفوس الطاهرة من أهل الكرامات الظاهرة، ولهذا كان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه مع جلالة قدره وسمو فضله يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي بين يدي معلمه في المكتب يسأله عن أمور فيقال له: أو مثلك يسأل هذا البدوي؟ فيقول: إنه وفّق لما علمناه كما هو مشهور. وكذا الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين رضي الله تعالى عنهما كانا يختلفان إلى سيدنا معروف الكرخي قدّس الله تعالى سرّه مع أنه لم يكن في العلم الظاهر بمنزلتيهما ويسألانه: كيف يكون الحال إذا وقع أمر لم يوجد في الكتاب والسنَّة، فيقول لهما: سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم. ويؤيده ما في كتاب «العقد النفيس» من أن الإمامين الهمَّامين الشافعي وأحمد رضي الله عنهما كانا قاعدين إذ مر عليهما شيبان الراعي قدّس سرّه فقال أحمد: إني أريد أن أسأل شيبان سؤالاً، فقال له الشافعي: لا تفعل، قال: لا بد لي من سؤاله، قال: دونك وإياه، فقال أحمد: يا شيبان في كم الزكاة من الغنم، فقال: على مذهبنا أم على مذهبكم، فقال أحمد: أو هما مذهبان، قال: نعم، قال: افتني بهما، فقال شيبان: أما على مذهبكم ففي الأربعين شاة واحدة، وأما على مذهبنا فلا يملك العبد مع سيده شيئاً فالجميع حق لله تعالى. وفي رواية أخرى: وسأله عن المصلّي إذا سهى في الصلاة بزيادة أو نقصان ما يصلحها، فقال: على مذهبنا أو على مذهبكم، فقال: أجبني على كلا المذهبين، فقال: أما على مذهبكم يجبر

بالسجود للسهو، وأما على مذهبنا هذا قلب غفل عن الله يجب تأديبه. فخرّ الإمام أحمد رضي الله عنه مغشياً عليه، انتهى.

وقال الإمام الشعراني في كتابه مشارق الأنوار القدسية: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن لا نعثر بحفظ العلم الذي يطلب منا العمل به من غير عمل كما عليه غالب الناس اليوم، وما هكذا كان السلف الصالح. ثم قال: ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك طريق الصوفية على يد شيخ كامل ليرقِّيه إلى درجات المراقبة لله تعالى والخوف من عذابه، كما كان عليه العلماء العاملون. وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى يقول: كل فقيه لا يجتمع بالقوم فهو كالخبز بلا إدام. وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكمل طالب العلم إلاَّ بالاجتماع على أحد من أشياخ الطريق ليخرجه عن رعونات النفوس ومن خطرات تلبُّسها ومن لم يجتمع على أهل الطريق فمن لازمه التلبيس غالباً ودعوى العمل بما علم وكل من نسبه إلى قلة العمل أقام له الأدلة التي لا تمشي عند الله تعالى، ومن شك في قولي هذا فليجرب. انتهى ملخصاً.

وقال في مشارق الأنوار القدسيَّة أيضاً، وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال الصفات الذميمة التي تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب ولا ريب أن علاج أمراض الباطن من حب الدنيا والكبر والعجب والرياء والحقد والحسد والغل والنفاق كله واجب كما تشهد له الأحاديث الواردة في تحريم هذه الأمور والتوعُّد بالعقاب عليها، فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخاً يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ولرسوله ﷺ لأنه لا يهتدي لطريق العلاج بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب في العلم فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تنزل الدواء على الداء فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول إنه طبيب عظيم، ومن رآه حين يسأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال: إنه جاهل، فاتخذ لك يا أخي شيخاً واقبل نصحي وإياك أن تقول طريق الصوفية لم يأتي بها كتاب ولا سنَّة فإنه كفر فإنها كلها أخلاق محمدية سداها ولحمتها منها، انتهى.

أقول: فالعلم بلا عمل والعمل بلا إخلاص لا يفيدان شيئاً بل هما حجة على صاحبهما، ولا تتمحض أعمال الإنسان إلى ما يكسِبه الفوز بالسعادة الأبدية إلاً بالعلم والعمل والإخلاص في عبادة الله تبارك وتعالى، ولا يتيسر له ذلك غالباً إلاً بالسلوك على يد مرشد كامل ناصح متبع للكتاب والسنَّة عامل بهما مخلص كما كانت عليه عامة الصحابة الأخيار والوارثون الأبرار من أكابر الصوفية رضي الله تعالى عنهم، فإن التصوُّف كما قال الجلال المحلى في شرح جمع الجوامع ناقلاً عن الغزالي: هو تجريد القلب لله واحتقار ما سواه، أي بالإضافة إلى عظمته سبحانه وإلاً فلا خفاء في أن احتقار الأنبياء أو واحد منهم كفر وإنَّا مأمورون بتعظيمهم وتعظيم الملائكة والعلماء الوارثين. ولما كان تعظيمنا إياهم ليس إلاً لأن الله تعالى عظَّمهم وأمر بتعظيمهم لم يكن خارجاً عن تجريد القلب لله كما قال ذلك الكمال ابن أبي شريف في حاشيته على الشرح المذكور، وللناس تعريفات للتصوُّف كثيرة جداً وقد ذكرها الحافظ أبو نعيم في الحلية مفرّقة في التراجم، وذكر فيها شيئاً كثيراً، وإذا تأملها المتأمِّل يظهر له أن كثيراً منها ناظر إلى مقام من مقامات التصوُّف غلب على قائله النظر إليه فعرفه ورآه الركن الأعظم فأطلق عليه التصوُّف على منوال قوله ﷺ: «الحج عرفة».

وقد عرَّفه الشيخ قاسم الخاني تعريفاً شافياً جمع فيه بيان ما قالوه في كتابه السير والسلوك بقوله: هو الوقوف مع الأداب الشرعية ظاهراً وباطناً فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ومن الباطن في الظاهر فيحصل من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال، انتهى. قال العلاَّمة محمد أمين السويدي في شرحه على الكتاب المذكور عند هذا التعريف: وذلك لأن الله تعالى لما خاطب الإنسان بجملته وما خصّ ظاهره من باطنه ولا باطنه من ظاهره توفرت دواعي أكثر الناس إلى معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم وغفلوا عن الأمور المشروعة في بواطنهم إلاً القليل وهم أهل طريق الله، فإنهم بحثوا في ذلك ظاهراً وباطناً فما من حكم قرّروه شرعاً في ظواهرهم إلاً ورأوا أن ذلك الحكم له نسبة إلى بواطنهم، فأخذوا على ذلك جميع الشرائع فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهراً وباطناً ففازوا بذلك. وظهرت

طائفة ثالثة ضلّت وأضلّت فأخذت الأحكام الشرعية كلها وصرفتها في بواطنهم وما تركت من حكم الشريعة في الظواهر شيئاً وهم الباطنية الملحدون، فالسعادة إنما هي مع أهل الظاهر وهم في الطرف والنقيض من أهل الباطن والسعادة كل السعادة مع الطائفة التي جمعت بين الظاهر والباطن وهم العلماء بالله وبأحكامه.

فإذا تحقّقت ذلك فلنذكر لك بعضاً من العبادات التي يرون الحكم فيها من الظاهر في الباطن ومن الباطن في الظاهر فنقول: في الطهارة مثلاً أجمع المسلمون قاطبة من غير مخالف على وجوب الطهارة على كل من لزمته الصلاة إذا دخل وقتها، وأنها تجب على البالغ العاقل. واختلفوا هل شرط وجوبها الإسلام أم لا، هذا حكم الظاهر. وأما حكم الباطن فهو أن باطن الصلاة وروحها إنما هو مناجاة الحق تبارك وتعالى حيث قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث، فذكر المناجاة يقول العبد فيقول الله، متى أراد العبد مناجاة ربه في أي فعل كان تعيّن عليه طهارة قلبه من كل شيء يخرجه عن مناجات ربه في ذلك الفعل، ومتى لم يتصف بهذه الطهارة في وقت مناجاته فما ناجاه وقد أساء الأدب فهو بالطرد أحق. وهكذا باقي أنواع العبادات، ولهذا قالوا: التصوُّف خُلُق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوُّف. ولما سئلت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خُلقه القرآن، وأن الله تعالى أثنى عليه بما أعطاه من ذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية 4].

ومن شرط المنعوت بالتصوُّف أن يكون حكيماً ذا حكمة وإن لم يكن كذلك فلا حظ له في هذا النعت وهو يحتاج إلى معرفة تامة وعقل راجح وحضور وتمكُّن قوي من نفسه حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسية، وليجعل صاحب هذا المقام القرآن أمامه فلينظر إلى ما وصف به الحق نفسه، وفي أي حالة وصف نفسه بذلك، ومع من صرف ذلك الوصف الذي وصف به نفسه، فليقم الصوفي بهذا الوصف بتلك الحالة والصنف. ولذلك قيل: التصوُّف هو التخلُّق بالأخلاق الإلٰهية، فأمر التصوف أمر سهل لمن أخذه بهذا الطريق ولا يستنبط لنفسه أحكاماً ويخرج عن ميزان الحق في ذلك، فإن من فعل ذلك الحق

بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فإن الله لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً كما أنهم لم يقيموا للحق هنا وزناً، فالصوفي من قام في نفسه وفي خلقه قيام الحق في كتابه، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النِّساء: الآية 79]. وإنما سمي السالك بذلك لصفاء قلبه وهذا هو الوجه في تسمية أهل الطريق بالصوفية، فالتصوُّف مأخوذ من الصفاء، وعليه ففي لفظه قلب، فأصله: صفو بواو في آخره فقدِّمت الواو على الفاء لأن أصل مصدره المجرّد صفو، فسميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها، أي طهارة الظاهر من المخالفات فإنها من آثار صفاء الأسرار عن الكدورات. وأما من قال: سموا بذلك للبسهم الصوف، فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف إذ التواضع لا ينحصر في لبسه، بل يكون في القطن وغيره، بل إذا لبس أحد الصوف إيهاماً للناس بأنه من الصوفية الصلحاء الزُّهاد ليُعتقد ويُحترم ويُعظَّم يكون ذلك من جملة الرياء المذموم كما ورد في الحديث الذي رواه أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إن الأرض لتعجّ إلى الله تعالى من الذين يلبسون الصوف رياءً»، ولذلك كره الإمام مالك ـ كما قال ابن بطال ـ لبس الصوف لمن وجد غيره لما فيه من الشهرة بالزهد، لأن إخفاء العمل أولى.

ولقد ذكر العلاّمة المؤرخ ابن خلدون في مقدمته أصل التصوُّف وتفسيره وبيان ما عليه الصوفية بما يشفي الغليل ويغني عن ما افتراه عليهم المنكرون من القال والقيل حيث قال: إن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية واختصوا بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة، اختصوا أيضاً بمواجيد مدركة لهم وذلك أن الإنسان من حيث هو إنسان إنما

يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك. وإدراكه نوعان: إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك. وإدراك للأحوال القائمة به من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والشكر والصبر، وأمثال ذلك. فالروح العاقل والمتصرِّف في البدن تنشأ من إدراكات وإرادات وأحوال وهي التي يتميز بها الإنسان ـ كما قلناه ـ. وبعضها ينشأ عن بعض كما ينشأ العلم عن الأدلة والفرح والحزن عن إدراك المؤلم أو المتلذّذ به، والنشاط عن الجمام أي الفرح والكسل عن الإعياء، وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بد أن ينشأ له عن كل مجاهدة حال هي نتيجة لتلك المجاهدة. وتلك الحال إما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاماً للمريد، وإما أن تكون صفةً حاصلة للنفس من فرح أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك، والمقامات لا يزال المريد يترقى فيها من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة والمريد لا بد له من الترقي في هذه الأطوار وأصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدمها الإيمان ويصاحبها وينشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات، ثم ينشأ عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان، وإذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فيعلم أنه إنما أتى من قبل التقصير فيما قبله، وكذلك في الخواطر الإنسانية والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد إلى محاسبة نفسه في سائر أعماله وأن ينظر في حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك المريد يجد ذلك.

فتبيَّن أن أصل طريقتهم محاسبة النفس على الفعل والترك والكلام في هذه الأذواق والمواجيد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاماً ويترقى منها إلى غيرها، ثم لهم أي الصوفية، مع ذلك آداب مخصوصة واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة، فإذا عرض ما هو غير متعارف اصطلحنا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس يوجد لغيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين: صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات. وصنف مخصوص بالقوم في

القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجيد العارضة في طريقها وكيفية الترقي فيها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم. فلما كتبت العلوم ودوّنت وألّف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقتهم، فمنهم من كتب في أحكام الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله القشيري في الرسالة والسهروردي في عوارف المعارف وجمع الغزالي بين الأمرين في الإحياء وصار علم التصوُّف علماً مدوّناً بعد أن كان طريق عبادة فقط، وكانت أحكامه إنما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دوّنت بالكتابة من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك.

ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله تعالى ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها والروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدّد نشوءه، وأعان على ذلك الذكر، فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزايد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الإدراك فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلٰهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفق الأعلى أفق الملائكة، وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم، وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع إرادتهم، فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتكلم فيه، بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعوّذون منه إذا هاجمهم.

وقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم على مثل هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية. وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم كثير منها، وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم

من بعدهم. انتهى ملخصاً وهو لعمرك من الجوهر النفيس.

فإذا علمت وتحققت حقيّة ما عليه رجال هذه الطائفة السنية من حسن المسالك والسعي وراء ما أمر به الرب المالك لأخذهم الزبدة من العلم النافع المقرون بالعمل الصالح طبق ما جاء عن الرسول الأعظم ﷺ تيقنت جميع ما وصفهم به حجة الإسلام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال من أنه لو اجتمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبس من نور مشكاة النبوّة وليس وراء نور النبوّة على وجه الأرض نور يستضاء به، فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها: تخلية القلب بالكلية عما سوى الله، وذلك أول شرطها. ومفتاحها استغراق القلب بالكلية في ذكر الله وهو بمنزلة تحريمة الصلاة. وآخرها الفناء بالكلية في الله، وقد صدر عنه قدّس سرّه هذا القول بعد فراغه من تحصيل العلوم وإقباله على طريق السادّة الصوفيّة، وعلم بصفاء اليقين أنها هي الطريقة المرضية ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الملك وعلماء الباطن زينة الملكوت. فإذا أراد الله تعالى أن يهدي عبداً ﴿شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية 22]. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور: الآية 35]، وقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشّورى: الآية 52].

قال الخطيب الشّربيني في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعَام: الآية 125]: لما نزلت هذه الآية الكريمة سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن شرح الصدر فقال: «نور يقذفه الله في قلب من يشاء فينشرح له قلبه وينفسح»، قيل: فهل لذلك أمارة يا رسول الله، قال: «نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور». وعبارة القاضي البيضاوي مثله إلاً أنه قال: والاستعداد للموت قبل نزوله، كما رواه البخاري أيضاً في المسند الصحيح. وقال محققو طريقتنا: أن علامة هذا النور في القلب هو أن يكون العبد مصدقاً بجميع ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما دام

القلب مصدقاً بما ذكر فهو مؤمن ذو نور في قلبه، وإن ارتكب الكبائر، ومتى عمي القلب عن إدراك هذا النور ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزُّمَر: الآية 22] وإن صاموا وإن صلُّوا ففي قلوبهم شكّ مما ذكر، فالمعاصي تزيد الكفر، فتجب التوبة والاستغفار عنها بتطهير القلب.

والمقصود من هذا أن يُعلم أن العبد إذا كان مؤمناً بالله ورسوله مصدِّقاً بما جاء به النبي ﷺ فقد هداه الله تعالى لنوره وألقى في قلبه نوراً من نوره ولو مثقال ذرّة، وإن لم يشعر العبد به فهو مؤمن ذو نور. ثم إن اشتغل بذكر الله والأعمال الصالحة يزداد هذا النور شيئاً فشيئاً إلى أن يصير القلب كالزجاجة، ونور الإيمان فيه كمصباح، وصدره كمشكاة فيها مصباح، فيكون قلبه كأنه كوكب دريّ يستضيء بنوره ملائكة السماء كما نحن نستضيء بنجومها، ويوقد هذا النور من كلمة التوحيد المشار إليها في هذه الآية بشجرة مباركة حتى يصير قلبه نوراً ثم صدره نوراً ثم بدنه نوراً ثم يقذف نوره في السماوات والأرض كما قيل:

«بنور بدا في غيهب الوهم فانجلا ظلام وذاك النور ما خلفه مرمى»

قال العارف الأكبر سيدي محيي الدين ابن عربي قدّس سرّه في تذكرة الخواص وعقيدة أهل الاختصاص في بيان هذا النور المنبعث عن الإيمان بما نصه: إن الإيمان هو التصديق وجملته قول وعمل ونيّة، وما وافق السنّة يزيد وينقص ويقوى ويضعف لأن العالم أقوى والجاهل أضعف ذاك بعمله وهذا بجهله، وأول منازل القربة من الإيمان قول باللِّسان لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله تصديقاً بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والنشور، وعمل بالجوارح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإقامة الأحكام. والنية إخلاص العمل وهو نهوض القلب بعقله ومعرفته إلى الله عزَّ وجلَّ، والنية روح العمل لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى»، وهو التوجه بالصدق لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 100] ومعنى الصدق إزماع ـ أي إجماع ـ الهمة على تجريد الطاعة لله وتصفيتها من كل شوب.

تصديقه ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً قال: يا

رسول الله ما أفضل الأعمال، قال: النيَّة الصادقة وتحقيق القصد بالعزم، وذلك إذا استنار القلب بضياء نور اليقين ـ أعني السائر بأقدام همم الأرواح والقلوب والأسرار إلى معرفة الله تعالى بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان ـ أي صار المعلوم المطلوب خيال القلب ولا حاجة إلى الإخبار عنه، وقطع السائر الطائر بجناح نيّته وقصده وعزمه مراتب علم اليقين وعين اليقين إلى حق اليقين في أسرع من طرفة العين، وتواردت الأنوار عليه وتخلّصت النيَّة إذ ذاك من الشوائب، ووقفت في حرم حق اليقين، واستغرقت في مشاهدة قدرة ربّ العالمين، وهذا الذي ذكرناه تقصير في أصول الاعتقاد وقواعد الإيمان. فظهر لك بهذا البيان أن قوة الإيمان بالعلم وزيادته بالطاعة ونقصانه بالمعاصي ولا يجوز القول إلاَّ بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلاَّ بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلاَّ بموافقة السنَّة. فاعرف ذلك.

وروي عن يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «هل تدرون من المؤمن» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «المؤمن من لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يحب، لو أن عبداً اتقى الله في جوف بيت إلى سبعين بيتاً على كل بيت باب من حديد ألبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس به ويزيدون». ومع هذا فقد ورد: نيَّة المؤمن أبلغ من عمله وإن أفضل الأعمال النية الصادقة. والنيَّة هو الذكر الخفي لا يكون فيها رياء فيهدرها، ووجدنا طريق الاعتبار عندما مثلنا بين العمل والنية أن العمل منقطع والنية دائمة. تصديقه في حديث ثابت عن أنس: أن العمل علانية والنيَّة سر.

وتصديقه: من حديث عطاء: إن أعمال السر مضاعفة والعمل سعي الأركان والنيَّة سعي القلوب إلى الله والقلب ملك والأركان جنوده، ولا يستوي سعي الملك وسعي جنوده، والعمل يوضع في الخزائن والنيَّة عنده لأنها كما قلنا: الذكر الخفي، والعمل تحقيق الإيمان وإظهاره موقوف على نهايته. والنيَّة روح العمل ولا تحصى، والعمل موكل به الحفظة. والنيَّة لم يطّلع عليها الحفظة لأنها في ديوان الله تعالى، ألا ترى إلى قوله تعالى للملائكة: «أنتم حفظة على عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه». والعمل ثوابه من الجنة والنيَّة ثوابها من

منازل القربة. والعمل أجناس لا يشبه بعضها بعضاً فلا يقدر العبد أن يعمل عملاً تنتظم فيه جميع الأعمال، والنيَّة تشمل الأشياء، وذلك إذا نوى بلوغ مرضاته تعالى فمرضاته جميع الطاعات فهو في ذلك الوقت كأنه أخذ بعروة الطاعات، فاعرف ذلك.

وأما معنى الإيمان فهو عبارة عن استقرار القلب وطمأنينة النفس، وذلك أن العبد لما كان طالباً لربّه متردِّداً في طلبه مرة إلى الوثن ومرة إلى الشمس والقمر ومرة إلى النيران وهو في ذلك متحيِّر لا يستقر ولا يسكن، فلما علم الله تعالى منه صدق القصد أفاض على قلبه نور الهداية فاستقرّ القلب واطمأنت النفس. وينشد في المعنى:

من كان في ظلم الليالي سائراً ... رصد النجوم وأوقد المصباحا
حتى إذا ما البدرُ أرشد ضوءه ... ترك النجوم وراقب الإصباحا
حتى إذا انجاب الظلام بأسره ... ورأى الصباح بأفقه قد لاحا
ترك المسارج والكواكب كلها ... والبدر وارتقب السنا الوضاحا

فظهر لك بهذا البيان أن حقيقة الإيمان كالشمس تشرق على بصائر القلوب دون حجاب، وفي تلك الحالة لا يزيد ولا ينقص. ويعبر عنه في اصطلاح القوم بإسفار صبح الكشف وهو مقام عين اليقين، فإذا حال بينهما غيوم الغفلات والهوى نقص الإشراق ودخل الوهن في القلب والفتور في الجوارح وتعطل عن العمل، فإذا ذهبت الغيوم والهوى زاد في إشراقه فاستقرّ القلب واطمأنت النفس وانبسطت الجوارح للعبودية، فمن الإشراف يزيد وينقص فاعرف ذلك، فالنور هداية الله تعالى لأهل منّته وأحبابه وأوليائه والسعداء من عبيده ومعدن ذلك النور: القلب، وهو بيت الله تعالى، والنيَّة قائد الله تعالى للمؤمنين بنور التوحيد وبالحب الذي تضمّنه، وذلك قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: الآية 7]. ثم قال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات: الآيتان 7 - 8] أي عليم بما سبق لهم في البدء يوم المقادير حكيم بحكمته قدّر لهم لا جزافاً، والإيمان لمن نال هذه الهداية فضل

منه وعلى فعله يثاب ويكرم، والعلم بالله والإيمان لا يفترقان لأن العلم ميزان الإيمان يستبين به المزيد من النقصان، فالعمل ظاهر والإيمان يكشفه ويظهره والإيمان باطن العمل والعمل يهيِّجه ويشغله، والإيمان مَدَد العلم ونصيره والعمل قوة الإيمان ولسانه.

ثم إن معرفة الله تعالى على مقامين: معرفة سمع ومعرفة عيان. فمعرفة السمع في الإسلام هو أنهم سمعوا به فعرفوه، وهذا هو التصديق في الإيمان. ومعرفة العيان المشاهدة بعين اليقين وكل موفق بالله فهو على علم من التوحيد والمعرفة وعلمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو صفاء إيمانه وقوته وإيمانه على معنى رعايته ومعاملته، فالعالم به خبير وإذا تمكَّن العبد من معرفة الحق سبحانه وتحقَّق ذلك في قلبه استغنى به عن الاستدلال بالأدلة العقلية والأخبار المتواترة بحصول الكسب والوضوح، وهذا مقام الإحسان من الإيمان ومحلّه النيَّة في رتبة حق اليقين، وهذا مخصوص بالصدِّيقين والشهداء وهو من مقامات قربهم ومحادثات مجالسهم ومأوى أنسهم ولطيف تملقهم.

وقد وصف الله تعالى علم المؤمنين وذكر علم الإيمان بقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجَادلة: الآية 11]، فجعل للمؤمنين علماً، فدلّ على أن العلم والإيمان لا يفترقان لقوله: ﴿وقيل للذين أوتوا العلم والإيمان﴾ وقرن الإيمان بالقرآن وهو العلم كما قرن القرآن بالإيمان، قال تعالى: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجَادلة: الآية 22] وهو القرآن، وقال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: الآية 52]. فأهل الإيمان هم أهل القرآن، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، والإيمان إذا تجرّد عن شوائب الكَدَر كان بمنزلة الشمس قد خرجت من كسوفها، ومن هذا المقام الزيادة التي ذكرها الله تعالى في تنزيله يزيد نوراً إلى نور، فيزداد قلبه بذلك النور الزائد إيماناً واستقراراً وثباتاً، فالذين خلقهم الله تعالى للسعادة منَّ عليهم بالهداية وطهَّر قلوبهم التي هي خزانة أسراره ووعاء معرفته وأنواره وموضع نظره بماء الرحمة حتى صلحت لهذه الأشياء التي ذكرناها وذلك قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾

[البَقَرَة: الآية 138] والصبغ: كل شيء يغمس في شيء ولذلك سمي الصبغ صبغاً لأن الثوب يغمس فيه، فمن اختاره الله واجتباه فمبدأ أمره أن يطهِّر قلبه بماء الرحمة حتى يدعه كالشيء المغسول، ثم اجتباه بنور الحياة فحيي قلبه بالله ثم جاء نور الهداية وهداه وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: الآية 122] فذلك نور المعرفة، ثم جاء نور العقل، فبنور العقل انتقل نور المعرفة عن الفكرة فاستقر لأنه رتبته، ثم جاءه نور الحب فقيّده فعندها صار محكماً فاعترف بلسانه بلا إلٰه إلاَّ الله مع أنوار المعرفة التي في باطنه وعقد قلبه على أنه ربّه وهو له عبد ينتهي إلى جميع ما يأمره به ويرضى بجميع ما يحكم عليه انقياداً فاستحق ها هنا اسمين: مؤمناً ومسلماً، فأما اسم المؤمن فلأنه استقرّ واطمئن عن التردد والجولان في طلب ربّه. وأما اسم المسلم لأنه أسلم نفسه إليه في جميع ما يأمره. فهذا عقد وقبول النوعين ثم اقتضى العبد من يوم آمن وأسلم في جميع عمره أن يفي بهذا العقد والقبول ووضع بين يديه العبودية نوعين: أمر يحكم عليه به ربّه، وأمر يأمره به ربّه. فأما الذي يحكم به عليه فالأحوال من الفقر والغنى والعزّ والذلّ والصحة والمرض وكل محبوب ومكروه فاقتضاه الوفاء بذلك أن يطمئن قلبه ونفسه إلى ما حكم به عليه كلما اطمئن إليه ربّاً، وأما الذي يأمره به فإقامة الفرائض والأحكام وترك المحارم فاقتضاه الوفاء بذلك أن يسلم في كل أمر أمره به ونهي نهاه عنه فيمتثل أوامره وينتهي عن محارمه، فإذا وفّى بالإسلام والإيمان نجا من الوزن والحساب، والله وليّ التوفيق.

* * *

الفصل الثاني: في بيان الطريقة النقشبندية وتعريف النقشبندي وسرد ما تجب معرفته على المريد من الأمور الدينية والعقائد اليقينية

أما النقشبندية فهم فرقة عظيمة من فرق السادّة الصوفية قدِّست أسرارهم، ومدار طريقتهم على التحقق بكمال الإيمان بالله ورسوله وبما جاء من عند الله

ومعصياً، وهذا عندهم محض الشرك. والتوحيد المحض يأباه فهذا فناء هذه الطائفة، وقد أشار صاحب السير والسلوك بما نقلناه عنه آنفاً إلى رده وبطلانه وأشبعنا الكلام على ذلك في شرح كتابه المذكور كما في كتاب السهم الصائب بالانتصار لمولانا خالد لتلميذه العلاّمة الشيخ أمين السويدي البغدادي رحمه الله تعالى الذي ورد فيه على الشيخ معروف النودهي البرزنجي وعثمان الجليلي الموصلاوي.

وأما الفناء عن شهود السوى وهو الفناء الذي يشير إليه أكثر الصوفية فحقيقته فناء ما سوى الله عن شهودهم وحسهم فهو غيبة أحدهم عن سوى مشهوده بل غيبته أيضاً عن شهوده ونفسه لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده، وبمحبوبه عن حبه وبمشهوده عن شهوده. وقد يسمى حال مثل هذا سكراً واصطلاماً ومحواً وجمعاً، وقد يفرقون بين معاني هذه الأشياء وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب ويفنى به فيظن أنه اتحد به وامتزج بل يظن أنه نفسه كما حكي أن رجلاً ألقى محبوبه نفسه في الماء فألقى المحب نفسه وراءه فقال له: ما الذي أوقعك في الماء، فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني، وهذا إذا عاد إليه عقله بعلم أنه كان غلطاً وأن الحقائق متميزة في ذاتها فالربّ ربّ والعبد عبد والخالق بائن عن المخلوقات ليس في المخلوقات شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ولكن في حال السكر والمحو والاصطلام والفناء قد يغيب عن هذا التميز وفي مثل هذا الحال قد يقول ما يحكى عن بعض أهل الأحوال من الكلمات التي يشطحون بها التي لو صدرت عن قائلها وعقلها معه لكان ضالاً، ولكن مع سقوط التميز والشعور قد يرتفع عنه قلم المؤاخذة، وهذا الفناء يحمد منه شيء ويذم منه شيء ويعفى عن شيء فيحمد منه فناءه عن حب ما سوى الله وعن خوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والالتفات إليه بحيث يبقى دين العبد ظاهراً وباطناً لله. وأما عدم الشعور والعلم بحيث لا يفرق صاحبه بين نفسه وغيره فهذا ليس بمحمود ولا هو وصف كمال، ولا هو مما يرغب فيه ويؤمر به بل غاية صاحبه أن يكون معذوراً لضعف عقله عن احتمال التميز وإنزال كل ذي منزلة منزلته موافقة لداعي العلم

ومقتضى الحكمة وشهود الحقائق على ما هي عليه والتميز بين القديم والمحدث والعبادة والمعبود فينزل العبادةَ منازلها ويشهد مراتبها ويعطي كل مرتبة منها حقّها من العبودية ويشهد قيامه بها.

وأما الفناء عن إرادة السوى فهو فناء خواص الأولياء والأئمة المقربين وذلك أن صاحبه يكون شائماً برق الفناء عن إرادة ما سواه سالكاً سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه فانياً بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه فضلاً عن إرادة غيره قد اتحد مراده بمراد محبوبه، أعني المراد الديني الأثري لا المراد الكوني القدري، فصار المرادان واحداً وليس في العقل اتحاد صحيح إلاَّ هذا الاتحاد في العلم والخير، فيكون المرادان والمعلومان واحداً مع تباين الإرادتين والعلمين والخيرين فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفنائهم قد فنوا بعبادته عن عبادة ما سواه وبحبه وخوفه ورجاءه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ومن تحقيق هذا الفناء أن لا يحب إلاَّ في الله ولا يبغض إلاَّ فيه ولا يوالي إلاَّ فيه ولا يعادي إلاَّ فيه ولا يعطي إلاَّ لله، ولا يمنع إلاَّ له ولا يرجو إلاَّ إياه ولا يستعين إلاَّ به فيكون دينه كله ظاهراً وباطناً لله ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه وحقيقة ذلك فناءه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربّه وحقوقهم. فافهم ذلك، وقد أشبعنا الكلام بأكثر من هذا في كتابنا بلوغ الأماني لإخوان الصفا في القطر اليماني فارجع إليه فإنه أغربَ فأعجب وأطنب فأطرب، والله يتولّى الصالحين.

ولنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول: اعلم أن الشروع في بيان الطريقة النقشبندية السالمة من كدورات جهلة الصوفية يستدعي ذكر نتف من فضائلها ليتضح لدى القارىء علو مقامها وسمو مكانها وأنها أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى فاقتضى أن نبين ذلك بياناً شافياً والمقصد الوحيد الذي نرومه بيان حقيقة هذه الطريقة العلية وشرائطها وأركانها وآدابها ونتيجتها ومبناها.

أما حقيقتها فهي الحضور مع الله تعالى بدوام الذكر والفكر وعدم الغفلة

عنه تعالى في جميع الأوقات والحالات في الصلاة والتلاوة والذكر والأكل والشرب وعند عمل صنعته وفي الكثرة والوحدة والمحادثة والسكوت وفي كل حركاته وسكناته ونشاطه وفتوره وغمه وسروره بحيث لا يكون غافلاً عن الله تعالى في جميع حالاته بل يكون حاضراً معه تعالى ويلاحظ حضوره معه وبالعكس ويعتقد أنه لا حول ولا قوة ولا قدرة ولا قول ولا فعل إلاَّ بالله ولا يضيع وقته بالخسران كما قال علماؤنا: إن رزق الظاهر بحركات الأجسام ورزق الباطن بحركات القلوب، ورزق الأسرار بالسكون، ورزق العقول بالغناء عن السكون حتى يكون العبد ساكناً مع حضرة الله تعالى، فإن قوت الأرواح ذكر علاَّم الغيوب ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: الآية 28].

ومن أهم شرائطها: أخذ بيعة العهد[1] الصحيحة والإنابة الرجيحة من شيخ

---

(1) قوله: ومن أهم شرائطها أخذ بيعة العهد، فالعهد في اللغة يطلق على معان، قال في المختار: العهد الأمان واليمين والموثق والذمة والحفظ والوصية وعهد إليه من باب فهم أي أوصاه، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة اهـ. وفي التعريفات: العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال هذا أصله، ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته وهو المراد انتهى. وفي عرف الشرع: التزام قربة دينية كالتزام الأنصار بأنهم يحمون النبي ﷺ بما يحمون منه نسائهم وأولادهم وشرط العهد كمال الشيخ المربي وانقياد المريد السالك إليه، وصيغته اللفظ الدال عليه: من عاهدت ونحوه. والأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية 10]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: الآية 18] وفي ذلك من مدحه ما لا يخفى على ذي بصيرة إذ جعل الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ نائباً عنه وجعل الأصحاب نواباً وخلفاء عن الرسول ﷺ، وكذلك مَن بعدهم خلفاً عن سلف.

والمبايعة عند القوم قدِّست أسرارهم على وجوه منها: بيعة التوبة عن المعاصي. ومنها: بيعة التبرُّك برجال السلسلة وهي بمنزلة الدخول في سلسلة الإسناد في الحديث بشرطه ولا يخفى ما في ذلك من البركة. ومنها: بيعة تأكيد العزيمة على التجرد لأمر الله وترك ما نهى عنه ظاهراً وباطناً وتعلق القلب بالله وهو الأصل في مبايعة المشايخ الكاملين خلافاً لما زعمه بعضهم من أنها ليست بشيء وأن البيعة مقصورة على قبول الخلافة وهو فاسد فإنه قد استفاض عن رسول الله ﷺ أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا يبايعونه تارة على إقامة أركان الإسلام وتارة على التمسك بالسنَّة والاجتناب عن البدعة والحرص على الطاعات كما صح عنه ﷺ أيضاً أنه بايع نسوة من الأنصار على أن لا ينحنَ إذا نزلت بهن كارثة. =

كامل عالم عامل واصل إلى الشهود الذاتي على أنه وإن كان وجوده في هذا

= وهذا صحيح البخاري شاهد ينادي على رؤوس الأشهاد بأنه ﷺ اشترط على جرير رضي الله تعالى عنه عند مبايعته النصح لكل مسلم وأنه بايع قوماً من الأنصار فاشترط عليهم أن لا يخافوا في الله لومة لائم وأن يقولوا الحق حيث كان، فكان أحدهم يجاهر الأمراء والملوك بالرد والإنكار إلى غير ذلك. وهذا من باب التزكية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إلاّ أن البيعة بالتمسك بحبل التقوى كانت متروكة في زمن الخلفاء الراشدين لكثرة الصحابة الذين استناروا بصحبة المبعوث رحمة للعالمين واستفاضوا من مشكاة أنوار نبوّته وتأدبوا بالحضور في حلقة صحبته المقدّسة فكانوا بسبب ذلك لا يحتاجون إلى البيعة المذكورة، وأما في القرن الثاني والثالث الذين هما خير القرون فلخوف أن يتوهم الناس أنها مبايعة الخلافة فتهيج الفتن وتفترق الكلمة. وكانت الصوفية يومئذ يقيمون الخرقة مقام البيعة ثم لما اندرس هذا الاسم في الخلفاء انتهز الصوفية الفرصة وتمسكوا بسنّة البيعة وأحيوها بعد موتها فنالوا بذلك أجر إحيائها وأجر من يجريها إلى يوم القيامة كما أفاده مسند وقته الشاه أحمد ولي الله المحدِّث الدهلوي النقشبندي في رسالته القول الجميل.

وأما من أنكر أخذ الحسن البصري الذي هو مستند هذه الطائفة العلية عن سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه محتجاً بأنه لم يدرك زمانه فلا يلتفت إليه بعدما أثبته جماعة من أعاظم الحفاظ الحافظين لأحاديث الرسول ﷺ من اختلال المعاني والألفاظ حتى قال الحافظ السيوطي وهو الراجح عندي وفاقاً للحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة، والحافظ ابن حجر العسقلاني في أطراف المختارة أنه ولد لسنتين بقين من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وميز لسبع وأمر بالصلاة فكان يحضر الجماعة ويصلّي خلف عثمان رضي الله تعالى عنه إلى أن استشهد. وعلي رضي الله تعالى عنه إذ ذاك بالمدينة يحضر الجماعة كل فريضة ولم يخرج عنها إلاّ بعد استشهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه وسِنُّ سيدنا حسن البصري إذ ذاك أربع عشرة سنة فكيف ينكر أخذه عنه مع ذلك وهو مجتمع معه كل يوم في المسجد خمس مرات مدة سبع سنين كما ذكر ذلك العلاّمة الشهاب أحمد بن حجر الهيثمي المكي في الفتاوى الحديثية.

وقال الشيخ المحقق وليّ الله المحدث الدهلوي المشار إليه إن عدم اشتهار أخذ الحسن البصري عن علي رضي الله تعالى عنهما إنما كان لأخذه ذلك عنه بطريق الخفية.

وقال الحافظ المزي: رأى الحسن علياً بالمدينة وهو غلام وزيادة على ذلك أن علياً كان يزور أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ومنهن أم سلمة والحسن كان في بيتها هو وأمه، وكانت أم سلمة رضي الله عنها تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه، وأخرجته مرة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فدعا له بقوله: اللهم فقهه في الدين وعلّمه وحبّبه إلى الناس، كما ذكره المزي وأسنده إلى العسكري. =

الزمان أعزّ من الكبريت الأحمر إلاّ أنه ببركة صحبته ينال السالك منه مقصوده بحسب اعتقاده فيه. هذا إذا كان عالماً، وأما إذا كان جاهلاً فلا يصلح لأن يكون أهلاً للإرشاد كما قال علماؤنا: من لم يكن في إحدى يديه قال الله وفي يده الأخرى قال رسول الله فهو في ظلمة الجهل المطبق فلا يصل إلى الحق تعالى فكيف يكون دليلاً ومرشداً لغيره.

والحاصل أنه تعالى لا يتخذ الجاهل وليّاً ولو اتخذه لعلمه، فالشيخ المرشد لا بد أن يكون عالماً عاملاً على كل حال كما قال الشيخ العارف بالله تعالى أحمد الليثي قدّس سرّه أن من دخل هذه الطريقة العلية النقشبندية بالإذن

= وقد أورد المزي في التهذيب من طريق أبي نعيم أنه سئل عن قوله: قال رسول الله: ولم يدركه، فقال: كل شيء قلت فيه ذلك فهو عن علي غير أني كنت في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً ـ أي زمان معاوية ـ، قلت: وهذا يؤيد ما أفاده المحقق أحمد ولي الله المحدث الدهلوي فيما مر من أنه أخذ عنه بطريق الخفية، وهذه الفائدة لعمري حقها أن تكتب بأحرف من نور على صفحات القلوب لما لها من عظيم المكانة وصميم المتانة، فاعرف ذلك. وبهذا تتحقق صحة ما جرى عليه القوم من أخذهم البيعة في العهد على الوجوه التي ذكرناها.

وإذا تمهد هذا فاعلم أن المبايعة ثلاثة أقسام، الأولى: من الرُّسل عليهم السلام، والثانية من المشايخ العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، والثالثة من أولي الأمر. والمبايع في هؤلاء الثلاثة في الحقيقة ونفس الأمر هو الله تعالى فإن أولئك الثلاثة شهود الله في بيعة هؤلاء الأتباع، ولهذه الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله تعالى كما أن للأتباع شروطاً أيضاً يجمعها المتابعة فيما أمروا به مما لا معصية فيه حيث ورد: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ومما لا شك فيه ولا ريب أنه إذا ثبت عن الشارع الأعظم ﷺ فعل على سبيل العبادة والاهتمام بشأنه فإنه لا ينزل عن كونه سنَّة متبعة في الدين، فإن فعله صلوات الله وسلامه عليه من جهة كونه معلِّماً لأمته التمسك بالسنَّة والاجتناب عن البدعة والحرص على الطاعات كان أيضاً سنَّة للعلماء العاملين والمرشدين الكاملين.

واعلم أن الله تبارك وتعالى أجرى سنّته أن يضبط الأمور الخفية المضمرة في النفوس بأفعال وأقوال ظاهرة وينصبها مقامها كما أن التصديق بالله ورسوله واليوم الآخر خفي فأقيم الإقرار مقامه، وكذلك التوبة والعزيمة على ترك المعاصي والتمسك بحبل التقوى خفي مضمر فأقيمت البيعة مقامها. قال في المدخل: إن أخذ العهد من أهله لأهله بشرطه لا ينكر إذ عليه درج السلف الصالح كما لا ينكر الانتماء إلى المشايخ بشرطه، انتهى. كل ذلك من كتابنا بلوغ الأماني وقد أشبعنا الكلام فيه على ذلك بأكثر من هذا فراجعه إن شئت، والله تبارك وتعالى أعلم بالصواب. لمؤلفه.

والتلقين من مرشد موصوف بالأوصاف المذكورة إن كان جاهلاً يصير عالماً وإن كان عالماً يصير عاملاً ببركة الدخول في مصاف هذه السلسلة السنية وانخراطه في سلك أوليائها الكبار المتفق على ولايتهم والمجمع على كرامتهم بالتواتر والإجازة يداً عن يد وكابراً عن كابر مرفوعاً كذلك، وهكذا إلى سيدنا علي بن أبي طالب وسيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنهما إلى سيدنا رسول الله ﷺ إلى سيدنا جبريل الأمين عليه السلام.

ومن شرائطها: تصحيح الاعتقاد في إثبات الواجب تعالى وتقدّس وتطبيقه بالبراهين القطعية على مقتضى قانون السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتبع التابعين على وفق ما قرّره حكماء علماء الدين الموثوق بعلمهم الأثري الموافق للكتاب العزيز والسنَّة النبوية المأثورة كما سنوضحه في ختام هذه المقدمة إن شاء الله تعالى مع العمل بالعزيمة والاجتناب عن المحظورات والمكروهات مهما أمكن فلا يكاد يجد الطاعن في هذه الطريقة العلية سبيلاً لرميها بسهام القدح لأنها مشروطة بموافقة الشريعة الأحمدية ومربوطة بالطريقة المحمدية فالطعن فيها يكون طعناً فيهما بالحقيقة ونفس الأمر وهو من الكفر بمكان لا يخفى والعياذ بالله تعالى.

ومن شرائطها: العلم والحلم وحسن الخلق والتواضع ولين الجانب وما يتشعب منها وكذا تبجيل المشايخ، ولا سيما تسليم وتفويض أمر المريد السالك نفسه إلى تربية شيخه ومرشده فيما يوافق الشرع الشريف. ومنها: مراعاة الوقوف القلبي الذي هو الركن الأعظم في هذه الطريقة في الحقيقة، وقد ذكرناه في كتابينا بلوغ الأماني والفيوضات الخالدية فراجعها إن شئت. ومنها: أن يكون زي أهلها كزي عوام المؤمنين فلا يشترط فيها التاج والطيلسان وغير ذلك من الأزياء وليس فيها الجهر بالذكر ورفع الصوت والحركات بالرقص والتغني والغفلة فإن الذكر بلا حضور كمضمضة عطشان، وإنما الاعتماد عندهم على تصحيح العقائد اليقينية وخلوص النية ومحافظة القلب والطوية وقتل النفس بسيف المجاهدة في العبادات كلها ولا يعتبرون فيها زياً وصورة وتبذُّلاً ووضعاً وهيئة مخصوصة كما علمت، فمن كان منسوباً إلى هذه الطريقة فليس له أن يتزيّا بزيّ مخصوص بل

جميع الصور والألبسة عنده على حد سواء فيتزيّا بزيّ مناسب بحاله، فإن كان عالماً يكون زيّه كزيّ العلماء، وإن كان من الأمراء فيتزيّا بزيّهم وإن كان من السوقة وأهل الحِرَف فيتزيّا أيضاً بزيّهم وهلم جرا، فكل بحسبه فيكون في الكثرة والوحدة بلا تفاوت صورة وسيرة ووصف من الأوصاف على كل حال والأثر هو ما لم يخالف الشرع أو يصادم أدباً من آداب الطريقة المحمدية، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم بل ينظر إلى قلوبكم ونيّاتكم».

وأما أركانها: فالإعراض القلبي عن ما سوى الله تعالى والتوجه إليه والتوكل عليه في الأمور كلها، وقد سميت هذه السلسلة ذهبية لكمال لطافتها ونظافتها من جهة أن أهل البيت النبوي عليهم السلام يتصفون بها وينسبون أيضاً إلى النسبة الصدِّيقية الخفية.

وأما آدابها: فهي آداب الشرع في جميع الأحوال والاجتناب عندهم من كراهة ولو تنزيهية أفضل من الذكر والفكر والمراقبة والتوجه بمراتب، نعم إذا جمع هذه الأمور مع رعاية آداب الشريعة فقد فاز فوزاً عظيماً. ومنها: الاتِّصاف بالأخلاق الحميدة والاجتناب عن الأوصاف الذميمة.

وأما نتيجتها: فهي أن لا يكون السالك خالياً أبداً عن ذكره تعالى ومشاهدة حضوره معه أينما كان، وقد سئل الواسطي عن الذكر فقال: هو الخروج من ظلمة الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب الذي هو محط رحال كمّل العارفين وقد أشار حضرة مولانا خالد قدّس سرّه إلى هذا بقوله: أقرب الطرائق إلى الله حبه تعالى ولا يصفى حبه حتى يبقى المحب روحاً بلا نفس ومن طاوع نفسه فلا يذوق محبة الله تعالى، انتهى. ويقال لهذه الحالة في اصطلاحهم: المشاهدة وقد أفردنا آداب الذكر في رسالة وحيدة في بابها وسميناها بالجواهر المكنونة الأنيقة في آداب الذكر والطريقة، فراجعها فإن فيها ما ينفع غلة الصدى ويشفي رسيس الفؤاد.

وأما مبناها: فهو ستر الحال وإخفاء ما في البال يعنون بذلك أنه يلزم على من وفقه الله تعالى لسلوك هذه الطريقة الخفية أن يحتجب بحجاب يتوارى به ليكون بعيداً عن نظر الخلق فلا يُطلع في طاعته على سره أحداً إلاّ الله محرماً كان

أو غير محرم حتى لا يشتهر بين الناس حاله وشأنه، وقد سئل إمام الطريقة مولانا السيد محمد بهاء الدين شاه نقشبند قدّس سرّه عن قاعدة مبنى هذه الطريقة العلية، فقال: هو أن يكون السالك فيها ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق، انتهى. قال علماؤنا: وأحسن ما يكون ستراً وحجاباً لهذه الطائفة أن يشتغل سالك طريقتهم بتدريس العلوم ويكون بعيداً عن نظر الناس ولا يطلع أحداً على كونه من أهل السلوك، وإن كان من الحاضرين في حلقة درسه إبهاماً بأنه صالح سالك أو طالح بل يكون مستور الحال خفي المسالك فيبعد بذلك عن الرياء في سلوكه ومعاملته مع الله تعالى لئلا يتوجه إليه الناس ظانين صلاحه، بل ينبغي عليه أن تكون معاملته مع الحق خفية عن الخلق بتمام الصدق وكمال الإخلاص إلى أن يصل إلى رتبة الكمال ويؤذن له بالإرشاد. ورد في بعض الأحاديث القدسية: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري». على أنهم لم يختاروا العلم والاشتغال بتدريسه ستراً وحجاباً لهم عن أعين الناس إلاَّ لكونه شريفاً والستر بهذه العبادة الشريفة يكون أحسن ستر وحجاب من غيرها، فإن الشريف يستر بالشريف وهذا أجمل من أن يستتر بحجاب الحياكة مثلاً أو البزازية أو الدلالة إلى غير ذلك من الصنائع والحِرَف، وأقوى ستر هو أن يستتر برداء الحكام والأمراء فإن العلماء قد يظن فيهم السلوك ولا يظن بالأمراء والحكام فإن من كانت صورته صورة أمير أو حاكم وسيرته سيرة تقوى وصلاح وسلوك طريق الأولياء، فنعم الحال حاله فإنه جمع الخيرات فلا يطلع على سره أحد غير جناب الحق سبحانه وتعالى فتكون معاملته مع الحق تعالى في خلواته وجلواته خالصة مخلصة لله تعالى. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفُرقان: الآية 74]، إلاَّ أنهم قالوا: ولا بد للسالك أن يجتنب صحبة الأضداد والأغيار خصوصاً دجاجلة الضلال والإضلال الذين هم يدعون الفيض والإرشاد ويظهرون الصفاء من غير سلوك طريق السداد وهم لعمرك أفرغ من فؤاد أم موسى.

وأما ختم الخواجكان فليس من شرائط هذه الطريقة إنما هو من أوراد كبار مشايخها العظام ومجرباتهم ويقصدون بقراءته ثواباً من الله تعالى، وإذا أرادوا جلب منفعة أو دفع مضرة يشتغلون بقراءته مع الإخوان بصدق نيَّة وصفاء طوية

فينالون مقاصدهم فيه بإذن الله تعالى والله يتولى الصالحين. وقد أشبعنا الكلام على فضائله وشروطه وأركانه وآدابه وفائدته بأكثر من هذا في كتابنا نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان وكتابنا الفيوضات الخالدية المذكورين.

وبالجملة إن هذه الطريقة الأنيقة هي طريقة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم التي أخذوها عن النبي ﷺ على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا، وهي عبارة عن دوام العبودية لله أي دوام التوجه إلى الحق سبحانه وتعالى بعد التحقق بكمال الإيمان والإسلام والإحسان على الوجه الذي تقدم ذكره بشرط أن يكون ذلك بكمال الالتزام بالسنَّة والعزيمة ظاهراً وباطناً ومصحوباً بتمام الاجتناب عن البدعة وتتبع الرخص في جميع الحركات والسكنات بحيث يكون ذلك مع الخشوع والخضوع والرجاء والصدق بالعهد والوفاء في العبادات والمعاملات مع دوام الحضور على طريق الفناء المحمود المنوه به آنفاً.

فإذا علمت هذه الخصائص والمآثر وتلك المناقب والمفاخر تحققت أن هذه الطريقة الأنيقة هي جوهرة نفيسة لا يعرف قيمتها إلاَّ المنصف الحاذق الوثيق كيف لا ومؤسسها بالتهذيب والتنقيح أفضل الأمة على التحقيق سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومشيدها بالنظر الرجيح والكشف الصحيح والنقل الصريح من بدايته النهاية ونهايته ليس لها غاية شيخ مشايخ الإسلام بهاء الدين النقشبند الإمام ومجددها قطب دائرة الإرشاد ورحلة الأبدال والأوتاد مربي الثقلين مولانا خالد ذي الجناحين قدّس الله تعالى سرّهما فهي أم الطرائق ومعدن الأسرار الصدّيقية والحقائق، فأمرها كبير وشأنها خطير فلا جرم أنك ترى منكري الأولياء لاستقامتها واعتدالها لها مذعنين فضلاً عن الموفقين المعتقدين لنزاهتها عن الشطح والرفض وسفاسف السماع وسلامتها عن كدورات جهلة المتصوفة وزخارف الرعاع والابتداع، وهذا مما جرى على قبوله الوفاق وأقرّ بفضله علماء الآفاق، فهي الطريق الأقرب الأسلم الأحكم الواضح والمشرب الأعذب الأصفى المصون عن قدح كل قادح.

على نفسه فَلْيَبكِ من ضاع عمره ... وليس له فيها نصيب ولا سهم

قال العلاَّمة المحقق الملا علي القاري رحمه الله تعالى في شرحه على الحصن الحصين تحت ترجمة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من دخل السوق فقال لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة» ما نصه: ولعل وجه هذه الفضيلة بخصوص السوق لأنها محل الغفلة فالذاكر فيها كالمجاهد في الفارين وهذا دليل لما اختاره السادة النقشبندية من أكابر الصوفية حيث قالوا الخلوة في الجلوة والعزلة في الخلطة، فالصوفي كائن بائن وغريب قريب وعرشي فرشي ونحو ذلك من عباراتهم نفعنا الله تعالى ببركاتهم ومن تتبع أحاديث رسول الله ﷺ وعرف أخباره وأحواله وعلم أقواله وأفعاله تبين له أن هذه الطريقة هي التي اختارها رسول الله ﷺ بعد البعثة وحثّ أمته على هذه الحالة وتبعه عليها أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم دون ما ابتدعته المبتدعة ولو كان بعضه مستحسناً في الجملة، انتهى.

وإذا علمت ذلك تحققت صدق الكلام السابق وجزمت بصحة المقال اللاحق كيف لا وقد قال محققوهم: إن الغاية القصوى من سر الإيجاد عندنا إنما هو التحقق بكمال الإيمان والإسلام والإحسان المعبر عنه بحق اليقين المحقق بدوام العبودية على طريق الاستهلاك المنعكس جماله من حال المتحققين به اصطفاء واجتباء إلى الكائنين معهم والمرتبطين بهم حباً واتِّباعاً، فلقد سبقت تلك الحُسنىٰ من مجلاها الجامع للحافين به انعكاساً وانصباغاً وتسلسلت بها النقشبندية خصوصاً فتزيّنوا لها بالعمل على السنَّة والعزيمة وتطهروا لها بالاجتناب عن البدعة والرخصة، ووفقوا لانعكاسها على دوام الحضور وكمال الاتباع وعكفوا لانصباغها على تشرب الانتفاع في المجالي، فطوبى لمن استمسك بهذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

وللنقشبندية قدّس الله تعالى أسرارهم أصلان أصيلان من أعطيهما فقد أعطي كل شيء. **الأول**: كمال اتباع النبي ﷺ في جميع الحركات والسكنات في العبادات والعادات والمعاملات كما مر، وهذا هو أصل طريقة الصحابة رضي الله

تعالى عنهم فإنهم كانوا يتبعون أحواله ويقتفون أثره ﷺ فيجسلون إذا جلس ويخلعون نِعالهم إذا خلع وينزعون خواتمهم إذا نزع، وجثا أبو بكر وعثمان رضي الله عنهما على ركبهما في قضية جلوسهما على البئر كما فعل ﷺ لما روي ذلك في كتب الحديث وكاد يقتل بعضهم بعضاً من شدة الازدحام عندما رأوه ﷺ يحلق رأسه الشريف فما يريدون أن تقع شعرة إلاً في يد رجل حين حلّ من عمرته في قضية الحديبية إلى غير ذلك من الأحوال والأقوال والأفعال، وكانوا أيضاً يجيئون عن هيئة جلوسه ونومه وكيفية أكله وغير ذلك ليتقرّبوا به، فقال ﷺ لما أرادوا التبتل والانقطاع للعبادة ليلاً ونهاراً: «أما أنا فآكل وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنّتي فليس مني». فانظر يا أخي رحمك الله كيف ردهم إلى ما لا معدل عن الاقتداء به عما قصدوه مع أنه يظهر قبل التأمل أنه من أكبر الطاعات وجهاد النفس. ولقد أدار ابن عمر رضي الله تعالى عنهما راحلته في مكان، فلما سئل عن ذلك أجاب بأنه رأى النبي ﷺ أدار راحلته فيه حرصاً على متابعته ﷺ. وكذلك لما سئل السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم إذا أهلّ هلال ذي الحجة وإنما يحرم في يوم التروية وكونه إنّما يلمس الرّكن اليماني، فأجابه بأنه استند في ذلك كله إلى فعله ﷺ. ومن ذلك قول عمر رضي الله تعالى عنه للحجر الأسود: «ولقد علمت أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك»، إلى غير ذلك مما نقل عنهم رضي الله تعالى عنهم.

والأصل الثاني: محبة الشيخ الكامل الذي يكون واسطة بين الله وبين عباده في تعليمهم دينه وهذه المحبة هي أصل لجميع الكمالات إذ لا يحصل له إطاعة إلاً بمحبته التابعة لمحبة الله تعالى كما قيل في ذلك شعراً:

تعصي الإلٰه وأنت تُظهر حبّه ... هذا لعمري في الفِعَال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مُطِيع

فإذا أحبه أطاعه فيما يأمره به وينهاه، وإذا أطاعه في ذلك فقد أطاع الله، وهذه المحبة لا توجد بالتكلف أي بالسعي في أسبابها والجهد في اكتسابها بل التكلف عندهم فيها زندقة لأن هذه المحبة لا تدخل تحت الاكتساب والتحصيل

لأنها من ائتلاف الأرواح بالتأليفات الأزلية الأولية، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية 63]، فهي من نِعَم الله التي يمنّ بها على مَن يشاء من عباده. قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 103]. وإذا عرفت أن الإطاعة تابعة للمحبة علمت مطابقة ذلك لما عليه الصحابة رضوان الله عليهم المتّبعون لرسول الله ﷺ بسبب محبتهم له التي هي أكثر من محبتهم لأنفسهم وذلك لأن الشيخ في قومه كالنبي في أمّته، قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، والعلماء ورثة الأنبياء» كما ثبت في الحديث، وإن كان لا رتبة فوق النبوّة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وغاية العلم العمل به، والمشيخة هي الوراثة الكاملة للنبوَّة وهي نتيجة المتابعة الكاملة لخير البرية والعناية الشاملة الأزلية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 31] فالاتِّباع مرتب على الحب ومشروط به فعلى قدره ضعفاً وقوة ووجوداً وعدماً يتقدر وبغير الحب يتعذّر، وقد أشار ﷺ إلى المشيخة التي هي الوراثة النبوية بقوله: «والذي نفسي بيده لئن سألتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله، ويمشون في الأرض بالنصيحة» فهي من أعلى الرتب في طريق القوم لأنها نيابة النبوة في الدعوة إلى الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام من حديث طويل: «ألا فاقتدوا بالعالم خذوا منه ما صفا ودعوا له ما كدر» والحديث مشتمل على معنيين: أحدهما ما ذكر في الآية الكريمة، والثاني: كما قال العارف السهروردي في عوارفه: إن الشيخ كما سلك في المريد طريق المتابعة والاقتداء والافتقار حتى أحبه الله تعالى كذلك يسلك به طريق التزكية لأن النفس إذا تزكّت بملازمة العبادة والرياضة والذكر والمراقبة بالتجريد والتفريد انجلت مرآة القلب وانعكس فيها أنوار العظمة الإلٰهية الربانية، ولاح فيها جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة جلال القدم، فأحب العبد ربّه، وذلك وراثة التزكية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشّمس: الآية 9]، وفلاحها بمعرفة إلٰهها ثم لاحت الدنيا فيها بقبحها وحقيقتها ولاحت الآخرة بكنهها وأنفاسها فتنكشف للبصيرة حقيقة الدارين. وحاصل المنزلتين

فيحب الباقي ويزهد في الفاني فتظهر فائدة التزكية وجدوى الشيخ وتربيته، فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالبين، والمشايخ عليهم وقار الله لأنهم يهابونه وبهم يتأدّب المريدون الصادقون ظاهراً وباطناً بادياً وكامناً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: الآية 90].

فإذا تحققت ذلك علمت أن هذه الطائفة العظيمة إنما سميت بالنقشبندية لنسبتها إلى القطب الكبير والغوث الشهير ذي الفيض الجاري المعروف بشاه نقشبند مولانا بهاء الدين السيد محمد الأويسي البخاري قدّس سرّه، وكان مولده في شهر محرم سنة ثمان عشرة وسبعمائة في قصر عارفان من أعمال بخارى، وتوفي فيها يوم الاثنين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. وكان رضي الله تعالى عنه أويسياً. ومعنى نقشبند: ربط النقش، وهو صورة الكمال الحقيقي بقلب المريد. وكان المشايخ الذين قبله إلى زمانه يذكرون في الانفراد خفية وفي الجمع جهراً فأمر أهل الحضرة قدّس الله سرّه العزيز بالخفية أخذاً بالعزيمة بأمر معنوي، ورد عليه من روحانية رئيس حلقة الخواجكان سيدنا الخواجة عبد الخالق الفجدواني شيخ مشايخه في عالم السير، ولهذا يقال له أويسياً نسبة لأويس القرني رضي الله عنه حيث تربى من روحانية سيدنا علي بن أبي طالب كرَّم الله تعالى وجهه فاقتصر مولانا الإمام نقشبند قدّس سرّه على الذكر الخفي على طريق ربط الذكر بلا إلٰه إلاً الله في قلبه فيصير من ذكرهم هذا في قلب المريد تأثير بليغ، فكان يقال لذلك التأثير: نقش، وذلك الذكر بند أي ربط. والنقش هو صورة الطابع إذا طبع به على شمع ونحوه، وربطه بقاؤه من غير محو، فصار من كمل نقشه منهم يسمى نقشبندي، أي لازم النقش ومربوط النقش.

قال العارف النابلسي في مفتاح المعية شرح التاجية ما يؤيد ذلك بقوله: وهو أن صفات الله تعالى لما كانت هي المتوجهة على خلق آدم عليه السلام وبنيه بتوجه من الذات العلية الأزلية حيث لا كيف ولا أين فظهر آدم عليه السلام وظهرت بنوه بعده على صورة مخصوصة مسماة بأسماء المتوجه تعالى وتقدّس، موصوفة بأوصافه لها ذات يصح نسبة ذلك إليها، ولها أفعال كما له أفعال، ولها

أحكام على غيرها كما له أحكام. كذلك نقش الذات والصفات والأسماء والأفعال والأحكام ظهر بظهور آدم وبنيه ولكن من بنيه من محا بعض ذلك النقش بغلبة الحيوانية عليه وضعف الإنسانية الكاملة فيه، ومنهم من كمل نقشه فيسمى نقشبند أي لازم النقش ومربوط النقش، وهذه الكلمة صالحة لغير ذلك أيضاً.

فإن قلت: لم ترك الذكر الجهري واشتغل بالذكر الخفي وخالف في ذلك من سبقه من مشايخه مع أن الجمع بينهما أفضل. **أجيب**: أن المريد في حال البداية لا يمكنه أن يجمع بين الذكرين بل إذا اشتغل بأحدهما فاته الآخر.

فإن قلت: لم اختار الذكر الخفي ولم يعكس، **أجيب**: بأن الذكر الخفي هو الذكر القلبي وهو عند الانفراد أفضل من الذكر اللساني كما ذكر ذلك العلاّمة المتبحر الشهاب ابن حجر الهيتمي في شرح العباب ناقلاً له عن الإمام النواوي رضي الله تعالى عنه مستدلاً بما أشار إليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم وتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله» أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه.

فإن قلت: هذا الذكر عام شامل للّساني والقلبي فلم خصصته بالقلبي، **أجيب**: لما كان الذكر القلبي أعلى مراتب الذكر وأفضلها، كما علمت مما تقدَّم، كان هو المراد هنا لأن الذكر القلبي الفكري هو الذي له هذه الفضيلة الزائدة على بذل المال والنفس لما جاء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «تفكُّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة». ولما روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبويها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على غيره سبعين ضعفاً إذا كان يوم القيامة رجع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى: انظروا هل بقي له من شيء، فيقولون: ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلاّ وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله تعالى: إن لك عندي خبيئة لا تعلمها وأنا أجزيك بها وهي الذكر الخفي. رواه أبو يعلى في مسنده.

قال العلاَّمة المحقق ملا علي القاري في شرحه على المشكاة بعد نقله لهذا الحديث وذكره لحديث آخر يقاربه ما نصه: فالحديثان حجتان ظاهرتان للسادة النقشبندية زبدة القادة الصوفية قدّس الله تعالى أسرارهم العلية. انتهى. ولما روي عنه ﷺ أنه قال: «خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي»، وهذا الذكر لا يحصل إلاّ على معرفة الله تعالى لأن من لا يعرف الله تعالى كيف يمكن له ذكره. وطريق معرفة الله تعالى على وجهين، **أحدهما**: طريق أهل النظر والاستدلال. **وثانيهما**: طريق أهل الرياضة والمجاهدة، فالسالكون طريق أهل النظر والاستدلال إن التزموا ملّة من ملل الأنبياء والمرسلين فهم المتكلمون وإلاّ فهم الحكماء المشّاؤون والسالكون طريق أهل الرياضة والمجاهدة إن وافقوا في رياضتهم ومجاهدتهم أحكام الشريعة الغراء فهم الصوفية المتشرعون وإلاّ فهم الحكماء الإشراقيون، فاعلم ذلك والله يتولى هداك.

ولقد منَّ الله تعالى عليَّ من محض فضله وجزيل كرمه وإحسانه بتلقي هذه الطريقة العلية النقشبندية الخالدية بعمومها وخصوصها ومنطوقها ومفهومها، منها تربية وسلوكاً، ومنها تبرُّكاً وإرادة من طرق عديدة كلها ترجع إلى حضرة إمامنا الماجد ضياء الدين مولانا خالد قدّس سرّه، منها أني تلقنتها من شيخي ووالدي وقدوتي وملاذي النجم الثاقب والمولى المراقب عالي المراتب مولانا الشيخ محمود العثماني الشهير بالصاحب قدّس سرّه وذلك قبل أن يختط بوجهي العذار ولا أحاط ليله البهيم ولا استدار، وهو أخذها بعمومها وخصوصها ومنطوقها ومفهومها عن حضرة قطب دائرة الإرشاد غوث الثقلين ورحلة الأبدال والأوتاد ذي الجناحين، المستضيء من الكتاب والسنَّة بمصباحين شيخه وأستاذه وشقيقه وملاذه الهيكل النوراني ضياء الدين مولانا خالد المجددي العثماني قدّس الله سرّه العزيز وهو أخذها عن حضرة القطب العلوي والغوث النبوي مولانا الشاه عبد الله الهندي الدهلوي قدّس سرّه.

وإني قد أخذتها أيضاً بالإجازة والإذن المطلق عن حضرة قطب العراق وعلامة الآفاق بالاتفاق المرشد الأكمل الأفخم مولانا الشيخ أحمد السمين الصاحبي البغدادي المدرِّس الأول في مدرسة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان

رضي الله تعالى عنه، وهو أخذها بعمومها وخصوصها بالسلوك والتسليك مدة مديدة بدمشق عن حضرة سيدي النجم الثاقب والمولى المراقب قطب الأرشاد والدنا ومولانا الشيخ محمود الصاحب وهو عن شقيقه ومرشده الإمام الماجد حضرة مولانا خالد قدّس سرّه.

وأخذتها أيضاً بطريق الإجازة تبركاً وتيمناً عن العلاّمة الرومي الصمصام الهندي مولانا الشيخ علي رضا المشتهر ببيك زاده الخربوتي قدّس سرّه وهو أخذها عن حضرة قطب العارفين خرطوي زاده مولانا الشيخ محمد حافظ الأرفلي الرهاوي قدّس سرّه وهو عن القطب الأعظم مولانا خالد قدّس الله أسرارهم.

وأخذتها أيضاً بالإجازة والاعتقاد عن حضرة قطب العارفين وسند المحققين مولانا الشيخ أبي بكر الزجي الأربيلي، وهو أخذها عن قطب الزمان سراج الدين مولانا الشيخ عثمان الطوبلائي قدّس سرّه، وهو أخذها عن حضرة قطب دائرة الإسلام مولانا خالد الإمام قدّس سرّه العزيز.

وأخذتها أيضاً بالسلوك والخدمة مدة مديدة وسنين عديدة عن حضرة العارف الشهير الفاني مولانا الشيخ أحمد الخالدي الزملكاني وأدخلني معه الخلوة في مقام حضرة مولانا خالد أربعين يوماً في الخلوة المطلة على ضريح سيدي الوالد، وهو أخذها عن حضرة شيخه ومرشده الهمام الماجد مولانا خالد قدّس سرّه.

وأخذتها أيضاً بالتربية والسلوك في السير إلى ملك الملوك بالخدمة الشاقة والصحبة الصادقة، وتلقيتها بعمومها وخصوصها عن حضرة الإمام العارف الغارف من بحر المعارف مولانا الشيخ عيسى الكردي نزيل دمشق قدّس سرّه، وهو أخذها عن ذي الأيادي البوادي لدى الحاضر والبادي قطب المعارف والعلوم مولانا الشيخ قاسم الهادي، وهو أخذها عن القطب الرباني مولانا الشيخ حسن النوراني، وهو أخذها عن القطب الذي سناه للبدر يحكي مولانا الشيخ صالح السبكي، وهو أخذها عن القطب الكبير ذي النور العبهري مولانا الشيخ خالد الجزري، وهو أخذها عن الإمام الكامل والموصل الواصل مولانا الشيخ

إبراهيم الجزيري، وهو أخذها عن إمام الأنام ضياء الخافقين مولانا خالد ذي الجناحين قدّس سرّه، وهو أخذها عن حضرة مولانا الشاه عبد الله الدهلوي قدّس الله تعالى أسرارهم وأفاض علينا أنوارهم. وكذا أخذها سيدي ووالدي مولانا الشيخ محمود الصاحب تبرُّكاً وإجازة عن حضرة القطب الأحمدي مولانا أبي سعيد المجددي وأقامه نائباً مناب أخيه ومرشده مولانا خالد وأقرّه في محله حسب ما كان عليه من القيام في مقام حضرة سيدنا الشاه الدهلوي على سجادة الإرشاد المطلق، وكتب لسيدنا الوالد إجازة مباركة فارسية العبارة وأوصاه خيراً بسائر الخلفاء والمريدين لا سيما بحسن تربية ابن عمي الشيخ نجم الدين ووالدته المحترمة حليلة حضرة أخيه مولانا خالد قدّس سرّه وهو أخذها عن حضرة القطب الدهلوي قدّس سرّه.

وكذلك أخذتها اقتفاء لأثر والدي قدّس سرّه عن حفيده قطب دائرة المعارف والعلوم مولانا محمد معصوم نزيل طيبة الطيبة الطاهرة وهو أخذها عن والده القطب الفريد مولانا الشيخ عبد الرشيد، وهو أخذها عن والده المرشد الكامل الوحيد مولانا الشيخ أحمد سعيد المجددي، وهو أخذها عن والده القطب الكبير والإمام الشهير مولانا الشيخ أبي سعيد الفاروقي المجددي المشار إليه قدّس سرّه، وهو أخذها عن القطب الأرشد والغوث الأوحد الخازن للسر المعنوي مولانا الشاه عبد الله الدهلوي شيخ حضرة مولانا خالد ومرشده، وهو أخذها عن المعلى المزكي المصفى المطهر شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدّس سرّه، وهو أخذها عن المتشرِّف بالتجلِّي الذاتي والصفاتي والشؤوني شيخ المشايخ مولانا السيد نور محمد البدواني قدّس سرّه، وهو أخذها عن المستغرق في لجَّة بحر حق اليقين سلطان الأولياء مولانا الشيخ سيف الدين قدّس سرّه، وهو أخذها عن شيخه ووالده أمين السر المكتوم والعروة الوثقى مولانا الإمام محمد معصوم قدّس سرّه، وهو أخذها عن شيخه ووالده مظهر العجائب ومنبع الأسرار والمعاني الغوث الصمداني مولانا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي المعروف بالإمام الربّاني مجدِّد الألف الثاني قدّس سرّه، وهو أخذها عن القطب الذي لصهباء الحب الذاتي هو الساقي مؤيد الدين الرضي

مولانا الشيخ محمد الباقي قدّس سرّه، وهو أخذها عن الولي الكريم السني مولانا خواجكي الأمكنكي السمرقندي قدّس سرّه، وهو أخذها عن شيخه ووالده المكرّم الممجد شيخ المشايخ مولانا الدرويش محمد قدّس سرّه، وهو أخذها عن شيخه وخاله الراكع الساجد قطب الأقطاب مولانا الشيخ محمد الزاهد قدّس سرّه، وهو أخذها عن مروج الدين ومقوِّي المشرب النقشبندي الغوث الأعظم المعروف بخواجه أحرار مولانا الشيخ عبيد الله الطاشكندي قدّس سرّه، وهو أخذها عن المورد لتواتر عنايات الباري مولانا يعقوب الكرخي الحصاري قدّس سرّه، وهو أخذها عن مفتاح خزائن الأسرار قطب الأقطاب الشيخ محمد البخاري المعروف بعلاء الدين العطار قدّس سرّه، وهو أخذها عن إمام الطريقة وغوث الخليقة وشمس فلك الحقيقة ذي الفيض الجاري والسر الساري المعروف بشاه نقشبند السيد محمد بهاء الدين الأويسي البخاري قدّس سرّه، وهو أخذها عن منبع المعارف والكمال سيد السادات السيد خواجه أمير كلام قدّس سرّه، وهو أخذها عن المقبل على الله ولما سواه الناسي قطب الأولياء خواجه محمد بابا السماسي قدّس سرّه، وهو أخذها عن الواله في محبة مولاه الغني المعروف بحضرة عزيزان خواجه نساج مولانا علي الرامتني قدّس سرّه، وهو أخذها عن حضرة المُعرض عن المراد الدنيوي والأخروي شيخ المشايخ مولانا الشيخ محمود الأنجير الفغنوي قدّس سرّه، وهو أخذها عن المنسلخ عن الحجاب البشري قطب الأولياء مولانا عارف الريوگري قدّس سرّه، وهو أخذها عن القطب الرباني غوث الخلائق مولانا الخواجه عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه، وهو أخذها عن الغوث الصمداني مولانا خواجه يوسف الهمداني قدّس سرّه، وهو أخذها عن حضرة النشوان من رحيق الحب الصمدي قطب الأقطاب مولانا أبي علي الفارمدي قدّس سرّه، وهو أخذها عن حضرة المحبوب السبحاني غوث الواصلين أبي الحسن الخرفاني قدّس سرّه، وهو عن المؤيد بالتأييد الإلهامي سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي قدّس سرّه، وهو عن إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق سيدنا الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر رضي الله تعالى عنهما، وهو أخذها عن حضرة الإمام الهمام المؤيد بالتوفيق أحد الفقهاء السبع سيدنا

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وهو أخذها عن حضرة الغريب المعدود من آل بيت الرسول الصحابي الجليل سيدنا سلمان الفارسي المكرَّم المقبول رضي الله تعالى عنه، وهو أخذها عن حضرة أفضل الأئمة على التحقيق خليفة رسول الله وصاحبه في الغار سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، وهو أخذها عن حضرة منبع الصدق والصفاء شمس النبيين وقمر المرسلين أبي القاسم الأمين نبيّنا ومولانا وشفيعنا ووسيلتنا إلى الله تعالى سيّدنا محمد المصطفى عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

وأيضاً النقشبند عن روحانية الغجدواني إلى آخر النسبة، والفارمدي أيضاً عن الشيخ أبي القاسم الكركاني عن الشيخ أبي عثمان المغربي، عن الشيخ أبي علي الكاتب، عن الشيخ أبي علي الروزباري، عن الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي، عن سري السقطي، عن معروف الكرخي، عن الإمام علي الرضا، عن والده الإمام موسى الكاظم، عن والده الإمام جعفر الصادق، عن والده الإمام محمد الباقر، عن والده الإمام زين العابدين، عن والده الشهيد السعيد سيدنا الإمام حسين سبط الرسول، عن والده أمير المؤمنين أسد الله الغالب سيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وأماتنا على حبهم وحشرنا في زمرتهم، وهو عن سيد الكونين ورسول الثقلين سيدنا محمد المصطفى صلَّى الله عليه وعليهم وعلى سائر الآل والأصحاب أتمّ الصلاة وأكمل التسليم. وهذه النسبة تسمى سلسلة الذهب كما تقدم ذكره، والكرخي أيضاً عن أبي سليمان داود الطائي، عن جيب العجمي، عن الحسن البصري، عن علي بن أبي طالب، عن سيد الكونين عليه الصلاة والسلام وعليّ أيضاً، عن الصدِّيق عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى سائر الآل والأصحاب أجمعين كما ذكره خواجه محمد بارسا في رسالته الموسومة بالقدسيّة قدّس الله تعالى سرّه وأحيانا الله على محبتهم ورزقنا من بركاتهم الفوز برضائه ولقائه بالحسنى وزيادة آمين.

وأما ألقاب السلسلة: فقد قال علماؤنا قدّس الله أسرارهم أنها تختلف باختلاف القرون ومجدِّديها، فمن حضرة سيدنا الصدِّيق رضي الله تعالى عنه إلى حضرة الشيخ طيفور بن عيسى أبي يزيد البسطامي قدّس سرّه، تسمى صدِّيقية

ومن حضرة رئيس حلقة الخواجكان سيدي الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه تسمى طيفورية. ومنه إلى حضرة إمام الطريقة ذي الفيض الجاري والسر الساري مولانا الشيخ بهاء الدين شاه نقشبند محمد الأويسي البخاري قدّس سرّه تسمى خواجكانية، ومنه إلى حضرة الغوث الأعظم مولانا الخواجه عبيد الله أحرار قدّس سرّه تسمى نقشبندية، ومنه إلى حضرة مجمع الأسرار والمعاني قطب الطرائق وغوث الخلائق الإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني مولانا الشيخ أحمد الفاروقي السهرندي قدّس سرّه تسمى نقشبندية وأحرارية، ومنه إلى جناب المعلى المزكّى المصفّى المطهّر شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدّس سرّه تسمى مجددية، ومنه إلى حضرة شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى المرشد على الإطلاق في جميع الآفاق ضياء الخافِقَين مولانا خالد ذي الجناحين قدّس سرّه تسمى مجددية ومظهرية، ووقع الاصطلاح بين إخوان الطريقة والصلاح من أهل العرفان والفلاح على تسميتها منه خالدية لا زالت مرسومة على جبهة الدهر بأحرف من نور مدى الأعصار والدهور إلى أن تتصل من محض فضل الله وكرمه وجزيل إحسانه ونِعَمِه بتوفيقه النجيح على حسب ما بُشِّر وبَشَّر به بعض مشايخ هذه السلسلة بالكشف الصحيح بحضرة الإمام المهدي صاحب الزمان عليه الرضوان لأن هذه الطريقة هي الملائمة المناسبة لما سيكون عليه من الصحو الصدِّيقي والرجوع إلى البقاء الآثم الحقيقي بدعوة الخلق وهدايتهم إلى الحق برآستي الظاهر والباطن وفتح القلاع والمواطن وهي متصلة بحبل الله المتين إلى يوم الدين حشرنا الله وإخواننا تحت لوائهم المنشور يوم النشور آمين.

وإليك عقداً نظِّم فيه أسماء رجال هذه السلسلة السنية الصدِّيقية حضرة العالِم العامل والشيخ الكامل السيد عبد الفتاح الزعبي الكيلاني الخالدي نقيب أشراف طرابلس الشام الذي هو مِن أعظم أصحابنا وأكابر أترابنا كادت تتناول أيدي بلاغتها أطراف السحاب بيد أنها تزري الدرّ في أسلاكه وتخجل البدر في مطالع أفلاكه فأحببت أن أثبِّتها هنا تتميماً للفائدة فإن معانيها بالبركات والفيوضات عائدة، قال حفظه الله تعالى:

يا غوث من ناداه في أسمائه   وجفا سواه ومال عن أسمائه

والدمع من جفنيه شوقاً مرسل ومسلسل قسماً لعظم بكائه
والقلب أضحى ذاكِراً ما كان من ليلات جَفوته وطول عنائه
كالطير يخفق منك في جو الجوى وله أزيز من عنا برحائه
يغدو خماصاً وهو أمل فيك أن يعدو بطاناً من ثمار ولائه
ولأهله قال امكثوا ولعلي آ تيكم بقوت الوصل من ليلائه
فامنن عليه في تجلّيك الذي يمحو رسوم الغير من أحشائه
وانقش بمرآة الفؤاد جماله وبذاك منك أفِض على أجزائه
ليرى معاني الكل في الحسن انطوى وفنائه عن غيره ببقائه
سارٍ بنهج الصاحب المحمود مَن أبدى طريق القوم بعد خفائه
قطب تدور عليه أفلاك التُّقى ويؤم سدَّته بنو عليائه
ورث المفاخر والولاية والهدى والفضل والعليا وحسن ثنائه
عن شيخه وشقيقه غوث الخلا ئق خالد مَن عمَّ نور هدائه
الفرد مولانا ضياء الدين من كان المحدّد سير نهج بهائه
النقشبندي القادريّ السهرور دي الكبروي الجشتي كنز عطائه
هو ذو الجناحين الذي بهما علا لحظيرة القربى انتهاء علائه
من آل ذي النورين مجلى سيره الـ ـعثماني مورثه حُلى استحيائه
صحب الإمام الدهلوي المرتضي وعلى شراب الأنس من ندمائه
وهو الذي بضياء شمس الدين قد أبدى لنا بالنور بدر سمائه
ذاك الذي مولاه سيف الدين من أعدى العدى قد صار رهن ولائه
ولعمري كيف ولا وذا المعصوم وا لده وساقيه طلا أنبائه
متأسياً بأبيه أحمد والمجد وبرد أهل الحق بعد بلائه
الساري في سلك الإمام محمد الـ ـباقي الذي في الله سرّ بقائه

وبعهد ذاك العارف الأمكنكي قد ... وفي وكان القرب حسن جزائه

من شيخه وأبوه كان محمداً ... هو والد في السرّ في أبنائه

وهو الذي من خاله وملاذه ... الزاهد المشهور نيل منائه

من شيخه الأحرار غوث زمانه ... أعني عبيد الله بدر علائه

من سار في منهاج يعقوب الذي ... بشرى علاء الدين سر لقائه

وهو الذي قد حاز نور هداية ... بضيا بهاء الدين برق سنائه

سندي البخاري الأويسي محمد ... علم الطريق وأسّه وبنائه

أخذ الطريق عن الكلال وذا عن الـ ... ـبابا محمد سرُّ سرٍّ استوائه

لا غرو حيث علي أودعه العلي ... وعلي من محمود كل علائه

محمود من عرفانه من عارف ... مربي المريد به فناء فنائه

من شيخه مولاي عبد الخالق الـ ... ـقطب الذي قد عزّ في نظرائه

وهو الذي في يوسف الهمداني قد ... حاز الجمال الصرف باستجلائه

أعظِم به وأبو علي شيخه ... من عارف وسرى على آرائه

وأبو علي فاق بالخرقاني واخـ ... ـترق العلى وسما على جوزائه

وهو الذي بأبي يزيد قد حوى ... من جعفرٍ كاساً ندى آلائه

ذاك الإمام الصادق المشهور مَن ... عن جده للأم حلو سقائه

هو قاسم بن محمد بن السيد الصـ ... ـدِّيق مَن قد فاق في آبائه

وهو الذي قد نال من سلمان ما ... أولاه صديق النبيّ برضائه

صديق أحمد مَن عن الهادي أيا ... بشراه كان الفيض ملأ إنائه

وغدا خليفته المقدم بعده ... والصحب طراً كانوا من وزرائه

هو كل قطب في البرية مُرتقٍ ... بمقام أهل الصدق من حلفائه

صب لطيفة سرّه كم تشتكي ... لك سوء غفلته وطول بلائه

وعلى مرائي قلبه رين الهوى اسـ ـتولى وأضحى يشكو من سودائه
فاغسل بماء التوبةِ الرَّين الذي يا وَيلتي قد حِرتُ من أدوائه
وانقش بذكرك كلَّ مرآتي لكي ألقى تجلِّي الحق من لألائه
واربط حبال سريرتي بأئمة مَن أمّهم يحظى بحسن لقائه
درجوا النهاية بالبداية فاغتدى معراجه للقرب في إسرائه
قَدِّسْ إلٰهي سِرَّهم وأَدِر على قلبي مزيد الفيض من سرائه
وانفح بذلك كل إخواني ولا تقطع مريداً مال عن أهوائه
واجمعنا في الأولى بروحانيةِ الْـ ـهادي ويوم البعث تحت لوائه
وعليه منك صلاتك العظمى ودِمْ وسلامك الأوفى وطيب نمائه
وعلى جميع الآل والأصحاب والـ ـأتباع ثم جميع أهل ولائه
طول المدى ما بُلْبُل الأفراح في روض الصفا أحيا بحسن غِنائِه
أو ما دعى ذا العرش داعٍ قائلاً يا غوث مَن ناداه في أسمائه

وإذا تمهّد هذا حان لنا أن نبيِّن لك أيها الطالب الصادق ما تجب عليك معرفته فنقول: اعلم أنه لما كان علم التوحيد من أشرف العلوم ومباحثه من أجّل المباحث، يحفى القلم دون توفيته بعض حقوقه وتضيق مجالات التعبير عن تصوير شطر من حقيقته. قد خاض صناديد علماء الأمة وفطاحل حكماء الإسلام في لجج باحاته وسبحوا في سبحات أنواره فاستخرجوا من صدف مَعانيهِ درراً أضحت تيجان الكتب بها مرصعة حسن بنا أن نلتقط منها ما يكون واسطةَ عِقد لجيد هذه المقدمة إنجازاً بما وعدنا به غير مرة في كتابنا هذا صيانة لعقيدة السالك من أن يتسلط عليها شك أو زيغ ووقاية لها من التزلزل والنزغات التي هبت عواصفها في هذا الزمان على أفئدة قوم استحوذ عليهم الشيطان واستهوتهم بهارج الطامات المزخرفة فألقتهم في حنادس حالكة وظلمات متكاثفة هذا ينكر وجود الإلٰه، وذاك يعدِّده، وذلك يشبه الله في مخلوقاته ويعطيه صفات عباده، وذا يتخيّلُه على ما يتحدّد له وهمه وتتردد به أخلاقه، أليس من الواجب علينا

معاشر الموحدين أن ننهض لنصرة الدين ونبيّن أصوله ونرد شبه الضالين ونحسم مادة المتردِّدين، ونقطع دابر الذي أعمتهم الضلالة وأرهقتهم الغواية وغشيتهم الجهالة فهم في ريبهم يعمهون، فإن الحق أبلج والباطل لجلج ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسرَاء: الآية 81] فخذ أيها السالك ما أتيتك به من العقائد الصحيحة التي قرّرها علماؤنا الأعلام أئمة الدين وأساطين الإسلام قدّس الله أسرارهم ولا تكن ممن وقع في مهاوي الحيرة فأصبح من النادمين. وهذه عقيدتي التي أدين لله بها وألقاه عليها في آخرتي.

فأقول: يجب على السالك قبل أن يرد ذلك المنهل وتسمو نفسه إلى التناول من ذلك المشرب أن يصحح عقيدته ويؤيد يقينه في توحيد واجب الوجود على مقتضى ما اعتمده المتكلِّمون من أهل السنَّة والجماعة كالأشاعرة والماتريدية من الحنفية والشافعية وغيرها وذكرُه في كتبهم وشيّدوه بالبراهين القطعية مع مراعاة الآداب اللازمة لها حتى تصح له الأذواق والمواجيد الإلٰهية التي بدونها لا يعبأ أهل الاستقامة من أولي العرفان بكشوفاته الوجدانية وإراداته القلبية ولو مشى على الماء وطار في الهواء بل ربما يكون ذلك استدراجاً يسوقه إلى غضبه تعالى وعقوبته شيئاً فشيئاً، نعوذ بالله من مَكره وغضبه ومن سوء المنقلب فلا بد للسالك في تلك المسالك من معرفة إثبات الواجب على النحو الذي ذكره حكماء علماء الدين ودوّنوه في كتبهم المعتبرة كبرهان (التطبيق) وبرهان (التوارد والتمانع) وبرهان (السلمي) و(العرشي) وغيرها ليكون الإيمان الشهودي سهل الحصول له قريب الوصول إلى مرتبة حق اليقين بعد تمكُّن الإيمان الاستدلالي.

ثم إن إثبات وحدانيته تعالى يكون بأحد ثلاثة: إما بحصر وجوب الوجود، أو بحصر الخالقية، أو بحصر المعبودية على ما بيّن في علم الكلام.

وقد يُستدل على **الأول** بأنه لو تعدَّد الواجب لذاته لكان المجموع ممكناً لاحتياج كل إلى الآخر، فلا بد من علّة فاعلية مستقلة، وتلك العلة لا تصح أن تكون نفس المجموع ولا بعضه لاستحالة كون الشيء علة لنفسه، وكون الواجب معلولاً لغيره. **والثاني**: المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبيَاء: الآية 22] والآية حجة قطعية، والملازمة عقلية على ما عليه

جمهور المحققين إذ انتفاء الفساد مستلزم لانتفاء التعدُّد. وبيانه أن التعدُّد يستلزم إمكان التخالف وعلى تقدير التخالف إما أن يحصل مراد أحدهما أو كلاهما أو لا يحصل، والكل محال. أما **الأول** فلاستلزامه كون الآخر عاجزاً فلا يكون خالقاً وقد فرض أنه خالق هذا الخلق. وأما **الثاني**: فلاستلزامه اجتماع النقيضين. وأما **الثالث**: فلاستلزامه ارتفاع النقيضين. وذهب بعضهم إلى أن الآية الكريمة حجة إقناعية والملازمة عادية لجواز أن يتفقا فلا يلزم الفساد وهو مردود. الثالث وهو حصر المعبودية، فقد دلّت عليه الدلائل السمعية وانعقد عليه الإجماع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكلهم دعوا المكلفين أولاً إلى التوحيد ونهوهم عن الإشراك بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يُوسُف: الآية 39]. وفي الكشاف: المراد بالتفرُّق في العدد والتكاثر. يقول: أن تكون لكما أرباب شتى يستعبد كما هذا ويستعبد كما هذا خيرٌ لكما أم يكون لكما ربّ واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية اهـ.

وخلاصة دليل توحيد الواجب: أنه لو تعدّد الواجب لاشتركت أفراده في وجوب الوجود الذي هو غير خارج عن حقيقتها، فيجب أن يتمايز بخصوصية ما فيلزم التركيب المنافي للوجوب.

قال ابن كمونة في بعض مصنفاته على ما ذكره المحقق الدواني في شرح الهياكل: أن هذا البرهان ينتج استحالة وجود واجبين متشاركين في الماهية، ومن الجائز في العقل أن يكون في الوجود موجودان كل نوع منهما منحصر في شَخصِه يكونان مشتركين في وجوب الوجود ويكون وجوب الوجود عرضاً لهما كالوجود المطلق بالنسبة إلى الوجودات الخاصة، فإنه عرض عام بالنسبة إليها، وذكر هذا الإيراد أيضاً في كتابه الكاشف على سبيل البحث، وقد تصدّى المحقق الدواني في شرحه المذكور على هياكل النور في الفصل الأول من الهيكل الرابع وكذا العلامة الإشراقي محمد زاهد بن القاضي محمد أسلم الهروي الكابلي النقشبندي المتوفي سنة 111 في حاشيته على شرح الدواني الموسوم بشواكل الحور على شرح هياكل النور لدفع إيراد ابن كمونة، وقد طالعت الحاشية بتدبر فلم أجد فيهما ما يَشْفي الغليل ويروي الظليل ويكشف الغطاء عن دفع ما أورده.

ثم أني وُفِّقت للوقوف على ما ذكره العلاَّمة العارف الشيخ نعمة الله بن عمر الفرغاني من محققي طريقتنا قدّس سرّه العزيز في دفع إيراد ابن كمونة المذكور في كتابيه زبدة التصوُّف والرسالة المدنية في الطريقة النقشبندية بما حاصله أن مفهوم واجب الوجود لا يخلو إما أن يكون فهمه عن نفس ذات كل منهما أي من الموجودين المفروضين من دون اعتبار حيثية خارجة عنهما أو مع اعتبار تلك الحيثية وكلا الشقين محال.

أما **الثاني**: فلما ثبت وتقرّر أن كل من لم تكن ذاته مجرد حيثية انتزاع الوجود والوجوب والفعلية فهو ممكن في حد ذاته وناقص في جريم نفسه، فلا يليق أن يكون آلهاً. **وأما الأول**: أي من دون اعتبار حيثية فلأن مصداق حمل مفهوم واحد مطابق صدقه بالذات مع قطع النظر عن أية حيثية وأية جهة أخرى كانت لا يمكن، إذ لا يتصور أن تكون حقائق متخالفة الذوات متباينة المعاني غير مشتركة في ذاتي أصلاً. وظني أن من سلمت فطرته التي فطر عليها من الأمراض المغيرة لها عن استقامتها يحكم بأن الأمور المتخالفة من حيث كونها متخالفة بلا حيثية جامعة فيها لا تكون مصداقاً لحكم واحد محكياً عنها به، نعم يجوز ذلك إذا كانت تلك الأمور متماثلة كالحكم على زيد وعمرو بالإنسانية من جهة اشتراكهما في تمام الماهية لا من حيث عوارضهما المختلفة المشخصة ـ أو كانت مشتركة في ذاتي من جهة كونها كذلك كالحكم على الإنسان والفرس بالحيوانية من جهة اشتمالهما على تلك الحقيقة الجنسية ـ أو في عرضي كالحكم على الثلج والعاج بالأبيضية أو كانت تلك الأمور المتخالفة متفقة في أمر خارج نسبي كالحكم على مقولات الممكنات بالوجود من حيث انتسابها إلى وجود الحق سبحانه وتعالى عند من يجعل وجود الممكنات أمراً عقلياً انتزاعياً وموجوديتها باعتبار نسبتها إلى الوجود القائم بنفسه ـ أو كانت متفقة في مفهوم سلبي كالحكم على ما سوى الله تعالى بالإمكان لاشتراكه في سلب ضرورتي الوجود والعدم لذواتها. وأما ما سوى تلك الوجوه فلا يتصور الحكم فيها بأمر مشترك بلا جهة جامعة ذاتية أو عرضية، فإذا حكمنا على أمورٍ متباينة الذوات بحكم واحد بلا انضمام أمر آخر، أو اعتبار جهة أخرى، فلا بد هنالك من: ما

به الاتفاق وما به الاختلاف الذاتيين فيها فيستدعي التركيب بحسب جوهر الذات من أمرين، **أحدهما**: يجري مجرى الجنس أو المادة. **والآخر**: يجري مجرى الفصل أو الصورة والتركيب بأي وجه كان ينافي كون الشيء واجِبَ الوجود بالذات، فافهم ولا تكن من القاصرين.

ويجب أن يعتقد بحدوث العالم بجميع أجزائه بطريق الإيجاب الكلي حدوثاً زمانياً وهو مسبوقية الوجود بالعدم لا ذاتياً كما ذهبت إليه الفلاسفة. فالمتحتم على السالك الصادق أن يجزم بأن العالم بجميع أجزاءه حادث. أما برهان حدوثه فلما تقرر أن العالم أعيان وأعراض والأعراض يدرك تغير بعضها بالمشاهدة كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة وبعضها يدرك بالدليل وهو طريان العدم كما في أضداد ذلك وهو أمارة الحدوث إذ العدم ينافي القدم والأعيان يستدل على حدوثها بملازمتها للأعراض الحادثة وملازمة الحادث حادث فثبت حدوثه.

ثم إن الأعيان منها ما هو مركب كالجسم، ومنها ما هو غير مركب كالجوهر الفرد المعبر عنه بالجزء الذي لا يتجزىء، وهو أيضاً حادث لأنه جزء الجسم ومنه يتركب فحدوثه مستلزم لحدوثه.

ويعتقد أيضاً أن العالم بجميع أجزائه قابل للفناء، أي قابل للعدم الطارىء على الوجود إيجاباً كليّاً خلافاً للفلاسفة. واعلم أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه ويقابله ما ثبت حدوثه أمكن عدمه الطارىء. ولا خفاء أن المراد من الامتناع ثمة إنما هو امتناع النفس الأمري ليس إلاً فتأمل.

ويعتقد أيضاً أن النظر ـ أي التفكُّر ـ في مصنوعاته تعالى لأجل معرفته بالتصديق بوجوب وجوده وأسمائه وصفاته الكاملة الثبوتية والسلبية بقدر الطاقة البشرية واجب عليه شرعاً لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [يُونس: الآية 101]، ولقوله ﷺ حينما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 190]: «ويل لمن لاكها بين لحييه لم يتفكر فيها». والأمر في الآية للوجوب ويؤيده أنه ﷺ أوعد بترك التفكُّر في دلائل معرفة الله ولا وعيد إلاً على ترك الواجب. ومعنى

قوله ﷺ: ويل لمن لاكها إلخ، أي أدار لسانه في جانبي فمه بتلاوتها ولم يتدبّر في معانيها ويذهل عن الأمارات الدالّة على تمام قدرته وكمال علمه وانفراده في الخلق والإيجاد.

وليس المراد من النظر تقليب الحدقة، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه على أن من لم يَرَ من السماء إلاَّ زرقتها ومن الأرض إلاَّ غبرتها فهو لعمرك مشارك للبهائم وأدنى حالة منها وأشد غفلة، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: الآية 179].

ولا مرية في أن من طَهُرت فطرته وزكت طويته ومنَّ الله عليه بروح خاصة أقامته على الصراط السوي إذا أطلق العنان ليجري في سبيله الذي سنّته له الفطرة من التفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطانه وإرسال الرياح لتثير سحاباً فينزل من السحاب ماء فتحيا به الأرض بعد موتها وتنبت ما شاء من الشجر والنبات مما فيه رزق الحي وحِفْظُ كيانه، وكيف تجري الشمس والقمر بحسبان واحد والجواري الكنس والبروج من الكواكب وسائر النجوم لم تختل أحوالها فيما خلقت له ولم تختل مراكزها ومسالكها والسماء قائمة بغير عمد وما لها من فروج. ثم تأمل في هذه الحيوانات كيف اختلفت في الصور والهيئات وتنوّعت في القدر والأحجام وتباينت في التراكيب والأجسام، وكيف نشأ فيها ذلك الإلهام العجيب الذي يهديها لبناء مساكنها وتغذية صغارها، وكيف اهتدت إلى معايشها ووفقت لسبل غذائها وما يقيم حياتها، وهذا النحل على صغر حجمه كيف هدي إلى اتخاذ البيوت مسدسة الشكل متساوية الأضلاع لا يزيد بعضها عن بعض بمجرد طبعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم ذلك إلاَّ بآلات وأنظار دقيقة، فإذا تفكَّر الإنسان في ذلك انتهى به الأمر إلى الحكم الذي لا يعتريه شك وترديد بأن لهذا العالم موجداً قوياً ومدبراً عليّاً مهيمناً عليه قائماً بشؤونه واحداً أحداً انفرد بالخلق والإبداع واستقل بالإيجاد والاختراع، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية 164] وقد أشبعنا الكلام واستوفينا البحث على ذلك في الرسالة الحاسمة الموسومة بالمدنية من سلسلة مقولاتنا في بيان السر المطوي فلتراجع.

ويعتقد أن للعالَم صانعاً قديماً لم يزل ولن يزال واجباً وجوده ممتنعاً عدمه بالنظر إلى ذاته إذ لو لم يكن واجب الوجود بالنظر إلى ذاته لكان ممكناً فيكون حادثاً لأن القديم ينافي التأثير فيه وقيدنا بالنظر إلى ذاته لأن الممكن أيضاً يكون واجباً بالنظر إلى علته لا بالنظر إلى ذاته لأنه إذا نظر إلى ذات الممكن فهو ممكن في حد ذاته لأن وجوده وعدمه سيان، لكن إذا نظرنا إلى علته التامة بكون وجوده واجباً، أي ثابتاً ما دامت العلة التامة إذ كلما وجدت العلة التامة يكون المعلول موجوداً دائماً لأن تخلف المعلول على علته التامة ممتنع وإذا عدمت العلة التامة ينعدم المعلول أيضاً لأن عدم العلة علة لعدم المعلول لا محالة.

وكذلك يعتقد أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات كلية كانت أو جزئية ذاتية أو عرضية لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: الآية 7]، يطّلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر وعلمه سبحانه وتعالى صفة أزلية قائمة بذاته ليس بعرض ولا ضروري ولا مكتسب لأن الضروري قد يطلق على ما قاربته الضرورة من الحوادث والكسبي من صفات العالم الحصولي المتجدد وكل ذلك محال في حقه، فلا يفتقر علمه إلى آلة ولا إلى جولان الفكر وأفاعيل النظر بخلاف علم ما سواه من الممكنات فإنه لا يتأتى حصوله إلاّ بأحد أسباب ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، ونظر العقل، فيكون علم كل إنسان حادثاً ومتجدداً وما حصّله فليس إلاّ جزءاً محدوداً ومع ذلك لم يحرمُ العليم الحليم سبحانه وتعالى عبده مما يبلّ أوام مطامحه وينقع أوار مطامعه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114].

وكذا يعتقد أنه تعالى متكلّم بكلام قديم منزّه عن الحروف والأصوات،

ومنافٍ للسكوت والآفة، ثم إذا عبر عنه بالعربية فقرآن، وبالعبرانية فتوراة، وبالسريانية فإنجيل، والاختلاف في العبارات دون المسمى، فالتلاوة والقراءة والكتابة حادثة والمتلو والمقروء والمكتوب قديم كما إذا ذكر الله بأَلْسِنَةٍ متعددة ولغات متعددة مختلفة فالذكر حادث والمذكور قديم.

وكذا يعتقد أنه تعالى حي سميع بصير وحياته تعالى أزلية أبدية ليست بواسطة كجريان دمٍ وتردُّد نفس فهي مباينة لحياة غيره من الممكنات وأنه لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي ولا يغيب عن بصره مرئي وإن دقّ، يسمع من غير أصمخة وأذان، ويرى من غير حدقة وأجفان، كما يعلم بغير قلب ويبطش بدون جارحة ويخلق بلا آلة، متصف بصفات الكمال، منزَّه عن صفات النقصان، لا يحدّ بحد ولا يصوَّر بصورة ذهنية إذ هو تعالى أكبر من أن يحيط الوهم بسرادقات كماله وأعلى من أن يضبط التصوُّر إلى معارج مجده وعلائه. قال علي كرم الله وجهه: هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولّهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيثٍ لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته. ردعها وهي تجوب في مهاوي سدف الغيوب متخلصة إليه تعالى فرجعت إذ جبهت معترفة بأنه لا ينال بالاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال أولي الروايات خاطرة من تقدير جلال عزّته اهـ. وهذا هو معنى التنزيه الذي جاء به رسول الله ﷺ لتطهير قلوب الخلق وتنقيتها من أوضار الشبه وأرجاس الشكوك.

وكذا يعتقد أن لا ندّ له تعالى ولا شبيه ولا مثيل ولا نظير ولا شريك ولا ظهير ولا يحل في غيره ولا يقوم بذاته حادث ولا يتّحد بغيره وليس سبحانه وتعالى بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا في حيز وجهة ولا يشار إليه بها هنا وهناك لأن الإشارة لا تتحقق إلاَّ في الماديات. مثلاً إذا أشرت إلى شيء يخرج من عينك خط مستقيم يصل إلى سطح الجسم أولاً ثم إلى نفسه وهو محال في حقه تعالى ولا متبعِّض ولا متجزِّىء ولا حدّ له ولا نهاية ولا تصح عليه الحركة

بذاته. وقد ورد في القرآن العظيم كثير من المتشابه كإثبات الوجه له تعالى واليد والعين والاستواء ونحو ذلك، فالصحابة والسلف الصالح يؤمنون بها مع التفويض والتنزيه، ثم لما ظهرت البدع وانتشرت الفتن في الدين بعد عصر الثلاثمائة وكثر الكلام في الأوصاف، عمدت طائفة من أهل السنَّة إلى تأويل المتشابه وصرفه عن ظاهره، فكان تأويلهم ليدفعوا حجج الخصوم لا ليعتقدوا أن ذلك التأويل هو المراد لله تعالى على أن التأويل منقول عن بعض السلف حتى نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابهة «وأنا ممن يعلم تأويله». ومن أَمْعَنَ النظر يرى أنه لا خلاف بين السلف والخلف في إطلاق المتشابهة عليه تعالى على المعنى الذي يليق به وإنما الخلاف في صرف ذلك المتشابه إلى معنى من المعاني مما يحتمله ذلك اللفظ وهو مذهب الخلف وهو الأحكم، والسلف مذهبهم التسليم مع التفويض والتنزيه وهو الأسلم.

وكذا يجب أن يعتقد أن لله تعالى ملائكة وهم أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكُّل بأشكال مختلفة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، بل هم كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: الآية 26] وهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: الآية 6]، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: الآية 50] أفضلهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام.

وكذا يجب عليه الاعتقاد بأن الله تعالى بعث رسلاً من البشر مبشِّرين بثوابه ومنذرين بعقابه اصطفاهم لرسالته وفضّلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم سفراء بينه وبين خلقه يبلِّغون ما أمر الله بتبليغه وأيّدهم بالمعجزات الدالة على ثبوت نبوَّتِهم ولولا إرسالهم عليهم السلام ما عرفت الشرائع والأحكام ولا تميّز الحلال من الحرام. وقد اتفقت كلمة العلماء أن النبوّة خصيصية من الله تعالى لا يبلغ العبد أن يكتسبها ويفسرونها باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أم لا، وليست مكتسبة للعبد بمباشرة

أسباب خاصة كالرياضات والتخلّي عن السفاسف والتخلُّق بمكارم الأخلاق كما زعمت الفلاسفة[1] بل هي محض فضل من الله يختص بها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: الآية 75].

وكذا يجب أن يعتقد أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفات كمالية يجب الاعتقاد بثبوتها وهي الصدق والأمانة والعصمة والتبليغ والفطانة ويستحيل عليهم أضدادها وهي الكذب والخيانة والكتمان والغباوة ومقارفة ذنب من الصغائر والكبائر، كما يجب سلامة أبدانهم من كل منفر طبعاً فلا يعتريهم جنون ولا برص ولا جذام ولا عمى ولا غير ذلك مما يؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية، وما نُقل في الإسرائيليات من ابتلاء بعض الأنبياء بأنواع البلاء المنفرة فهو باطل لا يُعبأ به، ويجوز في حقهم عليهم السلام سائر الأعراض البشرية كالأكل والشرب والنوم والجماع والآلام والأسقام وتجرُّع كاسات الحمام لأنهم من البشر فيجوز عليهم ما يجوز على البشر، وأفضل الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين نبيّنا محمد المصطفى ﷺ المرسول كافة للناس بشيراً ونذيراً لا يدانيه أحد خَلقاً وخُلقاً وقولاً وفعلاً وكرماً وشرفاً وحسباً ونسباً، ثم يليه في الفضيلة إبراهيم فموسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام وهم أولو العزم ويليهم بقية الرُّسل ثم الأنبياء مع تفاوت مراتبهم ويليهم الملائكة وهم متفاوتون في الفضيلة أيضاً.

وكذا يجب عليه أن يعتقد أن الصحابة أفضل القرون المتأخرة والمتقدمة ما عدا الأنبياء وأفضل الصحابة النفير الذي ولي الخلافة العظمى وهم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، قال السعد التفتازاني: على هذا وجدنا السلف والخلف.

وكرامات الأولياء حق وهي ثابتة بالدلائل العقلية والنقلية المبسوطة في

---

(1) إن الفلاسفة كفرت بجملة مسائل منها قولهم بقدم العالم، ومنها بِنَفْيِ حشر الأجساد، ومنها إنكارهم علم الله تعالى بالجزئيات، ومنها قولهم: إن النبوة مكتسبة، إلى غير ذلك من الإضلالات كما هو مبسوط في شرحي المقاصد والمواقف وتهافت الإمام الغزالي. لمؤلفه.

المؤلفات فلا يلتفت إلى ما يهذي به أرباب الرعونات النفسية والنزغات الشيطانية من أكل لحومهم وتمزيق أديمهم جاهلين كون هذا الأمر مبنياً على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النُّور: الآية 40].

وكذا يجب أن يعتقد أن ما أخبر به الرسول ﷺ من سؤال القبر ونعيمه وعذابه حق وهو أمر ممكن من مجوّزات العقل، وكل ما جوّزه العقل وشهد به السمع لزم الحكم بقبوله والتصديق به لأنه لا يستدعى إلاً إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب ورد الجواب، ومن شكّ في ذلك فلضيق حوصلته وظلمة قلبه وجَهلِهِ باتِّساع قدرة الله تعالى وتصرفه في خلفه على حسب ما يشاء.

وكذا يعتقد أن البعث حق وهو عبارة عن إحياء الله الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية التي هي الذرات المخرجة من ظهر آدم وأن الحشر حق وهو عبارة عن سوق المخلوقات إلى الموقف لفصل القضاء بينهم.

وكذا يعتقد أن السؤال حق والميزان والصراط وتطاير الصحف حق والجنة والنار المخلوقتان الموجودتان الآن حق وكافة ما أخبر به الرسول ﷺ من أحوال الآخرة حق يجب الإيمان به لأنه صادق في أخباره لا ينطق عن الهوى.

وكذا يجب أن يعتقد بالقضاء والقدر ـ والقضاء: هو إرادة الله تعالى الأزلية المتعلِّقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال ـ، والقدر: إيجاده تعالى الأشياء على وفق علمه وإرادته فكل حادث في الكون فهو بقضاء الله وقدره.

وكذا يعتقد أن للعباد اختيارات جزئية وإرادات قلبية قابلة للتعلُّق بالضدّين الطاعات والمعاصي، تسمى بالكسب وهي مناط الثواب والعقاب ومدار التكليف الشرعي وقد جعلها الله شرطاً عادياً لخلقه أفعال العباد بمنزلة الأسباب العادية كالسكين للقطع والنار للإحراق يخلق الله عندها لا بها، وقد ألّف مولانا العم قدّس سرّه رسالة جليلة في هذا الموضوع سماها «العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري» أماط بها الحجاب وكشف القناع عن وجوه مخدرات ما خفي عن أساطين علماء الشام المحققين وفطاحل الحكماء المدقِّقين

سنذكرها فيما سيأتي مع رسائله ليظهر للأنام من النفائس ما كان مخفياً وينتشر ما كان مطوياً، ولقد اعترف بفضلها في عصره أجّلة العلماء الأعلام وتعطّر بشذا عرفها الخاص والعام، فهي لعمري نسيجة وحدها وفريدة في بابها وكان الباعث على تأليفها التماس كثير من أفاضل دمشق الحائزين قصبات السبق في مضمار الفضائل والفواضل وتطلبهم منه ذلك أثناء قراءتهم عليه شرح العقائد النسفية فأجابهم لذلك تطييباً لخواطرهم وتعميماً لنفع المريدين جزاه الله تعالى خير الجزاء، كما سيتضح في الخطبة التي أنشأها أعلام دمشق وفي مقدمتهم عمر أفندي الغزي مفتي الشافعية الذي كان معيداً عنده في الدرس كما رأينا ذلك بخطه على الانفراد في مجموعة له.

هذا ولنمسك عنان القلم عن الجوب في مسارح ما نحن في صدده حسماً لمادة الإطالة، وفراراً من لحوق السآمة والملالة، إذ لو ترك القلم يسرح في تلك الحدائق، لغصت أفواه القراطيس باحتساء هاتيك الحقائق، وما لا يدرك جليله لا يترك قليله، وفي هذا القدر كفاية بالإسماع، ونهاية لما تقبله الطباع، وأنا المقرّ بأني لست من فرسان هذا الميدان، ولا من حمائم هذه الأفنان، ولا من أنجم هذه الأفلاك، ولا من فرائد هذه الأسلاك، ولكني أتمثل بقول القائل:

فقد تسجع الورقاء وهي حمامة وقد تنطق الأوتار وهي جماد

على أن قصارى ما أبتغيه من ذكر هذه المقدمة التوصل إلى سرد مراسلات حضرة مولانا العم ومكتوباته المجددية تعميماً للفائدة، وتنجيزاً لما تكفلت به. ولنشرع الآن بسردها مرتبة على حسب مراتب العدد لا على ترتيب زمن صدورها منه، ولنبدأ أولاً بذكر عقيدته الدينية الدالّة على توحيده لربّ البرية، ثم نتبعها بمراسلاته على النحو الذي تقدَّم، فنقول وبالله التوفيق والهداية لأقوم الطريق:

الباب الأول

في مراسلاته

[الرقعة الأولى من المكتوبات]

في عقدة حضرة مولانا
الشيخ خالد ضياء الدين المجددي قدّس سرّه[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبيائه وأوليائه وجميع من حضر أو غاب روحانية وجسماً من الإنس والجن والملك مع سائر ما خلقه الله تعالى مما هو معلوم ومما لا يعلمه غيره، على أني أشهد شهادة جازمة متواطئاً فيها القلب واللسان بأن الله الذي خلق العالم بعدما لم يكن، إلٰه واحد واجب الوجود لذاته متّصف بكل كمال ومنزّه عن كل نقص، متفرِّد باستحقاق العبودية على العالم إذ هو مالكهم حقيقة لأنه الذي أوجدهم من العدم ومنفرد بالألوهية والقدم والبقاء وبالخلق والقدرة ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، وكذلك صفاته لا يقوم به حادث ولا يحلّ في شيء ولا يتّحد بغيره، مقدَّس عن التجسم وتوابعه وعن

(1) إن حضرة مولانا العم قدّس سرّه الأعم لما كان له القدم الراسخ في الوراثة المحمدية واليد الطائلة في العلوم الشرعية والمعارف الربانية فهو إمام التحقيق والتوحيد حقيقة ورسماً ومحيي علوم العارفين فعلاً واسماً أراد أن يصرح بعقيدته تأسياً بالأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين لما تقرر أنه ينبغي لكل مؤمن أن يبين عقيدته وينادي بها على رؤوس الأشهاد ليشهدوا له بها يوم القيامة عند الله تعالى، وقد أشهد هود قومه مع كونهم مشركين بالله على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والإقرار له تعالى بالوحدانية لما علم عليه السلام أن العالم كله سيوقفه الله تعالى بين يديه ويسألهم في ذلك الموقف العظيم الأهوال حتى يؤدي كل شاهد شهادته وكل أمين أمانته. لمؤلفه أسعد صاحب.

الجهات والأقطار، مرئيٌ في الدارين بالقلوب وفي الآخرة بالأبصار، كان ولم يكن معه شيء لا بداية لوجوده، ثم أحدث العالم باختياره ولم يحصل له بسببه كمال ولم يتجدد له تعالى بإيجاده اسم ولا صفة بل لم يزل بأسمائه وصفات ذاته لا شبيه له في الذات والصفة والفعل، حيْ قيُّوم خالق كل شيء علواً وسفلاً براً وبحراً جسماً وجوهراً وعرضاً حتى أفعال العباد الاختيارية عليم بكل شيء كذلك من الموجودات والمعدومات ومن الكليات والجزئيات، عالم الغيب والشهادة بل لا غيب في حضرته فالكل شهادة يعلم خائنة الأعين وهواجس الضمير، كيف لا وهو خالقها ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: الآية 14].

ولا مزية بشيء من إرادته في عالم الأرض والسماوات لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراده كما يرده حتى علمه فما في الوجود شيء إلاَّ وهو مراد ومقدور له تعالى مريد لكل شيء كذلك قادر على كل شيء كذلك سميع بكل شيء كذلك بصير بكل شيء، لا يخرج عن علمه مثقال ذرّة من المعلومات ولا يخرج عن سمعه ذرّة من المسموعات، يسمع كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس، ولا يطلع عن إبصاره شيء من المبصرات، يرى سبحانه دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الأسود، ويبصر أصغر الأشياء في سواد الدأداء، خلف ألف حجاب سواء، لديه الأقرب والأبعد، يتكلم لا عن صوت مقدم، أو سكوت متوهم، بكلام أزلي مقدّس كسائر صفاته كلّم به موسى وأنزله على الرسل وسمّاه قرآناً وزبوراً وإنجيلاً وصحفاً، حياته ليست بالروح والجسد والأركان، وعلمه منزَّه عن التفكُّر وسبق الجهل وتطرُّق النسيان، وإرادته مقدّسة عن اضطراب وعن القلب والجنان، وقدرته مبرأة عن توسُّط الآلات وتأييد الأعوان، وسمعه بريء عن توهُّم الأصمخة والآذان، وبصره لا يتخيّل الحدقة والأجفان، وكلامه ليس من فم ولهات ولسان، فسبحانه وتعالى رب كريم عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان وكل من صفاته لا تكثر فيه ـ وكثرة التعلقات لا توجد فيها كثرة، لا يقع شيء من غير إرادته ولا يكون في ملكه إلاَّ ما يشاء من خير وشر، والكفر والمعصية بإرادته دون أمره ورضاه ومحبته، وإنه تعالى علم في الأزل جميع الوقائع الآتية من أفعال العباد وغيرها

وما يجازون عليه وكتبها بأشخاصها وأحصاها فلا يجري شيء إلاَّ على طبق ما سبق في علمه.

* * *

[الرقعة الثانية من مكتوباته]

إلى حضرة سيِّد الأنبياء والمرسلين وحبيب ربّ العالمين ﷺ

قال[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

المعروض من العبد المذنب الظالم لنفسه المتناسي عمّا يجرى عليه في غده وما اقترفه في أمسه، خالد إلى سدّة مركز دائرة السعود وسبب إيجاد كل موجود، وصاحب المقام المحمود، وينبوع الكرم والجود سيِّد الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين قائد الغر المحجلين النبي الهاشمي الأبطحي اليثربي العربي القرشي عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليمات عدد معلومات الله في كل بكرة وعشي ـ إن العبد الفقير المسكين والمجرم الحقير المستكين لا زال يترقى في العثرات يوماً بعد يوم ويحمل أوزار الرعايا والبرايا قوماً بعد قوم فلا يوفّق لترك الكل حتى يطوي البيد إلى هاتيك الحضرة العلية بالرأس دون

(1) لا مِريةَ في أن من أمعن النظر وتأمل حق التأمل في مفهوم هذه العريضة فإنه يستفيد من فحواها ما لحضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه من عظيم المقام وسمو المكانة وفناءه في حضرة الرسول ﷺ، ويستدل بها على أنه قدّس سرّه هو الوارث المحمدي الذي نيطت به وظيفة الإرشاد والدلالة على معرفة الله عز وجل بمخاطبته إياه بمثل هذا الخطاب الذي لا يتأتى صدوره إلاَّ ممن أقيم بمركز الوراثة المحدية وانصر فيه التصرف الباطني كما يفهم ذلك من بث شكواه إليه وشرح حاله لديه وما يقاسيه من أنواع المتاعب في إرشاد الناس وما يعانيه من ضروب الأسى والشدائد في سبيل هدايتهم وتطهير قلوبهم ليتسنى لهم الوصول إلى معرفة بارِئهم مستمنحاً نفحاته الشريفة مستدرّاً فيوضاته الغزيرة مستمداً منه العناية والتوفيق لهداية الأمة إلى الصراط الأقوم والمنهج الأعدل ليكون قائماً بأداء وظيفته عاكفاً على دوام تشرُّفه بتلك الخدمة، وقد حصل له ذلك حتى انتشر اسمه في أرجاء البسيطة وفاح عبير ذكره بين أربعمائة مليون من العالم الإسلامي وكفى بذلك شرفاً ورفعة وعزّاً وافتخاراً. لمؤلفه أسعد صاحب.

الأقدام، ولا يؤيّد لاتِّباع شريعتكم الغراء وإحياء سنّتكم السنيَّة البيضاء بالتمام ولا يستعد لترك الظلم وبسط بساط العدل ليستريح بسببه الأنام ويرضى عنه ربّنا المهيمن العلاَّم، ويسرّ به ذلك الجناب عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام.

ظلمت سنّة من أحيا الظلام إلى　　أن اشتكت قدماه الضرّ من ورم

فواحسرتاه على ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية 56] ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله ـ فإلى مَن أشكو سوء حالي سوى ذلك الجناب، ولدى مَن أبثّ ما أنا فيه من الاضطراب، وأنت خليفة الله على عباده، وهادي الأنام إلى سبيل سداده، ومغيث كل متحيِّر وقائده إلى إرشاده، وغوث كل مضطرّ وموصله إلى مراده ـ فالمرجو إما التخلص من هذه الورطات والتوجُّه مع الإخلاص إلى أرض الحجاز ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: الآية 185]. وإما الإمداد للعدل والإنصاف وخفض الجناح والانتصاف وترك البدع والاعتساف ـ وإلاَّ فها أنا منكوس الرأس بين يديّ ربي يوم القيامة ومتيقِّن للندم حين لا تنفع الندامة، وصلَّى الله عليكم وعلى إخوانكم النبيِّين وعلى آلكم وصحبكم أجمعين بِداءَ كل كلام وختام.

* * *

[الرقعة الثالثة من مكتوباته القدسيّة]

أفاض الله علينا من أسراره الخالدية
أرسلها جواباً إلى سيدي الواجد الماجد شيخنا
الشيخ محمود صاحب قدّس سرّه[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(1) هذا الكتاب جواب لحل مشكلة اضطربت فيها أفهام كثير من العلماء الأعلام من السادة الحيدرية والقادة البرزنجية في العراق والسليمانية عرضت على حضرة مولانا العم =

أما بعد: فقد ورد مرسومكم الناطق بأنه وقع الخلاف بين السادات الموجودين عندكم في أن أرواح الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام أين تكون في البرزخ هل هي حالّة في أجسادها المكرّمة كما كانت في الدنيا أم في أعلى عليين أم غير ذلك، فما تحرّر الأمر فطلبتم التحقيق من العبد المسكين، **فنقول** وبالله التوفيق:

الأدب أن لا يعيَّن مقرّ معين لأرواح الأنبياء صلوات الله تعالى وتسليماته عليهم وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، ولا يعتقد أن في عالم الإمكان من السماوات والأرضين بقعة تخلو من مدد روحانيتهم عموماً وروحانية سيدهم وخاتمهم خصوصاً، بل يجب اعتقاد أنهم أحياء وأجسامهم في قبورهم وحياتهم

= الأكرم قدّس سرّه الأقوم من شقيقه وارث أسرار سيدنا الوالد الماجد يستمنح ما أفاض الله به عليه من العلوم النقلية والمعارف الإلٰهية أن يسفر عنها اللثام ويزحزح ما غشى سناها من شفق الاضطراب والاختلاف، فأجاب رضي الله تعالى عنه وأجاد وأزال غيوم ما أشكل وأفاد بالمراد وقد استفيد من مدلول جوابه قدّس سرّه أن الأنبياء العظام صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً أحياء في قبورهم حياة حقيقية لا حياة برزخية وأنهم يتنعمون ويتلذذون بأنواع الطاعات ـ ويؤيده ما روي عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: الأنبياء أحياء في قبورِهم يصلُّون ـ. وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم: «أن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

قال القرطبي: الموت في حقهم عليهم السلام ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، وإذا كان الشهداء الذين هم أتباعهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين فالأنبياء أحق وأولى بذلك، انتهى.

وقد اتفقت كلمة المحققين من الأشاعرة أنّ نبيِّنا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم حي بعد وفاته يستبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه ـ فتبيَّن من هذا أن موت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما هو راجع إلى أن غيّبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة الكرام فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من البشر إلاً من خصه الله تبارك وتعالى بكرامة من أوليائه الأصفياء إذ الأولياء من أخصائه رضي الله عنهم يرد عليهم أحوال ومواجيد ذوقية يشاهدون فيها ملكوت السماوات والأرض وينظرون الأنبياء وغيرهم عليهم السلام أحياء كما نظر سيدنا رسول الله ﷺ إلى موسى في قبره وقد تقرّر عند علماء الأصول أنه ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي ولا ينكر هذا إلاً غِرٌّ جاهل أو وغدٍ غافل بعيد عن الحق بمراحل. لمؤلفه: أسعد صاحب.

فوق حياة الشهداء، يصلُّون ويحجون ويلبُّون ويقرأون القرآن ويسبّحون تلذُّذاً بطاعة الله تعالى ويزيدهم الله تعالى بذلك من فضله. فلا يرد أن الآخرة ليست دار تكليف لاحتمال حياة الجسم بدون الروح كما هو المقرّر عند أهل السنَّة، ولا ينبغي التصريح بأن حياتهم فيها كحياتهم في الدنيا، ولا بمقارنة الروح للجسد وإن جاز ذلك لاحتمال حياة الجسم بدون الروح كما هو معلوم لأن الروح عندهم من الأسباب العادية كالشراب والطعام للريّ والشبع، فالله تعالى قادر على خلق تلك المسببات بلا هذه الأسباب، فيجوز كون أرواحهم في أجسادهم وأجسادهم في قبورهم، ويجوز كونها فيها وهي منعمة بسيرانها في الملك والملكوت على طريق خرق العادة ثم تعود إلى قبورهم حيث شاء الله. ويجوز كون أجسامهم أحياء في قبورهم بلا أرواح كما تقدم والأرواح حيث شاء.

وكون أرواحهم في أعلى عليين أو في الرفيق الأعلى أو في الفردوس أو غير ذلك مما دلّت عليه الأخبار الصحيحة ـ لا يقتضي كون هذه المذكورات مقرّاً لها بخصوصها. **أما** لجواز انتقالها من حال إلى حال ومن منتزه إلى منتزه، **وأما** لأن للروح شأناً غير شأن البدن فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن. وإذا سلم على البدن تردّ الروح عليه السلام وهي في مكانها هناك كما قاله ابن القيم في كتاب الروح وأقرّه الحافظ السيوطي في كتابه المنجلي في تطور الوليّ.

وأما لأن الكُمَّل، حتى بعض الأولياء ـ يمكِّنهم الله تعالى من التصوُّر بصور عديدة بحصر أو بغير حصر، وقد تكون لهم صورة واحدة تملأ الكون ويذهب الكشف أحياناً أن السماوات والأرضين والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ﷺ وكرم، ومنه يظهر انحلال كون سيدنا محمد ﷺ رأى ليلة المعراج سيدنا موسى عليه السلام مَثُلَ له عند الكثيب الأحمر يصلّي في قبره ثم رآه في الأقصى اقتدى به مع الأنبياء عليهم السلام، ثم في السماء السابعة أو غيرها مع جماعة من الأنبياء، فكلَّمه في أمر الصلاة ومراجعة ربّه، وهنا أحاديث ضعيفة أو باطلة تدل على خلوّ قبره عنه ظاهراً مطلقاً، وبعد ثلاثة أيام أو بعد يومين اغترّ بها بعض الناس فلا يجوز التعويل عليها لأنها مع ضعفها وتأويلها لا تعارض

الأحاديث الصحيحة الدالّة على بقاء الأنبياء في قبورهم كحديث: «أنا أول من تنشق عنه الأرض»، وحديث نقل يوسف الصدِّيق عليه السلام من قبره بمصر إلى مقبرة آبائه الكرام بأرض الشام عليهم الصلاة والسلام، والسلام ختام الكلام نور عيني.

* * *

[الرقعة الرابعة]

أرسلها أفاض الله تعالى علينا من نفحات أنواره
إلى خلفائه الأجّلاء في دار السلطنة العثمانية العظمى

وهذه صورتها[1]:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. من العبد الفقير المستهام خالد النقشبندي المتمسّك باتِّباع سنَّة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، إلى الإخوان المخلصين الكرام، من سكّان دار الخلافة العظمى لا زالت مصونة عن كيد الخائنين ومقرونة بنصرة حاميها وحامي بلاد المسلمين إلى يوم الدين آمين.

السلام التام والتحية والإكرام أما بعد: فقد وردت مكاتيبكم الدالّة على صحة ذواتكم، فأورثت المسرّة المشيرة إلى ثباتكم على الطريقة السنيَّة السنّية مع

(1) الباعث له قدّس سرّه على إرسال هذا الكتاب إلى خلفائه في دار السعادة تبيين معنى الرابطة وإثباتها بالدلائل والنصوص المعتبرة المنسوبة إلى علماء الدين من المذاهب الأربعة الموثوق بعلمهم وجمعهم بين علمي الظاهر والباطن، وقد كتب علماء طريقتنا الخالدية في إثبات الرابطة رسائل منفردة مستدلين بها على تأييد استحبابها من الكتاب والسنَّة والإجماع والقياس خصوصاً الكتاب الموسوم بالرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات والرابطة الذي ألّفه العلاَّمة الشيخ حسين الدوسري قدّس سرّه، ومن أراد زيادة التفصيل ووفور الاطلاع على منازع هذا القال والقيل فليراجع كتابنا الذي وفّقنا لتأليفه المسمى بنور الهداية والعرفان في الرابطة والتوجه وختم الخواجكان رداً على شبه صديق حسن خان القنوجي نواب پهوپال. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

كثرة مزاحمة المنكرين، فحمدت الله تعالى على ذلك المرة بعد المرة، وقرع سمع هذا المسكين أن بعض الغافلين عن أسرار حق اليقين يعدُّون الرابطة بدعة في الطريقة، ويزعمون أنها شيء ليس له أصل ولا حقيقة. كلا إنها أصل عظيم من أصول طريقتنا العلية النقشبندية، بل هي أعظم أسباب الوصول بعد التمسُّك التامّ بالكتاب العزيز وسنَّة الرسول. ومن جملة ساداتنا مَن كان يقتصر في السلوك والتسليك عليها، ومنهم من كان يأمر بغيرها أيضاً مع تنصيصه على أنها أقرب الطرق إلى الفناء في الشيخ الذي هو مقدمة الفناء في الله تعالى، ومنهم من أثبتها بنص قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التّوبَة: الآية 119]، فقال من ساداتنا الكبار الشيخ عبيد الله المشهور بخواجه أحرار قدّس سرّه ما حاصله: إن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام ربّ العالمين هي الكون معهم صورة ومعنى، ثم فسر الكينونة المعنوية بالرابطة وهو عند أهله مشهورة. وفي كتاب الرشحات بالتفصيل مسطور فكأنهم لم يتصوروا معنى الرابطة اصطلاحاً وإلاَّ لما وسعهم إنكارها إذ هي في الطريقة عبارة عن استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله تعالى وكثرة رعاية صورته ليتأدّب ويستفيض منه في الغيبة كالحضور ويتمّ له باستحضارها الحضور والنور، وينزجر بسببها عن سفاسف الأمور، وهو أمر لا يتصور جحوده إلاَّ ممَّن كتب الله تعالى في جبهته الخسران واتسمّ والعياذ بالله تعالى بالمقت والحرمان، لأنه إن كان ممن يعتقد بالأولياء فقد صرّحوا بحسنها وعظم نفعها، بل اتفقوا عليها كما لا يخفى على مَن تتبّع كلماتهم القدسيّة، واستنشق نفحاتهم الأنسية، وإلاَّ فلا بد أن يعتقد بكلام أئمة الشرع، وأساطين الأصل والفرع، فقد قال بها من كل مذهب من المذاهب الأربعة أئمة تصريحاً وتلويحاً، وها أنا أسرد بعض ما ذكروه مع تعيين الأماكن ليراجعها مَن ليس في قلبه مرض، ولا ينكر على الأولياء بمجرد اتِّباع الهوى والغرض.

فأقول وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق: فقد صرَّح بالتصرُّف والإمداد الروحانيين جماهير المفسرين، في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يُوسُف: الآية 24]. ومنهم صاحب الكشاف مع انحرافه عن الاعتدال

واتصافه بالإنكار والاعتزال، ولفظه وفسر البرهان بأنه ـ أي يوسف عليه السلام ـ سمع صوتاً، إياك وإياها، فلم يكترث له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مَثُلَ له يعقوب عليه السلام عاضاً على أنملته، وقيل ضرب بيده على صدره إلى آخر ما قال.

وقال: من الأئمة الحنفية الشيخ الإمام أكمل الدين في شرح المشارق في حديث: «من رآني» إلخ، الاجتماع بالشخص يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد له خمسة أصول كليّة: الاشتراك في الذات أو في صفة فصاعداً، أو في حال فصاعداً، أو في الأفعال، أو في المراتب، وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل. وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان، وقد يكون بالعكس. ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكُمَّل الماضين اجتمع بهم متى شاء، انتهى.

وقال: منهم محشى الأشباه الشريف أحمد بن محمد الحموي في كتابه نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال ما خلاصته: إن الأولياء يظهرون في صور متعددة بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم وحمل على هذا المعنى ما في بعض روايات الحديث الصحيح، قال ﷺ: «ينادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة» فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه: «وهل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها، قال: نعم وأرجو أن تكون منهم».

وقالوا: إن الروح إذا كانت كليّة قد تظهر في سبعين ألف صورة هذا في دار الدنيا، وفي البرزخ من باب أولى لأن الروح فيه أغلب وأشد استقلالاً بسبب المفارقة عن البدن انتهى.

ومن الأئمة الشافعية الإمام الغزالي في الإحياء في باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من الصلاة ما نصه: وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل السلام عليك أيها النبي وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه، انتهى.

وقال: منهم العلاَّمة الشهاب أحمد بن حجر المكي شيخ شيخ الشهاب الخفاجي في شرح العباب في بيان معاني كلمات التشهد ما نصه: وخوطب ﷺ كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلِّين من أمته حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم وليكون تذكر حضوره سبباً لمزيد الخشوع والخضوع، ثم أيّده بما مر عن الأحياء، ولشيخ الشيوخ الإمام العارف السهروردي الشافعي في عوارف المعارف في باب صلاة أهل القرب مثله، ومن عباراته: ويسلِّم على النبي ﷺ ويمثله بين عيني قلبه، انتهى.

وصرَّح العلاَّمة الشهاب ابن حجر في أواخر شرح الشمائل وفاقاً للحافظ الجلال السيوطي في كتابه تنوير الحلك في رؤية النبي والملك، أنه حُكي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم فدخل على بعض أمهات المؤمنين فأخرجت له مرآة النبي ﷺ فنظر فيها فرأى صورة النبي ولم ير صورة نفسه، انتهى.

وهذا هو الفناء في الرابطة في اصطلاح القوم، لا يقال: ليس الكلام في صورة النبي لأنَّا نقول: إن هذا ليس من خصائص الأنبياء وكل ما هو كذلك فهو مشترك بينهم وبين الأولياء، ولا شك في هذا عند أهله. نعم مخاطبة غيره ﷺ في الصلاة مبطلة لها وإحضار الصورة فيها والتسليم على صاحبها من خصائص حضرة روح الوجود وصاحب المقام المحمود عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والتسليم من الكريم الودود، وهو غير مراد فيما نحن فيه.

هذا وقال: منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلة ألّفها في مثل هذه المادة سمّاها: كتاب المنجلي في تطور الوليّ، نقلاً عن الإمام السبكي الشافعي في الطبقات الكبرى الكرامات أنواع إلى أن قال: الثاني والعشرون التطور بأطوار مختلفة، وهو الذي تسميه الصوفية بعالم المثال وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال واستأنسوا له بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: الآية 17] ومنه قضية قضيب البان، ثم ذكرها وذكر غيرها، انتهى.

وقال: منهم الإمام العارف الشعراني قدّس سرّه في كتاب النفحات القدسية

عند عدّ آداب الذكر ما نصه: السابع أن يخيل شخص شيخه بين عينيه وهذا عندهم آكد الآداب، انتهى بحروفه.

قلت: وليست الرابطة عندنا معاشر النقشبندية إلاً هذا كما يشهد له ما في جميع كتبهم المعتمدة، وذكر العلامة السفيري الحلبي من الشافعية في شرح البخاري عند قوله، ثم حبّب إليه الخلاء أن الشيطان كما لا يقدر أن يتمثل بصورة النبي ﷺ لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل أيضاً بشرط ذكره ثمة، وقال من أكابر الحنفية أيضاً العلاَّمة الشريف الجرجاني قدّس سرّه في أواخر شرح المواقف قبيل ذكر الفرق الإسلامية وفي أوائل حواشيه على شرح المطالع بصحة ظهور صور الأولياء للمريدين حتى بعد التوفي وأخذهم الفيوض منها.

وقال: منهم أيضاً الإمام العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين الحنفي النقشبندي العثماني قدّس سرّه عند بيان طرق الوصول إلى الله تعالى في رسالته المعروفة بالتاجية ما نصّه: الطريقة الثالثة الربط بالشيخ الذي وصل إلى مقام المشاهدة وتحقق بالصفات الذاتية فإن رؤيته بمقتضى «هم الذين إذا رؤوا ذكر الله» تفيد فائدة الذكر وصحبته بموجب: «هم جلساء الله تعالى» تنتج صحبة المذكور إلى أن قال: فينبغي أن تحفظ صورته في الخيال وتتوجه إلى القلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفناء عن النفس وإن وقفت عن الترقّي فينبغي أن تجعل صورة الشيخ على كتفك الأيمن وتفرض من كتفك إلى قلبك أمراً ممتداً، وتأتي بالشيخ المذكور على ذلك الأمر الممتد وتجعله في قلبك فإنه يرجى لك بذلك حصول الغيبة والفناء. انتهى بحروفه وجرى عليه قدوة المحققين وزبدة المتأخرين الشيخ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي قدّس سرّه وأقرّه في شرحه على التاجية المسمى بمفتاح المعية.

وقال: من أئمة الحنابلة الغوث الأعظم والإمام الأفخم سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي قدّس سرّه ما معناه: إن للفقير ـ أي السالك طريق القوم ـ رابطة قلبية مع الأولياء ويستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطناً فلا بأس بعدم إكرامه ظاهراً بخلاف الأجنبي الذي ليس له رابطة معهم. انتهى نقلاً عن الإمام السهروردي في باب آداب المريد مع شيخه من عوارفه.

وقال: منهم أيضاً العلاَّمة شمس الدين ابن القيم «في كتاب الروح»: للروح شأن غير شأن البدن فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم على صاحبها ترد السلام وهي في مكانها هناك. انتهى نقلاً عن الحافظ السيوطي في كتاب المنجلي.

قلت: والنصوص بهذا المعنى أكثر من أن تحصى وفيه دلالة ظاهرة على نوع تصرف للأولياء بعد الموت، وقد ألّف كثير من المحققين في ذلك رسائل واضحة المسالك فليحذر الموفق عن إنكاره فإنه من المهالك.

وقال: من الأئمة المالكية الإمام الجليل صاحب المختصر المشهور الشيخ خليل رحمه الله تعالى ما نصه: الولي إذا تحقق في ولايته تمكّن من التصور في روحانيته ويعطي من القدرة التصور في صور عديدة وليس ذلك بمحال لأن المتعدد وهو الصورة الروحانية وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله نقله الحافظ السيوطي عنه في الكتاب المذكور، ونقل فيه أيضاً عن الإمامين الهمامين من المالكية الشيخ أبي العباس المرسي وتلميذه ابن عطاء الله السكندري قدّس سرّهما ما يقاربه.

فكيف يسوغ للعوام إنكار مثل هذه الأحكام بعد تصريح الأولياء الكرام والعلماء الأعلام الذين هم أهل الحل والإبرام، ومنهم من يتلقى العلوم اللدنية بلا واسطة من الحي الذي لا ينام. واقتصرت على هذا القدر من الكلام خوفاً من الإملال والإسآم وإلاً لألّفت فيه مجلّداً حافلاً بعون الملك المنعام. ولولا رعاية الشفقة على الإخوان في الدين من وقوعهم في إنكار طور الأولياء الكاملين لما قدمت على إظهار بعض هذه الأسرار لكن ألجأني إليه أمران، **الأول الأول**: الذبّ عن الطريقة التي هي عروة الوصول وسلم رضوان الله تعالى واتباع الرسول التي أصولها التمسك بعقائد أهل السنَّة الذين هم الفرقة الناجية وترك التقاط الرُّخص والأخذ بالعزائم ودوام المراقبة والإقبال على المولى والإعراض عن زخارف الدنيا، بل وعن كل ما سوى الله تعالى، وملكة الحضور المعبر عنه في الحديث الشريف بالإحسان وهو: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، والخلوة في الجلوة مع التحلّي بالاستفادة والإفادة في علوم الدين

والتزيين بزيّ عوام المؤمنين وإخفاء الذكر وحفظ الأنفاس بحيث لا يخرج ولا يدخل نفس مع الغفلة عن الله الكريم والتخلُّق بأخلاق صاحب الخلق العظيم عليه الصلاة والتسليم.

وبالجملة: فهذه الطريقة بعينها هي طريقة الأصحاب الأنجاب عليهم الرضوان من غير زيادة ولا نقصان، وهي عبارة عن الأخذ بعزائم الكتاب والسنَّة، ولهذا قال إمام الطريقة وغوث الخليقة الشيخ بهاء الحق والحقيقة والدين السيد محمد البخاري المعروف بشاه نقشبند قدّس سرّه ما معناه: من أعرض عن طريقتنا فهو في خطر من دينه.

والأمر الثاني: التحذير عن تمويه الغافلين وتزويدهم لئلا يؤدِّي إلى إنكار هذه الطائفة وتكديرهم ويسري من شؤمه والعياذ بالله شيء إلى باب لا يزال الفقراء الصادقون متضرِّعين إلى الله تعالى لتأييده وبقائه وحفظه من فتن الحسَّاد ومكائد أعدائه. وهذا الفقير يوصيكم بجميع ما تقدم من الآداب، ويخبركم بأنه يبرأ إلى الله تعالى من كل من يخالف الكتاب والسنَّة ولم يتبع هدى النبي عليه الصلاة والسلام والأصحاب ويأمركم بصالح الدعاء في الصباح والمساء لدوام تأييد الدولة العلّية الثمانية التي عليها مدار الإسلام ونصرتها على أعداء الدين والمرتدين اللئام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في البدء والختام.

* * *

[الرقعة الخامسة]

كتبها قدّس سرّه إلى السيد إسماعيل البرزنجي الكردي الكنه كوتري[1] «خليفته في المدينة المنورة على ساكنيها أفضل الصلاة وأتمّ السلام»

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد المسكين والمذنب المستكين خالد المجددي النقشبندي سومح

(1) ذكر حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه في هذه المراسلة الجليلة التي هي في الحقيقة =

بالفضل الجلي من الوهّاب العلي - إلى خليله وصفيه الوشي النبيل قدوة السالكين

= ونفس الأمر مستودع الأسرار وحياة القلوب المستعدة لتلقي الفيوضات والأنوار، ونبَّه إلى أمر عظيم من مسائل التوحيد التي يجب على الإنسان اعتقادها وهو قوله: «وإثبات الصفات له زائدة» ويعني بذلك نفعنا الله تعالى بعلومه وعرفانه صفات المعاني وهي: «القدرة والإرادة والحياة والعلم والكلام والسمع والبصر»، فقد اتفقت كلمة المتكلمين من أهل السنَّة بأنها زائدة على الذات، بمعنى أنه لو كشف عن المكلفين الحجاب لرأوها خلافاً لشرذمة من المعتزلة المتهورين فإنهم ذهبوا إلى نفيها وتعطيل الذات عنها فراراً من توهُّم تعدُّد القدماء وغفلوا عن أن المحظور المبطل للتوحيد إنما هو تعدد القدماء المتغايرة المنفكة بحيث تكون ذوات مستقلة، وقد جرى حضرة مولانا العم قدّس سرّه إلى أنها ليست عين الذات ضرورة مغايرة الصفة للموصوف، ومن ذهب من المتكلمين إلى نفي الغيرية فالمراد به نفي الغير المصطلح عليه وهو الغير المنفك لا مطلق الغير. قال الشمس السمرقندي: وهو خلاف لفظي لأن القول بأنها ليست بغير محمول على نفي الغير المنفك وإن كانت غيراً في المفهوم، والقول بأنها غير محمول على الغير في المفهوم وإن لم تنفك كما أفاده المحقق الأمير على شرح عبد السلام.

قال سيدنا الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي المجدد للألف الثاني قدّس سرّه رداً على من أنكر زيادة الصفات ما حاصله: إن مخالفات الفرق الضالة لأهل السنَّة في مسألة نفيهم صفات المعاني في الخارج بوجود زائد على الذات فإن سبب إنكارهم لها هو أنهم شهدوا الذات في مرآة الصفات ومن المعلوم أن المرآة قد تخفي عن نظر الرائي حالة نظره ما يتجلى فيها فبسبب هذا الاختفاء حكموا بعدم وجودها في الخارج فظنوا أنه لو كان موجوداً لكان مشهوداً فحيث لا شهود لا وجود فأدى ذلك لإنكارهم على علماء أهل السنَّة إثبات وجود الصفات، بل حكموا بكفرهم أعاذنا الله من الجرأة في الطعن، ولو اشتغلوا في علم الباطن وتطهير القلب لترقُّوا عن هذا المقام وارتقى شهودهم عنه وزال حكم المرآتية ولرأوا الصفات على حدة، انتهى.

وقد ذكر العلاَّمة المحقق الشهاب محمود الألوسي في كتابه الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد أنه لما قرأ حواشي السيالكوتي على الخيالي في علم الكلام على أستاذه حضرة مولانا المشار إليه قدّس سرّه ورأى قوله: إن مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الأصول التي يتعلق بها تكفير أحد الطرفين، وأنه سمع عن بعض الأصفياء أنه قال: وعندي أن زيادة الصفات وعدمها وأمثالها لا يدرك إلاَّ بكشف، ومن أسنده إلى العقل فإنما يرى ما كان غالباً على اعتقاده النظري بحسب الفطرة، ولا أرى بأساً في اعتقاد أحد طرفي النفي والإثبات في هذه المسألة إلخ.

ثم قال الألوسي عليه الرحمة: فحصل لي شوق عظيم لتحقيق هذا المبحث وأنه كيف هو عند أهل الكشف الصريح والذوق الصحيح، فأحببت أن أسأل حضرة إمامنا الماجد حضرة مولانا الشيخ خالد عن ذلك ليكون مرشدي في هاتيك المسالك فحجبني حاجب الحياء عن مشافهته والجلوس في مجلسه المنيف ومكالمته - فكتبت إليه أبياتاً =

الشيخ إسماعيل كان الله له عوضاً عن كل كثير وقليل، ولهذا الفقير الذليل أنه هو حسبنا ونعم الوكيل.

وبعد: فقد شرفتنا مكاتيبكم المرة بعد المرة فأطربتنا وأورثتنا غاية المسرّة ـ وهديتكم المرسولة من الشام أيضاً وصلت بالتمام وكتبت إليكم الأجوبة قبل هذا وكأنها ما تشرّفت بلقياكم وما تنوّرت من أشعة محياكم، والتمستم في هذه النوبة مع خادِمكم تحرير بعض آداب الطريقة العلية وإبداء شيء من الأسرار القدسيّة ـ لا يخفى عليكم أن الأسرار لا تكتب في الأسفار، وأما الآداب فتفصيلها أيضاً لا يسعه كتاب. ولا شك أن هذا بيِّن لدى ذلك الجناب ـ وقد أمرنا بعض الأحباب بتحرير شيء منها امتثالاً وأداءً لبعض ما لكم علينا من شكركم وضممنا إليه إجمالاً بعض كلماتنا وهي ـ إن أهم الآداب في الطرق كلها لا سيما في الطريقة العلية النقشبندية شدة التمسك بالشريعة الغراء والتشمير التام للصبر في البأساء والضراء وبذل المجهود في الشكر في الرخاء والسراء وإحياء السنة السنية

= أسأله فيها وأطلب منه تحقيق هذه المسألة ظاهرها وخافيها. فلما فازت الورقة بلثم يديه وتشرّفت بحلولها لديه وافتخرت بوقوع نظره عليها وبلغت بتوجه فكره إليها، ناداني وأدناني وحيّاني وبيّاني وقال: لا ينبغي الحياء من اقتناص العلوم وأخذ المنطوق منها والمفهوم. ففتحت الكتاب بين يديه وقرأت العبارة عليه وأنا مسند ركبتي بركبتيه وقد جعل رأسه فوق رأسي لينظر ما في الكتاب وإني لأجد قلبي من عظيم هيبته قد ذاب فقرّر وحرّر وبيّن وفسّر وقال: الحق المعول عليه القول: «بزيادة الصفات، وأنها ليست عين الذات»، وأتى على ذلك بأدلة نقلية وبراهين عقلية ما سمعتها أذني ولا خطر شيء منها في ذهني، وردّ شبهة المعتزلة. وكلما ذكرت لجنابه دليلاً من أدلتهم أبطله حتى صفا لي الحق الحقيق وكرعت حميا الصواب في كؤوس التحقيق. ثم قال قدّس سرّه: هل بقي في ذهنك يا ولدي شيء من أوهامهم وبقية من كلامهم، فقلت: لا يا سيدي متّعنا الله بحياتك وأرشدنا بنور هدايتك وسني كلماتك. ثم قال هضماً لنفسه وتواضعاً بين أبناء جنسه: لا تظن أني عرفت ذلك بالكشف ولكن رأيته في كتب المحققين من المتقدمين والمتأخرين، ولست من أرباب الكشف وصحبه وأهل الذوق وحزبه. فقبّلت يديه ودعوت الله أن يسبل ثوب العافية عليه. وأمثال ذلك لا يحصى ولا يعد ولا يستقصى، فرحمه الله ما أعلمه وما أكمله وما أحلمه.

ويعجبني طرف تدرّ دموعه   على فضله العالي فلله درّه

لمؤلفه أسعد صاحب

والتباعد عن البدع الردية ودوام التضرُّع إلى الله بالانكسار والجهد الجهيد لطرد الخواطر ولو أخروية آناء الليل وأطراف النهار حتى يصير الحضور ملكة في القلب كإبصار الباصرة ولا يبقى تعلُّق البال بشيء سوى المحبوب الحقيقي عزّ شأنه في الدنيا والآخرة، مع تنزيه الشهود جلّت كبريائه غاية التنزيه، وإثبات الصفات له زائدة من غير شائبة التكيُّف والتشبيه.

فمن كلماتهم القدسيّة: كلَّما خطر ببالك أو هجس في خيالك فالله بخلاف ذلك. فعليكم بمزج الحيرة التامة بالحضور، والثقة الكاملة به تعالى في جميع الأمور، وعدم الاعتماد على الوقائع وإن كانت في غاية الظهور والاستقامة مع الأخذ بالعزائم على حسب المقدور وما لا يدرك كله لا يترك كله ـ. ومن أنفاسهم النفيسة الطرق إلى الله تعالى مسدودة إلاَّ على المقتفين آثار رسول الله ﷺ، وأن المدار على نفي الوجود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود.

أمرتك الخير لكن ما أتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم

وصلى الله على سر الوجود ومنبع الكرم والجود سيِّدنا محمد النبي الأمي الهاشمي وعلى آله وأصحابه أفضل صلوات وأتّمها ما تعاقب البكرة والعشي وسلّم تسليماً كذلك، ثم السلام عليكم وعلى كل من لديكم.

وقد وصيناك بأمور هناك فلا تنسى ما به وكّلناك، ونُقبِّل باطن قدميّ من وطيء ثرى طيبة الطيبة بقدمه ولا سيما من يذكر أحياناً اسمنا منهم بفضله وكرمه. ونرجو من كل الدعاء وحسن النظر وتبليغ سلامي بغاية الذلّ والمسكنة إلى سيد البشر عليه وعلى آله وصحبه من الله الصلاة الزاكية والسلام الأطيب الأزهر.

* * *

[الرقعة السادسة من مراسلاته الضيائية]

نفعنا الله بعلومه اللدنية
كتبها قدّس سرّه بحق أخيه الشقيق
وخليفته الوثيق الحقيق المتحلي بأشرف المناقب
مولانا الشيخ محمود الصاحب انتصاراً للحق
واستفتاءً من أهل الصدق[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما قول مشايخ الإسلام والعلماء الأعلام من أهل الحديث والتصوُّف

---

(1) كان العامل القوي على تحرير هذه الوثيقة أنه لما هاجر حضرة قطبنا الأعظم مولانا خالد نوّر الله مرقده من مسقط رأسه السليمانية إلى دمشق المحمية استخلف أخاه الشقيق النجم الثاقب والمولى المراقب والدنا المرحوم الشيخ محمود الصاحب عليه الرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان ليقوم مقامه في الإرشاد وسائر التعلُّقات لما يعلم ويعتقد فيه من الاستعداد والكمال الذي يؤهِّله إلى إرشاد العباد وإيصالهم إلى معرفة الله تعالى بطريق السداد. فقامت بعض الأفراد ممن لا خلاق لهم من الأكراد طبعوا على الإنكار وإثارة الفتن وتعويق ضعفاء المريدين من أمراء البابان وغيرهم يحيدون عنه الناس في سلوك طريق معرفة الله تعالى كما هو دأب أهل التمرُّد والطغيان القاطنين طريق الوصلة إلى الله جلّ جلاله حسداً وتعنتاً، فأخذوا يناصبون سيدنا الوالد بالعداء وينابذونه بالجحود والإنكار ويشيعون بين الناس إعراض أخيه عنه من جهة ويطالبونه بظهور خوارق العادات من جهة أخرى ولم يتركوا أسلوباً من أساليب المقاومة إلاَّ أتوا بها كما جرت بذلك سنَّة الله في الذين خلوا من قبل توصلاً لإحباط سعيه وإطفاء نوره ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبَة: الآية 32] وتشويشاً لأذهان المريدين والمخلصين بما يلقونه من المفاسد وسيِّء المقاصد ويبثونه من زخرف القول غروراً كما كانوا يعاملون حضرة أخيه ومرشده ضياء الخافقين مولانا الشيخ خالد ذو الجناحين قدّس سرّه العزيز بأنواع الافتراء من الوشاية إلى الحكّام والأذى بالقلم واللسان وضروب الطعن والإنكار كما يتضح للقارىء من رسائلهم العاطلة الآتية التي مزقتها سهام أقلام صناديد علماء بغداد في الرد عليها كالعلاَّمة النحرير السيد محمد أمين مفتي الحلة ألبسه الله من كساء الفردوس أجمل حلّة والعلاَّمة المفضال الملا محمد أمين السويدي مؤلف أنساب العرب وغيرهما.

وإنما كان الحامل لهم على تلك المشاغَبة القادحة ما يوحيه إليهم من الأضاليل زعيمهم الذي هو بكل وصمة موصوف الشيخ النودهي المسمى معروف. فضاق لذلك صدر شيخنا الوالد الماجد وتحيّر في أمره فما وسعه إلاَّ أن كتب إلى شيخه ومرجعه =

والقضاء والإفتاء والتدريس والأحكام نفع الله تعالى بعلومهم وبركات أنفاسهم الأنام وأحلّهم أعلى فراديس دار السلام.

فيمن كان أشعري الاعتقاد وشافعي المذهب، نقشبندياً وقادرياً في

= وشقيقه ومفزعه يشكو إليه ما يلاقيه من المثورين وما يعانيه من اقتحام الفتن ويلتمس منه أن يبين له خطة يستقيم بها معهم أمره ويهدأ منها باله ويتسنى له القيام بأداء وظيفة الإرشاد والتعليم وإلاّ فالخطب في ازدياد، وذلك سنة 1340، فما كان من حضرة مولانا خالد قدّس سرّه بما أغدق الله تعالى عليه من سحائب الفيوضات العرفانية إلاّ أن نهض لنصرة الحق وكتب هذا الخطاب المستطاب الذي أسكت بأسلوبه الحكيم كل منكر لئيم كذّاب وعمّمه إلى علماء الإسلام وخاصتهم من أهل الحل والإبرام بصورة استفتاء أشبه بمنشور عام يستنهض هممهم بالجواب عما تضمَّنه الخطاب.

ويستفاد من فحواه الإرشادي علو مقام سيدنا الوالد وسمو مكانته عند مولانا خالد ورسوخ قدمه في طاعة الله تعالى وقوة تصرفه في إرشاد العباد واتباعه للسنّة السنّية التي هي الركن الأعظم في طريقتنا العلية النقشبندية الخالدية ـ وما وهبه الله تعالى من المقامات العالية والكرامات الباهرة مما أقرّ له به معاصروه من أكابر العلماء وصناديد الحكماء من المؤلفين الفضلاء، ولو لم يكن منهم له من الخلفاء إلاّ خاتمة المفسرين الإمام العارف بالله تعالى مولانا الشيخ ملا بكر الكردي الكلالي نزيل دمشق صاحب صفوة التفاسير ومرجع علمائها الأعلام وقطب العارفين مولانا الشيخ علي اليالولي والمحقق المتين العارف بالله تعالى شيخنا الشيخ أحمد السمين البغدادي مدرِّس الأعظمية، ومولانا الشيخ مسعود الآمدي، والشيخ محمد الهراتي نزيل إدلب، والعلاّمة النحرير الشيخ محمد القرمشلي قدوة الشافعية في ديار بكر وغيرهم من أجّلة علماء الأمة لكفاه فضلاً وإرشاداً أمام الله ورسوله والعالمين.

ويؤخذ من كلام حضرة القطب الأعظم مولانا العم الأكرم قدّس سرّه الأقوم أن المرشد إذا كان ملازماً على طاعة ربّه ممتثلاً أوامره مجتنباً نواهيه متمسّكاً بالسنّة مقتفياً أثر الكُمَّل العارفين مشتغلاً بذكر الله تعالى مراقباً عظمة ربّه وجلاله بحيث لا يغفل عنه تعالى شأنه. وكان مأذوناً له من شيخه الكامل المأذون له كذلك، فهو جدير بأن يقوم بوظيفة الإرشاد في طريق الدعوة إلى توحيد ربّ العباد ولا يشترط أن تظهر على يده خوارق العادات إذ هي ليست شرطاً لصحة الإرشاد ولا دليلاً على الأفضلية بل التفاضل باعتبار درجات القرب الإلهي، ولذلك قلّ ظهورها على يد السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم حتى إن كثيراً من الأولياء الوارثين كانوا يخافون من وقوعها ويعدُّونها من أشد البلاء والمحن. ومن تأمّل في تعريف الولي هو المواظب على فعل الطاعات واجتناب المنهيات والمعرض عن الانهماك في اللّذات تحقّق عنده معنى كلام حضرة إمام المحققين سيدي العم الأكرم مولانا خالد ضياء الدين بالتمام وظفر بالحور المقصورات في الخيام. **لمؤلفه: أسعد صاحب**.

المشرب، حاثاً على اتِّباع السنَّة السنيّة النبويَّة، محذِّراً عن كل بدعة غير مرضية، مقتفياً ما استطاع آثار السلف الصالحين، معرضاً عن الدنيا وأهلها، لا تأخذه لومة لائم في الدين، يحبب الله إلى عباده، ويسلكهم طريق عباده، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن تردّد إليه بحسن النيَّة والإخلاص استيقظ من سِنة الغفلة وبدوام الذكر تحلّى وتذكّر، وله في الباطن قوة تصرُّف يقتدر بعون الله تعالى بها على التأثير في المريد وإلقاء الجذبات الإلٰهية في قلوب المسترشدين، ورفع الحجب ونفي حضور ما سوى الله وتقليله عن قلوبهم مع أمور أخر من أسرار الطريقة مما ينبغي كتمه على غير أهله. وحب العبادة والشوق إليها مع الخشوع والمواظبة على أداء الفرائض بالجماعة وعلى سنن الرواتب والإشراق والضحى والأوابين والتهجد وقلّة الهجوع وكثرة الجوع ولا أقل فيهم من المداومة على «الذكر الخفي» الثابت تفضيله على الجهري بسبعين ضعفاً على الوجه الواضح الوفي، وكان مأذوناً ـ بل مأموراً ـ من طرف شيخه المأمور كذلك وهكذا بتلقين الذكر والإرشاد للطالبين وتعليمهم آداب الطريقة الأنيقة النقشبندية، والطريقة العلية القادرية على سنن الأسلاف الماضين وحثهم على اتِّباع الشرع الشريف والسنَّة النبوية وتحذيرهم عن البدع الرديئة.

فهل يكتفي حينئذ لجواز التلقين والإرشاد بما تقدم من المكارم والسداد، أم يشترط مع ذلك كله ظهور بعض خوارق كونية وكرامات حسية مما ألفت طباع العوام بطلبه من المشايخ، كالمشي على الماء والطيران في الهواء والإنفاق من الغيب، وعلى تقدير جواز إرشاده للمسلمين من غير اشتراط تلك الأمور على ما هو المقرر عند أساطين الكشف وأئمة الوجدان من المتقدمين والمتأخرين.

فهل يحكم بوجوب الإرشاد عليه نظراً إلى قلّة هذه الأمور النفيسة أو انتفائها ظاهراً في أكثر أقطار الإسلام ـ أو مندوبة كما هو الظاهر، أو بجوازه مطلقاً أو بتغيره بالنسبة إلى أشخاص المريدين قياساً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وجوبه تارة وندبه أخرى، وكراهته مرة وحرمته أخرى.

وهل يجوز الإرشاد بلا تصرف باطني قياساً عليهما أيضاً، وعلى تقدير أن يشترط في حقيقة الإرشاد أمور، فإذا انتفت أيمتنع أو يحكم بجوازه عند فقدانها

أيضاً كقضاة الضرورة الموجودين الآن المحكوم بنفوذ أحكامهم مع عدم جمعهم شرائط القضاء، أم لا، أفتونا مأجورين برد الجواب واضحاً على وجه الصواب لا زلتم موفقين لمرضاة العليم الوهَّاب.

* * *

[الرقعة السابعة]

كتبها قدّس سرّه إلى مريده المخلص المرحوم المبرور عبد الله باشا حاكم أيالة عكا مرشداً له إلى الاستسلام بالقضاء والاستحذاء لما جرى عليه القدر

فقال[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد المسكين الفاني النقشبندي المجددي العثماني أخذ الله بيده وأمده

(1) إن ما ذكره حضرة شمس فلك الحقيقة مولانا العم قدّس سرّه في هذه الرسالة من انقسام القضاء إلى مبرم ومعلق، وانقسام المعلق إلى معلق في العلم واللوح، ومعلق في العلم مبرم في اللوح، إنما هو بالنظر إلى الظاهر والكتابة التي تقبل التغيير والتبديل، وأما من حيث أن المولى سبحانه وتعالى علم حصول المعلق عليه أو عدم حصوله فجميع الأشياء عنده تعالى مبرمة، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرّعد: الآية 39] بناء على أن المراد بأم الكتاب على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو علم الله تعالى الذي لا يلحقه تغيير ولا تبديل، فالقضاء المبرم لا يرده دعاء ولا غيره بخلاف المعلق لكن لا يترك الدعاء أبداً لورود الأمر به، ولقوله ﷺ فيما أخرجه الحاكم وصححه: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وأن البلاء لينزل ويتلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة».

على أن الدعاء وإن لم يردَّ القضاء المبرم لكن ينزل الله تعالى لطفه بالداعي كما إذا قضى عليه قضاءً مبرماً بأن ينزل عليه صخرة فإذا دعا الله تعالى حصل له اللطف بأن تصير متفتتة كالرمل وتنزل عليه.

«فلا يتوهم قاصر الفهم من كلام حضرة مولانا قدّس سرّه أنه يترك الناس الدعاء إذا علموا أن القضاء المبرم لا بد من نفوذه، وقد أشار عزيزنا المقتدى قدّس سرّه بقوله: إن الخطأ الكشفي كالخطأ الاجتهادي إلخ»، إلاَّ أن كشف الأولياء يقبل الغلط كالرجل الذي التبست عليه البصيرة بالبصر فقال: «رأيت ربي»، وكفانا ما في صحيح البخاري في =

بمدده، إلى خادم الفقراء وغرة الوزراء لا زال بعين العناية محروساً وبنيل المآرب مأنوساً آمين.

أما بعد: فقد بلغني مرسومكم الحاوي لشدّة الاعتقاد والمبالغة في الاستمداد لطلب الذرية لكم، (أما الدعاء) فقد صدر مني مراراً، (وأما الهمَّة) فلست من أهلها، ولئن سلم فلا تستعمل الهمة إلاَّ بعد ظهور أن المطلوب قضاء معلق وإلى الآن ما تبيَّن كون مطلوبنا كذلك لعمى بصائرنا بسبب البدع والشبهات.

ولا يجوز اعتقاد أن القضاء المبرم يرد بهمم الأنبياء فضلاً عن الأولياء ـ وكل ما يرد فهو معلق وإن لم يظهر تعليقه في اللوح أو الكشف ـ بل لا يرد مطلقاً ـ إذ المقضي في صورة وقوع شيء وقوعه وفي عدمه عدمه لأن معنى إبرام وقوع شيء مثلاً إحكامه والقطع بوقوعه بحيث لا يرده أحد ولا يصرفه صارف، فإذا فرض رده يلزم منه محالات، أحدها: عجز الباري تعالى حيث أبرم شيئاً ونقضه غيره. وثانيها: الكذب في كلامه النفسي لأنه تعالى قال في نفسه في الأزل هذا الأمر سيقع حتماً وإلاَّ لما كان مبرماً مع أن الفرض عدم وقوعه. وثالثها: الجهل، لأنه تعالى تعلّق علمه بأنه لا يرده شيء، ووقع خلاف ما علمه تعالى وتقدّس عما لا يليق بجنابه الأقدس، بل لا يجوز تعلُّق إرادة الباري تعالى بنقض ما أبرمه إذ الإرادة لا تتعلق بالمحال الذاتي كما تقرر في محله ـ وكلما يستلزم نقصاً عليه تعالى فهو محال ذاتي.

وما يحكى عن بعض أصحاب الغوث الأعظم بأبي هو وأمي من أن الله تعالى رد له مبرم القضاء فغير ثابت بهذا اللفظ، وبفرض ثبوته وهو الشائع، فالولي يعذر في نطقه بغير المشروع لسكره ومحوه، ولا يجوز تقليد غيره له

= حديث: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القَلَم: الآية 42] من تغليظهم في الكشف الأول حتى يقولوا: لست ربنا، وقد فرض لذلك الشيخ الأكبر في أوائل الفتوحات إلى أن قال: إن لكل أحد غطاءً ينكشف عند لقاء الله تعالى فالعاقل الذي يحفظ رأس ماله ويتحرز من الولوج في باب الإنكار على أولياء الله واتخاذهم هدفاً لسهام الطعن والقدح فإنه أسلم لدينه وأحمد لعاقبة أمره والله يتولى الصالحين. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

لشعوره وصحوه ولا يسقط التكليف إلاَّ عمَّن سقط عنه شرعاً. وأيضاً الخطأ الكشفي كالخطأ الاجتهادي يعذر صاحبه ولا يقلد فيه ومن لم يجوِّز الخطأ على الأولياء لم يفرِّق بين النبي والولي تماماً.

وأيضاً قد يكتب في اللوح أمر من غير تعليق فيظنه بعض أهل الكشف مبرماً لعدم رؤية تعليق له في اللوح فيخبر بإبرامه وهو صادق بحسب الظن لأنه لم يره إلاَّ مبرماً مع أنه معلق في علم الله تعالى. فالمعلق قسمان، أحدهما: معلق في العلم واللوح، والثاني معلق في العلم مبرم في اللوح. وما وقع للغوث الأعظم قدس سره الأقوم من القسم الثاني، وقد وقع لغيره من الأولياء أيضاً.

وكما يجب التحرُّز عن إنكار الأولياء يجب التحرُّز عن الغلوّ في الاعتقاد بهم بحيث يؤدي إلى خلل في فرض العقيدة، وهذا كثير في المفرطين في حسن الظن بالأولياء والشيطان ذو مكر ومكيدة.

وإذا أراد الله بأحد أن يأخذ حظاً من فيض شيخ يظهر عليه كمال ذلك الشيخ فوق ما هو فيه، فلا ينبغي الإصغاء إلى قول إسماعيل الأناراني فينا، فوالله أنا دون ما يعتقدني هو بكثير ولا ينبئك مثل خبير وأفضل الصلاة والسلام على البشير النذير وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

[الرقعة التاسعة]

في تحقيق مسألة الإرادة الجزئية الموسومة بالعقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السماوات والأرض وخالق العباد وما يعملون، الذي إذا

(1) الله أكبر، سبب بعث حضرة مولانا العم قدّس سرّه الأقوم اشتهر فضله وعمّ علمه بين الأنام واتفق على سعة اطلاعه وكمال معرفته العام على تأليف هذه الرسالة التي لا تجارى ولا تضاهى ولا تبارى حسبما نقل إلينا بطريق التواتر ومفاوضة الأخبار ممن =

أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، والصلاة والسلام على سيِّدنا ومولانا محمد

= يوثق بهم في العلم وصدق المقال ـ كثرة إلحاح الطلب من ذوي الفضل والعلم والأدب الذين كانوا يحضرون في دروسه الخاصة أبان قرائتهم عليه قدّس سرّه شرح العقائد النسفية في داره الكائنة في القنوات بدمشق حينما أفاض عليهم من مجال التحقيق في العلوم ودقائق المعارف منطوقها والمفهوم مما كشف لهم عن مطويّات المعاني ما يذهب بالعقول ويأخذ بالألباب، والتماسهم من جزيل إحسانه وعميم إنعامه رضي الله عنه أن يبيِّن لهم الفرق بين كسبي الأشعري والماتريدي بعبارة واضحة تحل ما أشكل وتزحزح عن الأفهام ما خفي وأغمض. وكان أكثرهم طلباً وأشدهم إلحاحاً القادة الأعلام الشيخ عبد الرحمٰن الكزبري، والشيخ عبد الرحمٰن الطيبي، وحسين أفندي المرادي مفتي الشام، والسيد محمد أمين الشهير بابن عابدين أمين الفتوى فيها، والشيخ عمر المجتهد، والشيخ حسن البيطار، والشيخ حسن الشطي، وعمر الندي الآمدي وولده طاهر أفندي مفتي الشام لاحقاً، وعمر أفندي الغزي العامري مفتي السادة الشافعية وكان معيداً لمعظم دروسه، أنشأ مقدمة مع الأعلام المشار إليهم ذكر فيها أنهم طلبوا منه قدس سره حل ما أغمض عليهم وتكليفه تأليف هذه الرسالة التي يحاكي البدر سناها ويفوق المسك شذاها بيَّن فيها ما احتوت عليه وقدر ما نشير إليه من التدقيق الدقيق مما لم يسبق لها نظير ولا ينبئك مثل خبير.

وهذه الرسالة قد اطلعنا علي جملة شروح لها لأفاضل العلماء منها السمط العبقري في شرح العقد الجوهري للعلاّمة المفاضل المرحوم عبد الحميد أفندي الميمي ابن شارح البردة الخربوتي، وقد طبع هذا الشرح في دار الخلافة العلية وهو متداول في أيدي العلماء، وشرحها أيضاً العلاّمة النحرير السيد إبراهيم فصيح الحيدري البغدادي حيث أشار إليه في كتابه المجد التالد في مناقب مولانا خالد. ولا غرو إن اهتزت أعطافها فضلاً وحسناً واشتهاراً وتاهت وباهت بدور فوائدها نفعاً وافتخاراً بنسبتها إلى ينبوع العلم والفضائل ومثال التحقيق والفواضل والمرجع لحل المشكلات والمفزع لتبيين المعضلات المدلهمات. وهاك نص المقدمة المذكورة من مجموعة بخطه رحمه الله تعالى، فقال بعد البسملة:

نحمد الله بما تفضّلت به علينا من إلهام توحيد الذات، ونشكرك على التوفيق لكسب تنزيه الأسماء والصفات، ونسألك كشف حجب السر المصون في مرتبتي الظهور والبطون عن معنى قولك في محكم كتابك المكنون: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: الآية 96]، ونصلّي ونسلّم بإمداد قدرتك الفياض الأبدي على سر هذا الوجود والنور الأول الساري السرمدي، سيدنا محمد النبي الأمين المنزل عليه: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: الآية 21]، وعلى كل من صحبه وآل إليه، وتبع هديه وعول عليه، أما بعد: فإن أشرف ما صرف العبد نَقْد عمره، وأحرى ما شغل به حواسه مدة دهره، علم التوحيد الذي لم يزل منشوراً لواءه المرفوع، إذ شرف العلم بشرف الموضوع وإن من أغمض مسألة فيه مسألة خلق أفعال العباد، وقد خفي الفرق بين =

خير أهل الوبر والمدر، وعلى آله وصحبه هداة طريقته الوسطى بين الجبر والقدر.

أما بعد: فاعلم، أرشدك الله تعالى، أن أهل القبلة أطبقوا قاطبةً، بل الفلاسفة وأكثر الملّيين أيضاً، على أنه لا مؤثر فيما سوى أفعال الحيوانات من الموجودات إلاّ الله الواحد تبارك وتعالى، وأفعال الحيوانات منها الطبيعيات ولا خلاف في مخلوقيتها له تعالى أيضاً سواء كانت من الأفعال المشعور بها كالمرض والصحة والنوم واليقظة، أو من غير المشعور بها كالنمو وهضم

= كسب الأشعري والكسب عند الماتريدية النقاد، وهذه المسألة قد شهدت بدقتها عدول العلماء وأذعنت بخفاء مدركها فهوم الأذكياء، وفوّضوا أمر حندس ليلها البهيم إلى طلوع شمس مظهر تجلي ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 282] من كشف الله عن أفق قلبه غين غيره، وأشهده أسرار تجلياته في إقامته وسيره فلم تزل القلوب والأفهام والعقول والأوهام مترقبة لبزوغ أنوار ذاك الإمام، لتروي ظمأها والأوام، إلى أن منحها الله تعالى بأشعة لآلِيء العلوم حضرة قطب العارفين، وغوث الواصلين، الوارث المحمدي، والفرد الجامع المجددي أبي البهاء حضرة مولانا ضياء الدين الشيخ خالد العثماني النقشبندي قدّس سرّه فاغترف أكثر الموفقين من بحر علمه الرائق، وأفاض عليهم من كوثر سلسبيل إمداده الفائق فاستمدوا من تيار بحور علومه الزاخرة في أثناء قراءة العقائد النسفية الفاخرة أن يكشف لهم عن تلك المسألة النقاب في ضمن رسالة مختصرة خالية عن الإطناب، لقصر همم الطالبين في هذا الزمان عن إدراك معارج بعض ما يمليه من العلوم والعرفان، فتفضّل عليهم بذلك لمزيد حلمه ومنحهم بما هنالك لوفور كرمه. إلى هنا انتهى ما وجدناه في مجموعته المذكورة.

وهذه المقدمة الفريدة أنشأها عن لسان عموم أهل العلم المتقدم ذكرهم بعد اتفاق كلمتهم أن هذه الرسالة جاءت نسيجة وحدها ووحيدة في بابها وهي الضالّة المنشودة والغاية المقصودة تشهد لغزارة علم مؤلفها وقوة مداركه وسعة اطّلاعه.

من هذا يعلم أن مولانا العم قدس سره كان كثيراً ما يجنح إلى العلوم الظاهرية التي تنطبق عليها العلوم الباطنية والمعارف اللدنية لأنها أثر في انقياد الناس إليها وأدعى للقبول، فهو جنيدي المشرب. قال أبو سعيد الخزاز: كل باطن خالف الظاهر فهو باطل، وكل ظاهر خالف الباطن فهو عاطل. ورضي الله عن أبي يزيد البسطامي حيث قال: إذا رأيتم الولي يطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تجدوه عند الأمر والنهي وسائر الأحكام الشرعية. فحضرة مولانا قدس سره لما كان له القدم الراسخ في الوراثة المحمدية تراه يدور مع الشرع في أوامره ونواهيه حيث دار فكانت الأحكام الشرعية مطمح نظره ومرمى مقصده. لمؤلفه: أسعد صاحب.

الطعام، ومنها الاختياريات. وإنما النزاع فيها فقط، فذهبت الجبرية إلى أنها بقدرة الله تعالى بلا قدرة من العبد والأشعري إلى أنها بها بلا تأثير من قدرة العبد، والمعتزلة إلى أنها بقدرة العبد فقط بالاختيار، والفلاسفة إلى أنها بقدرته بالإيجاب. ونسبة هذا إلى إمام الحرمين سهو كما أفاده العارف السنوسي تصريحاً والسعد في شرح المقاصد تلويحاً. وذهب أبو إسحاق الإسفرائيني إلى أنها بمجموع القدرتين على أن تؤثرا في أصل الفعل، والقاضي إلى أنها بِهِما، على أن تأثير القدرة القديمة في أصل الفعل وتأثير الحادثة في وصفه ككونه طاعة أو معصية، وهذا المذهب عين مذهب الماتريدية كما أفاده المحققان ابن الهمام في متن المسايرة، وابن أبي شريف في شرحها، والمولى حسن جلبي في حاشية شرح المواقف، وصرّح به المدقق الكلنبوي في حاشية العقائد الدوانية وفي تعليقاته على السيالكوتي الواقع على الخيالي.

فلا تعويل على قول من جذب مذهبهم إلى شوب الاعتزال كما سيجيء ولا إلى قول الأستاذ كما توهمه بعض الأمجاد. ولما لم يتعلق الفرض ببيان تشعُّب فرق الاعتزال بالنسبة[1] إلى المباشرة والتوليد في الأفعال وكون قدرة العبد مؤثرة عند بعضهم بمجرد الرجحان الناشيء عن اجتماع الشروط وتعلُّق الإرادة الحادثة بناء على الفرق بين القديم وبينها بالإيجاب وعدمه. فيمتازون عن

(1) قوله: بالنسبة إلى المباشرة والتوليد: أما في المباشرة فخالف النجار منهم جمهورهم وقال بقول الأستاذ. وأما في التوليد فإنهم لما رأوا أنه قد يترتب على فعل العبد فعل آخرون لم يقصده وإن الفعل الاختياري لا يكون بلا قصد لم يسندوا الفعل المترتب إلى العبد رتبة بل قالوا بالتوليد، وهو أن يوجب فعل لفاعله فعلاً آخر كحركة اليد وحركة المفتاح، ثم اضطربت أقوالهم فذهب بعضهم إلى أن الأفعال المتولدة بأسرها فعل لفاعل النسب. وذهب النظام إلى أنها برمتها من فعل الله تعالى. وزعم ثمامة بن أسرش أنها حوادث لا محدث لها، وفرق ضرار بن عمرو وحفص الفرد بأن ما كان منها في محل القدرة كالعلم النظري المتولد من النظر فعل العبد وما ليس في محلها فإن وقع على وفق اختياره كالقطع والدفع فهو أيضاً من فعله وما لا فلا، كموت العبد المصاب بالسهم إذ قد يحدث بعد موت الرامي. ولعمري أن من اطلع على حقيقة أقاويلهم وأهوائهم في أكثر أصولهم لا يرتاب في أن مذهبهم بناء على الماء وأساس على الهواء. منه قدّس سرّه.

الفلاسفة بكون العبد مختاراً في فعله عندهم وغير مؤثرة عند بعض آخر منهم إلاَّ بالبلوغ إلى حد الوجوب، بناء على أن الإرادة الحادثة[1] موجهة للمراد كالقديمة، فتكون مذاهبهم عين مذاهب الفلاسفة في الفعل وإن امتازوا عنهم بالاختيار في المبادىء. وكون الحوادث في ظاهر مذهب الفلاسفة منسوبة إلى الوسائط فينسبون الفعل إلى قدرة العبد كما مر وفاقًا للمواقف والخيال. وفي تحقيقه منسوبة إلى المبدأ الفيّاض ولا تفيد الوسائط إلاَّ إتمام الاستعداد كما هو مقرر في محله فينسبونه إلى القدرة القديمة كما في شرح الجلال خلافاً للغزالي. وبهذا التفصيل تطبق المناقضة بحسب الظاهر بين الأقوال في هذا المقام كما لا يخفى على الفَطن.

وأيضاً لما كان الفرق بين قدرة العبد عند الأشعري، وقدرته عند الماتريدي، وكسبه عندهما في غاية الغموض حتى قال بعض من أدركته من أكابر العلماء: أنه فتش الكتب في طول عمره فما وجد بينهما فرقاً فاحتاج إلى القول بأنهما بمعنى واحد. واضطر بعضهم إلى القول بأن مدخلية القدرة بالسببية الحقيقية عند القاضي وهماً كما ترى. ورأيت تآليف متعددة في هذه المسألة فما وجدت أحداً حام حول تحقيقها، مع أن عدم الفرق بين القدرتين والكسبين يقتضي كون المذهبين واحداً، ومغايرتهما في هذه المسألة أظهر من أن تنكر، وأشهر من أن تستر. ولهذا شاع في جميع البلدان والبقاع أن القدرة مؤثرة عند الماتريدي دون الأشعري، حتى طعن فيه طوائف بأن مذهبه جبر محض، ولا فرق بين نفي القدرة وإثباتها بلا تأثير، مع أن بداهة الفرق بين حركتي المرتعش والمختار جزء دليل إثبات مذهبه كما يأتي (حدالي هذا والتماس بعض الأحبة مني أن أكتب ما منَّ الله تعالى به عليّ في تحقيق هذين الفرقين وما يتعلق بهما معرضاً عن استيعاب الأقاويل والاسترسال مع القال والقيل فأقول وبالله التوفيق):

العزم المصمم الذي هو التوجه الصادق نحو الفعل الصادر عن العبد

---

(1) الإرادة الحادثة لا توجب المراد عند الأشاعرة، ووافقهم الجبائي وابنه وجماعة من المعتزلة، وخالف النظام والعلاّف وجعفر بن حرب وجمع من قدماء معتزلة البصرة فقالوا بإيجابها له إذا وصلت إلى غاية توطين النفس على الفعل. منه قدّس سرّه.

في قوة قولنا أثرت قدرة العبد عند الماتريدية في أصل الفعل، وما أثرت فيه بل في شرطه العادي، وأثر القدرة عندهم أمر موجود في الخارج وأمر اعتباري لا وجود له في الخارج، والإرادة الجزئية عندهم أمر عدمي وموجود في الخارج. والتناقض في المقدمات الثلاث أظهر من أن يخفى.

ولا يجوز أن يراد أن الفعل لما خلق بسبب قدرة العبد سميت مؤثرة، لأن الله تعالى لا يخلق الفعل عادة ما لم يصرف العبد قدرته صرفاً جازماً كما توهمه بعضهم، لأن هذا قدر مشترك بين مذاهب القاضي والأشاعرة والأستاذ، إذ الكل متفقون ـ خلافاً للمعتزلة ـ على أن الله تعالى لا يخلق الفعل ما لم تتعلق قدرة العبد، ومتّفقون على أن قدرة العبد بخلق الله تعالى، والعبد مضطر فيها وفاقاً للمعتزلة. وإنما الفرق بكونها مؤثرة في أصل الفعل استقلالاً أو إعانة بكون الصرف الجزئي أثر قدرة العبد، وهي مؤثرة في وصف الفعل بواسطتها وغير مؤثرة قطعاً، والمؤثرة والصرف من لوازم الإرادة المخلوقة في العبد بلا اختياره مع أنه ناشىء عن عدم الفرق بين التأثير، وما يتوقف عليه التأثير. والقدرة لا تصلح للمحلية مع أن صحة الإطلاق المارة لغة يمنعها التقابل ـ أي تقابل المذاهب ـ فافهم فإنه دقيق.

وزعم بعضهم أن المؤثر عندهم قدرة العبد ابتداء واستقلالاً، ولما كانت القدرة والاختيار مخلوقين له تعالى، كان الفعل المخلوق للعبد أولاً مخلوق له تعالى بالواسطة غفلة عن رجوع هذا إلى نفس الاعتزال، وأنه يلزم عليه ما لزم المحقق الكمال ـ وجعل بعضهم مذهب الأشعري جبراً محضاً، ونزل مذهب الماتريدي على مذهبه ـ وزعم بعضهم اتحاد المذهبين في هذه المسألة، والكل باطل ناشىء عن أمور:

أحدها: قلّة التتبع.

وثانيها: شدّة غموض الفرق بين المذهبين لما تواتر من النقل عن السلف قبل ظهور البدع والأهواء في هذه المسألة أنه لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين. وأجمع أهل السنَّة على حقّية المذهبين، والمتبادر من المذهب المتوسط بين الجبر والقدر أن يكون واحداً لا متعدِّداً، فأشكل عليهم الأمر لصعوبة تحرير

مذهبين حقين واقعين في حاق الوسط، منزهين عن جهال الجبر وشركة الاعتزال، فتجاذبوا أطراف المسألة من غير إمعان، فوقعوا فيما وقعوا.

وثالثها: أن السلف لما نهوا عن الخوض في هذه المسألة وتركوا المناظرة فيها لشدة خطر الوقوع في أحد طرفيها، لم يحرر الإمام الماتريدي رحمه الله مذهبه فيها تفصيلاً تورُّعاً واتّباعاً للسلف لعدم احتياجه إليه للبعد عن المبتدعة، ولهذا تشعَّب أصحابه فذهب أكثرهم إلى أن مذهبه مذهب القاضي أبي بكر الباقلاني، وتوهم أحد منهم غير ذلك كما قدمت الكل مع تزييفه.

وأما الإمام الهمّام أبو الحسن الأشعري رحمه الله فاحتاج لكونه بين أظهر المعتزلة والمبتدعة ومبتلى دائماً بالمناظرة معهم وإبطال مذاهبهم كما هو في الكتب المسطور وبالألسنة مذكور وبين العلماء مشهور إلى تحرير مذهبه حق التحرير، وتواتر القدر المشترك منه بين أصحابه حتى اتفق جميع المحررين لمذهبه على أنه لا تأثير عنده لقدرة العبد بالفعل وإن تخالفوا في وجوه التحرير.

ولأجل هذا أيضاً ترى كتب الأشعري في العقائد مشحونة بالدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة، والخوض في كثير من التأويلات والتدقيقات.

ثم اعتذر عنها في كتابه الإبانة في أصول الديانة الذي هو آخر مؤلفاته وعليه التعويل في مذهب الأشعري كما صرّح به غير واحد. وقال فيها: لولا الاضطرار بسبب منازعة المبتدعة لما تكلّمت بشيء من ذلك. وصرّح بأن مذهبه في المتشابهات التفويض مثل مذهب السلف، لكن المبتدعة ألجأوه إلى التأويل، وترى كتب الماتريدي نفسه أكثر ما فيها المسائل من غير دلائل، ومتأخرو أصحابه رجعوا في التدوين إلى سياق الأشعري، لشيوع الابتداع والرفض والجبر والاعتزال، وشدّة الاحتياج إلى التحرير والتدقيق والاستدلال. وكل هذا ظاهر عند من له باع في هذا الفن، وبه يندفع في حق كلا الإمامين أقاويل من ظن فيها بعض الظن.

والعبد المسكين لكون مذهبه مذهب السلف بعينه وطريقته الصديقية عين طريقة الأصحاب وأجلّة التابعين، عسر عليه الخوض فيما نهوا عنه، لكن لما رأيت المسألة مع كونها من أمهات المسائل الدينية وأساس كثير من العقائد

اليقينية، وقع فيها الخلط والخبط، والتشتيت وعدم الضبط، شرعت فيها اقتداء بالإمام الأشعري ومتأخري أصحاب المذهبين، متبرأً من حولي وقوتي ومخرجاً لوجودي من البين، متمسكاً بقوة وحول ذي الطول الذي ليس إلاَّ عليه التعويل فهو حسبي ونعم الوكيل.

اعلم أن الإرادة الجزئية التي هي الكسب عند الماتريدية صادرة عن العبد باختياره، وأثر لقدرته عندهم لأنهم مع منعهم أن يكون العبد موجداً لشيء إجماعاً من محققيهم يجوزون أن يكون له قدرة ما تختلف بها النسب والإضافات على وجه لا يلزم منه وجود أمر حقيقي أصلاً كما صرح به صدر الشريعة في التوضيح، ونسبه إلى مشايخ مذهب الماتريدي. وأفاده المولى حسن جلبي في حاشية شرح المواقف، وهي شرط أو سبب[1] عادي لخلق الله تبارك وتعالى الفعل كما مر غير مرة وتتعلق بوصف الفعل، أعني كونه طاعة أو معصية، كلطم اليتيم إن أُريد به تأديبه فطاعة أو إهانته فمعصية، فهي أثر لقدرة العبد ووصف الفعل الذي هو أيضاً أمر اعتباري عدمي كما تدل عليه الكلية المارة عن أهل الحق وصرح به غير واحد عن فضلاء المذهبين أثر لها وأثر الأثر أثر والأمر العدمي يجوز أن يتوقف عليه الأمر الموجود كعدم الموانع فاندفع بهذا أمور **أحدها**: كيف يترتب الأمر الموجود في الخارج على غير الموجود فيه. **والثاني**: أن قولهم أثر القدرة هو العزم المصمم المعبر عنه بالإرادة الجزئية ينافي قولهم هو كون الفعل طاعة أو معصية. **والثالث**: أن معنى كون القدرة مؤثرة عندهم إن كان أنها من الشروط العادية مثلاً فهو عين مذهب الأشعري. أو أنها مؤثرة بالإيجاد في أصل الفعل فهو عين مذهب الاعتزال إن أريد التأثير بالاستقلال وعائد إلى مذهب الأستاذ إن أريد على جهة الإعانة والإسعاد.

---

(1) السبب وجودي يدور عليه أمر وجوداً وعدماً وهو عقلي كالنظر للعلم عند الإمام وشرعي كالتكلم بصيغة الإعتاق له، ومادي كالنار للإحراق، ولغوي كالأسباب الداخلة في حيز حرف التعليل والفعل بمعناه عند الأصوليين. والشرط أمر وجودياً كان أو عدمياً يدور على عدمه العدم وهو أيضاً عقلي كالحياة للعلم وشرعي كالطهارة للصلاة وعادي كالسلم للصعود ولغوي كالشروط الداخلة في حيز حرف الشرط. منه قدّس سرّه.

ومن هذا نشأ بعض الأقاويل الباطلة السالفة ووجه الاندفاع أنها لا تأثير لها في أصل الفعل كما عند المعتزلة والأستاذ ومؤثرة في أمرين اعتباريين هما الإرادة ووصف الفعل بالطاعة والمعصية بخلاف مذهب الأشعري فإنها لا تأثير لها عنده حتى فيهما. وزعم بعضهم أن العدم لا يصير أثراً للقدرة ولا معنى لتأثير القدرة في شيء إلاّ إخراجه إلى الوجود منشأه عدم الفرق بين الأعدام الأزلية والأعدام الحادثة بعد الوجود والأمور الاعتبارية المتجددة فإن الأولى لا تصير أثراً للقدرة وفي جواز تعلُّق الإرادة بها كلام بيَّنته في غير هذا المحل، والأخيرتين لا خلاف في جواز صيرورتهما أثر القدرة كالحوادث الموجودة والمنكر لهذا معذور لعدم اطلاعه بشرط أن لا ينازع فيه. وقوله: ولا معنى للتأثير للقدرة في شيء إلاً إخراجه إلى الوجود لا معنى له لأن من جملة معان تأثير القدرة في شيء إخراجه إلى نفس الأمر منها إعدامه ومنها إفاضة الوجود عليه.

إن قلت: فهلا لزمت الشركة التي بالغت في القرار عنها، وما الفرق بين هذا التأثير والتأثير الذي أنكرته على الإمام ابن الهمام. قلت: بينهما فرق عقلاً ونقلاً، أما الأول: فلأن إفاضة الوجود أتمّ وأبلغ من تفرُّع الأمر الاعتباري بل لا نسبة بينهما ومن ثم رتّب الحق تبارك وتعالى على الخلق الذي عين إفاضته الوجود استحقاق العبدية في آيات شتى. وأما الثاني: فلأنه تبارك وتعالى أطلق مراراً على ذاته المقدسة أنه خالق كل شيء والخلق بمعنى الإيجاد والشيء في اصطلاح أهل السنَّة بمعنى الموجود والأمر الاعتباري والحال ليسا بموجودين فجعل الوجود أثر قدرة العبد يصادم النصوص بخلاف الأمر الاعتباري والحال ـ وبه يندفع استعظام بعضهم أيضاً مطلق تأثير القدرة لأنه ناشىء عن عدم الفرق بين الإيجاد والتأثير في الأمر الاعتباري.

وأما عند الأشعري فالكسب عبارة عن مقارنة قدرة العبد وإرادته بالمقدور بشرط عدم تأثيرهما بالإيجاد كما في المواقف وغيره، وتلك المقارنة شرط عادي لخلق الله تعالى ذلك المقدور وصرف القدرة تابع لصرف الإرادة وهو عبارة عن ترجيح الفِعل والترك وهو لذات الإرادة كما يفصح عنه قولهم في تعريفها أنه صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين.

وها هنا إشكالات، أحدها: أن مقتضى الذات لا ينفك عنها، فكون تعلُّق الإرادة مقتضاها يقتضي تعلقها بأحد الطرفين ولو لم يكلف العبد فما فائدة التكليف.

والإشكال الثاني: مدار كسب الأشعري على ما قررته على تعلق الإرادة الذي هو أمر لازم للإرادة فما معنى اختيار العبد عنده.

والإشكال الثالث: أنه لا يظهر على ما ذكرت معنى كون الفعل طاعة أو معصية لأن مداره كان على أن يحدث العبد بقدرته غير مصمماً به يصير الفعل طاعة أو معصية كما مر في مذهب الماتريدية فإذا لم يكن لقدرة العبد تأثير عند الأشعري أصلاً لم يصر الفعل طاعة أو معصية.

والجواب: أن الإرادة تابعة للعلم فكذا مقتضاها فإذا علم العبد تكليفه بالطاعة والاجتناب عن المعصية وأن الله تعالى وعده على ذلك النظر إلى وجهه الكريم والفوز بالنعيم المقيم يصير هذا العلم داعياً له إلى الطاعة كما أن وساوس الشيطان اللعين بمعونة النفس الأمارة مع شهوة الاستراحة والتفكُّه باللذائذ الفانية وتقديمها على الدولة الباقية تصير داعية له إلى المعصية فيتشعب تعلُّق الإرادة بأحد الطرفين لانجذابها إلى الخير لأجل الداعي الأول. وإلى الشر لأجل الداعي الثاني. وكون العبد مجبوراً في الإرادة لا يستلزم الجبر في الأفعال الصادرة بها كما في أفعال الباري تبارك وتعالى، فإن إرادته تعالى صادرة عنه بطريق الإيجاب مع أنه فاعل مختار في أفعاله وفاقاً كما صرّح به غير واحد من المحققين، على أن بداهة الفرق بين الحركتين محققة للاختيار وجهل السائل بكيفيّته لا يضرّ.

ثم القدرة كما أنها غير مؤثرة بالفعل غير مؤثرة بالقوة أيضاً على ما هو المشهور من مذهب الأشعرية لكن تعلقها النَّاشِىء عن تعلق الإرادة الناشىء عن ذات الإرادة شرط عادي لتأثير قدرة الباريء تعالى فالفعل صادر عنه تبارك وتعالى بقدرته بسبب قدرة العبد، ولولا تعلُّق قدرة العبد لما خلقه كما أنّ المؤثّر

بالإحراق هو الله تعالى وفاقاً، ولولا مسّ النار للمحرق لما أحرقه ويزيد العبد عنده بالنسبة إلى الفعل على النار بالنسبة إلى الإحراق بكونه متّصفاً بالقدرة والإرادة وبتعليق قدرته بالمقدور بإرادته، ولهذا يتوقف كل فعل من أفعاله الاختيارية البدنية على المبادىء الأربعة التي في التصور بوجه ما، والشوق الجزئي المنبعث منه، والقصد الجزئي وتحريك الأعضاء التي هي مبادىء لكل فعل اختياري يفعل بالجوارح. ولا يشتبه عليك الأمر من كون العبد مضطراً، فإن الأشعري يلتزم الاضطرار في الاختيار مع كون العبد مختاراً إذ الاضطرار في الاختيار محقق للاختيار لا نافٍ له كما مر وصرَّح به السعد في كتبه، بل البيضاوي في أحد تفاسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: الآية 68]. على أن الحسن والقبح لكونهما شرعيين عنده يجوز التكليف مع الجبر المحض على أصله، فكيف بالجبر المتوسط. ووجه تركهم الاستدلال بهذا المذهب اشتراكه بيننا وبين الجبرية الموهم للاشتراك معهم في أصل المسألة مع بداهة بطلان مذهبهم عند الكل. ولما وقع البحث عن الحسن والقبح أحببت أن أفصّله لك لنفاسته وبناء أصول كثيرة عليه وخفاء تفصيله والفرق بين مذهبي الحنفية والمعتزلة في المسألة وفروعها عند كثير من الناس.

اعلم أن لِلْكَلَامِ في الحسن والقبح مقامات أربعة **المقام الأول**: كل منهما يطلق على ثلاثة معان، أحدها الحسن صفة الكمال كالعدل والقبح صفة النقص كالظلم. ثانيها: الحسن ملائمة الغرض كموت العدو والقبح منافرته كموت الصديق وقد يعبر عنهما بالمصلحة والمفسدة. ثالثها: الحسن تعلق المدح عاجلاً والثواب آجلاً، والقبح تعلُّق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً، وهو المتنازع فيه إذ هو عندنا شرعي وعند المعتزلة وجمهور الحنفية عقلي.

المقام الثاني: معنى القبح شرعاً: النهي تحريماً أو تنزيهاً، والحسن بخلافه، فالمباح حسن، وقيل القبيح المنهي عنه والحسن المأمور به فهو واسطة كفعل البهيمة وفعل الصبي مختلف فيه والقبيح الشرعي يصير حسناً وبالعكس لجواز اعتوار النهي والأمر على شيء واحد بالنسخ.

المقام الثالث: الخلاف مبني على أن الفعل هل له جهة يحكم العقل بسببها بحسنه أو قبحه وتقتضي كونه مأموراً أو منهياً سواء أدركها العقل بنفسه بداهة أو بالنظر أو لم يدركه إلاَّ بعد ورود الشرع أولاً حكماً للعقل فيهما لأن الفعل لا يقتضي في نفسه المدح والذم والثواب والعقاب، وإنما يصير كذلك بالشرع ويبتنى عليه نجاة أهل الفترة، وأن لا حكم قَبلَ: الشرع الثاني مذهب الأشاعرة، والأول مذهب المعتزلة وجمهور الحنفية كما مر. ثم اختلفوا في أن السبب المقتضي لهما ذات الفعل أو صفة حقيقية له أو اعتبارية أو المحتاج إلى المقتضى هو القبح والحسن بكيفية انتفاء موجب القبح. قال بكلٍّ بعضٌ.

المقام الرابع: الحنفية قاطبة في أصل المسألة وبعض فروعها كمنع التكليف بما لا يطاق وافقوا المعتزلة وخالفوهم في أكثرها، فقالوا بأن الله تعالى حاكم على الإطلاق ولا حاكم عليه، فنفوا وجوب نحو اللطف والأصلح والثواب والعقاب عليه تعالى لأن أضدادها لا تخالف الحكمة وبأن العقل ليس موجباً للعلم بالحسن والقبح لا مباشرة كما في البداهة ولا توليداً بل آلة عادية يخلق الله تعالى عندها العلم في الإنسان ابتداء عقب التفاته المجرّد أو مع الفكر كسائر الأسباب العادية.

واختلفوا في بعض الفروع، فقالت البخارية منهم عقلاً لكل ما قال به الأشاعرة شرعاً، قالوا: لا يجب قبل البعثة إيمان ولا غيره ولا يحرم كفر ولا غيره ولا يجب شكر المنعم بلا إذنه لأنه تصرف في ملك الغير. بل قالوا: قد يجوز العقاب عقلاً عليه. وقالت السمرقندية وفاقاً للماتريدي بوجوب شكر المنعم قبلها. وأرادوا به وجوب الإيمان به تعالى ووجوب تعظيمه وحرمة نسبة القبيح إليه ووجوب تصديق نبيه صلّى الله على كل نبي وآله وصحبه وسلَّم تبعاً لخاتمهم، عُدْنَا إلى المقصود.

في شرح المواقف وفاقاً للآمدي: أن القدرة عند الأشعري مؤثرة بالقوة بمعنى أنه لولا أن الله تعالى خلق الفعل لأوجدَه العبد بقدرته لكن لما تهيأ العبد لإيجاده اختطفه القوي المتين تبارك وتعالى من بين يديه لئلا يشاركه أحد في

الخلق الذي هو أخصّ أفعال الألوهية لما مر من ترتيب الحق تعالى عليه استحقاق العبودية، انتهى محرراً.

وقال الإمام الغزالي: لما بطل الجبر المحض ببداهة بين حركة المرتعش وحركة المختار وبطلت خالقية العبد بالأدلة العقلية والنقلية المبسوطة في الكتب الكلامية وجب اعتقاده أن فعل العبد مقدور بقدرة الله تعالى اختراعاً[1] وبقدرة العبد على وجه آخر معبّر عنه بالكسب، انتهى بالمعنى.

وحاصله: إن للقدرة الحادثة علاقة بالمقدور عليها مدار التكليف والثواب والعقاب ووجود هذه العلاقة بديهي وهي المسماة بالكسب ولا يلزم أن نعلم حقيقتها وكيفيتها، وهو في غاية الحسن وهو ملائم لقواعد السنّة السنّية الغراء إذ المسألة مما لا بد فيه من نوع تفويض في الكيفية مع الاعتقاد الراسخ في أصله. ومن ثم أجرى بعضهم هذا القول على ما يعمّ مذهب القاضي أيضاً الذي هو مذهب الماتريدية.

إن قلت: من الناس من زيّف مذهب القاضي وأنكر كونه عين مذهب الماتريدية فما وجهه، قلت: وجهه توهُّم أن معنى تعلُّق القدرة الحادثة بكون الفعل طاعة أو معصية تأثيرها فيه بالإيجاد، وأن كون أثرها أمراً اعتيادياً وأمراً موجوداً في الخارج متساويان في الحظر وعدم الجواز وقد حققت لك بطلانهما بعون الله تعالى.

إن قلت: توهم عبارة المحقق الدواني عدم صحة تأثيرها في وصف الفعل كما في أصله، وصرَّح العارف السنوسي بعدم جواز كون الحال أثراً لها، قلت: الأول مبني على الأول والثاني على الثاني مع أنه ليس وراء الوجود سوى المعدوم ولم يقل بالحال إلاّ شرذمة قليلة من المتكلمين وأكثرهم من المعتزلة،

---

(1) الإيجاد الاختراعي إفاضته الأثر على القابل كالسور والأعراض المفاضة على المادة وهو يقتضي مجعولاً ومجعولاً إليه، والإيجاد الإبداعي إخراج الشيء عن صرف العدم وهو جعل بسيط متعلق بذات الشيء مستغن عن قابل ومجعول ومجعول إليه وهو التأثير الحقيقي في الشيء. وأما الأول فتأثير في وصفه بعرض ما فنتنبه منه لوجه اختيار الاختراع هنا. منه قدّس سرّه.

ومنه يعلم ضعف إنكار السنوسي أيضاً لنقل هذا القول عن القاضي، نعم إنكاره نسبة موافقة الفلاسفة إلى إمام الحرمين في محله ووافقه غير واحد من المحققين وتزييف القول المنسوب إلى الأستاذ أيضاً متجه لتوارد العلّتين، وقولهم قدرة العبد غير مستقلة بالتأثير تبعاً للسعد في شرح المقاصد بدفع توارد العلّتين المستقلتين لكن يلزم عليه جواز تبعيض قدرة الباري تعالى وهو محال كما صرح به المحقق الدواني في برهان التمانع وشيّدت أركانه في مواضع من تعليقاتي على الحواشي الهندية على الخيالية، ولبعضهم ها هنا أسباب في تصحيح مذهب الأستاذ ناشىء عن عدم التنبه لما فيه من الفساد وعدم الفرق بين الموقوف عليه التأثير والمؤثر مع وضوح الفرق بينهما عند أهله لأن الأول يصدق حتى على الأعدام وقدرة الأشعري بخلاف الثاني.

فنقول: لا نسلم صحة هذا القول منه ولئن سلم فلعله صدر عنه في مباحثة جدلية لإفهام خصم قويت منافرته عن الحق فاحتال في جذبه إلى الحق بنحو من السرقة ولذا قال المشايخ: ما ينقل عن عالم من المباحثة لا يجوز جعله مذهباً له، قاله السنوسي. ولئن سلم فلا يؤاخذ به لأنه بذل جهده في الوصول إلى الحق ولا يقلّد فيه لظهور خلله، ومنه يعلم شدّة خطر حمل مذهب الإمام الماتريدي عليه كما فعله بعض المؤلفين في البسملة تبعاً لوالده الماجد، ومرت الإشارة إليه. والفرق أن الأستاذ أحد رجال الأشاعرة كالقاضي وما قلدهما أحد من الأشاعرة فيها لاتّباعهم الأشعري وانحراف قوليهما عن مذهبه على التفاوت والماتريدي قدوة أكبر فرق أهل السنّة وهم السادة الحنفية ولم يثبت أنهم خالفوه في هذه المسألة، ففي جعل القول المعترض مذهباً له إخلال بعقيدة السواد الأعظم والله تبارك وتعالى أحكم وأعلم.

فالذي تحرر فيما فيه اشتراك المذهبين وما به امتيازهما أنهما متفقان في أن العبد فاعل ومختار، وأن له كسباً هو مدار التكليف، وأن الاستطاعة بمعنى القدرة بشرط استجماعها لشرائط التأثير مع الفعل زماناً وبدونه معه وقبله وبعده. وخلافه ضعيف أو مؤول، وبمعنى سلامة الأسباب قبله وعليهما مدار التكليف. والفعل مخلوق له تعالى وحده، وأن الحق ما تواتر عن السلف من أنه لا جبر

ولا تفويض بل أمر بين أمرين، واسم الخالق مخصوص به تعالى، والكاسب والعامل مخصوص بالعبد، والفاعل والمختار والقادر والمريد مشترك في الإطلاق لا في الحقائق وجميع الآثار، وهذا الاختصاص والاشتراك تابع لاختصاص المأخذ واشتراكه وأن الكسب أمر اعتباري. وهذه أحد عشر وجهاً مشتركة بينهما وتزداد بتغير الاعتبار، ومفترقان في أن الكسب أثر القدرة المؤثرة في وصف الفعل فقط عند الماتريدية. وبمقارنة الغير المؤثرة بالفعل في شيء من الفعل والوصف مع الإرادة عند الأشعري. ومتعلق القدرة الوصف فقط عندهم، والفعل والوصف عنده، ويمتنع تعلق القدرة بلا تأثير عندهم، ويجوز عنده، ولا يجوز صدور الفعل بقدرة العبد لولا تعلُّق قدرة الباري تعالى عندهم. ويجوز عنده بناء على تحريريّ السيد والآمدي، وهو المراد بقول بعضهم: إنها غير كافية عندهم وكافية عنده على فرض عدم تعلق القدرة القديمة والقدرة الحادثة مؤثرة بالفعل عندهم غير مؤثرة عنده. وهذا فهم من معنى الكسب وصرف الإرادة التي هي العزم المصممُ أثر قدرة العبد ناشيء عنه باختيار عندهم. هذا أيضاً فُهم مما مر ومقتضى ذات الإرادة عنده وهي غير موجودة بخلاف الإرادة الكلية عندهم، ولا فرق بينهما عنده ولا صنع للعبد في شيء منهما، فإن الإرادة صفة ذات إضافة تطلق وتقيد، والمشروط عادة يتعلق قدرة العبد، خلق الله أصل الفعل فقط أما الوصف فصادر بتأثير القدرة بوساطة العزم المصمّم عندهم، وكلاهما عنده. وهذه ثمانية وجوه للامتياز بين المذهبين، وما استحضرت الآن مما به الاشتراك والامتياز بينهما أكثر من هذه الوجوه، وفي بعضها التصريح بما علم ضمناً لمزيد التوضيح.

تنبيهان، أحدهما: نسبة القول المقابل لقول الأشعري إلى الماتريدية لا الماتريدي غالباً لأن هذه التدقيقات إنما صدرت من متأخري أصحابه لا منه لما منَّ الله تعالى عليه بالمخالفة من اختلاط المبتدعة، فاختار طريق السلف في المسألة كما قدمته فاخترت ما هو أقرب إلى الصدق وتبعت هواه في عدم نسبتي إليه ما أتورع عن الخوض فيه.

ثانيهما: صرَّح اللقاني في شرحه على الجوهرة وفاقاً للمولى الخيالي

ولحسن جلبي في شرح المواقف نقلاً عن أبكار الآمدي: أن نزاع الأفعال جار في أفعال جميع الحيوانات، وقد أشرت إليه في أوائل الرسالة وزاد اللقاني: أنها تعم فعل كل جماد أو نبات صدرت عنه صورة فعل اختياري كمشي الحجر وتسبيح الحصى وحنين الجذع وإظلال الغمام وتسليم الحجر ونطق الذراع له صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، وأن المراد بالعبد في كلامهم مطلق الحيوان، انتهى ملخصاً. أقول: ويجوز أن يراد به المكلف كما هو الظاهر ولتخصيصه وجوه لا تخفى وإن اقتصر الخيالي منها على عدم جريان بعض الأدلة فيما سواه، والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة العاشرة]

كتبها أفاض الله علينا من عميم أسراره من الشام إلى دار الخلافة العلية إلى مخلصه الحميم مكي زاده مصطفى عاصم أفندي شيخ الإسلام ومفتي الأنام رحمه الله تعالى[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جميع نعمه لدى جميع خلقه ما علمنا منها وما لم نعلم،

---

(1) من أمعن النظر في هذه المراسلة وأنعم الفكر بتلك المجاملة علم منها سمو مقام حضرة مولانا الشيخ الإمام قدّس سرّه وتحقق أنها هي البضاعة الرابحة والنصيحة الشافية التي بها تبتهج قلوب الأبرار وتنشرح لها صدور المقربين الأخيار، وهي وصية الله تعالى لجميع الأمم، وبها يكون المؤمن في الطريق الأقوم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: الآية 131] فلا تجد أحدًا تمتَّع بخصائص الإدراك وتحلّى بمواهب العرفان إلاَّ واعترف بما خصّ الله تعالى به حضرة هذا القطب الأعظم والمرشد الكامل الأفخم من المقام الذي يقف دون منتهاه وصف اللسان.

حباه بالوراثة المحمدية والأخلاق المرضية الإلٰهية وأقامه بمقام الدعوة في إرشاد عباده إلى طريق سداده، فتراه على قدم الوصول الأعظم ﷺ يأمر الناس على اختلاف طبقاتهم بالأوامر الإلٰهية وينهاهم عن المنهيات الشرعية ويرشدهم إلى ما يقرّب إلى الله زلفى بما تحتمله عقولهم ولا يبعد عن متناول أفهامهم. لا يصدّه عن ذلك رفعة رفيع، =

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

= ولا يقف أمامه سطوة أمير ولا خطير، ولا يراعي في الدلالة على الله تعالى محاباة صغير أو كبير. يرشدك إلى ذلك خطابه مع شيخ الإسلام ومفتي الأنام وهو في عظيم منزلته وسمو مقامه ومرتبته بما يخاطب به كل سالك مرشداً له أن أفضل العبادات بعد أداء ما يجب عليه المواظبة على الذكر الخفي مع مراقبة الله تعالى عزّ وجلّ في جميع حركاته وسكناته، وهذا مقام الإحسان الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» مبيناً له بلوغ هذه المرتبة الكاملة بالتخلُّق أولاً والتعلُّق ثانياً والتحقُّق ثالثاً.

وقد اتفقت العلماء العاملون والأولياء الكاملون على أن الذكر أقرب الطرق إلى الله تعالى، فمن وفق له فقد أعطي منشور الولاية. قال القشيري قدس سره: الذكر عنوان الولاية ومنار الرسالة وتحقيق الإرادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية. وفضائله لا تحصى ولو لم يرد فيه إلاّ قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 152]. وقوله في الحديث القدسي المتفق عليه: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه» إلخ، لكان فيه اكتفاء وغنية. وأفضل الذكر الخفي وهو ما هاج عن خاطر وارد من المذكور على الاستمرار والتمكن في الأسرار بحيث يكون القلب فارغاً عن كل ما سواه وإنما كان أفضل لأنه أبعد عن الرياء وأقرب إلى الإخلاص الذي هو سر من أسرار الله يودعه في قلب من يشاء من عباده.

وقد أشار رضي الله عنه إلى أن مقام الإحسان المعبر عنه بدوام الشهود والمراقبة التي أكمل عبادة إن خلت عنهما فليست بعبادة تامة ولا يحصل للإنسان ذلك إلاّ بأحد شيئين: إما بالإعراض عن الدنيا وزخارفها والتزام مجاهدة النفس بالرياضات الشاقة والعبادات الخالصة حتى يخرج من الأوصاف البشرية والرعونات النفسانية ويتخلى عن الرذائل ويتحلى بالفضائل. وإما بالتمسك بباطن أهل المعارف وصدق الإخلاص بمحبتهم، فإن قطع هذه المنازل وعروج هاتيك المعارج موقوف على توجُّه الشيخ الكامل الخبير وقوة تصرفه، فإن نظره شاف للأمراض القلبية وتوجهه دافع للأخلاق الرديئة، فإذا ظفر به المريد فليعلم أنه من المنح الإلٰهية فليلازم خدمته وليخضع لتصرفاته.

قال شيخ الإسلام الخواجة عبد الله الهروي الأنصاري رضي الله عنه: إلٰهي ما هذا الذي عملته بأحبابك من علمهم وجدك وما دام لم يجدك ما علمهم اهـ. قال علماؤنا: فإن كان السالك من المرادين فيجذبونه إلى نسبتهم الباطنية وبمحض العناية يكفونه وأي شيء لا بد منه في هذا الطريق يعلمونه ويجعلون في قطع منازل السلوك توسط روحانية المشايخ، وإن كان من المريدين فأمره من غير توسط الشيخ المقتدى به في خطر. وقد قالوا: لا بد أن يكون دائماً ملتجأً إلى الحق تعالى وتقدّس إلى زمان الوصول بالشيخ، وينبغي أن يعلم مراعاة شرائط الطريق ومعظمها مخالفة النفس والهوى وهي موقوفة =

أما بعد: فقد ورد إلينا مكتوبكم وأمال إليكم قلوب الفقراء بعض الإمالة، ووصلت إلينا شهرة اعتمامكم بترويج طريقتنا التي هي لبّ الشريعة فزادكم عندنا مهابة وجلالة، جزاكم الله في الدارين خيراً، وحفظكم من كل ضير سرّاً وجهراً. اعلموا أنه ثبت بالكشف الصحيح والوجدان الصريح عند جهابذة الكشف والشهود وبذلة الروح ونفاة الوجود، إن أجّل السعادات وأفضل العبادات بعد تصحيح الاعتقاد والتبرّي عن ترهات أهل الفساد والقيام بالفرائض على مذهب أحد الأربعة الأمجاد (المواظبة على الذكر الخفي) مع دوام العلم بأنه سبحانه وتعالى يراك وإن لم تكن تراه، ولا يغيب عنه مثقال ذرة وحاضر عنده متقلب عبده ومثواه. ولا أريد العلم التقليدي فإنه يكون في بعض الأحيان ويشترك فيه أهل البدع والإحسان، وأرباب الكفر والإيمان، بل المراد العلم الحقيقي المأخوذ من أئمة المشاهدة بالوجدان، وهو يحصل على طريق جري العادة إما بترك الكل وارتكاب المجاهدات الشاقة والخروج عن جميع الزخارف، وإما بالتمسك قلباً وقالباً بباطن أهل المعارف، ولا سيما أحد خلفاء هذه الطريقة العلية قدّس الله أسرار مواليها، وأمدّ في الدارين من جدّ في تكثير أهاليها، فإنهم قد يكرّمون أناساً بعون الله تعالى بدولة الشهود وبالهمم القاهرة، ولو كانوا متقلبين على الفرش الممهدة في الثياب الفاخرة، بشرط كمال الإخلاص واتّباع السنّة وترك البدع والإعراض القلبي عن متاع الدنيا والميل إلى نعيم الآخرة.

وعليهم حمل كثير من الأولياء وبعض العلماء ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ليذكرن الله عزّ وجلّ أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلى».

= على رعاية مقام الورع والتقوى الذي هو عبارة عن الانتهاء عن المحارم ولا يتحقق الانتهاء عن المحارم ما لم يجتنب فضول المباحات ولا يعرف ذلك إلاّ بمتابعة السنّة المطهرة وهجر البدع وعدم الالتفات إلى حطام الدنيا والإقبال على الآخرة، ولو كان بحسب الظاهر يتقلب في أعطاف النعيم وأقصى درجات الرفاهية فإن ذلك لا يكون مانعاً له عن السير والسلوك إذا كان قلبه متعلقاً بحب الله مضحياً وجوده في طاعة الله معتمداً في جميع أموره على مولاه ملتجأ في سائر أحواله إليه وإلاّ فيا ضيعة الأيام تمشي سبهللا ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

قالوا: إن هذا الحديث الشريف دليل على صحة ما عليه السادة النقشبندية قدّس الله تعالى أسرارهم، وأفاض علينا أنوارهم، ومَن لم يوفّق لأحد الأمرين فحقّ له البكاء على نفسه. ولله در القائل:

(على نفسه فليبك مَن ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم)

فعليكم على قدر المقدور بالاعتناء بالأذكار الخفية، والاستمداد من سادة هذه السلسلة السنية، ولا يصدنكم عنها ما أنتم فيه من المراتب العلية.

فقليل هذه الطائفة كثير، وضعيفهم عند الله جليل وخطير، وقطرتهم تذري بالبحر فضلاً عن الغدير. كأن فيهم من يقول:

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

[الرقعة الحادية عشرة]

كتبها أفاض الله علينا من بركات أنفاسه إلى تلميذه المرحوم داود باشا والي بغداد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليه التعويل وهو حسبي ونعم الوكيل. من العبد الفقير إلى جناب

(1) كتب حضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه هذا التحرير المنير إلى رجل العلم والفضل الذي انتشر ذكره في أنحاء البسيطة وشهدت بسعة علمه وفرط معارفه الخليقة، عالم الوزراء ووزير العلماء المرحوم المبرور داود باشا والي بغداد أنزل الله عليه غيوث رضوانه وشمله بعميم مغفرته وإحسانه، وكان هذا الوزير الكبير والعلم النمير جلّ تحصيله العلوم الشرعية وغيرها على حضرة مولانا خالد قدّس سرّه وقرأ على بعض خلفائه الأفاضل وأخذ عليه الطريقة ولازم خدمته وفاز بالقدح المعلّي ببركة توجهاته وحاز قصبات السبق بإخلاصه للطائفة العلية الخالدية، ولم يأل جهداً في بذل النفس والنفيس في سبيل مرضاة حضرة مولانا قدّس سرّه وتعشق صفاته. ذكرالسيد العلّامة إبراهيم فصيح أفندي الحيدري البغدادي في كتابه المجد التالد: أن عمه العلّامة =

العلاّمة النحرير الغطريف العلم صاحب السيف والقلم، لا زالت صعاب الأمور

= المفضال السيد عبيد الله الحيدري الخالدي مفتي بغداد كان أيضاً يقرئه الدروس بأمر حضرة مولانا خالد قدّس سرّه.

وأقوى دليل على عظيم إخلاصه وتفانيه في محبة حضرة سيدنا الشيخ الإمام قدّس سرّه ما ذكره العلاّمة الأوحد الشيخ عثمان بن سند في كتابه «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود» أن الوزير المشار إليه لما بلغه أن حضرة شيخنا مولانا خالد النقشبندي مديون أمر بوفاء ديونه عنه فبلغت الثلاثين ألف ذهب غازي محمودي كبير فأداها عنه في دفعة واحدة وهذا مما لم يسمع نظيره منذ قرون طويلة، انتهى.

وبهذا تعلم درجة صدقه في التعلق والمحبة وإخلاصه في توثيق روابط الموالاة بحضرة مولانا العم الأكبر قدّس سرّه الأقوم، ولم يزل مثابراً على ذلك إلى أن ألمّت به الحوادث الكونية ومُنِيَ بأنواع المزعجات من الليالي وأمر من طرف مستجمع المجد والشرف ساكن فراديس الجنان مولانا المرحوم المبرور السلطان محمود خان طاب ثراه بالإقامة في المدينة المنورة شيخاً للحرم النبوي على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وبقي فيها إلى أن توفي رحمه الله تعالى.

وكان الباعث على تحرير هذه الرقعة المباركة أنه لما أضرمت نار الفتن وتطاير شررها بانتشار الشقاق واختلاط العشائر بعضها ببعض ومداخلة المبشرين من علماء الشيعة حتى أدى ذلك إلى وقوع الاختلاف والقلاقل بين حكومة بغداد وبين أمراء البابان حكّام السليمانية فَخيفَ من تداخل دولة العجم المتاخمة لبلاد العراقين فبادر قدّس الله تعالى سرّه بناء على طلب وإلحاح داود باشا إلى إطفاء نار الفتنة وتلافي الشقاق والاختلاف حيث أن منصبه الإرشادي يطالبه ببث الوعظ والإصلاح بين عامة المسلمين وخاصتهم والسعي الحثيث وراء حسم ما فسد من الأخلاق والعوائد التي كانت مألوفة لدى ذوي الزعامة في تلك الخطط والإيالات ـ على أن مقامه السامي يدعوه للإرشادات والدلالة على ما فيه صلاح الدنيا والدين شأن الوارث المحمدي الذي يصدع بالحق ولا يخشى في الله لومة لائم وذلك مندوب إليه سياسة وشرعاً.

قال في رد المحتار وفاقاً لما قاله الغزالي فالسياسة اصطلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة، فهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم. ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهره لا غير. ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير كما في المفردات وغيرها اهـ، ومثله في الدر المنتقى وفيه أيضاً: وكثير من مشايخ السلوك المحققين رضي الله عنهم يغربون المريد إذا بدا منه قوة نفس ولجاج لتنكسر نفسه وتلين ـ إلى أن قال ـ قلت: وهذا تعريف للسياسة العامة الصادقة على جميع ما شرّعه الله تعالى لعباده من الأحكام الشرعية ويستعمل أخص من ذلك مما فيه زجر وتأديب سياسة إلى غير ذلك. ولذا عرّفها بعضهم بأنها تغليظ جناية لها حكم شرعي حسماً لمادة الفساد ـ. قوله: لها حكم شرعي، معناه أنها داخلة تحت قواعد الشرع وإن لم ينص عليها بخصوصها فإن مدار الشريعة بعد =

لقائد رأيه لينة القياد، وفكره الصائب ناظماً لشتات مصالح البلاد والعباد.

أما بعد: فقد تواترت الإشارة عنكم إلى أفقر الفقراء وزاد في الإلحاح والإبرام وزير الأمراء ليتوسط الفقير لإصلاح ذات البين وليبذل النصح لدفع الكدورة والشحناء والشين ليتبدّل النفاق بالوفاق وتتحول المنافرة إلى الاتفاق، مع أن اقتحام هذا المسكين الفقير وخوضه في مثل هذا الأمر الخطير كان بالنسبة إلى بعض العقول سبباً للسقوط عن العيون والانحطاط والنزول على أن الاعتماد على عهود أهل الدنيا حق الاعتماد عزيز علينا إذ هو أصعب من خرط القتاد ولا نأمن من نقضهم الميثاق وإخلافهم الميعاد. إلاَّ أنَّا لمَّا نظرنا إلى رضى المولى جلّ جلاله وأن أمر وزراء الإسلام ما لم يخالف الشرع يجب امتثاله وغلبتنا حمية الدين وملاحظة صلاح المسلمين وتقوية السنَّة السنية ورعاية جانب الدولة العلية ونجاة المؤمنين عن سلط الفرقة الأفاكة الدنية قبلنا المطاعن والعار وأعرضنا عن سفاسف الأشرار، كما قيل:

إذا رضي الكريم بفعل مرء فلا يرتاع إن لام اللئام

فشمرنا عن ساعد الجد تشمير أولي العزائم، وأقدمنا عليه بعونه تعالى وتقدّس إقدام من لا يخاف في الله لومة لائم، وتوجهنا استخارة واستجازة

= قواعد الإيمان على حسم مواد الفساد لبقاء العالم.. انتهى ملخصاً.

تبيَّن من هذا أن الحامل لحضرة مولانا الشيخ العم على الدخول في باب السعي في إصلاح ذات البين بين أمراء المسلمين، ولو كانت المصلحة دنيوية محضة، هو تمسكه بالشرع، تراه تارة يقرعهم بالحجة وأخرى يناضلهم بالدليل وآونة يأخذهم بالنصيحة ويزعجهم بالزواجر، وأحياناً ينبِّههم للعبر ويحوطهم بالمواعظ الحسنة ويمزق لهم الحجب التي أسدلت على العقول، ويفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب كأنه أب حكيم في تربية أبنائه ومواساتهم شديد الحرص على مصالحهم، رؤوف بهم في شدّته، رحيم في سلطته. ومن تأمل فيما تضمنته هذه الرقعة من مكافحة ذلك الوزير بمثل هذا الخطاب يتحقق بالبداهة أنه رضي الله عنه هو المرجع عند الحيرة والملجأ عند اقتحام الشدائد والمؤمَّل عند تفاقم النوازل في إنقاذ الخلق وإرشادهم إلى الطريق الموصل لخيري الدنيا والآخرة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: الآية 4].
لمؤلفه: أسعد صاحب.

واستمداداً إلى ساداتنا وقاداتنا أئمة السلسلة النقشبندية قدسّنا الله تعالى وتقدّس بأسرارهم السنية كما ملأ الخافقين بفيوضهم وأنوارهم البهية، واستحضرنا أمير أمراء البابان محمود باشا وعمه عبد الله باشا وأخاه عثمان بك مع القاضي ومعظم أكابر أعوانهم مجتمعين بعدما كلمناهم واحداً بعد واحد منفردين، فملأت بتأييده تعالى قلوبهم وآذانهم من زواجر الوعظ، وحشيت جيوبهم وإراداتهم من جواهر اللفظ حتى أجابوا وانقادوا وانقلعوا عما ترسخ فيهما طول السنين واعتادوا، ثم عقدنا لهم محفلاً وشددنا عليهم غاية التشديد وسددنا عنهم طرق التورية وأنذرناهم بالوعيد وبذلنا المجهود في اتقان تحليف محمود باشا بالوجوه العديدة وأخذنا منه المواثيق والعهود الأكيدة، وسلكنا به في ذلك المسلك الأوعر وما احتفلنا به مع حقوقه إذ حق الله تعالى أجّل وأكبر. وهذه صورة التحليف قد أرسلت إليكم مع المصحف الممهور، وكم من وجوه من التأكيد ما استحسنّا ثبتها في هذه السطور.

وبالجملة لا يتصور نكث هذه المواثيق والعهود إلاّ ممن لا يهاب، والعياذ بالله، جزاء اليوم الموعود، ولا يتأتى نقض هذه الآرام إلاّ ممن يهون عليه الخروج عن دائرة الإسلام والبراءة من ملة سيد الأنام ومصباح الظلام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام. فإذا نقضتم أنتم وبالله المستعان أو محمود باشا هذا الميثاق والآلية وتعرضتم لسخط الجبار تعالى وتقدّس لأجل جيفة دنية وارتكبتم الخروج عن دائرة الإسلام واستوجبتم العار والبوار والملام وأطلتم إليكم ألسنة مطاعن الكرام واللئام، فأي عتاب يبقى على هذا المسكين الضعيف أو على غيره من الوضيع والشريف، أم أي قصور يتطرق إلى المحلف والتحليف. أقول هذا ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 227]، وأجل صلوات الله وتسليماته على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين أبد الآبدين عدد معلوماته ومداد كلماته في كل لحظة وحين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة الثانية عشرة]

كتبها قدّس الله تعالى سرّه
إلى خلفاء مدينة السلام بغداد[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، من العبد الساعي في

---

(1) لما كان حضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه الأعم أقامه الله تعالى في مقام لا مطلع للرغبة وراءه وهو مقام الوراثة المحمدية اقتضى أن يسلك في تربية عواطف الأمة تربية الحكيم العارف بمكامن الداء ومظان الدواء يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويرشدهم إلى معالم دينهم ويهديهم إلى أمثل الطرق التي يجب على كافة المسلمين اتباعها، وأقوم السبل الموصلة إلى خيري الدارين بما جاء به القرآن العظيم والسنّة المطهرة بالمواعظ الحسنة والنصائح المؤثرة الباعثة على تهذيب الأخلاق وتدميث الطباع وتطهير القلوب من أرجاس الرذائل وأوضار المثالب عملاً بقوله ﷺ: «الدين النصيحة» وهذه كلمة جامعة من وجيز الأسماء ومختصر الكلام. قال أبو البقاء في كلياته: وليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفي معنى العبارة غير معنى هذه الكلمة فهي ينبوع يتفجر منه سلسبيل الحياة الاجتماعية وتأخذ بالأيدي من السفاسف وتصعد بالأرواح الطاهرة إلى أوج الفضائل، ومقامات ذوي البصائر، وبها يستبين الحق في أبهى مجاليه، ويتضائل الباطل في أقصى مراميه.

بالنصيحة بعث الله تعالى أنبياءه ورسله العظام عليهم الصلاة والسلام وأمر عباده بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 104]، فما من نبي إلاَّ وجاهر بالنصح لأمته واجتهد في إرشادهم واستفرغ الوسع في هدايتهم ولم يصدّهم عن سبيل النصيحة ما كانوا يقاسونه من الأذى ويلقونه من الشدائد والجفا، بل منحهم الله تعالى النصح والهداية والإرشاد.

وعلى هذه الطريقة المثلى سلك الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة والتابعون وسلف الأمة الأخيار وكل وارث محمدي عملاً بالآية الشريفة واقتداء بهديه ﷺ فلم يألوا جهداً في بذل النصيحة حتى كان في الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم من بلغت به النصيحة إلى الإضرار بدنياه فكلم في ذلك فقال: عاهدت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم فلم يهابوا في النصح ملكاً لسطوته، ولا أميراً لشوكته، ولا غنياً لثروته، ولا حاكماً لنعمته.

وقد اقتفى حضرة مولانا القطب الأعظم والوارث المحمدي الأفخم قدّس سرّه الأقوم أثر من سبقه من سلف الأمة وخلفها الأئمة ممن كانوا على قدم الرسول ﷺ في بذل النصائح والتذكير بالمواعظ محرضاً لهم بشدة التمسك بالسنة السنية والعض عليها =

هلاك نفسه الملتهي بشغل يومه عن جزاء غده وذنوب أمسه خالد إلى مخاديمه

= بالنواجذ، وقمع البدع الغير مرضية محذراً لهم عن الاغترار بشطحات المغلوبين والتباعد عن رسوم الجاهلية ومصاحبة الأشرار وجهلة المتصوفة الذين يلتقطون شطحات الوالهين ويتخذونها مذهباً ويحفظون نزراً من كلماتهم حتى يظنهم السامع أدباء يدعون القول بوحدةِ الوجود أو يفهمون كلام العارفين على خلاف المقصود فيلبسون الأمر على الضعفاء فيزِلُّ قدمهم عن سواء الاقتفاء.

جعلوا التهافت على حطام الدنيا وزخارفها وحب الثناء من الناس مطمح أنظارهم وقصارى بغيتهم مع الاسترسال في الشهوات والانهماك في الملذات فإن صحبة أمثال هؤلاء لا شك ولا ريب تكون سبباً قوياً وداعياً عظيماً لقساوة القلب وفساد الأخلاق وضعف اليقين بطريق المتقين، قال سيدنا سهل بن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه: «احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس: الجبابرة المتكبرين، والقُرّاء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين». وقال الإمام تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري قدّس سرّه: «لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله».

وكذلك نهاهم، نفعنا الله بعلومه وعرفانه، عن التذرُّع بالتداخل مع الملوك والولاة والأمراء والحكام ومن كان في مصافهم وزجرهم عن غيبتهم والاشتغال بذمهم وشتمهم وأكل لحومهم، بل أمرهم قدّس سرّه بالدعاء لهم بالخير والهداية والصلاح والتوفيق على خدمة الأمة والعدل بين الرعية مستدلاً بقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح»، وكأنه أشار رضي الله عنه إلى أن المطلوب من كل فرد أن يسعى في تهذيب نفسه وتطهير قلبه ليكون لحضرته تعالى قريباً ولندائه مجيباً فعند ذلك يعطف الباري تعالى قلوب ولاة الأمر ومن كان في حكمهم على عباده ويودع فيهم الشفقة والمرحمة ويلهمهم التوفيق والرأفة. ورد في الحديث القدسي: «أنا الله ملك الملوك ومالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسبِّ الملوك ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم».

وكان الحامل على تحرير هذا الكتاب كما في المجد التالد أن أحد المنسوبين إلى الطريقة التمس من السيد عبد الغفور أن يكتب تذكرة إلى داود باشا والي بغداد بخصوص قضاء مصلحة له، وكان السيد قد أوقف نفسه في قضاء حوائج المسلمين إلاَّ أنه كان لا يتظاهر في الالتماس من الحكّام تأدُّباً مع الشيخ محمد الجديد الذي هو المقدم على خلفاء بغداد بأمر حضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه إبان هجرته إلى الشام، فكتب السيد عبد الغفور المذكور تذكرة إلى الوزير المشار إليه خفية بشأن ذلك الرجل فقضى داود باشا حاجته كرامة للسيد، وبعد أيام بلغ الشيخ محمد الجديد هذه القضية فأتى إلى حجرة السيد المشار إليه وهو غضبان متأثر وقال له: كيف تكتب إلى الحكّام وتتداخل في شؤون الناس من غير أن تخبرني، فجعل السيد يبكي وانكبّ على يديه يقبّلهما قائلاً: توبة توبة يا شيخي والعفو عني. فخرج الشيخ محمد الجديد من =

السيد عبد الغفور والشيخ محمد الجديد وموسى الجبوري، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

= حجرة السيد وعليه أثر الجلال وعرض واقعة الحال إلى حضرة مولانا الشيخ في الشام وبقي السيد سبعة أيام محبوساً في الزاوية لم يستطع أن يذهب إلى داره بغير إذن. وفي اليوم الثامن أتى الشيخ محمد الجديد إلى حجرته وقبَّل كل منهما يد الآخر ثم بعد ذلك ورد هذا الكتاب الوازع لهم.

وكذلك حذَّر خلفائه قدّس سرّه كل التحذير من إدخال أحد في الطريقة ممن هو متصف بما ذكر من المساوىء كأن يكون من أعوان لا يراعون إلاً ولا ذمّة أو فجّار التجّار المنهمكين في اللّذات والأميال النفسية لاستغراق قلوبهم بما سواه تعالى فلا يصلحون أن يكون محلاً لتوارد التجليات الذاتية والمواهب اللدنية، وكذلك مَن كان من علماء السوء الذين اتخذوا العلم أحبولة للتوصل إلى حظوظهم النفسية ومآربهم الدنية أو ذريعة إلى حب الجاه واقتناص أموال الضعفاء من السذج البسطاء بطريق الخداع والتمويه فإنه مَن كان بهذه المثابة فلا يزداد من الله إلاً بعداً إذ كل عالم لم يكن في علمه أربعة أشياء: التقوى فيما بينه وبين الله، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والمجاهدة فيما بينه وبين النفس، فلا يعتد به ولا يوثق بعلمه لأنه مثله ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجُمُعَة: الآية 5] يأمر بالمعروف وينتهك حماه، وينهى عن المنكر وهو أول من يغشاه. وكذلك لا يصلح للدخول في هذه الطريقة العلية الصدِّيقية من كان من أهل البطالة والكسالة الذين يتظاهرون بين الناس بالصلاح ويتقرّبون إلى الكبراء بالحط من قدر علماء الدين ولا سيما إذا ادّعوا أنهم من أرباب القلوب وتصدُّوا للدعوة باسم الإرشاد وهم منغمسون في حماءة الجهل لا يميِّزون بين الحلال والحرام ولا يفرِّقون ـ وأيم الحق ـ بين الحابل والنابل ولا بين الغث والعث بل ظلمات بعضها فوق بعض فمثلهم كمثل روث مفضض أو كنف مبيض، نعوذ بالله من ظلمة الجهل وعمى القلب وانطماس البصيرة.

ما أحوج الأمة المحمدية اليوم وأشد عوزها إلى علماء قوام بأعباء الشريعة عدول أقوياء في دين الله نصحاء أمناء أمثال حضرة مولانا خالد وخلفاؤه الأعلام يحيون ما درس من ظلالها ويوقفون الناس عند حدودها، ويميزون لهم حرامها من حلالها يصدعون بأمر الله لا يخشون في الحق لومة لائم ولا يؤثرون العاجلة على الآجلة ويأخذون الناس باللطف واللين.

فقد أصبح المسلمون في حالة يصهر لها الجسم أسفاً ويذوب الفؤاد حسرة ولهفاً لا ناصح لهم ينصحهم ولا مرشد إلى معالم دينهم يرشدهم ولا هادٍ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب المحمدية بهديهم، قد ابتلوا بأناس أبدلوا النصح بالشتائم، واستعطاف العزائم بسرد الرمائم وتشهير المآثم لا مادة لوعظهم إلاً الطعن واللمز، ولا روح لنصائحهم إلاً الغمز والهمز، رغبة في أن يقال: فلان بلَّ الغليل وجاء بما يشفي العليل. =

أما بعد: فأوصيكم وآمركم بالتأكيد الأكيد بشدة التمسك بالسنة السنية والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبدع الردية وعدم الاغترار بشطحات الصوفية وترك تصحب العوام المعمين أو باشر بالترجي لهم عند وزير وأمير أو باشا لأنه ينجرُّ إلى اتهامكم بما يشين، وإذا تعارضت المفسدتان فارتكاب أهونهما لازم، والسعيد من اتّعظ بغيره فلا يوهمنكم أن قضاء حاجة الإخوان من أعظم العبادات لأنه مخصوص بما إذا لم يتولّد منه ما هو أكبر. ولا تتداخلوا مع الملوك والأمراء والآغوات وأعوانهم فإنكم لستم ممن له قوة إصلاح هؤلاء، ولا تغتابوهم ولا تسبوهم بطراً وغروراً بزعم أنهم ظلمة وأنتم صلحاء، فإنه عجب وجهل إذ ما منا أحد ليس بظالم، بل عليكم بالدعاء لولي الأمر وأعوانه بالتوفيق والإصلاح، فقد روى الطبراني في معجميه الكبير والأوسط بإسناده أنه ﷺ قال: «لا تسبُّوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم لكم صلاح» انتهى.

ولا تدخلوا الطريقة بعد هذا اليوم أحداً منهم ولا من أعوانهم، ولا من التجار المتفكهين بالدنيا المنهمكين في الشهوات، ولا من العلماء وطلبة العلم الذين جعلوا العلم وسيلة الجاه عند الخلق وجمع الحطام. ولا من البطالين الذين يستندون إلى الطريقة بسبب البطالة فيحملوا أثقالهم على رقاب الناس باسم الصلاح والإرادة، ولا من الذين إذا تيسر لهم رتبة من مناصب الدنيا وثبوا إليها وثبة النمر وقد كانوا يغضبون إذا تساوى بهم أحد من الخلفاء فضلاً عن غيرهم من المريدين. ولا من الذين يريدون الخلافة ليشتهروا لما رأوا أن بعض الناس صارت لهم الشهرة وجمع الفلوس بسبب الخلافة.

واعلموا أن أحبكم إليّ أقلكم اتّباعاً وعلاقة بأهل الدنيا، وأخفكم مؤنة وأشغلكم بالفقه والحديث، وقد ورد في بعض الأحاديث: ما ازداد رجل من السلطان قرباً إلاً ازداد من الله بُعداً. ولا كثرت أتباعه إلاً كثرت شياطينه، ولا كَثُر

= ولا ريب في أنه لو قيّض الله تعالى لهذه الأمة في هذا العصر علماء حكماء ومرشدين أصفياء يقومون بإرشاد العباد وبما يجب عليهم من بذل النصائح والتذكير بالمواعظ بما جاء في القرآن الكريم والسنَّة المطهرة كما قام حضرة مولانا خالد ومن اقتفى أثره لرأينا لذلك أثراً عظيماً ونفعاً عميماً يبقى ذكره مدى الأحقاب ولوفّقنا الله لسبل النجاح وطرق النجاة والفلاح آمين. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

ماله إلاَّ اشتد حسابه، وحينئذ لم يبق وجه للميل إلى تكثير السّواد بهؤلاء إلاَّ الطمع وحب الشهرة والجاه وأخذ الدنيا بالدين، وجميع هذه النيات فسادها غني عن البيان. ولا يخدعكم الشيطان بأن فائدة الخلافة وقدرة إلقاء الجذبات إيصال النفع إلى الخلق، وبأنكم إذا ما كثرت أتباعكم ما تيسرت لكم الختوم كل يوم لأني تركت لكم الطلاب الصادقين الذين لا يصفون بشيء من الذمائم المارة وهم وإن كانوا نادرين لكن واحد منهم أحسن من ألوف من البطالين. وختم القرآن يكفيه نحو ثلاثين مريداً مع أنه يمكن بالمخلصين من الجيران وإن لم يتيسر فلا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها. وليترك تردُّد النساء إلى بيت عبيد الله أفندي الحيدري للتوجه فإنه لخروجه عن الطريقة ودخوله فيما دخل بطوعه وغروره صار له هبوط عظيم، وسادة هذه الطريقة لا يتلاعب بهم، وأمر عبيد الله بسبب وقوع اسم الخلافة عليه، وزعم كونه أقدم من غالب الخلفاء لا يشبه أمر الذي دخل في الطريقة وهو من أهل الدنيا ولا الذي لم يدخل فيها وهو من أهل الدنيا من المحبين كأخيه المرحوم طاب ثراه، أئمة هذه الطريقة طردوا المريدين بأدنى انصراف بعد الإرادة فضلاً عن الخلافة فراجعوا الرشحات عند رد إمام الطريقة بهاء الدين شاه نقشبند، وعبيد الله الأحرار قدّس الله سرّهما لبعض من استأذن للحج أو قبل التدريس في بعض المدارس من المريدين، فإن خالفتم فلستم على عهدي وأنتم تعلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 227].

* * *

[الرقعة الثالثة عشرة]

بعث بها عطر الله مَرْقَدَهُ إلى خليفته في بيت الله الحرام العلَّامة الكامل الملا أحمد الكردي الهكاري رحمه الله تعالى[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من العبد المسكين المفتقر إلى عفو الغفور الباري خالد إلى سيده وحبيبه

---

(1) انظر، يا رعاك الله، إلى هذه الوصية الإرشادية كيف جمعت مع إيجازها خيري الدنيا =

الملا أحمد الكردي الهكاري، سلام يجري صفاء كالماء الجاري، ودعاء يخرج المدعو له عن الحجب البشرية ومن طرق التواري.

= والآخرة ووطدت لمن يعمل بمقتضاها نيل السعادة والفوز بالحسنى وزيادة لاستقامته على طاعة ربه وحظوته بمقام أنسه وحضرة قدسه أوصاه بالتمسك بأهداب الطريقة العلية الصديقية التي هي المنهج الأقوم والصراط الأعدل.

ثم حذّره من الإعجاب بالاشتغال بالنوافل المجردة عن الخشوع والمشوبة بما يبعد السالك عن حضرة قربه فإنها وإن كانت عبادة وطاعة بحسب الظاهر حسنة في حد ذاتها لكن ربما يلحق فاعلها لخلوه عن الحضور والفناء في الله من الآفات ما يحبط عمله ويجعله محروماً من الفيض الإلٰهي الذي هو كعبة القصد ومسمع نظر العارفين، كما إذا استحوذت عليه غائلة العجب بالنفس والغرور بالطاعة ودعوى الأنانية وتطرقت عليه آفة الكبر فأصبح عمله هشيماً تذروه الرياح.

روى أبو نعيم في الحلية عن قاسم الجوعي رضي الله عنه أنه قال: قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بلا معرفة. ويؤيده قوله ﷺ: «ركعتان من عالِم بالله تعالى خير من ألف ركعة من جاهل به». فالعبد السالك لا ينبغي أن ينظر إلى صور الطاعات بل ينظر إلى حقائقها، فصور العبادات عند أهل العرفان لا تقتضي وجود القبول لها لما تضمنته من الآفات القادحة في أصل الإخلاص فيها كالإعجاب بها والاعتماد عليها واحتقار من لم يفعلها وذلك مانع من قبولها فلا يسلم العمل من الآفات ويرجى قبوله إلاّ باتهام النفس ورؤية التقصير وعدم استعظامه فإن العبرة في جميع الطاعات عندهم إنما هو حصول الفتح الإلٰهي على القلب واستغراقه بأنوار التجليات الذاتية لا حصول الثواب والعدالة في الوصف بين أهل الدنيا كما يزعمه المتنفل المغرور بنفسه وإعراضه عن طريقة تطهير القلب عما سوى الله الذي هو مقصود العامة لا الخاصة.

وإلى هذا أشار حضرة مولانا الشيخ العم قدس سره مستدلاً بكلام تاج العارفين سيدي ابن عطاء الله الإسكندري في الحكم: «معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً».

وبهذا يندفع ما عساه أن يتوهم أن حضرة مولانا الشيخ العم كيف يسوغ له أن يحذر خليفته من الاغترار بكثرة الاشتغال بالنوافل مع أنها طاعة. لما علمت أن كل عبادة لم تكن خالصة نقية من الشوائب القادحة فهي عديمة الجدوى قلما يترقى بها صاحبها إلى معارج القرب ومصاعد الكمال.

فليس مراده قدس سره التزهيد في الأعمال ولا تزييف ما تنتجه من محاسن الأحوال، وإنما مراده إيقاظ السالك وتحذيره من التردي في مهاوي الغرور عن الحضور وترغيبه في رفع همته عن الاعتماد عما سوى الله وكأنه أشار بذلك، نفعنا الله بمعارفه، إلى ما ذكره المحقق السعد في شرح مقاصده حيث قال: السالك إذا انتهى إلى الله وفي الله يستغرق في بحار التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته =

أما بعد: فلما كان الخاطر متعلقاً بتطيبكم أشد التعلق، والناظر متشوقاً إلى رؤية محياكم أبلغ التشوق، أحببت أن أذكركم بهذه الورقة وأمدكم بدعاء، وأوصيكم بالتمسك التام بالطريقة العلية الغراء، ولا تغرنكم كثرة الاشتغال بالنوافل، فإنها مع حسنها الذاتي لغير أرباب الفناء كالسم القاتل، ألا ترى أن بعض الناس بسبب تعبُّدهم الظاهري تبدأ لهم الأنانية والجور حتى يعرضون عن الطريقة وأهلها بزعم أنهم اتقى منهم مع أن ذلك من أكبر الكبائر كما أطبق عليه أساطين الشرع والشهود، بل من المتعبدين بزعمهم من يعادي أهل الفقر جهاراً. وقد قال في الحكم: معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً. والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

[الرقعة الرابعة عشرة]

كتبها أمدنا الله تعالى برشحات أسراره إلى خليفته الملا رسول في بلدة سلوجبلاغ من مضافاة ولاية سنة من ولايات إيران

بسم الله الرحمن الرحيم

أخص بالسلام التام المقرون بمزيد العز والإكرام جناب سيدي وسندي العالم الفاضل النحرير الكامل مولانا الملا رسول حصَّل الله تعالى له كل مأمول.

وبعد: فقد تشرفنا بكتابكم وتلذّذنا بحسن خطاباكم فرأيناه مشحوناً بكمال

= ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلاّ الله، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد وإليه يشير الحديث الإلٰهي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» إلخ. ثم قال: ولقصور العبارة عن بيان تلك الحال ولبعد الكشف عنها بالمثال ونحن على ساحل التمني نغترف بقدر الإمكان ونعترف أن طريق الفناء فيه المبان دون البرهان. انتهى ملخصاً.

فما أبعد مرمى مولانا العم قدّس سرّه وما أدقّ مغزاه، كيف لا وهو إمام الأولياء العارفين في زمانه وقدوة العلماء العاملين ومطهِّر قلوب السالكين في أوانه. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

المحبة والوداد ومشيراً إلى وفور التعلق والاتحاد، جزاكم الله عن الفقراء والمساكين خيراً.

ثم لا يخفى على جنابكم أنه ورد: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» وأيضاً تواترت الآيات والأخبار في ذمّ المال وتحصيل الأمتعة الدنيوية والميل إليها، منها حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة، وتعس عبد الدرهم والدينار.

فما صرَّح به أساطين الكشف والشهود وعليهم التعويل في مثل هذه الأمور أن ممدوحية المال إنما هو بالنسبة إلى أهل الكمال، وأما إلى أمثالنا فإنما هو وبال ونكال ولا سيما أن تحصيله في هذه الأزمان قليلاً ما يمكن بدون العصيان والامتهان، وهذا أمر لا يخفى على جنابكم السامي جعلنا الله ممن ألقى نعيم الدارين إلى القفا، وتوجه بشراشره إلى اتباع سنة محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

[الرقعة الخامسة عشرة]

كتبها من دمشق إلى دار الخلافة العلية فخامة الصميم
نجيب بك أفندي أحد أعاظم رجال الدولة العلية
الذي صار وزيراً على ولاية بغداد ثم والياً على دمشق
وعمّر التكية والقبة على مرقد حضرة مولانا قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد المسكين الجاني خالد العثماني النقشبندي المجددي إلى مخلصه في الله تعالى محمد نجيب أفندي لا زال بعين العناية ملحوظاً ومن شر النوائب محفوظاً آمين.

أما بعد: فقد وصل مكتوبكم، وبالقبول اتصل مطلوبكم، وأوصيكم بتذكار أهوال القيامة، ومواقف الخجالة والندامة، واعلم بأن الدنيا ظلّ زائِل،

وحاجز بين العبد ومولاه حائل، لا يعد عبداً حقيقياً من كان في قلبه مثقال ذرة من حبها، وليس بمقبول من لم يرمها بقشرها ولبها، وورد في بعض الأحاديث النبوية: «الدنيا مغضوبة الحق ما نظر إليها منذ خلقها، أو كما قال صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم. فطوبى لمن هجرها وطلقها، والسلام عليكم في البدء والختام.

* * *

[الرقعة السادسة عشرة]

كتبها قدّسنا الله تعالى بأسراره جواباً إلى الشيخ معروف البرزنجي النودهي المعاكس لحضرة مولانا خالد قدّس سرّه طالباً من جنابه طرد أحَدِ أهل الطريقة عن باب إرشاده

فقال رحمه الله تعالى[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا سيدي قال بعض المحققين من الأولياء العارفين: لو كشف عن نور

---

(1) لما كان حضرة ضياء الخافقين مولانا خالد ذو الجناحين من كُمّل الأولياء الذين كلما علا مقام أحدهم وارتفع خضع تحت قهر العبودية واتضع، وكان روحي فداه ممن يستصغرون أنفسهم في أعينهم ويتهمونها ولا يرضون عنها آخذين حذرهم منها خشية من استيلاء الغفلة المنبعث عنها انصراف القلب وعدم التفقد ولمراعاة الخواطر، صرح رضي الله عنه بما تضمنته هذه الرقيمة إشعاراً بأنه غير راض عن نفسه ولا ممن يستحسن حالها ويسكن قلبه إليها، مقتفياً أثر الكريم ابن الكريم سيدنا يوسف الصديق على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم حيث قال: وما أبرىء ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: الآية 53]. وقد أجمع الأولياء العارفون من أهل القلوب وأصحاب النفوس الطاهرة أن أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها.

ويؤخذ من مفهوم كلامه وفحوى مرامه أن الخوف من مكر الله والأمن من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى لم يفارقه في عموم أوقاته، وهذا شأن كُمَّل الأولياء المقربين من الوارثين المحمديين. وذلك لأن العارف الكامل كلما اشتد قربه اشتد خوفه كما =

إيمان المؤمن الفاسق لطبق ما بين السماوات والأرض، وهذا العبد المسكين ما أرى أحداً من فسّاق المؤمنين إلاً واعتقده أحسن مني، لأن إيمانه ثابت وفسقه خفي عني ومثالب نفسي جلية لدى هذا والخاتمة مجهولة فكم من فاسق فاجر صار من كُمَّل الأولياء وكم من صالح ورع ردّ إلى أسفل السافلين، أسأل الله تعالى العافية لي ولك ولسائر المسلمين. وبالجملة فلا يمكنني طرد أحد وأنا أعتقده أفضل مني وما أردته لا يتيسر إلاً بطرد المسلمين والسلام.

* * *

= قال ﷺ: «إني لأخوفكم من الله تعالى» وكيف لا يخاف وقد جاء في حديث طويل من رواية ابن مسعود رضي الله عنه: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاً ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاً ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». فلا يغتر العبد بكثرة عبادته لا سيما إذا كانت مشوبة بشيء مما تقدم ولا العاصي بخوضه في تيار المعاصي لا سيما إذا كانت ممزوجة بشيء من الخوف والندامة، فإن العبرة عند أهل اليقين بالخاتمة كما أشار إلى ذلك حضرة مولانا القطب الأعظم قدّس سرّه الأقوم، فكم صالح طرد وكم طالح اصطفي، وهذا هو الذي قسم ظهور أكابر الأولياء وتركهم في هموم وغموم لم يهنأ لهم عيش ولم يطب لهم في الدنيا قرار مع كمال حضورهم وتمام استغراقهم ورزانة عقولهم وغزارة علومهم وعرفانهم وسمو مكانتهم عند الله تعالى حتى إن سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه مع كونه مقطوعاً له بالجنة بإخبار النبي ﷺ كان يطوف بالبيت العتيق وهو يبكي ويقول: «اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فاثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الشقاوة فامحني وأثبتني على السعادة».

وكان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط على الأرض مغشياً عليه، وبعضهم يهيم في البراري والقفار لا يدري أين يذهب، وبعضهم يخرّ ميتاً كما وردت الآثار بذلك. وبهذا يعلم أن الخوف هو ثمرة المعرفة والقرب الإلهي، وكلما ازداد العبد علماً ومعرفة وقرباً ازداد خوفاً وخشية وإشفاقاً، فلا يزال العارف المقرب خائفاً حتى يدخل الجنة برحمة الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه».

نسأله تعالى وهو خير مسؤول أن يمنّ علينا بحسن الخاتمة ويوفقنا للإنابة إليه ويرزقنا العفو والعافية الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنّا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ونعوذ بك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

[الرقعة السابعة عشرة]

كتبها أفاض الله علينا من أنواره من دمشق
جواباً إلى العلّامة المحقق الملا يحيى العمادي المزوري(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد المسكين خالد إلى سيده المعترف بفضله الصديق والحسود،

---

(1) إن عبد الوهاب السوسي العمادي المذكور الذي غلبت عليه الشقوة وطوحت به طوائح المهالك حتى وقع في سخط أولياء الله كان خليفة أولاً مقرباً عند حضرة قطب الإرشاد والمدار ووارث حضرة النبي المختار إمام العارفين مولانا خالد ضياء الدين، ولأمر قدرة الله وقضاه لحقه الحور بعد الكور، واتسم بالاعتداء والعور والجور، فطرده مولانا الشيخ بعد التقدم عن بابه، وقطع سائر علائقه من انتمائه إليه وأسبابه، وذلك أنه قدّس سرّه لما أراد أن يرسل إلى دار الخلافة العلية خليفة من خلفائه لأجل نشر أنوار الطريقة في تلك الأقطار كلّف كل مَن كان عنده وقتئذ بدمشق من خلفائه الكرام وشرط على من يقبل القيام بأعباء تلك الخدمة سبعة شروط، الشرط الأول: كل من يتصدّر للإرشاد في تلك الأصقاع عليه أن لا يتردد على رجال الدولة العلية ووزرائها ممن بيدهم زمام الأمور في الأحكام ومحظور عليه أدباً أن يتداخل معهم ويستأنس في مجالسهم.

الشرط الثاني: أن لا يطلب لا بالذات ولا بالواسطة معاشاً ولا تعييناً ولا صلة لا باسمه ولا باسم التكية أو الزاوية التي يقيم فيها تعففاً ورفقاً ببيت مال المسلمين، اتّكالاً على فضل الله تعالى.

الشرط الثالث: أن لا يتأهل على زوجته المرافقة له إذا تاقت نفسه الزواج من نساء الاستانة خشية من التوغل في الانهماك والملذات المعوقة عن الوصول إلى ثمرة إرشاد الخلق.

الشرط الرابع: أن لا يتوغل في شؤون المريدين والمترددين عليه المتعلقة فيما بينهم وبين الناس سواء كانت بين أمير أو وضيع، ولا يقبل منهم صلة باسم المشيخة أو الإنابة التي يمشي عليها المتشيخون.

الشرط الخامس: أن لا يدع مجالاً لتردُّد النساء على زاويته ولا سيما إذا كنّ فتيات متبرجات بداعي أخذ إنابة الطريقة وذلك اعتصاماً بآدابها الشرعية وشروطها المرعية فراراً من مكائد الشيطان وأحبولاته ودرأ للمفاسد التي هي أولى من جلب المنافع.

الشرط السادس: أن يكون ذلك الخليفة مرتبطاً أشد الارتباط منقاداً للحضرة العلية الخالدية وأن يراجع ذلك المقام الإرشادي بالقطمير والنقير قلّ أو جلّ خوفاً عليه من أن يتخبطه الشيطان بنزغاته ولئلا يستقل بنفسه ويخبط في ديجور من الظلمات خبط عشواء مع عدم جمعه الشروط وفقدان قوّة التصرف الباطني فيه، فإن من كان بهذه المثابة فما =

والمقرّ بانفراده من صِنفِه السائد والمسود، الشيخ يحيى منَّ الله عليه ببصيرة تدرك

= يفسده أكثر مما يصلحه فضلاً عن مصادمة أصول الطريقة التي لحمتها وسداها الشريعة.

الشرط السابع: أن لا ينهمك في أمور الدنيا وجمع حطامها تيمناً بالكبراء والزعماء بل يقتصر على القناعة أسوة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، ويجعل نصب عينيه هذا الحديث الشريف الذي جمع علم الأولين والآخرين، وذلك أن رسول الله قال لبعض أصحابه: «اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه، واعمل للنار بقدر صبرك عليها». ويلتزم باب التواضع مع كمال الذلّ والانكسار وترك الترأس وإظهار الخمول، وأن يجتنب المباهاة بما فيه من الفضائل الفاخرة بالجاه والمال، وأن يتحرّز من الإعجاب والكبر والتنافس على أقرانه ويقتصر على الإفادة والاستفادة بالدروس العلمية وإرشاد الخلق إلى طريق الحق وأخذ الدعاء من الكبير والصغير لخليفة المسلمين أمير المؤمنين بأن ينصره على أعداء الدين ويوفّق وزراءه لخدمة العباد وعمران البلاد.

فلما سمع الخلفاء الحاضرون تلك الشروط العظيمة ثقل عليهم حملها وأشفقنا منها وأبوا قبولها إلاّ عبد الوهاب المذكور فإنه قَبِلَ القيام بها وتعهد بالعمل بموجبها فكتب بذلك صكاً ووقّع عليه ومهره بخاتمه وأشهد من حضر على نفسه ودفعه إلى حضرة مولانا خالد قدّس سرّه وقام مودِّعاً رفقاءه وذهب إلى دار السعادة. فلما وصل إليها استقبله إخوان الطريقة من مريدي الشيخ محمد الصالح عم والدتي الذي كان أرسله حضرة مولانا العم قبلاً إلى القسطنطينية وجرى عليه ما جرى من سوء التفاهم في أمر غلق باب المسجد أثناء قراءة ختم الخواجكان والتوجه بوجه من أراد الدخول إليه لأجل أداء فريضة الصلاة مما يطول شرحه. والحاصل أن المريدين الموجودين فيها إذ ذاك قد تعلقوا بعبد الوهاب امتثالاً لأمر حضرة مولانا العم تعلق الرضيع بأمه فتصدّر للإرشاد وأعلن خلافته فأقبلت عليه الخلق من كل فج عميق، فنما أمره وعظم صيته وعلمه وصلاحه وانتسب إلى الطريقة بواسطته كثير من وزراء وكبراء الدولة العلية حتى شيخ الإسلام مكي زاده مصطفى عاصم أفندي المشار إليه في كتابنا هذا وصاروا من مريديه ولا زال أمره يعلو شيئاً فشيئاً إلى أن عمّ إرشاده إلى بلاد الأناضول حتى بلغ أقصى بلاد الروم وصار مصدراً عظيماً في الطريقة الخالدية فتخبطه الشيطان من المسّ فأصبح من الغاوين، والعياذ بالله من سوء المنقلب، وحكمت عليه نفسه الأمارة فخالف الشروط المقرّرة، وابتدع بعض أمور في الدّين منكرة، وأعلن استقلاله بين مريديه أيضاً في الإرشاد حتى أمرهم أن يرابطوا فيه ويسقطوا حضرة مولانا القطب الأعظم ويطرحوا واسطته. فلما بلغه ذلك أمر حالاً بجلبه إلى دمشق، فحضر إلى أعتابه، فقبّله ولم يُظهر له عتابه وأدخله تواً إلى الخلوة التي أعدّها له لعل الله يمنّ عليه بالجلوة. ولما اختبره وأحسّ بصحة ما نُسب إليه من التمرُّد وكفران النعمة زجره ونهاه عما اقترفه رفقاً بحاله وتهذيباً لباله، فحلف له الأيمان المؤكدة ببراءة ساحته مما نسب إليه مدّعياً أن ذلك كان اختلاقاً وافتراء عليه من حسَّاده، فأمره حينئذ أن يكتب كتاباً بخط يده إلى خلفائه =

السم في الدسم، وتشغله بما هو الأحوط قبل حلول الندم. آمين.

= ومريديه بحقيقة الحال وينهاهم عن كل عمل يخالف أصول الطريقة وأن يسلك بهم سبيل الكمال، فأظهر بذلك الرضا والقبول وأقنعه بدهائه ومكره بضروب من المحال، وكتب لجماعته في الاستانة العلية كتاباً وأرسله إليهم مع نفر ممن جاء معه من أتباعه، ففتح الكتاب المذكور ودفعه إلى الشيخ إسماعيل الأنراني والشيخ عبد القادر الديملاني فظهر منه عكس المأمول.

ولما عرض على أنظار حضرة مولانا ووقف على حقيقة أمره غضب غضباً شديداً فطلبه إليه وأطلعه على ما جنته يديه، وقال له: قد ظهرت الإرادة الإلٰهية بطردك عن طريقتنا يا عبد الوهاب، فأصبح مطروداً محروماً كما سبق في علم الله فهو أشبه بالحكم ابن أبي العاص لما ظهر منه ما ظهر في عهد رسول الله من الأمور التي يأباها الشرع طرده ﷺ إلى الطائف ولم يزل مطروداً حتى انتقل عليه السلام إلى أعلا عليين ثم كان كذلك في مدة الخليفتين الأجلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن تولى الخلافة عثمان رضي الله عنه. وكان يقال لمروان بن الحكم: ابن الطريد. وحضرة مولانا العم لما شاهد من عبد الوهاب وقوع المخالفة وعدم انقياده لأوامر الطريقة اقتضت الحكمة طرده زجراً له وتأديباً لغيره. فيكون صنعه قدّس سرّه بعبد الوهاب اقتداء بالرسول ﷺ في طرده الحكم لاقتضاء الحكمة بذلك حسماً لمادة ظهور الابتداع في الطريقة النقشبندية الصدِّيقية التي هي عين طريقة الصحابة وأجّلة التابعين.

ثم إن عبد الوهاب المذكور قام من عنده مخذولاً مردوداً ورحل من دمشق إلى الحجاز، فلما وصل مكة المكرمة طلب إجازة من الشيخ محمد خان أحد خلفاء سيدنا النسَّاء عبد الله الدهلوي فرده ولم يقبله محافظة على شروط الطريقة ثم ذهب مع الحجّاج إلى البلاد الهندية حتى توصل إلى أعتاب مولانا الشاه الدهلوي في (جهان آباد) وتوقع عليه متطلباً منه تجديد الخلافة فرده قائلاً له: خالد كردبرد ـ يعني: أخذ خالد، أي: ما عندي ـ. ثم لما فرغ ما عنده من الحيل والدهاء ويئِسَ من أمره رجع إلى الحرمين بخفي حنين وأقام في المدينة المنورة مدة واشتغل بتأليف رسالة مدح فيها الطريقة النقشبندية وطعن من غيظه وكيده في الحضرة الخالدية ناسباً له استخدام الجن ومدّعياً أنه لما كان يحضر عنده يسمع أصواتاً خفية، ولم ير أشخاصاً جلية، إلى غير ذلك من الأقاويل التي هي أوهن من بيت العنكبوت. ولما وصلت تلك الرسالة إلى دمشق انتدب الرد عليها تلميذه العلاّمة النحرير والفهَّامة الجليل السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين بتأليف كتاب سماه «سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي» وهو مطبوع متداول بين أيدي العلماء في أقطار بلاد الإسلام جزاه الله عن الأولياء خير الجزاء وحشرنا معه تحت لواء سيد الأنبياء ﷺ. ثم إن مولانا قدّس سرّه كتب إلى كل من له علاقة مع عبد الوهاب كتاباً، وكما ستراه مندرجاً على التتابع وأعلمهم بحقيقة حاله وسوء مآله وأمرهم بالبراءة منه فلم يتخلّف منهم أحد وتركوه هملاً، نعوذ بالله من سوء المنقلب. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

وبعد: فقد شرفتنا رقيمتكم الكريمة، المنبئة عن مودتكم المستديمة،

= والإنابة منه فعيّن له حجرة وسلك فيها حتى بلغ في الطريقة تمام الحظوة وصار من أخلص الرجال الخالدية كما يتضح ذلك فيما سيأتي من رسائله التي كان يرسلها بطريق النصيحة للسيد معروف النودهي المذكور. فلما رأى المنكرون منه ذلك نكصوا على أعقابهم وولوا الأدبار وخابوا، وأكثرهم تابوا. هذا وكان حضرة مولانا الشيخ الإمام قدس سره على الدوام يحب الشيخ ملا يحيى محبة عظيمة ويعامله مع كونه مريداً له معاملة الأقران الأعلام. والشيخ يحيى لا يعد نفسه في مجلس حضرة مولانا قدس سره إلاّ من الخدام.

وقد حدثني العالم الأديب الصالح الشيخ إسماعيل البرزنجي الكنه كوتري الخالدي طاب أثره أنه كان الشيخ يحيى نائماً وقت القيلولة فقام حضرة مولانا خالد قدّس سرّه من محله إلى حجرة الشيخ يحيى فاستقبله السيد إسماعيل وقال: يا سيدي إن الشيخ ملا يحيى نائم، فقال له: لا تنبهه. ودخل الحجرة وقبّل فم الشيخ يحيى وهو نائم وقد قال بعد التقبيل: متّعنا الله تعالى بحياتك، وخرج قدّس سرّه من الحجرة إلى محله، انتهى.

واعلم أن الشيخ يحيى قدّس سرّه كان من أكابر هذه الأمة المحمدية وقد بلغ درجة الترجيح في الفقه الشافعي مع كونه بحراً في جميع العلوم النقلية والعقلية والرياضية كما اعترف له بذلك حضرة عالم الأمة مولانا خالد قدّس سره وكافة علماء العراق، فهو في الحقيقة ونفس الأمر شيخ الكل في الكل وقد عمّر نحو مائة سنة كما في المجد التالد.

ومما يشهد له على كمال علمه وغزارة تحقيقه حاشيته التي ألّفها على تحفة المحتاج لابن حجر فقد اشتملت على فوائد يعسر العثور عليها من جملة مؤلفات. وعلاوة على ذلك كان طاب أثره مطبوعاً على مكارم الأخلاق ومفطوراً على محامد الخصال.

قال صاحب المجد التالد: ومن أخلاقه رحمه الله تعالى أن عبد الوهاب السوسي الذي تقدم ذكر طرده عن الطريقة لعجبه بنفسه وخرقه لسياج حرمتها التجأ عقب ذلك إلى جناب الشيخ يحيى المشار إليه كتابة مسترحماً منه أن يطلب له العفو من حضرة مولانا خالد قدّس سرّه، فعرض الشيخ يحيى كيفيّة الحال إلى حضرته والتمس منه العفو عن عبد الوهاب، فجاوبه أن الأمر ولو كان بيدي لعفوت عنه كرامة لمنزلتك عندي ولكن جميع روحانيات السلسلة قد تبرأوا منه وطردوه عن أبوابهم اللهم إلاّ أن يكلف نفسه ما يهذبها ويجردها من الرعونات التي سولتها له من اقتراف ما يبعده عن رضاء الله تعالى ويشهر نفسه للملأ في الشوارع والطرقات قسراً لنفسه الأمارة القاسية، فإنهم تقدّست أسرارهم ربما يعفون عنه حينئذ. فأجابه الشيخ يحيى طاب ثراه بقوله: يا سيدي روحي فداك إن عبد الوهاب لا تطاوعه نفسه على مثل هذا الفعل ولكن رخصني فإني أعمل هذا الفعل وأركب الحمار منكوساً عوضاً عنه لعله يتجاوز عن جريمته، وأنا أفدي نفسي في حاجة كل مسلم. فلما أحاط علماً بذلك أخذه البكاء من شفقة الشيخ ملا يحيى المروزي وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية 38]. =

فتلوناها بمزيد الغرام والاشتياق، وداوينا بها بعض آلام العباد وكلوم الفراق. ولما أراد السفير الرجوع إلى تلك الديار بادرنا إلى جوابكم، وتلذّذنا بلذّة خطابكم، وما تعرضتم في المكتوب لكتابة حواشيكم الميامين الغرّ، على تحفة المحتاج للعلاّمة ابن حجر، أفاض الله عليه شآبيب الرضوان، وأسكننا وإياه فراديس الجنان، وذكرتم أن زبير باشا أيّده الله حضر البازي، فقد أحسن جزاء في الدارين الجاري ثم المرجو أن تذكرونا بدعاء حسن الختام والتوفيق لاتِّباع سنَّة خير الأنام عليه وعلى آله الكرام وأصحابه الفخام أفضل الصلاة وأكمل السلام. والسلام عليكم من هذا المسكين المستهام.

* * *

[الرقعة التاسعة عشرة]

كتبها قدّس سرّه إلى نجيب باشا الذي تولى ولاية بغداد ثم إلى ولاية الشام وعمر تربة حضرة مولانا سنة 1263هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الفقير خالد النقشبندي المجددي إلى منظوره محمد نجيب أفندي، سلام يرجى وصوله ودعاء يُأمل قبوله.

أما بعد: فليكن معلوماً لديكم أن عبد الوهاب رجل أخلّ بكثير من أصل الطريقة والشريعة، وجعل نور الولاية لجلب جيفة الدنيا والاعتبار عند أهلها

= ثم لما بلغ الشيخ ملا يحيى نتيجة المخابرة المذكورة لعبد الوهاب قال له: فلا تلومن إلاً نفسك فتدارك أمرها ولا حول ولا قوة إلاً بالله. وله من هذا القبيل أخلاق كثيرة ومزايا كبيرة فاطلبها من المجد التالد. توفي في بغداد وصلى عليه العلامة الشيخ عبد الرحمٰن الروزبهاني محبوب حضرة مولانا وشريكه في تحصيل العلم، ثم دفن بجوار حضرة الغوث الأعظم سيدنا عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه، وسنعيد الكرة على بعض مناقبه المفصحة عن خلوص محبته لحضرة مولانا خالد ومناضلته فيما نورده من الرسائل السبع الآتي ذكرها على الشيخ معروف النودهي الفائقة وصوناً للهداية على الكواكب السيّارة والله يتولى العناية في البداية والنهاية وهو أكرم الأكرمين. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

ذريعة، وصار سبباً في الاستانة العلية، صينت عن كل بلية وفي العراق وغيرهما لإنكار الناس، وتولّد من حركاته الأوهام والوسواس، وأكثر ما صدر منه بسبب تعظيم جنابك له مع المبالغة التي أوردته موارد الغرور، وترك من حقوق تربيتي عليه وظهرت منه المخالفات الكثيرة غاية الظهور. فظهرت الإرادة الإلٰهية في طرده عن الطريقة لأسرار لا تخفى على أهل البصائر والغرض أني لا أرضى بعد وصول هذا المكتوب إليك أن تخاطبه بنقير وقطمير، وإلاً فلا يبقى لك علاقة مع أئمة السلسلة ولا مع هذا الفقير، فأخبرتك رعاية لحق محبتك لئلا يصيبك ضرر ولا ينبئك مثل خبير، وسائر المخلصين والأحباب يخاطبون بعين هذا الخطاب والسلام.

* * *

[الرقعة العشرون]

كتبها قدّس سرّه إنذاراً إلى مخلصي الطريقة الخالدية وخلفائها في دار السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد المسكين خالد النقشبندي إلى الأحباب الأنجاب يوسف أفندي وعمر أفندي وطاهر أفندي، السلام ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فاعلموا أنه ظهرت الإرادة الإلٰهية بطرد عبد الوهاب عن هذه الطريقة العلية ـ فلا تذكروا اسمه في الختم والسلسلة فإنّه خلاف رضا السادة الكبار، ومن توقف من المأذونين بختم الخواجكان في هذا فليترك الختم.

وأوصيكم بالدعاء في الختم الشريف لتأييد مولانا السلطان حفظه ونصره الرحمٰن ولهذا العبد الفقير بحسن الختام، وتوفيق الاتّباع للحضرات الكرام، وليس من عادتي أن أكتب بنفسي طرد أحد لكن بسبب كثرة دسائس عبد الوهاب ما آمنت إذا أمرت أحداً بالتحرير إليكم أن يبلغ بأن الكاتب لم يكتب برضى فلان، بل إنما كتبت ما كتبت عن حسده وهواه، فأخبرتكم بخطي لئلا يبقى

عندكم ريب، وكل من بقي له أدنى علاقة معه حسّاً أو معنى فقد برىء من إمداد هذا الفقير ومشايخه، ومن أنذر فقد أعذر، ولا ينبيك مثل خبير، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد البشير النذير وعلى آله وصحبه ما هبت نسائم القبول وصار مريد أهل الطريق مورد رد وقبول آمين والسلام.

* * *

[الرقعة الحادية والعشرين]

كتبها عطّف الله قلبه الشريف علينا إلى مخلصه في دار السعادة عيني أفندي أحد رجال طريقته العلية

بسم الله الرحمن الرحيم

أسلِّم على عيني أفندي وأقول: الفقير من العام الأول تبرّأت من عبد الوهاب بسبب ما ظهر منه من الأمور المخالفة للطريقة والشريعة، وأنه صار سبباً للدسائس التي اختلقها علينا المتمشيخون حتى توهّم كثير من الناس في حقنا أموراً لا تليق بأراذل العوام، وأردت أن أكتب هذا إلى الأستانة العلية صينت عن كل بلية ليعلم الناس أنه الآن مطرود عن الطريقة فلا يلتفت إليه أحد لئلا يصير مظهراً لجلال سادات الطريقة البهية البهائية فتوصل بي وجعل روحانية مشايخ السلسلة شفعاء له وحلف الأيمان المؤكدة أنه يكتب إليكم هذا المضمون بخطه، ثم ظهر أنه بلغ تقريراً مع بعض المرسولين من طرفه وكتب تحريراً إلى بعض المخلصين أن بعض إخوانه في الطريقة افتروا عليه عندي. ثم ظهر افترائهم لدي وهو صار مثل الأول وأكثر حتى إن بعضكم ترك طلب الدعاء والمكاتبة إلى بعض أهل الطريقة رعاية لجانبه والمرء يعذر لجهله.

فالآن أخبركم بأني وجميع رجال السلسلة تبرأنا من عبد الوهاب فهو مطرود عن طريقتنا فكل من تصادق معه لأجل الطريقة يترك مكاتبته ومصادقته وإلاّ فهو أيضاً بريء من إمداد هذا الفقير وإمداد السادات الكرام ولا أرضى أن يكاتبني ولا أن يستمد مني بعد وصول هذا المكتوب إليه وأنت مأمور بإيصاله إلى كل مخلص، فمن كان مريد الطريقة يظهر البراءة منه ومن كان مريد نفسه فلا

يلومن إلاَّ نفسه إذا هلك مع الهالكين وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

[الرقعة الثانية والعشرون]

كتبها من دمشق إلى بغداد جواباً إلى علامة العراق ومحدِّث الآفاق بالاتفاق الشيخ ملا علي السويدي عين أعيان علمائها الأعلام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى سيدي مجمع الفضائل ومكارم الخصائل، ومرجع المآرب

---

(1) نأتي هنا على نبذة في سبب انقياد هذا المحدث المفضال الشيخ علي الذي هو كبير العائلة السويدية ووالد العلامة النحرير الملا محمد أمين المناضل عن الحضرة الخالدية وتشرفه بالدخول في عداد مخلصيها إشعاراً لعظيم فضله وسمو منزلته فنقول:

من أحسن ما وفقت للوقوف عليه في هذا الباب ما ذكره السيد العلامة الشهاب محمود الألوسي مفتي بغداد في كتابه نزهة الألباب أن أمير المؤمنين في الحديث الشيخ المعمر علي أفندي السويدي صاحب كتاب العقد الثّمين حضر يوماً حفلة في بغداد وكان هو صدرها وكبيرها والحاضرون متوجهون إليه بكليتهم يستمعون حديثه متلذذين بعذوبة ألفاظه وسحر بيانه لما كان لهم من الإذعان إليه لسمو منزلته عندهم. وفي أثناء ذلك شرف حضرة مولانا خالد إلى تلك الحفلة وتجلّت أنواره وتضوّعت نفحات أسراره فأخذت الجميع الدهشة وكان لسان الحال يقول: (طلع الصباح فاطفىء القنديل)، أو يتمثل بقول من قال: (في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل). همل الشيخ السويدي وانصرفت أفئدة الحاضرين وتوجهت إلى الاستفاضة والاغتراف من بحر عرفان حضرة مولانا قدّس سرّه فكبر ذلك على السويدي وعظم الأمر لديه فقال مموهاً من تأثره: (يا مولانا) بئس ما يفعله أكثر علماء الأكراد اليوم، فقال له: ولم ذلك؟ فأجاب: لاشتغالهم في العلوم الفلسفية وهجرهم لعلوم الدين كالتفسير والحديث عكس ما يفعله علماءِ العرب فقال قدّس سرّه بداهة: كلا الفريقين طالب بعلمه الدنيا الدنية وطلبها بقال أرسطو وقال أفلاطون خير من طلبها بقال الله وقال رسول الله فإن الدني يطلب بدنِي مثله نعم لو كانوا طالبين الآخرة فيا حبذا ما يفعله أكثر علماء العرب، فبهت العلامة السويدي خجلاً وصار في ذلك المجلس لا يبدي ولا يعيد وجلاً ولله در حضرة مولانا ما أغيره وأغوره اهـ بالمعنى. ولا غرو أن هذا كان سبباً لاقتناص قلب هذا المفضال وجعله =

ومعضلات المسائل، الذي حب مثله من أقرب الوسائل السلام ورحمة الله وبركاته ما سئل سائل.

وبعد: فقد أمرتم داعيكم بإعطاء ثمن شرح المقدمة للحاج بكري وهو أمر لا يخفى ثوابه وكماله، ولا ينبغي للموفق إلاَّ امتثاله، إلاَّ أني ما أملك الآن درهماً من النقد ولا دانقاً وما أرى التصريح بهذا لدى غيركم لائقاً، ومن الناس من قد يأتينا بشيء من متاع الدنيا وهو يظن بنا ما ليس فينا من الصلاح. فنرى ردّه أحوط وإن بالغ في الإبرام والإلحاح، وإن اتفق على الندرة ما لا يؤدي قبوله بنا إلى الإنفاق فيصرف كما يؤخذ بكثرة ما هنا من أهل الاستحقاق. لكن إذا يسّر الله بعد اليوم ما أرضى إن شاء الله من نفسي بالتخلف، وكنت أستقرض له لولا أن المؤمنين براء عن التكلف والغرض من تحرير الرقعة تمهيد العذر خفية والقيام بجواب سلامتكم وكي لا تنسبوني بمقتضى ظاهر حالي إلى قلّة الاهتمام بكلامكم والسلام ختام الكلام.

= مستخذياً تحت حيطة إرشاداته الضيائية ومما يؤيد كمال إذعانه للحضرة ما نقله العلامة السيد إبراهيم فصيح الحيدري في كتابه المجد التالد حيث قال: ومن خوارق حضرة مولانا خالد قدس سره العلمية أن العالم الفاضل الشيخ علي السويدي كان من أكابر المحدثين في بغداد وكانت له اليد الطولى في الحديث وغيره لما شرف حضرة مولانا خالد أول مرة إلى بغداد وانكب عليه الناس للأخذ عنه والانتماء عليه كبر ذلك على الأستاذ السويدي كما صعب على أكثر علمائها وإشرافها قام رحمه الله ودخل على حضرة مولانا ليختبره ويسبر غوره فالتقيا وتصافحا ثم تلا الشيخ علي عليه حديث الأولية وهما واقفان ويد أحدهما بيد الآخر وبعد تمام الحديث قرأ مولانا أيضاً حديثاً أولياً ثم جلسا وقرأ الشيخ علي السويدي ثلاثين حديثاً من كتب الستة وقلب أسانيدها امتحاناً على سبيل المغالطة وبعد فراغه شرع مولانا خالد قدّس سرّه وقرأ الأحاديث المذكورة وذكر أسانيدها الأصلية على وجه الصحة فانكب السويدي على يديه واستغفر الله مما خطر في قلبه من الامتحان وطلب العفو من حضرة الشيخ. ولما خرج من عنده قدّس سرّه قال لقومه: إني رأيت هذا الإمام من أكابر أولياء الله قد جمع بين علمي الظاهر والباطن وهو بحر ليس له ساحل وأمثالنا بالنسبة إليه كأمثال القطرة بالنسبة إلى البحر وصاح: هلم أيها العلماء للاستفاضة من علومه الربانية وأنفاسه القدسية ثم طلب الإنابة والسلوك على يديه قدّس سرّه فلقنه الذكر وسلّكه الطريقة وحصل له ما حصل من منازل أهل الحقيقة ثم هاجر إلى دمشق وتوفي فيها قدّس الله روحه ونوّر مرقده وضريحه. انتهى بتصرف. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

[الرقعة الثالثة والعشرون]

كتبها رحمه الله تعالى وأفاض شآبيب الرضوان على جدثه تتوالى إلى مخلصه الحاج حسين أفندي خليفة ملاطية

بسم الله الرحمن الرحيم

ونحمده سبحانه

أهدي السلام التام المقرون بمزيد المحبة والإكرام إلى جناب زبدة العلماء الكرام، وعمدة الوعاظ الهادين إلى دار السلام الأجل الأكرم الحاج حسين أفندي المكرم سلمه الله من العوائق ووفقه للسلوك في أقرب الطرائق أمين.

وبعد: فإن جناب نخبة الأمراء مخلص الطريقة العلية السيد مرتضى بك لما التقى مع الفقير وبلغ إليه حسن استقامتكم وسلامتكم التمس مني أن أحرر لكم ورقة تتضمن ذلك وتشعر بمزيد الارتباط فلذلك اكتفى الفقير بهذا القدر، وهو يوصيكم بالتقوى وترويج السنة السنية على الدوام وهديتكم الثوب الكتان والخاولي الإسلامبولي وصلت إلينا جزاكم الله عنا خيراً كثيراً ونسلم على جميع أهل البيت وخلّانه ونخص كذلك الحاج محمد بمزيد التحية والدعاء وعليه بالتقيُّد على الأشياء التي أمر بها، والسلام في البدء والختام.

* * *

[الرقعة الرابعة والعشرون]

كتبها رضي الله عنه إلى مريده الصادق العلامة الفاضل الملا يحيى المزوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده من العبد المسكين الجاني خالد النقشبندي المجددي العثماني، إلى منبع المكارم والأخلاق والمومى إليه بحسن السيرة وطيب السريرة في الآفاق، سيدي وسندي ومحبوبي ومعتمدي مولانا الملا يحيى المزوري السلام عليكم من الكريم الخلاق وبعد:

فقد تشرفنا بكتابكم وتلذّذنا بحسن خطابكم فوجدناه حاكياً عن سلامة تلك الذات الشريفة، وحاوياً على ما يستطاب من الإخلاص وسائر المطالب المنيفة، فدعونا لكم بحسن الختام وبلوغ المرام والتوفيق على اتِّباع السنَّة السنية الغراء، وتيسير السلوك في الطريقة العلية الزهراء، التي يشرف جاحدها على الخطر والابتلاء، عافانا الله وإياكم من المبارزة لإيذاء الأولياء وجعلنا من المحشورين في زمرة الأصفياء بحرمة حبيبه خاتم الرُّسل وإمام الأنبياء عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام ما دامت الأرض والسماء.

ثم الوصية من هذا المسكين الفقير التشمير عن ساق الجد على حسب الطاقة للذكر الخفي والمواظبة عليه، فإنه أنجع دواء لإزالة الأمراض القلبية على ما أطبق عليه جهابذة الكشف والوجدان، وأساطين الشهود والعرفان وأن تذكروا هذا المسكين المستهام بدعاء حسن الختام والسلام.

* * *

[الرقعة الخامسة والعشرون]

كتبها أفاض الله علينا بنفحة من رشحاته إلى خليفته في كوي سنجاق الملا عبد الله الجلي الكاكي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من المسكين الغريب إلى حبيبه النجيب ومنظوره اللبيب قرَّة عيني الشيخ عبد الله لا زال في كنف حماية مولاه ومتربياً في حجر عناية أولياءه.

أما بعد: فقد ورد إلينا كتابكم، وفهمنا خطابكم، فحمدنا الله تعالى على حسن اعتدالكم، ودعونا لكم بالتوفيق التام في حالكم ومآلكم، فإن البصير لا يغفل عن المصير، والوقت عزيز ويسير والتغافل ليس من شأن الفقير، وناهيك ما ورد عن النبي ﷺ: «الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلاَّ ذكر الله وما والاه». وأوصيكم بما لا بد منه في النفس الأخير واتِّباع السنَّة السنية وعدم الالتفات إلى زخارف دار الغرور ومعتاد العوام في كل قليل وكثير، وبأن لا تنسوا هذا

المسكين المستهام، من دعاء التوفيق وحسن الختام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

[الرقعة السادسة والعشرون]

كتبها نوّر الله مضجعه وعطر مهيعه إلى مريديه في قرية التل من أعمال دمشق(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من أقل الورى، وتراب أقدام الفقراء، الذي لم يزل عن وداد أصحابه

---

(1) تأمل أيها المسترشد المنصف بتدبر وإمعان فيما كتبه حضرة شيخنا الأعظم مولانا العم الأكرم قدس الله تعالى سره إلى مريديه في التل وهي قرية تبعد عن مدينة دمشق ثلاث ساعات تقريباً والشيخ مصطفى الإمام المذكور كان يعرف بالشيخ النعيمي وقد أدركته وتبركت به وفزت بدعائه وقد ناهز عمره مائة سنة، توفي مذ ربع قرن ودفن في القرية المذكورة كان رحمه الله رجلاً فقيهاً عابداً زاهداً نقياً تقياً اشتهر في زمانه بالولاية والصلاح وكانت ثلة من وجوه أهل الشام ترحل إليه لأخذ الدعاء منه والتبرك به ـ وإن حضرة مولانا خالد قدّس سرّه كان كثيراً ما يقصد القرية المذكورة لزيارة الصحابي الجليل سيدنا قثم رضي الله عنه المدفون فيها ثم أنشأ له قدّس سرّه حائط جامعها القبلي خلوة لطيفة للغاية وكان يتربص ويعتكف فيها في بعض الأحيان. وقد نقش على بابها من داخل الجامع المذكور أبيات لطيفة المعنى رقيقة المبنى هي من نظم المرحوم الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي خليفة البلاد الشامية قبل تشريف حضرة مولانا الشيخ إليها وهذا مطلعها:

قطب الزمان خالد بالنقشبندي اشتهر ... عمَّ الورى بوجوده والنور منه قد بهر

وهذا الشيخ مصطفى النعيمي المومأ إليه كان مأذوناً له بقراءة الختم الشريف الخواجكان من قبل حضرة مولانا قدّس سرّه ولا زال يقرأ في القرية المذكورة إلى يومنا هذا لأن معظم أهالي تلك الجهة ينسبون إلى الطريقة النقشبندية الخالدية ـ أرسل قدّس سرّه هذا الكتاب إلى الإمام والمؤذن رحمهما الله تعالى حادثاً لهما فيه على إقامة الأوراد ومداومة الأذكار ـ وانظر إلى معاملته قدّس سرّه لهما بتلطيف الخطاب برشاقة العبارات وأحاسن الإشارات التي تقتنص القلوب القاسية وتأخذ بالألباب المسدَل عليها الحجاب.

ووصيته إياهما بالمداومة على ذكر الله تعالى مع استطراد الدلائل المشوقة للترغيب =

بدعاء أحبابه، وإن قصر بترك آدابه وبعث كتابه خالد، إلى محبيه في الله عزّ وجلّ الحاج مصطفى المؤذن والشيخ مصطفى الإمام وجميع إخوان التل، سلام يتلوه الفيض من سطوع أنواره، ودعاء يعقبه الإجابة والبشارة من صفاء أسراره.

أما بعد: فقد طالت مدة الفراق، وهيجت الأشواق في قلب المشتاق، وما لاح منكم ما يشفي العليل ويروي الغليل، لا من كثير ولا من قليل.

فهلا علمتم أن تحرير الكتاب، من جملة الآداب، لما فيه من الاستجلاب الفيض والإمداد، وتجديد الرغبة إلى الذكر المعتاد.

= والاشتغال بعبادته والمحذرة عن ترك الذكر والإعراض عنه ـ ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طـه: الآيـة 124]. وقد قال علماؤنا قدّس الله أسرارهم: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلاّ أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه.

وأيضاً ذكرهما أفاض الله علينا من بركات أسراره بنعمه تعالى التي أسبغها على عباده مما لا يدخل تحت الحصر كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: الآية 34] من صحة البدن وعافية الجسم ونعمة النظر الصحيح والعقل الرجيح إلى غير ذلك من النعمة التي لو رام أحد معرفتها لعجز عن إحصائها ولو أتعب نفسه في القيام بالطاعات ونوافل العبادات وبالغ في شكر نعمه تعالى فإنه يكون مقصراً، لأن نعمه كثيرة وأقسامها عظيمة وعقول الخلق قاصرة عن الإحاطة بمباديها فضلاً عن غاياتها لكن الطريق إلى ذلك من بعد أن يعلموا أن النعم إما دينية أو دنيوية. والدينية إما معرفة الحق لذاته، وإما معرفة الخير لأجل العمل به. والدنيوية إما نفسانية وإما بدنية وإما خارجية. وكل واحدة من هذه الثلاثة جنس تحته أنواع كثيرة.

فعليهم أن يشكروه تعالى على جميع نعمه مفصلة ومجملة باللسان والقلب والجوارح، فشكر اللسان الثناء عليه تعالى وكثرة الحمد ويدخل فيه التحدث بالنعم وإظهارها ونشرها لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضّحى: الآية 11]. وشكر القلب أن يعتقد أن النعم قلها وجُلّها من الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: الآية 53]، وشكر الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح لقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سَبَإ: الآية 13] فجعل العمل الصالح شكراً.

من شكره بلسانه ولم يشكره بقلبه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذه بطرفه ولم ينفعه ذلك من وقاية الحر والبرد والثلج ووابل المطر وأجمع العبارات للشكر قول محققي طريقتنا قدّست أسرارهم الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالأركان أي الجوارح جعلنا الله ممن عرف النعم فقيدها بشكر المنعم ووفقنا لابتغاء مرضاته بمنه وكرمه وهو أكرم الأكرمين. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

إخواني انصفوا مع حضرة مولاكم، الذي لا غناء عنه في أخراكم وأولاكم، ولا تتركوا ذكر الذي بالفضل أعطاكم وأولاكم، لما ورد عنه تعالى ما مضمونه: «من عاديته سلبت عنه ذكري فوقع في محارمي فحلّ عليه غضبي فأحرقته بالنار، ومن أحببته ألهمته ذكري فترك معصيتي واشتغل بطاعتي فقرّبته إليّ وأدخلته في رضواني ونعيم جناني».

ألم يكفه شرفاً وجلالة ما شهد به القرآن الكريم في آيات كريمة وصرَّح بطلب التكثير منه، وحذَّر عن تركه بأنواع التحذير، فدل ذلك على أنه أحب الأعمال الصاعدة إليه، وأنفع الأشياء للعباد لنيل المراد.

ألا يكفيكم في شرفه قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 152] وفي التحذير ما تتلونه مدى المدى ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجنّ: الآية 17].

ثم اعلموا أن الذكر القلبي مما لا معارض له أبداً من منكر ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: الآية 205].

فتنبهوا لأخراكم، واستمعوا لذكراكم، وعودوا إلى حضرة مولاكم، إذ لا مفر منه إلاَّ إليه، ولا خير إلاَّ لديه، ولا حكم إلاَّ في يديه، ولا سر ولا نجوى إلى مطلع عليه.

واذكروا ما قال سيدنا الصديق رضي الله تعالى عنه في خطبته إذ قال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

فالموفق حسبه ما قيل، ولا يحتاج إلى التطويل، والله على ما نقول وكيل، والمسؤول من الجميع الدعاء عقيب الأوراد وتبليغ السلام عني إلى عتبة الصحابي الجليل سيدنا قثم عليه الرضوان الأعم الأتم والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة السابعة والعشرون]

كتبها قدّس سرّه إلى خليفته وخطيب جامع تكيته
الشيخ أبي بكر البغدادي نزيل دمشق رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سلام من الله مقرون بالتوفيق، ودعاء من هذا المسكين الغريق إلى الأخ في الله، والمحب لوجه الله، سمي الصديق أيده الله على جنود إبليس، وأعانه من شر كل جليس تلبيس آمين.

أما بعد: فقد ذكرتم داعيكم بإرسال المكاتيب مراراً، وسمعنا من كلماتكم نوعاً من روح الوداد إعلاناً وإسراراً، وكتبتم إلينا بعض ما تعلقونه إلى حين اللقاء وهو أبرد على كبدي وأعلق بخلدي، فالأمور مرهونة بأوقاتها، والمقادير موكولة إلى ساعاتها، وأسرار الفقراء لا تسعها طروس من الحروف، وما من مخفياتهم إلاً وهو على الملاقاة والمشافهة موقوف، وأرجو من جنابكم التذكُّر بصالح الدعوات في بعض الأوقات، لاستقامتي على سنَّة أشرف المخلوقات وخلاصة الموجودات عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأكمل التحيات. فإن اتِّباعه هو السعادة الكبرى والدولة السرمدية العظمى وما سواه لا يعد شيئاً عند ذوي الهمم العلية، والسلام عليكم ختام الكلام.

* * *

[الرقعة الثامنة والعشرون]

كتبها قدّس سرّه من دمشق إلى السليمانية لأخيه الشقيق النجم الثاقب سيدي الوالد مولانا الشيخ محمود صاحب لما أذن له بأداء فريضة الحج وذلك سنة 1239 يوصيه بها بما يلزمه[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

---

(1) من دقق النظر، وأطلق عنان الفكر، ليجول فيما كتبه حضرة مولانا العم الماجد في =

أما بعد: فأوصيكم بتقوى الله وطاعته وترك إيذاء الناس ولا سيما في

= هذه الرقعة الصادرة منه إلى أخيه الشقيق حضرة سيدي الوالد قدّس سرّهما، وما حوت عليه من الوصايا العامة والنصائح الشاملة لم يسعه إلاّ أن يحكم البداهة أنه لم يدع أصلاً من أصول الفضائل إلاّ أتى عليه وأمر به. ولا رذيلة من سفاسف الأخلاق إلاّ نهى عنها وحذّر من اقترافها تدريباً للسالكين وتعليماً للمسترشدين وتنبيهاً لمن ﴿كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: الآية 37].

فإن الإنسان ذا نفس زكية طاهرة نقية حية العواطف رقيقة الإحساس ائتمر بأوامره وانتفع بنصائحه، وإذا كان مظلم النفس غليظ الشعور لا يدرك الكمال ولا يحس بجلالة فضائل الأعمال فهذا ومن على شاكلته معني بقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فَاطِر: الآية 14].

أوصاه رضي الله عنه أولاً بالتمسك بحبال التقوى التي هي الأساس لجميع خصال الخير وفيها سعادة الدارين والفوز بالحياتين. والتقوى وإن قلّ لفظها فهي كلمة جامعة إذ هي تجنب كل منهي عنه وفعل كل مأمور به. وذكر العلامة البيضاوي رحمه الله أن لها ثلاث مراتب، الأولى: التوقي من العذاب المخلّد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفَتْح: الآية 26]. الثانية: التجنب عن كل ما يوجب إثماً من فعل أو ترك وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ [الأعرَاف: الآية 96]. الثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشراشره وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله حق تقاته﴾، والآيات والأحاديث الواردة في الحث على التقوى أكثر من أن تحصى.

كذلك أوصاه قدّس سرّهما بترك الإيذاء للناس وإن آذوه، والتباعد عن الغيبة ولو اغتابوه، ونهاه عن التعدي والكذب والتعالي على الناس على الأخص في الحرمين الشريفين لحرمتهما عند الله تعالى ومضاعفة الجزاء فيهما.

وأوصاه أيضاً قدّس سرّهما بملازمة الطاعة والإخلاص والمثابرة عليهما بحسن النية إذ الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود الإخلاص فيها وإخلاص كل عبد في أعماله على حسب مرتبته ومقامه فإخلاص الأبرار سلامة أعمالهم من الرياء الجلي والخفي وكل ما فيه حظ للنفس.

وإخلاص المحبين هو العمل لله تعالى إجلالاً وتعظيماً لا لقصد ثواب ولا هرب من عقاب. وعليه يحمل قول رابعة العدوية: سبحانك ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك.

وإخلاص العارفين شهودهم انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم من غير أن يروا لأنفسهم في ذلك حولاً ولا قوة فلا يعملون إلاّ بالله وفي الله.

وقد بيّن قدّس سرّه سعة فضل الله ومزيد كرمه وعميم إحسانه ورحمته بالإنسان =

الحرمين الشريفين. ولا تغتب أحداً وإن اغتابوك، ولا تأخذ من أحد شيئاً من حطام الدنيا إلاَّ أن يحكم بأخذه الشرع فخذه واصرفه في سبيل البر، ولا تتفكه بصرفه في الشهوات وإخوانك المؤمنين جاعة عالَة ولا تكذب ولا تحتقر أحداً، ولا تعتقد نفسك فوق أحد ـ وابذل جهدك في العبادة القلبية والبدنية واحسب نفسك أنك ما عملت خيراً أبداً، إذ النيَّة روح العبادة ولا نيَّة إلاَّ بإخلاص والإخلاص لأَكبر منك فضلاً عنك ـ وأنا والله لا أعتقد أني عملت خيراً منذ ولدتني أمي وأنت تعتقدني خيراً منك.

فإن لم تجدك مفلساً عن كل خير فهو غاية الجهل، وإن وجدتك مفلساً فلا تقنط من رحمة الله تعالى، فإن فضل الباري خير للعبد من أن يكون له عمل الثقلين.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: الآية 58]، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أي يكسبون.

ولا تجعل الطمع في فضل الله تعالى سبباً لترك العبادات كمن لعب بعقولهم الشيطان، وداوم على ذكر القلب والمراقبة ولا تفتر عنهما ولو في المشي. وتمسَّك بحول الله تعالى وقوته في كل أمر واستمسك بروحانية السادات الكبار قدّس الله تعالى أسرارهم، وأكرم حملة العلم وحفظة القرآن، واشتغل بقراءة القرآن بحسب التيسير واشتغل بعلم الفقه والحديث أكثر من غيرهما. ولا

= حتى لا يعتمد على عمله ولا يرى لنفسه حولاً ولا قوة حيث استدل بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: الآية 58]، أوحى الله إلى داود عليه السلام: قل للصدِّيقين بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا.

ومن تتبع ما أمر به حضرة مولانا القطب الماجد أخاه سيدنا الوالد قدّس سرّهما في هذه المراسلة وما نهاه عنه يجده مطابقاً للكتاب والسنَّة موافقاً لما جرى عليه سلف الأمة، ميزانه الشرع، ومرجعه الحق، لا يحيد عن الصواب، ولا يميل مع الأهواء، فأي قلب لا يمتلىء بنصائحه إيماناً، وأي إحساس لا يتشبع تثبيتاً ويقيناً، فلا مرية في أنه المرشد الكامل، والمؤثل الفاصل بين الحق والباطل، والمطهر للقلوب، والموصل إلى طريق معرفة علاَّم الغيوب، نفعنا الله تعالى بعلومه اللدنية، وجمعنا به في الحضرات العندية، وحشرنا وإياه تحت لواء سيد الأنبياء والمرسلين، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

يصرفك الحضور القلبي عن ذلك فإنه علامة على ضيق المشرب وقصر الباع. وعليك بالمداومة على صلاة النافلة من التهجد والإشراق والضحى والأوابين ودوام الوضوء وقلة الهجوع وقول سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزينة عرشه ومداد كلماته ثلاث مرات.

ولا تدخل في أمور أهل الحكم من الأمراء ولو طلبوا ذلك منك وادعوا بالصلاح والإصلاح لإمام المسلمين واطلب من الله تعالى أن ينصر الإسلام على أعداء الدين.

وعليك بترك الوجود وبذل المجهود والقناعة بالموجود والتمسك التام بسنن صاحب المقام المحمود صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أبد الآبدين والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

[الرقعة التاسعة والعشرون]

كتبها ثبتنا الله على طريقته إلى مولانا الحاج عبد المؤمن البخاري في بلد الله الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام التام المقرون بمزيد العز والإكرام على الأخ في الله والمحب لوجه الله الحاج عبد المؤمن جعله الله له وصرفه عما سواه أمين.

وبعد: فقد وصلت إلينا ألوكتكم الكريمة في أعزّ وقت وأبرك ساعة حاكية عن صحة ذاتكم الشريفة مخبرة عن استقامة طبيعتكم المنيفة، فسرتنا غاية السرور، وأورثتنا البهجة والحبور، والمرجو من أخلاقكم الحميدة، وطويتكم الشريفة السعيدة، أن لا تنسوا هذا المسكين من الدعاء بحسن الخاتمة وتوفيق الاستقامة في اتِّباع السنَّة السنية الغراء، والموت على الملة الحنيفية البيضاء، أدام الله صلاحكم وسدادكم ودمّر أعاديكم وحسادكم بجاه النبي الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم وصيتي أن تبلغوا سلام هذا المسكين اللاشيء إلى روحانية ساداتنا الأئمة النقشبندية قدّس الله أسرارهم السنية بعد الرجوع إلى بلاد ما وراء النهر حيث اتفق لكم زيارة مشاهدهم العلية، والسلام في البدء والختام.

* * *

[الرقعة الثلاثون]

كتبها قدّس سرّه جواباً إلى العلّامة النحرير المرحوم الشيخ عبد الله جلى زاده خليفة كوي سنجاق[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، طالعنا مكتوبكم، وعرفنا على مقتضى

---

(1) يحسن بنا أن نذكر في كتابنا هذا نبذة من ترجمة حضرة الشيخ عبد الله جلي زاده المرسول إليه هذا التحرير فنقول: هو العالم النحرير مالك أزمة التقرير والتحرير ناشر ألوية الفضائل، الآخذ من الإفادة والعبادة والزهادة بما يحاكي الأوائل، عين أعيان علماء الكوبية، وواسطة عقد الأسرة الجلية، من اتفقت الطباع على حبه، وامتلأت الأسماع بفضائله وذكره الشيخ الملا عبد الله نجل العالم العامل الشيخ منلا عبد الرحمٰن الجلي رحمه الله تعالى، أخذ الطريقة العلية الخالدية وسلك فيها على حضرة مولانا خالد مدة مديدة وحصل له الفتح القلبي وترقى إلى مرتبة حق اليقين ثم سافر إلى الديار الحجازية لأداء حجة الإسلام ورجع بعد قضاء المناسك بالتمام ماراً في طريقه على بغداد مدينة السلام، ومكث فيها مدة وهو ملازم على ما كان عليه من التقوى والعبادات والزهاد مداوم على الانقطاع وحسن الاتباع والاجتناب عن الابتداع وتعمير الأوقات بوظائف الأوراد والطاعات، ثم أجازه حضرة مولانا خالد قدّس سرّه سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين وأذن له بالإرشاد وتربية ذوي الاستعداد وأرسله إلى بلدته كوي سنجاق لأجل نشر أنوار الطريقة والشريعة على مفارق العباد فشرع في ذلك وسلك أحسن المسالك وأفاد الأمة بنفحاته القدسية وبث علومه الأنسية.

وبالجملة فهو من أكابر الخلفاء وأفاضل العلماء قدّس الله تعالى روحه ونور مرقده وضريحه، انتهى ملخصاً من الحديقة الندية والبهجة الخالدية. وقد ترجم له أيضاً السيد إبراهيم فصيح الحيدري بما يقارب ذلك في كتابه المجد التالد وأفرد له ترجمة بأكثر من هذا العلّامة العارف الملا حامد البياراني في كتابه رياض المشتاقين، إلاّ أنه باللسان الفارسي، فراجعهما إن شئت. وكما أن الشيخ عبد الله المشار إليه كان من أكابر خلفاء حضرة مولانا خالد قدّس سرّه فكذلك نجله العالم الفاضل الصالح والمرشد المتفنن =

فهمنا مطلوبكم، وما تعرضنا لجواب شُبَهِكُم لأمور، **أحدها**: نحن متفقون معكم في بعض ما كتبتم من الشبه.

وثانيها: جنابكم عن أحوال الفقراء بعيد بمراحل فلا ينجلي لكم الأمر

= الفالح صهرنا الجليل جلي زاده الملا محمد أمين أيضاً كان من أجّلة خلفاء سيدنا الوالد الماجد قدّس سرّه فإنه رحل إليه، وسلك بدمشق على يديه ثم أذن له بالإرشاد وخلفه خلافة مطلقة وزوَّجه كريمته وصار داماداً لحضرته وله منها أولاد رحمه الله تعالى.

حذّره حضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه كما يستفاد من مفهوم هذه الرقعة كل التحذير من التغالي في تنقيص الناس وتحقيرهم عملاً بقوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه». وقد تقرّر عند الأصوليين أن إثبات اسم الشيء على معنى الكمال شائع ومستفيض في كلامهم فيكون أفضل المسلمين من كف عن أعراضهم وتباعد عن ذمهم وتنقيص قدرهم فلا ينظر المسلم إلى أخيه بعين القلة والاستصغار لاحتمال أن يكون أفضل وأقرب عند الله تعالى منه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية 11]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يشير أو ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه». وورد عن سيدنا الصديق الرفيق رضي الله تعالى عنه: لا يحقرن أحد أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين كبير عند الله.

فالعاقل من اشتغل بعيوب نفسه وأعرض عن التحري عن عيوب الناس وحصر نفسه وفكره في إحصاء ذنوبه وإذا أراد الله بعبد خيراً بصّره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج لكن مع الأسف أكثر الخلق اليوم جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فليلزم صحبة شيخ كامل بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ينبهه على رعوناته النفسية وأوصافه البشرية وعيوبه الخفية أو يتوخى صديقاً بصيراً متديناً فيجعله رقيباً على نفسه ليلاحظ أفعاله وأحواله فينبهه عليها كما ورد في الأثر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسأل سلمان الفارسي عن عيوبه فقال له يوماً: ما بلغك عني مما تكرهه فاستعفى سلمان فألح عليه عمر كرّم الله وجههما فقال: بلغني أنك جمعت بين أدمين وأن لك ثوبين، فقال سيدنا عمر: وهل بلغك غير هذا، فقال: لا، فقال عمر رضي الله عنه: أما هذان فقد كفيتهما.

إذا علمت هذا ظهر لك ما يقصده حضرة مولانا القطب الأعظم قدّس سرّه وما يوميء إليه من لطائف الإرشادات المجددية ومحاسن الكتابات الضيائية وقد آل الأمر في زماننا ـ ويا للأسف ـ أن أبغض الخلق إلى أكثر الناس من ينصحهم ويعرّفهم عيوب أنفسهم ويوشك أن يكون مفصحاً عن ضعف الإيمان، نسأله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا وحسبنا الله ونعم الوكيل. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

بالمكاتبة، وهذا لا شبهة فيه عندي فالاشتغال بالكتابة اشتغال بما لا يعني ومن سعادة المرء تركه.

وثالثها: سمعت من سفيركم أنكم عازمون على الملاقات فأخرنا الأمر إلى وقته. والباقي لا جعلنا الله تعالى وإياكم ممن فتح الله أبصارهم وأعمى بصائرهم حتى توغلوا في تنقيص الناس وغفلوا عن عيوبهم واستقصوا ذنوب إخوانهم عمداً، وما تنبهوا لذنب من ذنوبهم أخذاً ورداً، ولئن شرفتمونا بالمجيء هنا ولكن بشرط حسن النية لكان خيراً، ختم الله تعالى لنا ولكم بالخير آمين.

* * *

[الرقعة الحادية والثلاثون]

كتبها أفاض الله علينا من أنواره القدسية من دمشق
إلى دار الخلافة العلية جواباً إلى مريده ومخلصه محمد نجيب بك أفندي
من أركان الدولة العلية وأعاظم رجالها الفخام رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

من المسكين الكئيب خالد الغريب إلى مخلصه النجيب وحبيبه اللبيب، سلام يفوق طيباً على المسك الأزفر ويزري شذاه بالند والعنبر.

وبعد: فقد ورد مكتوبكم المحتوي على فنون التأديب والخلوص، والمنطوي على ود راسخ كأنه بنيان مرصوص، فاستجلب حسن الالتفات إليكم، واستوجب مزيد الرأفة والنظر عليكم، فعليكم بدوام الخلوص والاستقامة فإنهما من أحسن البضاعات ليوم القيامة، وإياكم والغفلة عن الاستغفار من الذنوب بالتضرُّع والندامة، ولا تغتروا بالدنيا الدنية المكّارة، فإنها من حبالة الشيطان الملعون والنفس الأمّارة، ولا قدر لها في نظر أهل الدين، لأنهم يرون حقّيتها بعين اليقين.

فقد روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابن عمر رضي الله

عنهما أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» انتهى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

[الرقعة الثانية والثلاثون]

كتبها عطر الله مضجعه في آداب الذكر للمريدين وعليها المعول عند السادة النقشبندية للسالكين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد: فهذه فائدة في بيان نبذة من آداب الذكر وغيره عند السادة السنية قادتنا النقشبندية قدّس الله أسرارهم العلية.

اعلم أن آداب الذكر الأول ـ أعني اسم الذات بالقلب[1] ـ أن يجلس الذاكر

---

(1) قيد الذكر قدّس سرّه باسم الذات بالقلب لأن الذكر الحقيقي عند أهل الخصوص رضي الله عنهم إنما هو وجدان المذكور وحضوره بالقلب لا ذكر اللسان وحده مع غفلة القلب فإنه غير معتبر عندهم. وأول مراتب الذكر هو نسيان الغير كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: الآية 24] أي نسيت الغير، لأنك إذا لم تنس الكل ما وحدته حق توحيده. ثم نسيت نفسك لأن أنانيتك توجب وجود الغير وتحقق الذكر يوجب نفي الأغيار. فإذا بلغت هذه المرتبة كان ذكرك ذكره لغيبتك عن نفسك فنسيت ذكرك في ذكره، فإذا استمر ذلك واستحكم فيك شهدته ذاكراً لذاته فنسيت في ذكره كل ذكر وذاكر.

واعلم أن سعادة المرء في دنياه وفلاحه في عقباه إنما هو الانكباب على ذكر المولى، ولا تجوز الغفلة عنه تعالى طرفة عين ولهذا قال علماؤنا قدّس الله أسرارهم: إن دوام الذكر القلبي عند السادة النقشبندية يتيسر في الابتداء ويحصل بطريق اندراج النهاية في البداية فيكون اختيارهم لذلك أولى وأنسب بل ألزم وأوجب، ومن أغرب ما عثرنا عليه من الفوائد الجليلة التي هي جديرة بالذكر تأييداً لما بسطناه ما قاله العلاّمة العارف سيدي مصطفى البكري الصديقي في كتابه السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد.

وهذا لفظه: حدَّثنا شيخنا الملا عبد الرحيم الهندي المشهور عندنا بالأزبكي نفعنا =

على ركبتيه متوركاً بعكس تورُّك الصلاة بأن يُخرج قدم الرجل اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى ويعتمد على وركه الأيمن متوضئاً مستقبلاً للقبلة، ويقول بلسانه: أستغفر الله، إما خمساً أو خمسة عشر أو خمساً وعشرين، ويغمض عينيه لاصقاً الأسنان بالأسنان والشفة بالشفة واللسان باللهات ـ أعني سقف الفم ـ موجِّهاً جميع حواسه إلى القلب مدققاً النظر الخيالي بالنفوذ إليه[1] منطلق النفس على حاله.

= الله به أنه رأى في بعض الكتب أن الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه كان يستعمل الذكر القلبي على طريق النقشبندية مع حبس النفس رغبة في حصول الجمعية الكلية ومشاهدة الذات العلية، ومن طيب ذاك التجلي وفرط هذا التملي كان لا يتنفس إلاَّ عند الصباح مرة لتشم الجيران منه رائحة اللحم المشوي فتضرّرت من ذلك ظناً منهم أنه يطبخ اللحم في داره ولا ينيلهم منها شيئاً وشكته إلى النبي ﷺ فأخبرهم أن هذه الرائحة التي تجدونها رائحة كبده وليس هناك لحم، أو ما هذا معناه. ومن ثم حازت هذه الطريقة النقشبندية مزيد الشرف وفازت بالقدح المعلى في كل زمن بانتسابها إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه والتأنس به عند الاشتغال بذكر الله تعالى، وبها يظهر للأنام السر في تسميتها بالصديقية لوراثتهم السر المعنوي المستودع في صدره الشريف لما ورد: «ما فضَّلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه». وورد أيضاً: «ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلاَّ وصببته في صدر أبي بكر».

فعليك أيها الطالب العاشق بتحويل وجهة التوجه من كل جهة والإقبال الكلي على أكابر هذه الطريقة العلية التي هي عين طريقة الأصحاب الكرام وأجّلة التابعين، واطلب الهمة من بواطنهم، فهم القوم لا يشقى جليسهم. ولا بد من الذكر في الابتداء على الوجه الذي ذكره مولانا الوارث المحمدي والفرد الجامع المجددي في هذه الرسالة، والله الموفق وهو الهادي إلى أقوم طريق. **أسعد صاحب.**

(1) من البديهي أن القصد من الذكر هو تطهير القلب وتزكية النفس من دنس الأغيار المشار إليه بقوله ﷺ: «إن في جسد ابن آدم مضغة» الحديث، فينبغي أن تتوجه بكليتك إلى هذا القلب الذي هو مثل الحجرة للقلب الحقيقي وتمر بلفظة الجلالة عليه لا تحرك عضواً من أعضائك بل كن متوجهاً بكليتك إلى قلبك الصنوبري ولا تتخيل صورته في مخيلتك ولا تلتفت إلى شكله بتاتاً فإن المقصود من ذكرك إنما هو التوجه إلى حقيقة القلب لا تصور صورته. وتلاحظ معنى لفظة الجلالة ومدلولها وهو الذات بلا مثل، بلا كيف ولا كيفية، ولا تضم إليه صفة من الصفات ولا تلاحظها بحاضريتك وناظريتك حتى لا تتنزل من ذروة الذات إلى حضيض الصفات ولا تقع من هناك في شهود الوحدة في الكثرة ولا تتلى عن الابتلاء باللاكيف بالابتلاء بالكيف بشهود الكيف فإن كل ما يظهر في مرآة الكيف لا يكون كيفاً، وكل ما يظهر في الكثرة لا يكون واحداً حقيقياً، وينبغي =

ثم يخطر بقلبه أنه مذنب مقصر غير قابل لشيء خال من الأعمال الصالحة بحيث ييأس من أَماله ويتكل على الله ويعول على فضله، ثم يلاحظ الموت وأحواله والقبر وأهواله وكأن الموت قد دخل به الآن وأن هذا آخر أنفاسه من الدنيا، ثم يقرأ فاتحة الكتاب مرة والإخلاص ثلاث مرات بلسانه ويهدي مثل ثوابها إلى حضرة إمام الطريقة وغوث الخليقة ذي الفيض الجاري والنور الساري الخوجة بهاء الدين نقشبند الشيخ محمد الأويسي البخاري قدّ سرّه العزيز، ويستمد بالقلب منه[1].

= طلب اللاكيف من وراء دائرة الكيف وطلب البسط الحقيقي من خارج الكثرة كما أفاده الإمام المجدد رضي الله تعالى عنه والله سبحانه وتعالى أعلم. **أسعد صاحب**.

(1) أقول ولا أخشى نكيراً: أنه لما كان الوجدان الطاهر والعقل السليم يبرهنان أن بين الأرواح والأشباح علاقة قوية فوق ما بين المعاني والألفاظ إذ الفعل والانفعال جار بين الطرفين بالحس المشترك بخلاف المعاني والألفاظ، كان كذلك شدة التعلق والتعشق وإفراط المحبة بين الروح والجسد حاصلاً للتعارف والائتلاف الأزلي، يرشدنا إلى ذلك قول النبي ﷺ: «الأرواح جند مجندة فما تعارف منها ائتلف» الحديث. وقوله: «إن أرواح المؤمنين لتلتقي على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه»، فتبين من مفهوم هذين الحديثين الشريفين أنه كلما كانت الروابط الائتلافية بين الأرواح والأشباح أقوى، كانت التأثيرات المعنوية ميازيب رحمة الله تعالى للإمداد ومهابط أنوار قدسه الإلهي، فلذا تحصَل لدى تصور أشباحها وحضور صورها، وهذا أمر مشاهد محسوس عند أهله، ذاقه مَن اشتغل به وشاهده من عاناه.

قال العلامة المحقق الملا علي القاري في شرح الشمائل: وينبغي تبليغ صور العظماء من أهل الدين إلى من لم يرهم فإن في إحضار صورهم بركة كما في ملاقاتهم، وأن حفظ الصور أمر مطلوب نافع شرعاً، والتعلق بالصورة شيء ثابت عن الصحابة انتهى. قلت: وهذا أمر لا ينكره إلا متعصب جاهل، بعيد عن الحق والتحقيق بمراحل، انظر إلى السلك الكهربائي بل إلى المخترع الحديث المعبر عنه باللاسلكي الهوائي كيف توصل به أخبار الحروب القائمة وآثار الكون إلى مسافات بعيدة مع ضعف التناسب، فترى أن التعلق القوي الذي كان بين الشبح والروح عند أهل الله وخاصته لا يجلب الآثار القوية من هنالك.

ومما ينبغي أن يعلم أن الاشتغال بالرابطة التي أشار إليها حضرة مولانا خالد قدّس سرّه في هذه الرقعة إنما يحتاج إليها المبتدىء الذي لم يتخلص من أسر الوساوس والخواطر المانعة له عن حضور القلب لدى ذكره وفكره في طاعة الله تبارك وتعالى، وأما المنتهي الفاني في الشيخ الذي عرج من هذا المقام إلى الفناء في الرسول ﷺ =

ثم يقرِّر صورة حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه العزيز بين حاجبيه ـ أعني الناصية ـ ويعمِّق النظر من ناصيته إلى ناصية الشيخ قدس سره ويستمد في القلب منه، وهذا التقرير والتصوير يسمى رابطة، ثم يطرح الصورة بالخيال في وسط قلبه ويدعها ويجمع كل حواسه إلى القلب ويتصور بفراغ البال فيه معنى اسم الجلالة ومدلول كلمة (الله) وهو ذات بلا مثل الذي يفهم من الاسم الأقدس ويجعل قلبه مملوءاً بتذكر المعنى المدلول. وهذا الجعل يسمى (وقوفاً قلبياً) ولا بد من وجوده في جميع أوقات الذكر وفي خارجها ما يتيسر وهو الركن الأتم للذكر والمحطة لفائدته.

ثم مع الوقوف يقول بلسان القلب: «اللهمَّ أنت مقصودي ورضاك مطلوبي» ثم يشرع في ذكر الله تعالى بالقلب لكن مع الوقوف القلبي المذكور وتفريغ القلب من الخطرات مهما أمكن وبين كل مائة أو أقل يكرِّر قوله: اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي.

وإذا حصلت للذاكر غيبة وذهول عن الدنيا وتعطلت حواسه مع بقاء قليل

= الذي هو في الحقيقة ونفس الأمر مجلى مرآة الحق تعالى وتقدّس وقنطرة جسر العبور إلى شهود تجلياته الذاتية فهو غني في فنائه عن تصور الرابطة بأيٍ من كان وذلك لاستغراقه في شهود من لبس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء وغيبوبته فيه عما سواه.

فتبين من هذا أن تصور الشيخ الكامل وإحضار صورته في الذهن في الابتداء وسيلة مفضية للوصول إلى هذا المقام، ومن زعم غير ذلك فقد أخطأ المرمى وتعدّى والله لا يحب المعتدين. قال الإمام الرباني شيخ مشايخنا المجدد للألف الثاني قدّس سرّه أن المقصد الأقصى والمطلب الأسنى إنما هو الوصول إلى جناب القدس جلّ وعلا، ولما كان جناب قدسه في كمال التنزيه والتقديس والمناسبة التي هي سبب الإفاضة والاستفاضة بين الطالب والمطلوب مسلوبة فلا جرم أنه لا بد من وجود مرشد كامل خبير بطريق السير والسلوك إلى ملك الملوك يكون برزخاً ويكون له حظ وافر من الطرفين حتى يصير واسطة وصول الطالب إلى المطلوب. وبقدر ما يحصل الطالب المناسبة بينه وبين المطلوب جلّ جلاله يخرج المرشد بذلك المقدار نفسه من البين بالكلية ويكون بذلك قد أوصل الطالب إلى مطلوبه ولا حاجة حينئذ إلى توسطه. ففي الابتداء والوسط من غير مرآة المرشد الكامل لا يمكن شهود المطلوب، وفي الانتهاء بلا توسط المرشد يتجلى جمال المحبوب، وتنكشف البصائر والغيوب، ويحصل الوصل العريان الذي هو نهاية مقامات أهل العرفان، والله أعلم وبغيبه أحكم. **أسعد صاحب**.

شعور بنفسه يترك الذكر ويبقى تابعاً لتلك الكيفية مستغرقاً في الوقوف القلبي منتظراً لوارد الورد ومستحضراً قلبه لنزول الفيض إذ قد تفيض عليه تلك المدة اليسيرة أمور غزيرة وإن لم يدركها. ثم إن شاء بها بفتح عينيه ويوظف لنفسه وقتاً قدر ساعة أو أقل بعد العصر يشتغل فيه بالرابطة مع الوقوف القلبي من غير ذكر، وإذا ارتسخ الذكر بحيث لو تكلف الذاكر بإحضار الغير لم يخطُر ـ انتقل ذكره إلى الروح وهي لطيفة تحت الثدي الأيمن، ثم إلى السر وهو في يسار الصدر فوق القلب، ثم إلى الخفي وهو في يمينه فوق الروح، ثم إلى الأخفى وهو في وسط الصدر. وهذه اللطائف الخمس من عالم الأمر[1] الذي خلقه الله تعالى بأمر

---

(1) لا يخفى على من منح عقلاً راجحاً وقلباً سليماً أن الإنسان من حيث هو إنسان مركب من عشرة أجزاء: خمسة من عالم الخلق الذي هو عبارة عن كل ما يقع عليه مساحة وتقدير من الأجسام وعوارضها المخلوقة من مادة هي النفس الناطقة والعناصر الأربعة، وخمسة من عالم الأمر الذي هو عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز التي لا تدخل تحت المساحة والتقدير المخلوقة بأمر «كن» أعني بمجرد التجليات الإرادية من غير مادة عنصرية، وركّبها تعالى بقدرته الكاملة مع لطائف عالم الخلق على طريق التعشق بحيث تكره كل واحدة منها مفارقة الأخرى حتى أصبحت لطائف عالم الأمر بسبب ذلك التعشق مقهورة تحت حكم لطائف عالم الخلق.

أما لطائف عالم الأمر فهي لطيفة القلب ولطيفة الروح ولطيفة السر ولطيفة الخفي ولطيفة الأخفى، فظاهر هذه الأجزاء الخمسة يعد من العالم الخلقي وباطنها يعد من العالم الأمري وإليهما الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية 54].

وإنما اختار أكابر النقشبندية سيرهم في سلوكهم إلى مراتب الفناء والبقاء من عالم الأمر ابتداء حيث رأوه أولى وأنسب لأن العروج والترقي يكون من الأدنى إلى الأعلى لا العكس. وأما مشايخ بقية الطرق العلية فقد نظروا إلى صور تلك اللطائف فرأوا عالم الخلق أدنى بعكس ما رأى مشايخنا النقشبندية فشرعوا في الارتقاء من الأدنى الصوري إلى الأعلى الصوري وما علموا أن حقيقة الأمر بخلاف ذلك وأنت خبير أن الأدنى في الحقيقة هو الأعلى، والأعلى هو الأدنى، لأن النقطة الأخيرة التي هي عالم الخلق أقرب إلى النقطة الأولى التي هي أصل الأصول وسلم العروج والوصول، ولم يتيسر هذا القرب لنقطة أخرى غير تلك النقطة وذلك لعدم وقوع العناية في أمر تزكية الظاهر وتطهير الباطن.

فلا بد للسالك الصادق عند أولئك الأبرار من تزكية ظاهره أولاً وتطهير باطنه ثانياً لأن ذلك من أوجب الواجبات ووجوبه ثابت بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية =

«كُنْ» من غير مادة وركّبها مع لطائف عالم الخلق الذي خلقه الله تعالى من مادة «هي النفس الناطقة» والعناصر الأربعة.

ثم إلى هذه النفس وهي في الدماغ والعناصر الأربعة تندرج فيها، وكل من هذه المحال محل ذكر على الترتيب، وكذلك الرسوخ لما بعد القلب من اللطائف على الترتيب المذكور. فإذا ارتسخ الذكر في لطيفة النفس حصل سلطان الذكر، وهو أن يعم الذكر على جميع بدن الإنسان بل على جميع الآفاق.

وأما الذكر الثاني المسمى بالنفي والإثبات بكلمة لا إلٰه إلاَّ الله الملقن للمريد بعد اللطائف. **فكيفية آدابه** أن يلصق اللسان كالأول ويحبس النفس تحت السرة ويتخيل منها «لا» لا إلى منتهى البلوغ، ومنه «إلٰه» إلى كتفه الأيمن، ومنه «إلاَّ الله» إلى القلب الصنوبري الشكل وهو المضغة التي في الجانب الأيسر تحت أصغر عظم من عظام الجنب، ضارباً عليه منفذاً إلى قعره بقوة يتأثر بحرارته جميع البدن، وينفى بشق النفي وجود جميع المحدثات وينظرها بنظر الفناء، ويثبت بشق الإثبات ذات الحق سبحانه وتعالى ناظراً إليه بنظر البقاء فيحيط على مجال اللطائف ويلاحظ الخط الحاصل من الانتقالات ومعناها ـ أي الكلمة الطيبة ـ من نفي المعبودية لأن كل معبود مقصود ولا عكس. ويقول في آخِرِهَا بالقلب: «محمد رسول الله» ويريد به التقيد بالاتباع ويكررها على قدر قوة

= فيمكن تزكيتهما بالتمسك بالكتاب العزيز وسنّة الرسول ﷺ بكمال الالتزام لكن قد تكون ظاهرية ونسبية، فأما حقيقة التزكية والتخلية وكذا التحلية لا تكون إلاَّ بالسير والسلوك في فيافي العلم الحقيقي والغوص في قاموس العلم الباطني المعبر عنه بعلم المكاشفة بمضمون «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم». فالعلم الظاهري والعلم الباطني هما بمنزلة البدن والروح والعلم الظاهري من غير العلم الباطني بمنزلة البدن بلا روح والعكس بالعكس، فإنهما جناحان للطيران فلا بد من تحقق الجناحين لحصول الطيران فاللازم على السالك في هذه الطريقة الأنيقة أولاً أن يطلب مرشداً كاملاً قوي التوجه ليسلك على يديه ويهتدي بتربيته الصحيحة حتى يحصل له ببركة توجهاته ثمرة الأذكار الخفية في كل مقام من تلك اللطائف الخمسة الأمرية بحيث لا يبقى جزء من أجزاء السالك خالياً عن الذكر والنسبة الدائمة والحضور الذاتي وقد بسطنا الكلام بأوفى من هذا في كتابنا بلوغ الأماني لإخوان الصفا في القطر اليماني فراجعه إن شئت، والله الهادي وعليه في كل الأمور اعتمادي. **أسعد صاحب**.

النفس، ويطلقه من الفم على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي، ويقول بقلبه أيضاً قبل إطلاق كل نفس: «اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي»، فإذا استراح يشرع في نفس آخر لكن يراعي ما بين النفسين بأن لا يغفل فيه بل يبقى التخيل على حاله لئلا يختل الاستمرار.

فإذا انتهى العدد إلى أحد وعشرين تظهر النتيجة وهي النسبة المعهودة من الذهول والاستهلاك. وإن لم تظهر فمما وقع من الإخلال في الآداب فليستأنف، وليطابق الفعل القول مضمون الذكر عملاً واعتقاداً واتباعاً فإن المقصودية به فيما سواه إذا كانت باقية أو خلاف الاتباع في شيء كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب فليس بصادق. ولا حصر في العدد ـ فمن يستعد لتقدم الجذبة فله «الذكر الأول»، ومن يستعد لتقدم السلوك فله «الذكر الثاني» وكلاهما بالقلب. فإذا جاهد فيه حق الجهاد وانتفى المنفي وثبت المثبت وظهرت النتيجة تصح له المراقبة حينئذ.

وأما[1] الآداب خارج الذكر فدوام الوضوء وصلاة سنّة الوضوء والإشراق

---

(1) نبّه حضرة مولانا العم قدّس سرّه إلى أن الآداب الشرعية على الإطلاق ينبغي للمريد مراعاتها والمحافظة على الإتيان بها على الوجه الأكمل ليحظى بالمدد الإلٰهي والفيض الرباني وتشرق أنوار المعرفة والهداية على قلبه وذلك بالتزام ما ذكره من الآداب كالمواظبة على الوضوء وصلاة سننه وغير ذلك مما ندب إليه الشارع وجاءت الأحاديث بالترغيب في فعله نيلاً للثواب ورفعة الدرجات عند الله تعالى ولا يعوق المريد عن القيام بالآداب المأمور بها اشتغاله بالكسب والسعي فإنه عبادة أيضاً، فإذا وفق الإتيان بذلك يكون محصلاً على الفضيلتين. قال الشيخ الأكبر في شرح اليوسفية: إذا رأينا من يدعي في هذه الأمة مقام الدعاء إلى الله على بصيرة ويخلّ بأدب من آداب الشريعة ولو ظهر على يديه من خرق العوائد ما يبهر العقول، ويقول: إن هذا أدب يخصه لا يلتفت إليه وليس بشيخ فإنه لا يؤمن على أسرار الله تعالى إلاَّ من يحفظ عليه آداب الشريعة ولكن شرطه أن يبقى عليه عقل التكليف اهـ.

وبالجملة فإن الله تعالى لا يؤمن على أسراره وأنواره إلاَّ من آمنه أولاً على الأخلاق المرضية والآداب المحمدية وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال لمنتهك الحرمة والتارك للآداب بل الحكمة تقضي عقابه لا ثوابه والعفو عنه لا المدح له، ولمناسبة ما نحن في صدده روي أن أبا يزيد البسطامي قدّس سرّه قال لبعض أصحابه: قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي شهر نفسه بالولاية وكان رجلاً مشهوراً بالزهد فمضينا إليه =

والاستخارة والضحى والأوابين والتهجد وملازمة الجماعة والرواتب وإحياء ما بين العشائين بالذكر. فإن ضم ذلك إلى ما بعد العصر واشتغل بالذكر والرابطة كان أتم وأكمل والعمل في ذلك كله مهم وعليه ـ أي المريد السالك ـ باتباع الكتاب والسنة وإماتة البدعة. والمكتسب الغير المجرد لا ينقص ورده عن خمسة آلاف في اليوم والليلة وما زاد فهو أتمّ. والمجرد يطلب منه الإكثار على ذلك العدد واستغراق أوقاته في الاشتغال بها مهما أمكن. والاعتزال عن غير المعتقدين بالطريقة مهما حصل يكون أحسن إذ مخالطة المنكرين على أهل الباطن تورث قسوة في القلب على قدرها.

وأما الآداب في حل المأكول أن لا يكون منفوساً ولا معمولاً بيد تارك الصلاة ومنكر على الطريقة ولا بيد جنب، بل بيد مصلٍّ متطهِّر على وضوء. وأكثر هذه الآداب المتعلقة بالمأكول أحسنية وكذا سائر العبادات والعادات يراعي المريد فيهما الشريعة كل على مذهب من المذاهب الأربعة حسبما استطاع مع اتِّباع السنَّة ملاحظاً نفسه بعين الانكسار والتضرُّع والإنابة مطلقاً. ورابطاً قلبه بقلب شيخه أينما كان متأدباً معه في الحضور والغيبة والله الموفق وهو ولّي التوفيق وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصَّافات: الآيات 180 - 182].

= فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببزاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدّعيه من الولاية. ثم قال: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى تربع في الهوى فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة.

ثم أنه قدّس سرّه نبّه المريد إلى آداب من السنَّة يتأكد استعمالها في حالة تناول الطعام ليكون في سائر حركاته وسكناته متبعاً للسنَّة المطهرة عاملاً بمقتضى الشريعة المحمدية حتى عند استعماله للأمور المباحة لما تقرر أن العادات تنقلب عبادات بصدقِ القصد وخلوص النية جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ولا يجعلنا من القوم الذين استولت عليهم الغفلة فقذفت بهم في مهامة الخيبة والخسران والعياذ بالله تعالى من المقت والحرمان وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. **أسعد صاحب.**

[الرقعة الثالثة والثلاثون]

كتبها حققنا الله تعالى بحقيقته وثبتنا على جادة طريقته في تبيان المراقبات وما يتولّد منها من الحقائق القدسية على المشرب المجددي[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. اعلم أنه بعد مراقبة المعية

---

(1) المراقبة من قسم المعاملات، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزَاب: الآية 52]، وقال: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ [الدّخَان: الآية 10]، وقال بعض الأكابر: من لم يحكم بينه وبين التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة. وقال بعضهم: المراقبة هي الاستدامة على العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله. وقال بعضهم: من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه. وقال الشيخ المرتعش: المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة. وقال شيخ الإسلام الخواجة عبد الله الهروي الأنصاري: المراقبة دوام ملاحظة المقصود. وقيل: هي إطراق السريرة والحياء من ارتكاب الجريرة. وقيل: هي محافظة الأوقات بملاحظة الصفات. وقيل: هي محاماة السرائر بمراعاة الخواطر. وهي على درجات **الأولى**: مراقبة الحق تعالى في السير إليه على الدوام وهي مراقبة المريدين والسائرين إلى الله تعالى. **والثانية**: مراقبة نظر الحق إليك بالإعراض عن الاعتراض وهي فوق المراقبة الأولى فإن الأولى دوام حضور القلب مع الحق وهذه شهود نظر الحق إليك وهو أن تشهد أنه تعالى رقيب عليك ومشاهد إياك فلا تعارض فعله بفعلك ولا إرادته بإرادتك فيفنى فعلك وإرادتك في فعله وإرادته. وهذه المراقبة الشهودية التي بمعنى التهييء للفناء لا تتيسر إلاّ بنور من التجلي. **والثالثة**: مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالاً لعلم التوحيد ـ أي شهود معنى الأزل ـ ومطالعة سابقة الحق للكل ـ أي القدم الذاتي ـ الذي هو أزلية الأزل ليستقبل بهذا الشهود علم التوحيد الذاتي فيعلم تقدم الحق بالذات على الكل تقدماً يتأخر عنه الزمان وما فوقه فكيف بما تحته، ويرى كل معنى أزلي ظاهراً في وقت معين من أوقات الأبد ويتصل في شهود الأزل بالأبد ويرى عينه معنى من تلك المعاني الأزلية التي تجلي الذات الأحدية بها في الأزلية فيفقد عينه في ذلك الشهود لأنه شهود الحق للحق بالحق فيتخلص من ربطة المراقبة أيضاً، فإن مراقبته تقيده، فإذا فني رسمه برسمه في قيده. فإذا علمت ذلك تحققت أنها من الإحسان الذي بنيت طريقة النقشبندية على التحقق بكماله كما قال النبي ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام في الحديث المشهور عن الإحسان أجاب بالمراقبة بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فأنه يراك». =

مراقبة الأقربية ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية 16] في الدائرة الأولى من

= فأشار عليه الصلاة والسلام في ذلك إلى أن من مراقبة الله تعالى واستحضار عظمته وجلاله أحد قسمين: إما أن يغلب عليه مشاهدة الحق وهو القسم الأول، وإما أن يغلب عليه أن الحق مطلع عليه ومشاهد له وهو القسم الثاني. لأن الله مطلع عليه في كلتا الحالتين، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت المشاهد لكل أحد من خلقه في جميع حركاته وسكناته، فكما أنه لا يقدم على تقصير في الحالة الأولى كذلك لا ينبغي له أن يقدم عليه في الحالة الثانية لما علم من استوائهما بالنسبة إلى اطلاع الله تعالى وعلمه بشهوده وعظيم كماله وباهر جلاله.

فالمراقبة أصل لكل خير ووصل لكل منقطع وهي على مراتب ودرجات عند أولئك السادات **الأولى**: مراقبة الحق في السير والسلوك إلى معرفته تعالى على الدوام، وهذه الحالة عندهم يسمونها بمراقبة الأحدية فيشتغلون بها بعد اجتيازهم مقامات اللطائف الخمسة الأمرية وارتفاع توجه القلب واللطائف الأخر الخلقية تقع في سير لطيفة النفس الناطقة التي هي عينه في ذلك الشهود.

ثم تترقى إلى **الثانية** وهي مراقبة الأقربية، بمعنى أن الله تعالى أقرب إليك من نفسك، ودليله قول الملك المجيد: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: الآية 16].

ثم تترقى إلى **الثالثة** وهي مراقبة البصرية بمعنى أنه سبحانه وتعالى ناظر إليك في جميع حركاتك وسكناتك وإلى ما قدره عليك مع ملاحظة قربه لديك، ودليله قول الفاعل المختار: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: الآية 103] ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾.

ثم تترقى إلى **الرابعة**: وهي مراقبة العلمية لتصون قلبك عن كل خطرة رديئة بمعنى أنه تعالى يعلم ما في القلوب في كل آن ولحظة، ودليله قول العزيز الغفور: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 154].

ثم تترقى إلى **الخامسة**: وهي مراقبة الفاعلية بمعنى أن ذاتك وأفعالك فعل من أفعاله تعالى ليحصل لك الرضا بجميع أفعاله في الشدة والرخاء، ودليله قول الكريم الحميد: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود: الآية 107].

ثم تترقى إلى **السادسة**: وهي مراقبة الملكية بمعنى أن ذاتك وما تملك ملك من أملاكه تعالى ولا تعارضه في ملكه فسلم الأمر إليه وتوكل في جميع أحوالك عليه، ودليله قول مجري الفلك قوله تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعَام: الآية 73].

ثم تترقى إلى **السابعة**: وهي: مراقبة الحياتية بمعنى أن الحياة الأبدية انحصرت برب البرية فتفني عن صفاتك في صفاته وذاتك في ذاته ولا تجعل لنفسك وجوداً بل أنت معدوم فدع الأمور للحي القيوم، ودليله قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: الآية 163].

ثم تترقى إلى **الثامنة**: وهي مراقبة المحبوبية بمعنى أن محبته تعالى حصلت لك من التقرب بالنوافل لما جاء في الحديث القدسي: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل =

دوائر الولاية الكبرى، وهن ثلاث دوائر ونصف دائرة، وهو يسمى بالقوس. ثم

= حتى أحبه» إلخ. أي إن التقرُّب بالنوافل كان سبباً لمحبته تعالى للعبد والجزاء من جنس العمل ودليله قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54].

ثم تترقى إلى **التاسعة**: وهي مراقبة التوحيد الشهودي بمعنى أنك أينما اتجهت ترى الله تعالى بعين البصيرة أمامك كما قال سيدنا الصديق رضي الله عنه: ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله. ودليله قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية 115].

فإذا داوم السالك على الاشتغال بهذه المراقبات مع المجاهدة يترقى منها إلى مرتبة المشاهدة فيجب عليه في جميع حالاته مراقبة المعية المذكورة آنفاً التي يبتدىء منها بالسير الأنفسي وهو فوق العرش الذي هو بداية اسم الظاهر ويلقن هذه المراقبة وهو التوجه إلى الذات ـ أعني بأن يطلع على المعنى الحقيقي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحَديد: الآية 4] ـ وينتظر الفيض من واهب المنن، ومورد الفيض هنا أذكار اللطائف الأربعة فقط غير النفس فيتشرف فيه بالفناء في الشيخ أولاً وله فوائد يعرفها من ذاقها ثم بالفناء في الرسول ثانياً الذي هو بالحقيقة ونفس الأمر مرآة الحق من الصورة الكونية ثم الفناء في الله والبقاء به ثالثاً ويتلطف بحقيقة معيته تعالى في الكون بجميع الأشياء من الموجودات لكن ليست كمعية الخلق مع بعضهم ولا بطريق السريان في الموجودات أيضاً ولا بالتداخل في الأشياء، وإنما هو سر رباني بينه تعالى وبين العبد المتشرف بالولاية المعروفة عندهم بالصغرى، ويكون ظهورها للسالك أظهر من الشمس في رابعة النهار. وقد قالوا: إن الدنيا وما فيها والسماوات والعرش والجنة والنار والموجودات بأسرها تكون في بصيرة هذا السالك كذرة في شعاع الشمس إلاّ أنه يخاف عليه في هذا المقام من أن ينكر شيخه المربي، ويرى نفسه أكمل منه لأنه يرى نفسه أنه هو المالك للملك والتصرفات كلها تحت يده وطوع أمره وإرادته.

والحال أن النفس مزينة بجميع كمالات الأفعال والأسماء الظاهرة وقائمة بالرياسة ودائمة بالأنانية ولا بد له حينئذ من تحكيم دعائم الارتباط الروحاني بمرشده المكمّل له حتى يخلصه من هذه الورطة المخيفة وذلك لأنه ما زال مقيداً في برزخ النفس ومحبوساً في قفص تهليل الذكر اللساني، وهذا المقام سبب قوي للترقي إلى المكالمة بملاحظة تقدير لا موجود إلاّ الله في ذكره وتهليله فحينئذ يظهر له التوحيد الشهودي، وإذا وافقته العناية الإلٰهية بالجذبة والسلوك وفنيت النفس وفقدت الأنانية وحصل له الاطمئنان بحيث لا تبقي ولا تذر في المراتب الثلاث باعتبار المظاهر الثلاث ويلحوق النقطة التي هي أصل الأسماء الظاهرة في تلك المراتب وحقيقتها وبداية الأسماء الباطنية ـ صافحته حينئذ الولاية الكبرى السابق ذكرها التي هي ولاية الأنبياء العظام عليهم الصلاة السلام بالأصالة ووهبت له الوجود الموهوب الرفرفي من محض الفضل الإلٰهي وبعد الاستهلاك والجمع يحق له أن يشرع في سير كمالات النبوة فإذا انعكس هذا المقام في باطن السالك فيحصل التجلي الذاتي على سبيل الدوام ويعبرون عنه بكمالات النبوة وفي هذا المقام العزيز يكون الترقي للسالك بأداء الفرائض وتلاوة كلام الله القديم =

في الدائرة الثانية والثالثة والقوس مراقبة المحبة ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54]، وفي هذه الولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء يظهر لصاحب الإدراك الصحيح أحوال غير الأحوال الأولى، ثم في العناصر الثلاثة غير عنصر التراب مراقبة مسمى الاسم الباطن، وتسمى هذه الولاية بالولاية العليا ثم مراقبة كمالات النبوّة في عنصر التراب، ثم كمالات الرسالة، ثم كمالات أولي العزم، ثم مراقبة هيئة الوحداني ـ أي الهيئة الحاصلة من اللطائف العشرة **خمسة** من عالم الأمر وهي: القلب والروح والسر والخفي والأخفى.

وخمسة من عالم الخلق وهي: النفس الناطقة والعناصر الأربعة، فإذا كملت الكل تصير كأنها لطيفة واحدة وتصير مورد الفيض. ثم مراقبة الخلة الإبراهيمية ـ يعني مراقبة الذات الأقدس ـ باعتبار كونها مبدأ للخلة الإبراهيمية أو الحقيقة الإبراهيمية، ثم دائرة المحبة الذاتية وهو المقام الموسوي ومراقبة الذات باعتبار كونها منشأ للحقيقة الموسوية أو المحبة الذاتية. ثم دائرة المحبية الذاتية الممزوجة بالمحبوبية الذاتية ومراقبة الذات باعتبار كونها منشأ للحقيقة المحمدية، ثم دائرة المحبوبية الصرفة ومراقبة الذات باعتبار كونها منشأ للحقيقة الأحمدية، ثم دائرة الحب الذاتي الصرف ومراقبة الذات باعتبار كونها منشأ للحب الذاتي الصرف، ثم مرتبة اللاتعيين وإطلاق حضرة الذات، ثم حقيقة الكعبة الحسناء وهي عبارة عن ظهور عظمة الله تعالى وكبريائه، وها هنا مراقبة الذات باعتبار مسجوديته لجميع الممكنات، ثم حقيقة القرآن وهي عبارة عن مبدأ الوسعة باعتبار لا مثلية الذات العلية وملاحظة أنها منشأ الحقيقة القرآنية، ثم حقيقة

= واتباع المبعوث رحمة للعالمين. وبمراقبة الذات البحت المعرى عن قيد الصفات والمعاملة هنا تكون بعنصر التراب، وفيها تختفي الأكوان والألوان ولا تبقى الكيفية ولا المثلية فيقع في الحيرة ويصير مظهراً لقوله ﷺ: «ربي زدني فيك تحيُّراً»، ولا يبقى للنفس مدخلاً في هذا المقام. ويتبدل فيه الاستدلال بالبديهي وينقلب الظني باليقيني فيكشف فيه عن معاني أسرار حروف مقطعات سور القرآن، ومن ثم يظهر له معاني أسرار تلك الحقائق المقدسة التي أشار إليها حضرة مولانا العم قدّس سرّه ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجُمُعَة: الآية 4]. **لمؤلفه: أسعد صاحب**.

[الرقعة الخامسة والثلاثون]

كتبها قدّس سرّه إجازة إلى الفاضل الشيخ حسن أفندي الشهير بالخطاط القوزاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يرتضيه لجنابه والصلاة والسلام على أجّل مَن اصطفاه لوحيه وخطابه، خليفة الله في خليقته سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فقد أجزت الأخ في الله والمحب لوجه الله الشيخ حسن أحسن الله حاله ومآله وأسبغ على المؤمنين فيضه ونواله بتلقين الذكر والتوجه للطالبين والإرشاد في الطريقة العلية النقشبندية بعدما جربت تأثير نظره للطلاب وحسن اقتداره على إلقاء الأنوار ورفع الحجاب، وما أجزت له إلاّ بعد الاستجازة من سادات السلسلة العلية والاستخارة الشرعية النبوية فليغتنم صحبته كل من يريد التشبث بطريقة الأولياء واضمن لكل من يلازم أمره وخدمته أن ينال ما لا يحيط به عقل العقلاء ويقصر عنه علم العلماء.

وأوصيه بالتمسك بالكتاب والسنَّة والأمر بتصحيح العقائد بمقتضى آراء أهل السنَّة الذين هم الفرقة الناجية على ما أطبق عليه أئمة الكشف والوجدان وأوصيه بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء وبسلامة الصدر وبسماحة النفس وبسخاوة اليد وبشاشة الوجه وبذل الندى وكفّ الأذى والصفح عن عثرات الإخوان والنصيحة للأصاغر والأكابر وترك الخصومات وترك الطمع وبالاعتماد في قضاء الحوائج على الله جلّ جلاله فإنه لا يضيع من عول عليه، وأن لا يرجو النجاة إلاّ في الصدق، ولا الوصول إلى الله إلاّ في اتِّباع سيِّدنا محمد رسول الله ﷺ سيد الخلق، وأن لا يظن أنه أفضل من أحد بل لا يرى لنفسه وجوداً وكل من يتطاول عليه بالنميمة والحسد يفوِّض أمره إلى الله ولا يتكلّف في دفع شرّه بالهمة، فإن في مشايخ هذه الطريقة رجالاً تتدكدك من هممهم الجبال فإن شاؤوا قلعوا مادة فساده بقدرة الله تعالى في أسرع ما يكون. وصلى الله على

سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه عدد خلقه ورضا نفسه وزينة عرشه ومداد كلماته وسلم تسليماً كذلك والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة السادسة والثلاثون]

كتبها قدّس سرّه إجازة إلى خليفته العالم الفاضل الشيخ أحمد أفندي الأغريبوري خليفة أزمير رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الاعتراف بالعجز عن أداء حمد كلّت عن إحصائه ألسنة فحول البلغاء، وحارت فيه فهوم الأنبياء والأولياء حتى أقرّ كُمّل أفرادهم بعدم إحصاء الثناء والصلاة والسلام على خاتم الرسل وسلطان الأنبياء وآله وصحبه ونجوم الاهتداء وشموس الاقتداء.

أما بعد: فيقول العبد الذليل الأقل من كل قليل خالد: إني قد أجزت الأخ الجليل والمشفق النبيل مولانا الحاج أحمد أفندي بالتوجه وتلقين الذكر وتلبية الطلاب في الطريقة النقشبندية قدّس الله أسرار مواليها ووفّق على اتّباع السنَّة أهاليها، فهو مأذون بذلك ما لم يخالف أصول الطريقة التي لحمتها وسداها الشريعة والنجاة يوم القيامة، ورضي المولى جلّ سلطانه أغلى ذريعة بل التمسك بها عبارة عن التمسك بعزائم الشرع في جميع الأمور على دوام المراقبة ورؤية القصور والإعراض عن الانهماك في الشهوات وعن الكسل في الطاعات والتجافي عن دار الغرور فرده ردي وقبوله قبولي ويده يدي ومدده مددي. وأوصيكم وإياه بنفي الوجود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود والتوكُل التام في جميع المهام على المهيمن الودود وتصحيح الاعتقاد على وفق آراء أهل الحق الفرقة الناجية السنية، والعض بالنواجذ على هدى الأصحاب الكرام واتّباع السنّة السنيّة وترك الخوض في مشاجرتهم وحسن الظن بهم جميعاً رضي الله عنهم ورضوا عنه فإنهم هداة الأمة ونقلة الكتاب والسنَّة، فالقادح فيهم

قادح في دينه وليس ورائه وراء، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

[الرقعة السابعة والثلاثون]

كتبها قدّس سرّه إجازة في الطريقتين العليتين النقشبندية والقادرية إلى أخيه الشقيق وخليفته الوثيق النجم الثاقب والمولى المراقب شيخنا ووالدنا مولانا الشيخ محمود العثماني الشهير بالصاحب قدّس سرّه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تجلّى للطائف أحبابه الخمسة الأمرية بأفعاله وأسمائه وصفاته السلبية والثبوتية حتى تجلّى لهم بالذات البحت الأحدية المنزّهة المقدّسة عن الكيفية والكميَّة وزكى لطائفهم الخلقية من الصفات الذميمة المهلكة ومن الكدورات البشرية، وجذب روحانية أصفيائه بنار العشق وأنوار تجلّياته إلى مشاهدة جمال وحدة شهوده المطلقة حتى أراهم الكثرة في الوحدة والوحدة في الكثرة بعين البصيرة ووصفهم بكلامه القديم الأزلي: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: الآيتان 63 - 64]، والصلاة والسلام على نور قطرة بحر المجاز وقنطرة محيط الحقيقة سيدنا ومولانا محمد القائل: «من أخلص لله في العبادة أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وعلى آله وصحبه أخيار البرية وهداة الخلق إلى الحق ومعرفة شمس الأحدية ومعية الأقربية.

أما بعد: فإن أعظم العلوم وأشرفها عند الله تعالى العلم الباطن الذي يتطهر به الإنسان عن الصفات الذميمة المهلكة ويتخلّق بقدر استعداده بالأخلاق الحميدة المنجية، ويموت قبل الموت بأربع موتات، ويحصّل ثمرة محبوبية الحقيقة المحمدية المحفوفة بأوراق المعرفة النابتة المخضرة من أغصان الطريقة

الناشئة من شجرة الشريعة كما تحقق أن شرف العلوم بشرف المعلومات.

فليكن معلوماً لدى الناظرين إلى هذه الإجازة الحقة بأن أخي الشقيق وعضدي الوثيق العالم الماجد الفاضل والعابد المجاهد الكامل المولى المراقب ولد قلبي وقرة عيني الشيخ محمود صاحب أخذ الله بيده وأمده بمدده قد سلك على يدي في الطريقة العلية النقشبندية المجددية والعروة الوثقى القادرية قدّس الله تعالى أسرارها السنيَّة حتى تصفّت لطائفه الخمسة الأمرية بذكر الله، وتنوّرت بأنوار تجليات أفعاله وأسمائه وصفاته السلبية والثبوتية وبتجليات ذاته البحت المقدسة عن الكيفية والكمية، وحصل له الفناء والبقاء الأتمين في كل قسم منهما على وجه الحقيقة، وحصل له العلم الباطن بعلومه اللدنية وتزكّت لطائفه الخلقية العنصرية والنفسية من الأمراض والكدورات البشرية، وعرف منازل مقامات الطريقة، فأجزت له إجازة عامة مطلقة في تلقين الأذكار للمريدين وتسليك المسترشدين والتوجه للطالبين وقراءة ختمات الطريقة بأنواعها وتلاوة القرآن الكريم ودلائل الخيرات والأوراد لا سيما أورادي الموسومة بجالية الأكدار والسيف البتار في الصلاة على النبي المختار، فهو مأذون بذلك ما لم يخالف أصول الطريقة التي لحمتها وسداها الشريعة والنجاة يوم القيامة ورضا المولى جلّ جلاله أحلى ذريعة، بل التمسك بها عبارة عن التمسك بعزائم الأمور مع دوام المراقبة ورؤية القصور والإعراض القلبي عن الانهماك في الشهوات وعن الكسل في الطاعات والتجافي عن دار الغرور، فرده ردي، وقبوله قبولي، ويده يدي، ومدده مددي، فأوصيه بنفي الوجود، وبذل المجهود، والوفاء بالعهود، والقناعة بالموجود، والتوكل التام في جميع المهام على المهيمن الودود، وتصحيح العقيدة على وفق آراء أهل الحق ـ أعني الفرقة الناجية السنية السنية ـ، وأن يعض بالنواجذ على هدي الأصحاب وترك الخوض في مشاجراتهم وحسن الظن بهم فإنهم هداة الأمة، ونقلة الكتاب والسنَّة.

وأجزت له أيضاً أن يجيز من رآه أهلاً للإرشاد بعد تسليكه وتعريفه المنازل والمقامات في أي مكان شاء وأراد، فإن إجازة المشايخ نعمة أبدية، ودولة ملوكها سرمدية، فمن امتثل أمرهم فقد اهتدى ومن خالفهم فقد ضلّ وغوى،

وفّقه الله تعالى وعصمه عن ذلك وجعله إماماً للمتقين ونوراً نافعاً للطالبين. وأسأله أن لا ينسى هذا المسكين المستهام من دعاء التوفيق التام وحسن الختام.

* * *

[الرقعة التاسعة والثلاثون]

في سلسلة رجال الطريقة العلية النقشبندية كتبها قدّس سرّه لأخيه الشقيق النجم الثاقب المنعوت بأشرف المناقب سيدنا ووالدنا مولانا الشيخ محمود الصاحب قدّس سرّه لكي تقرأ قبل التوجه المعروف فيما بينهم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا حي يا قيُّوم، يا بديع السماوات والأرض، يا مالك الملك، يا ذا الجلال والإكرام، إني أسألك اللهم بحرمة الواصل إلى أقصى درجات الولاية ومرشد طريق درج النهاية في البداية قطب الطرائق وغوث الخلائق الخازن للسرّ المعنوي مولانا الشيخ عبد الله العلوي الدهلوي قدّس سرّه وبرفقة المعلى المزكّى المصطفى المطهر شمس الدين حبيب الله جان جان المظهر قدّس سرّه وبهمة المتشرّف بالتجلِّي الذاتي والصفاتي والشؤوني سيد السادات نور محمد البدواني قدّس سرّه، وبصفوةِ المستغرق في لجة بحر حق اليقين سلطان الأولياء الشيخ سيف الدين قدّس سرّه وبلوغه شيخه ووالده أمين سرّك المكتوم العروة الوثقى الشيخ محمد المعصوم قدّس سرّه، وبمكنة شيخه ووالده مظهر العجائب ومنبع الأسرار والمعاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي المعروف بالإمام الرباني مجدِّد الألف الثاني قدّس سرّه، وبنخوة القطب الذي لصهباء الحب الذاتي هو الساقي مؤيد الدين الرضي الشيخ محمد الباقي قدّس سرّه، وبنجدة الولي الكريم السنّي مولانا خواجكي السمرقندي الأمكنكي قدّس سرّه، وبسيرة شيخه ووالده المكرم المجد شيخ المشايخ مولانا درويش محمد قدّس سرّه، وبسكرة شيخه وخاله الشيخ الراكع الساجد شيخ المشايخ مولانا محمد الزاهد قدّس سرّه،

وبقربة مروح الدين ومقوي المشرب النقشبندي المعروف بخواجه أحرار عبيد الله الطاشكندي قدّس سرّه، وبرتبة المورد لتواتر عنايات الباري مولانا يعقوب الجرخي الحصاري قدّس سرّه، وبصولة مفتاح خزائن الأسرار قطب الأقطاب الشيخ محمد البخاري المعروف بعلاء الدين العطار قدّس سرّه، وبدولة إمام الطريقة وغوث الخليقة ذي الفيض الجاري والنور الساري المعروف بشاه نقشبند بهاء الدين السيد محمد الأويسي البخاري قدّس سرّه، وبجولة منبع المعارف والكمال سيد السادات مولانا خواجة أمير كلال قدس سرّه. وبرهبة المقبل عليك ولما سواك الناسي قطب الأولياء الشيخ محمد بابا السماسي قدّس سرّه، وبغيبة الواله في محبة مولاه الغني المعروف بحضرة عزيزان الشيخ علي الرامتني قدّس سرّه، وبرحمة المعرض عن المراد الدنيوي والأخروي شيخ المشايخ مولانا محمود الأنجير الفغنوي قدّس سرّه، وبمنية المتسلق عن الحجاب البشري قطب الأولياء الشيخ عارف الريوكري قدّس سرّه، وبنحلة القطب الرباني والغوث الصمداني مرشد الخلائق مولانا عبد الخالق الغجدواني قدّس سرّه، وبقوة الغوث الصمداني مولانا الشيخ يوسف الهمداني قدّس سرّه، وبغيبة النشوان من رحيق الحب الصمدي قطب الأقطاب أبي علي الفارمدي قدّس سرّه، وبصبوة المحبوب السبحاني غوث الواصلين أبي الحسن الخرقاني قدّس سرّه، وبحيرة المؤيد بالتأييد الإلهامي سلطان العارفين أبي يزيد البسطامي قدّس سرّه، وبحجة إمام الأئمة الذي هو بالحق ناطق الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر رضي الله عنه، وبنسبة الإمام الهمام المؤيد بالتوفيق الإمام قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم، وبغربة الغريب المعدود من آل بيت الرسول الصحابي الجليل سلمان الفارسي المكرّم المقبول رضي الله عنه، وبسبقة أفضل الأئمة على التحقيق خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، وبحظوة منبع الصدق والصفا أفضل الخلائق سيدنا محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

[الرقعة الأربعون]

في سلسلة رجال الطريقة القادرية كتبها قدّس سرّه إلى شقيقه المشار إليه قدّس سرّهما

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا حيّ يا قيُّوم، يا بديع السماوات والأرض، يا مالك الملك، يا ذا الجلال والإكرام، إني أسألك بجاه حبيبك شفيع المذنبين وخاتم النبيين سيدنا محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبقرب ولّيك مظهر العجائب ومصدر الغرائب أسد الله الغالب أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وبحرمة الإمام المجتبى أمير المؤمنين سيدنا الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، وبلوعة الإمام السعيد الشهيد سيدنا الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما، والإمام علي بن الحسين المعروف بزين العابدين رضي الله تعالى عنهما، والإمام محمد بن علي المعروف بالباقر رضي الله تعالى عنهما، والإمام جعفر بن محمد الموصوف بالصادق رضي الله تعالى عنهما، والإمام موسى بن جعفر المنعوت بالكاظم رضي الله تعالى عنهما، والإمام علي بن موسى الملقب بالرضا رضي الله تعالى عنهما، والشيخ معروف الكرخي قدّس سرّه، والشيخ سري السقطي قدّس سرّه، وسيد الطائفة جنيد البغدادي قدّس سرّه، والشيخ أبو بكر الشبلي قدّس سرّه، والشيخ عبد الرحمٰن اليوسي قدّس سرّه، والشيخ أبي الحسن المكاري قدّس سرّه، والشيخ أبي سعيد المخزومي قدّس سرّه، وإمام الطريقة وغوث الخليقة المحبوب السُّبْحَاني الشيخ السيد عبد القادر الجيلاني قدّس سرّه العزيز وولده السيد عبد الرزاق قدّس سرّه، والسيد شرف الدين الفتال قدّس سرّه، والسيد عبد الوهاب قدّس سرّه، والسيد بهاء الدين قدّس سرّه، والسيد عقيل قدّس سرّه، والسيد شمس الدين الصحراوي قدّس سرّه، والسيد كداي رحمان الأول قدّس سرّه، والسيد شمس الدين العارف قدّس سرّه، والسيد كداي رحمان الثاني قدّس سرّه، وشاه فيصل قدّس سرّه،

وشاه كمال الكبتلي قدّس سرّه، وشاه إسكندر الكبتلي قدّس سرّه، وحضرة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي قدّس سرّه، والشيخ المعروف بخازن الرحمة قدّس سرّه، والشيخ عبد الأحد المعروف بدليل الرحمٰن قدّس سرّه، وشيخ الشيوخ محمد العابد قدّس سرّه، وقدوة العارفين وزبدة الواصلين شمس الدين حبيب الله جان جانان المظهر قدّس سرّه، وحضرة الواصل إلى أقصى درجات الولاية ومرشد طريق درج النهاية في البداية قطب الطرائق وغوث الخلائق الخازن للسر المعنوي شيخنا ومولانا وملاذنا الشيخ عبد الله العلو الهندي الدهلوي قدّس سرّه العزيز أن تجعلنا لك وتصرفنا عمن سواك، وأن تكتب العفو والعافية علينا وعلى عبيدك الحجاج والغزاة والمسافرين والمقيمين في برك وبحرك، وأن تعاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، وأن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأن تمدنا بمدد روحانية أوليائك في السراء والضراء والموت والحياة والصحة والمرض والظاهر والباطن.

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً وإنه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم اغفر لي مغفرة تصلح بها شأني في الدارين وارحمني رحمة أسعد بها في النشأتين، وتب عليَّ توبة نصوحاً لا أنكثها أبداً، والزمني سبيل الاستقامة لا أزيغ عنها أبداً.

اللهم انقلني من ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة واغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، ونوّر قلبي وقبري وأعذني من الشرّ كله واجمع لي الخير كله، أستودعك ديني وأمانتي وقلبي وبدني وخواتيم عملي واسبغ ما أسبغت به عليَّ وعلى جميع أحبائي والمسلمين أجمعين، وصلَّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة الحادية والأربعون]

كتبها قدّس سرّه إلى مخلصه الشيخ إبراهيم أفندي إذناً له بقراءة الختم الشريف الخواجكان[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فيقول العبد المسكين الفقير، والذليل المستكين الحقير خالد

---

(1) أوصاه في هذه الإجازة قدّس سرّه أن لا يمكّن أحداً من المتجاسرين على ارتكاب عظائم الآثام من الجلوس في حلقة الختم مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون في عبادتهم وجه الله إذ لا بد لمن يريد الالتحاق بأهل الله قبل كل شيء أن يفارق المعاصي في ظاهره ويلازم جوارحه بمراعات سره حتى تأتيه المواهب من ربه فيقيض له حارساً يحرسه من عنده ويجمعه في سيره ويأخذ بيده خفضاً ورفعاً في جميع أموره على أن التوبة من الذنوب والإنابة إلى ستّار العيوب تبوّئه الجنة بفضل الله تعالى يوم الحشر والمآب.

فإن قيل: إن أمر حضرة مولانا الشيخ الإمام قدّس سرّه في غلق الباب يوجب الارتياب لمخالفته من تقدمه من المشايخ الكاملين فكيف يسوغ له ذلك.

الجواب: إن هذا الأمر الإرشادي لا يستغرَب من مثل هذا القطب الأعظم لوقوع نظائره من أئمة الدين الأثري أن مشايخ المذهب قد خالفوا ما نص عليه المجتهدون في مواضع كثيرة من الأحكام بنوها على ما كان في زمانهم لعلمهم بأنه لو كان في زمنهم لقالوا بما قالوا به أخذاً من قواعد مذاهبهم كما أشار إلى ذلك العلامة ابن عابدين في نشر العُرف.

فإذا كانت الأحكام الشرعية تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان فكيف بك ناشدتك الله إذا كانت تؤدي إلى سخرية الفساق المتجاسرين على عظائم الآثام وارتكاب الكبائر والاستهزاء بذكر الرحمٰن والرجوع بالإثم والعدوان أو إحباط الأعمال. لا سيما إذا رأى المنكر الفاسق ما يرد على الذاكرين واستغراقهم في عبادة معبودهم وما ينهمر عليهم من الأذواق والمواجيد وما يعتريهم غالباً من الصعق والجذب وما يتوارد على أفئدتهم من الواردات الربانية كما وردت بذلك الآيات والأحاديث النبوية والأخبار عن أكابر الصحابة والتابعين كما طفحت الكتب بذكره وملئت به المدونات.

وكان العامل القوي على غلق باب التكايا والزوايا الخالدية في وجه من أراد الدخول على الذاكرين في حلقة ختم الخواجكان هو أن حضرة مولانا خالد قدّس سرّه لما شرف من الهند إلى السليمانية كان هناك رجل متشيخ من زعماء الأكراد يعرف بالشيخ =

النقشبندي المجددي: إني أجزت مخلص الطريقة ومحب أهل الحقيقة إبراهيم

= معروف النودهي ـ وقد تقدم ذكره ـ لما رأى الخلائق تأتي من أقصى البلاد للاسترشاد من بحر أنوار حضرة مولانا الشيخ العم كبر عليه ذلك لأن بضاعته التمويهية كسدت وتضليلاته المزخرفة تعطلت، فقام يعارضه حسداً ويحرّض عليه نفراً من جماعته وعونته بالوشاية عليه وعلى خلفائه إلى الحكام في الموصل وبغداد والسليمانية وغيرها حتى أنه لم يدع باباً من أبواب الأذى والافتراء إلاّ أتاه منه ولا دسيسة من ضروب الخداع والمكر إلاّ ولجها كما جرت سنّة الله في الأولين ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفُرقان: الآية 31].

وكلما كان الكمال والمحبوبية أسدّ، كان الإنكار والحسد أشد لأن المعاصرة توجب المنافرة والاتحاد في الصنعة يغير من كلٍ من المتعاصرين طبعه، وقد ورد أن عدو المرء من يعمل بعمله وذلك لشدة حرص الإنسان على الانفراد وفسحة أمله ولما نفدت الحيل والدسائس من الشيخ معروف المذكور رتّب من عندياته رؤيا منامية مختلقة ولقنها لرجل من أبناء عمه يدعى بالسيد إسماعيل وكان رجلاً فقيراً حديد اللسان وقح الطاوية والجنان وأرسله إلى حضرة مولانا الشيخ العم ليقص عليه الرؤيا بمشهد من خلفائه وأتباعه قصداً في سقوط مكانته من أعينهم.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

فدخل السيد إسماعيل على حضرة شيخنا الإمام قدّس سرّه بينما كان في المسجد جالساً مع الإخوان في حلقة الختم الخواجكان وانخرط معهم ـ وكان الجلوس مباحاً على العادة القديمة ـ فلم يعارضه أحد. ولما فرغ جناب الشيخ منَ الختم وأراد الانصراف صاح السيد إسماعيل قائلاً على ملاء الحاضرين: «يا مولانا إني رأيت رؤيا في هذه الليلة وأريد أن أقصها عليك. فقال له: خيراً رأيت. فقال: رأيتك مقلوع العينين مقطوع الأنف واللسان والأذنين مقطوع الفرج واليدين والرجلين وملقى في سباطة قذرة. فقال قدّس سرّه مجيباً له: خيراً لنا وشراً لأعدائنا. والتفت إلى الجماعة الحاضرين وقال: إخواني من أحبني فليكرم هذا الرجل. ثم التفت وأمر أخاه سيدي الوالد الماجد بأن يدفع له ألف قران ـ من النقود الإيرانية ـ تساوي قيمتها ستة آلاف غرش جائزة له على تلك البشارة. فاندهش السيد إسماعيل من هذه المجاملة في مقابلة تلك المعاملة. فألقى الله سبحانه تعالى حب حضرة مولانا خالد في قلبه واستعبده بإحسانه إليه مع حَيرةٍ لبه وانقلب إنكاره إخلاصاً وحسده اعتقاداً به وإيقاناً، وانكب على يديه وأقدامه، ولما أراد القيام قال له حضرة مولانا: أتحب أن أفسر لك رؤياك وأعلمك تأويلها، فقال: نعم يا سيدي، فأجابه رضي الله عنه قائلاً: «أما قلع عيني ففيه إشارة إلى أني ما نظرت بهما إلى محرم قط. وأما قطع أنفي فلأني ما شممت به محرماً قط. وأما قطع لساني فلأني ما اغتبت به أحداً قط. وأما قطع أذني فلأني ما سمعت بهما غيبة أحد قط. وأما قطع يدي فلأني ما تناولت بهما محرماً قط، وأما قطع فرجي فلأني ما أتيت =

أفندي بقراءة ختم الخواجكان بشروطه المعهودة عند أهله، وأن يدعو عقبه لنصرة سلطان الإسلام وبقاء نسله على ممر الأيام ـ كما كتب في ورقة على حدة ـ وأن

= به فحشاً أبداً والله على ما أقول شهيد. وأما إلقائي على المزبلة القذرة ففيه إشارة وبشارة بالنصرة على المنكرين وغلبة المعاندين بقوة إلٰه العالمين».

فلما سمع السيد إسماعيل منه ذلك انجذب جذبة غاب فيها عن وجوده وكادت أن تطلعه على مقام شهوده، وأخلص اعتقاده بحضرة مولانا العم قدّس سرّه وأخذ منه الطريقة وتشرّف بالانتساب إليه ولحق بأهل الحقيقة ثم أخبره بحقيقة الحال قائلاً: إن تلك الرؤيا ما هي إلاَّ محض افتراء لا أصل لها وإنما ابن عمه الشيخ معروف وعونته الخونة اخترعوها لجنابك واستأجروني لأن أقصّها عليك بمحضر من خلفائك وأتباعك وذلك لأجل تنفيرهم عنك وبُعدهم منك وسقوطك من أعينهم ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التّوبَة: الآية 32]. فعند ذلك أمر قدّس سرّه بغلق الباب درءاً للمفاسد التي تتولد من هذا القبيل، فلا زال ولن يزال ذلك المنع مستمراً إلى يومنا هذا والله يتولى الصالحين.

فانظر يا رعاك الله إلى هذه السياسة الإرشادية وتأمل في تلك الأخلاق المحمدية وكيف تصرف بالمنكر المشاغب المغرور حتى جعله محباً واستخلص من تلك القشور لبّاً واختطف بحكمته الخالدية قلباً عن الحق بعيداً واجتذبه إليه بمغناطيس وراثته المحمدية، وهذه الخاصية لا توجد إلاَّ عند الأكابر من كُمَّل الأولياء العارفين والوارثين المقربين.

قال الغوث الأعظم سيدنا شاه نقشبند محمد بهاء الدين قدّس سرّه: إن مثل أهل الله في اقتناص القلوب البعيدة عن الحق كمثل الصياد الماهر الحكيم الذي يستميل بمهارته الحيوان الوحشي رويداً رويداً إلى أنسه ثم يجذبه إلى مقام الاستئناس والانقياد طوع إرادته ويدخله إدارة معرفته فكذلك أسود هذه الطريقة العلية أيضاً بحسن تدبير معاملتهم وأخلاقهم مع الجامحين من الناس يدخلون أهل العناد والشراسة منهم في الانقياد والتسليم بحسن سلوكهم معهم طريق المتابعة أولاً ثم يزجونهم في مقام النجاة والوصول إلى الله تعالى كما في المقامات البهائية للعارف ابن المبارك.

ثم قال عازياً إلى نوادر الأصول للحكيم الترمذي قدّس سرّه ما حاصله: إن قلب الولي العارف معدن نور الجلال الإلٰهي ومنبت هداية القرب اللامتناهي لأن لوامع أنوار وجهه تشرق من قلبه فإذا أحيا الحق قلب العبد المؤمن الحياة الطيبة بذلك النور لا بد أن يكون انعكاس أنواره على صفحات جبينه لائحة بحيث كل من نظر إلى وجهه المحبوب حصل له ذكر علاّم الغيوب، انتهى.

قلت: وهذه الأوصاف المباركة والمناقب المقدسة تنطبق على حضرة مولانا خالد قدّس سرّه تمام الانطباق لاتصافه بها كما علمت وعلم الناس طراً وأقر له بها من لازمه مدة عمره ويؤيد ذلك ما ذكره العلامة الشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي =

يجتنب أكل الحرام ولغو الكلام وأن يقوم لمناجاة ربه تعالى والناس نيام، وأن لا

= صاحب الحديقة الندية والبهجة الخالدية حيث قال: ومن خوارقه أن من جالسه ولازمه وراعى الأدب معه ظاهراً وباطناً انتفع من لحظه واسترزق من رزقه المكنون في قلبه ولفظه من الأنوار والأسرار ووجد تأثير ذلك في الحال وزهد قلبه في حب الدنيا والجاه والمال وكاد أن يهجر الأهل والعيال وهذه الخاصية لا توجد إلاّ عند الكُمَّل من الرجال، فالحمد لله الذي شرفنا برؤيته وأدخلنا في زمرته. انتهى ملخصاً. وقال العلامة الحيدري: إن بعض النصارى أسلم حينما وقع عليه نظره الشريف وتابعه حتى صار من أهل الحضور، وأمثال ذلك لا يحصى ولا يعد ولا يستقصى.

وإني قد ذكرت في كتابي نور الهداية والعرفان سؤالاً رفع إلى العلامة الجليل السيد محمود شهاب الدين الألوسي مفتي بغداد، فلاشتماله على ما نحن في صدده رأيت نقله إلى هنا من الواجب، وهذا نصه مع الجواب: ما الحكم في طرد شيوخ الوقت من يريد أن يحضر مجلس قرائتهم السور المعبر عنها بختم الخواجكان ولو في المسجد ولو قاصد الصلاة مع قول صاحب التحفة: المسجد وقف للمصلي بالأصالة والقارىء والواعظ بالتبع. وقول صاحب الأنوار: يسن الجلوس في حلقة القراءة والإصغاء إليها، إلى غير ذلك مما يدل على قبح ذلك الطرد.

الجواب: أنه لا شبهة في أن الطرد عن مثل ذلك في كل مكان قبيح وهو في المسجد أقبح وقلّ من يفعله، لكن قبح ذلك إنما يسلم أن لو كان للمطرود رغبة أن يشارك الجماعة في القراءة بدليل أنه لو قرأ نحو ما يقرؤون أو القرآن كله أو أصغى إليهم غير جالس في حلقتهم ولا مطلع على ما يقع منهم لم يمنعوه، بل ذلك الطرد يحتمل أن يكون لكراهة أن يطلع على ما يقع منهم حيث أنهم ترد على بعضهم واردات لا يتحملها فيصعق منها أو يعتريه ما يغيّر هيئته، ويهوّل رؤيته، ويشوّه خلقته، ويُخرج عن انتظام حركته. فربما يفضي ذلك إلى سخرية من حضرهم وليس منهم واستهزائه واستخفافه بهم حتى أنهم لو أمنوا من حضور الأجنبي نحو ذلك لم يمنعوه، ولو دخل عليهم في بيوتهم فضلاً عن كونهم في المسجد، وذلك بأن يكون صالحاً عارفاً أحوال السالكين عاذراً لهم فيما يصدر عنهم عند تلاطم أمواج الواردات عليهم ـ ولا أظن أن في ذلك الطرد لهذا الغرض بأساً، أو في إباحته لهذا المقصد التباساً ـ. ويحتمل أن يكون ذلك لأن الأجنبي قد يكون منكراً منتقداً لا مسلماً معتقداً، فيكون حضوره حسبما جربوه مانعاً من الرقة والفيض وحصول الجمعية لانعكاس حال الجليس على جليسه، وأن البياض قليل الحمل للدنس، ولا تكاد تطيب أنفسهم ببعد ما عن محبوبهم وإن ترتب عليه قرب ما للأجنبي منه ودرء المفاسد أولى من جلب المنافع.

فلا يرد أنه كما يخشى انعكاس حاله عليهم يخشى انعكاس حالهم عليه، وقد حكي أن الجنيد قدّس سرّه ـ وهو مَن تعلم ـ جمع أصحابه في خلوة فاشتغلوا بالذكر والفكر، فلم يحصل لهم ما اعتاده، قال: انظروا هل فيكم أجنبي حرمتم الفيض بسببه؟ فنظروا فقالوا: لا، فقال: انظروا هل تجدون شيئاً من آثاره، فنظروا فوجدوا نعلاً لمنكر، =

يمكّن من الجلوس في حلقة الختم الشريف المتجاسرين على عظائم الآثام ولا سيما شرب الخمر، نعوذ بالله من ذلك، إلاَّ بعد توبة صحيحة، وأن يحضر أحياناً أرواح السادات والملائكة الكرام، وأن يدعو لهذا الفقير اللاشي بتوفيق الطاعة وإخلاص العمل ونشر علوم الدين والحفظ من شر النفس وشياطين الإنس والجن وحسن الختام.

ـ وهذا هو الدعاء ـ: واحفظ اللهم مولانا السلطان الأعظم الهمام، وأيده بجنود الغيب، وأعنه على حماية بيضة الإسلام، وأدم له خلفاً أهلاً من ذريته على ممر الأيام، وانصر عساكره في البر والبحر، وأصلح وزراءَه وأعوانه

= فقال قدّس سرّه: من هنا أوتيتم. فانظروا إذا كان هذا حال نعل المنكر فكيف إذا حضر هو بنفسه. وحاصل الأول: أن الطرد لمصلحة المطرود. وحاصل الثاني: أنه من مصلحة الطارد كمنع قارىءٍ يشوِّش على مصلٍّ مثلاً. وحاصلهما: أنه ليس له رغبة في أن لا يحصل له ثواب قراءة أو استماع، وربما يستأنس في هذا المقام بما روي في الحديث الصحيح المخرج عند الحاكم في مستدركه عن يعلى بن شداد قال: حدثني شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: أنا لعند رسول الله ﷺ إذ قال: هل فيكم غريب ـ يعني أهل الكتاب ـ، قلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب وقال: ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إله إلاَّ الله، فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ ثم قال: اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد. ثم قال: ابشروا فإن الله قد غفر لكم. وكذا بما صح من رواية مسلم أنه ﷺ دخل الكعبة فأغلقها عليه، الحديث.

قال النووي عليه الرحمة: أنه أغلقها عليه ﷺ ليكون أسكن لقلبه وأجمع لخشوعه. ولئلا يجتمع الناس ويدخلوا أو يزدحمون فينالهم ضرر فيشوش عليه الحال بسبب لغطهم. انتهى.

وقد كان معه عليه الصلاة والسلام أسامة وبلال وعثمان بن أبي شيبة فلا تغفل، ثم إن تفسير: هل فيكم غريب في الخبر السابق في أهل الكتاب غير متعين كما لا يخفى على المنصف من ذوي الألباب. فتأمل هذا فإنه نهاية ما عندي في الجواب مما لم أجده لعمرك في كتاب، فإن حصل به الإقناع فذاك وإلاَّ فاستضىء بنور فكرك الوقّاد فلعلك تجد على النار هداك.

ثم اعلم أنه يقال نحو ذلك في طردهم الأجنبي عن جمعيتهم للتوجه المعروف فيما بينهم، ورابطتهم على الطرد هناك أقوى من رابطتهم على المطرود في الختم الخواجكان. وبالجملة: إياك ثم إياك من الإنكار على ذوي العرفان. انتهى بحرف ما.
لمؤلفه: أسعد صاحب.

وسفراءه واجعله وإياهم سبباً لعمران البلاد وراحة العباد، وأحيي به وبهم السنَّة السنيَّة الغراء، وارفع به وبهم منار الشريعة النبوية الزهراء، واخذل أعداءه فعدوه عدو دين الإسلام، ودمِّر المبتدعة من سائر المارقين والخوارج اللئام، واقطع دابرهم وألحق الداب منهم بالدارج، واكتب السلامة والعافية علينا وعلى عبيدك الحجاج والغزاة والمرابطين والمسافرين والمقيمين في برك وبحرك من أمة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة الثانية والأربعون]

كتبها قدّس سرّه إجازة للمرحوم الشيخ محمد بن عبد الله الخاني كما وجدت مطبوعة في كتابه «البهجة السنيّة»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهَّاب والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا وملاذنا محمد الذي أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم المآب.

وبعد: فقد أجزت الأخ في الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الله الخاني بالتوجه والإرشاد وتلقين الذكر في الطريقة العلية النقشبندية قدّس الله أسرار أهاليها السنيَّة، وما أجزته إلاً بعد الاستخارة الشرعية والاستجازة من أرواح سادات السلسلة الزكية، وأوصيه بتقوى الله في السر والإعلان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيثما كان بقدر الإمكان، وأن لا يرى النجاة إلاً بالصدق، ولا السلامة إلاً باتِّباع محمد سيد الخلق صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان في كل وقت وأوان آمين.

حرر سنة إحدى وأربعين ومايتين وألف، والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

[الرقعة الثالثة والأربعون]

كتبها أفاض الله علينا من عميم فيوضاته جواباً إلى مخلصه العلّامة المفضال السيد عبد القادر أفندي الحيدري الكردي الماوراني قاضي البصرة الفيحاء رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أخص بالسلام التام المقرون بمزيد العزّ والإكرام، جناب الحسيب النسيب، والأديب الأريب، المحب في الله والمعتقد لوجه الله، فرع الشجرة المباركة الحيدرية السيد عبد القادر أفندي لا زال مترقّياً في درج خلوص الفقراء ومتربياً في حجر عناية الأولياء.

وبعد: فقد وصلت ألوكتكم الكريمة مخبرة عن صحة ذاتكم السليمة، وحاكية عن اضمحلال الفرقة الوهابية، ومبشّرة عن بعض أخبار وصولها إلى العتبة العلية، مع بعض دواعي الإخلاص، وعلائم الاختصاص، جزاكم الله في الدارين خير الجزاء، وحشركم في زمرة خُلَّص عباده الأصفياء بحرمة خاتم الأنبياء وآله وصحبه الأذكياء، وشكوتم من طول انقطاع أخبارنا وعدم جواب بعض مكاتيب كنتم أرسلتموها مع عريضة الحاج، **أولاً**: ما وصل ذلك المكتوب. **وثانياً**: انتقلنا من مدينة السلام بغداد بإشارة من سادة الطريقة وأساطين الكشف والحقيقة إلى طرف كردستان لمجرد زيارة الوالدة الماجدة، وانتقل معنا كثير من أحبة بغداد منهم أخوكم مريدنا المخلص الملا عبيد الله أفندي، لكن بعدما وصلنا إلى قريتنا وبلغنا أن والي كردستان عازم على أن يبعث في طلبنا قاضي السلمانية مع بعض أشخاص معتبرين معتذراً عما سلف منه ومن ولده في حق الفقراء، ارتحلنا حالاً إلى أرض (أورمان) من مضافات سنة ـ ومن هنا أمرنا الملا عبيد الله أفندي بذهابه إلى (ماوران) لصلة الرحم وزيارة الأقارب والإخوان. وبعد مضي مدة الحر نعود إن شاء الله الرحمٰن إلى مدينة السلام ـ وفي ضمن ما كتبت الاعتذار عن تقصير أخي الملا عبيد الله أفندي في قلة المكاتبة مع جنابكم والعذر عند كرام الناس مقبول.

هذا وقد تعتري أحياناً بعض الأحوال الباطنية تمنع الفقراء عن الآداب الرسمية وتشغلهم عن جميع الأمور الدنيوية، فإن اتفق على الندوة عدم الجواب والتعويق في الخطاب ليس لعدم الالتفات إلى جنابكم أو قلة الاحتفال بحسن خطابكم والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

[الرقعة الرابعة والأربعون]

كتبها أمدنا الله بإمداداته القدسية إلى الشيخ عبد الله الفردي خليفة القدس الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والسلام على عباده الذين اصطفى، من العبد الفقير خالد العثماني الجافي الكردي، إلى حبيبه الشيخ عبد الله الفردي سلام يعطر القدس بابتسامه الوردي.

أما بعد: فقد تكرر منكم تذكار هذا العبد المسكين للاستشارة لأفراد بعض المريدين عن الحلقة العامة وتخصيصهم بصحبة خاصة، وتوجه على حدة ـ كل ما فيه صلاح أحد من المسلمين فلا بأس به لكن الملتمسين لهذا الأمر لو رضوا بالجلوس مع إخوانهم الفقراء لكان أقرب لهم إلى التواضع، وأبعد لهم من المراء، وأكثر لهم فيضاً، وأوفق لاتباع السنة السنية الغراء، وأحسن لإصلاح قلوبهم وأقمع لطور الجاهلية الجهلاء.

وما كتبتم في صدد خادمنا الملا أحمد الخطيب وعدم قيده فهو معذور فيه مع علمي بكثرة مكره وكيده، كما تطلع عليه من مكتوبه الذي بالغ في إعراب أسلوبه.

وأوصيك ببذل المجهود، والرضا بالموجود، والوفاء بالمعهود، ودوام الإقبال على المهيمن المعبود تعالى ولا تغفل عن الشكر على نعمة الإسلام

وتيسير السكنى في ذلك المقام، وعن الدعاء لسلطان الإسلام، ولهذا اللاشيء المستهام التوفيق التام وحسن الختام.

* * *

[الرقعة الخامسة والأربعون]

كتبها رضي الله عنه إخطاراً وإنذاراً إلى خليفته الجليل الشيخ إسماعيل الشرواني(1) قدّس سرّه

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الذليل الأقل من كل قليل إلى خادم بابه وقدوة أحبابه الشيخ إسماعيل عصمه الله عما وصمه وصانه عما شانه آمين.

---

(1) يجمل بنا هنا أن نطلق عنان اليراع في مجال التعبير عن ترجمة حياة هذا العالم المفضال المرسل إليه هذا الكتاب من قبل حضرة القطب الأعظم مولانا العم الأفخم قدّس سرّه، وإني قد ترجمته قبلاً في تعليقاتي الواقعة على كتاب الحديقة الندية والبهجة الخالدية المطبوعة على هامش كتاب أصفى الموارد من سلسلة أحوال مولانا الإمام خالد. فأحببت أن أذكر هنا تتميماً للفائدة فأقول: هو قدوة العلماء الأعلام، ومرجع الخاص والعام، الجامع بين الشريعة والحقيقة، السيد السند الشيخ إسماعيل الشرواني الخالدي الداغستاني نور الله مرقده آمين.

لازم صحبة حضرة قطب الأولياء، مولانا خالد برهان الأصفياء قدّس سرّه في بغداد والسلمانية، وحضر جلّ دروسه العقلية والنقلية، وأخذ عنه الطريقة، وسلك على يديه حتى بلغ منازل أهل الحقيقة، وكان رحمه الله تعالى لا يفارقه سفراً ولا حضراً بل كان في خدمة جنابه حيثما حلّ وارتحل. ثم لما آنس منه الاستعداد، خلّفه وأذن له بالإرشاد، وأمره أمراً مؤكداً أن يتوجه إلى بلدته ومسقط رأسه شروان ـ حاضرة البلاد القفقاسية ـ فرحل إليها، فلما حطّ رحاله فيها وأشهر إجازته بين أهاليها أقبلت عليه الناس من كل صوب وحدب، فأرشدهم إلى معرفة الله تعالى علماً وعملاً، وسقاهم من رحيق كوثر معارفه زلالاً ونهلاً، ودلّهم على الطريق الموصل إلى سعادة الدارين، وأحسن تربيتهم في الحصول على هاتين النشأتين، فذاع بين الناس صيته واشتهر أمره، وقد خلف كثيراً من العلماء وأرسلهم إلى أقاصي بلاد الروس من القازان والتتر حتى منتهى سيبيريا. فأحيوا بتوجهاتهم وإرشادهم أموات القلوب والنفوس، كما هو مشهور ولا عطر بعد عروس، ومن أجّلهم علماً وعرفاناً، وأكملهم رسوخاً وإيقاناً، الإمامان =

أما بعد: فقد قال كثير من نجوم الاهتداء ومصابيح الاقتداء بأن الكفران هو نسيان المنعم بسبب الاشتغال بنعمته.

= الجليلان الغازيان في سبيل الله لإعلاء كلمته العليا، وإعزاز دينه الأسنى مولانا الشيخ شامل الداغستاني الشاشاني الشهير، ومولانا الشيخ فوزي ملا اللذان حاربا دولة المسكوف مع مريديهما ستاً وثلاثين سنة متوالية بكمال الجد والاجتهاد بلا انقطاع ولا انفصال، جزاهما الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وحشرنا وإياهما تحت لواء إمام الأنبياء يوم اللقاء.

وقد ترجم للشيخ إسماعيل المشار إليه ترجمة مطولة وأطنب فيها العلامة الفاضل الملا حامد البياراني الشهرزوري في كتابه الفارسي الموسوم بـ«رياض المشتاقين في مناقب مولانا خالد ضياء الدين».

توفي هذا المولى في غضون سنة مائتين وسبعين هجرية تقريباً في مدينة أماسية ودفن فيها وقبره يزار وعليه قبة في مسجد تكيته التي أنشئت على نفقة نجله الفاضل الشهير المرحوم محمد رشدي باشا الشرواني الذي أسند إليه مقام الصدارة العظمى عقب ولاية سورية بعد حادثة الشام.

وكان الباعث على تحرير هذا الكتاب إليه هو أنه لما بلغ حضرة ضياء الخافقين، مولانا خالد نور المشرقين، أنه كان يأمر بعض أتباعه أن يرابطوا به ظاناً بنفسه أنه بلغ مرتبة الكمال ودرج إلى معارج صناديد الرجال، اقتضى أن يزجره ويوقفه عند حده خوفاً عليه من الزيغ منبِّهاً له أن كل إنسان له مقام معلوم لا يتعداه، ومرتبة محدودة لا يتجاوزها، فرجع في الحال عن تهوره، وآب من بعد أن تبين له خطأه إلى رشده.

وقد وقفت له بعد ذلك على كتاب كان أرسله من بلاده إلى سيدنا الشيخ الوالد قدّس سرّه مؤداه: أنه لا زال مستمسكاً بعروة الحضرة الضيائية الوثقى ولن يزال مرتبطاً تحت حيطة إرشاده، ولم يخرج عن دائرة تربيته على مقتضى منهج قواعد الطريقة الخالدية عملاً بما اتفق عليه محققوها من أن كل خليفة لم يبلغ درجة الكمال فهو لم يخرج عن كونه مقيداً بحيطة مرشده الكامل ومربيه المكمّل ما دام حياً، فإن من لم يستند عندهم في إرشاده إلى شيخ كامل متصرِّف يرقِّيه ويدلِّله ويذلله ويرشده ويأخذ بيده لسلوكه، ويسير به مقاماً بعد مقام، حتى يبلغه منازل التسليم والسلام، وإلاَّ فبعيد أن يصل بنفسه الأمّارة إلى مدارج السيادة والإمارة.

إذ المرشد الكامل المحمدي والوارث الجامع المجددي الذي حباه الله بالوراثة المحمدية شمس مشرقة وللأغيار محرقة، معلوم في السماء والأرض، جامع بين قرب النوافل وقرب الفرض، يأمر بالطاعة أتباعه ويسقيهم بالعمل ليحسن اتِّباعه.

وقد نبَّه على ذلك سيدنا الإمام الرباني والنور الساطع على أشرفية النوع الإنساني في الألف الثاني، في مكتوباته بقوله: «إن كل فتح وفيض يصل إلى المريد السالك ينبغي أن يعلم أنه أتى من بركة شيخه، حتى لو رأى في المنام أنه وصل إليه فيض من كائن =

وصرّح محققو طريقتنا بأن رابطة من لم يفن عن وجوده لا يورث الفناء

= من كان فليعلم كذلك أنه أتى من شيخه المربي، وذلك أنه لما كان شيخه المرشد جامعاً للكمالات والفيوضات كان ما وصل إليه من الفيض وما ظهر له من صورة الإفاضة من شيخ آخر إنما أتاه لابتلاءه ومحنته ليس إلاً، لأن لطيفة من لطائف الشيخ الكامل المكمّل التي تناسب ذلك الفيض ظهرت له امتحاناً واختباراً، فتخيل هذا المسكين تلك اللطيفة شيخاً آخر ظناً أن الفيض أتى منه، وهي مغلطة عظيمة ينبغي الاحتراز عن الوقوع في ورطتها، نسأل الله السلامة من زلة القدم والاستقامة على حسن الاعتقاد في الشيخ المرشد ومحبته كما في زبدة الرسائل الفاروقية وعمدة المسائل الصوفية للعارف الشيخ يونس الكردي الإيراني».

ثم قال: وكذلك يجب على المريد السالك مراعاة الأدب مع شيخه في كل حال وأن لا يكتم عنه شيئاً من أحوال نفسه وكشوفاته.

وقد أخبرني بعض العارفين قال: لما منَّ الله عليَّ بالترقي عن الشهود في مظهر التقييد الذي هو من جملة مظهر الشيخ قلت لشيخي: يا سيدي الذي أشاهده من جنابكم أشاهده من كل شجر وحجر والذي أستفيده منكم استفيده من كل مجلى ومظهر.

تأمل قول العارف الأكبر سيدي محيي الدين ابن عربي قدّس سرّه الأطهر، حين عدّد مشايخه حيث قال: ومن جملة مشايخي ميزاب في مدينة فاس، فإني استفدت منه مسألة كذا، ومن جملة مشايخي أيضاً هرة فإنّي استفدت منها مسألة كذا، إلى آخر ما قال.

أقول: وأنا الفقير من جملة مشايخي الذين استفدت منهم (صنوبر الرقاص) فإني أخذت منه فوائد متعددة منها أن معرفة الله تعالى لا تحصل من الكتب ولا من الأفواه، وإنما طريقها الكشف لا غير.

وذلك أنه دخل رقاص الشام، وكان يدعى صنوبر، فافتتن به الخاص والعام، وصار هذا يذكره على قدر فهمه، وذاك يصفه على حسب علمه. فتاقت نفسي إلى رؤياه واشتاقت إلى مشاهدة محياه، ولما انتقش من وصف كل واحد منهم صورة في خيالي تخيلت أنها هي صنوبر، وحين شاهدت ذاك الجمال، زهقت تلك الصور كلها من الخيال، ولم يكن صنوبر واحداً منها، ولا قريباً إليها، بل كان أمراً آخر وراء تلك الصور كلها.

فتحققت أنه لو اجتمع العالم على أن يعبِّروا عنه كما هو في نفس الأمر، وصورته من تعبيرهم في خيالي قبل الرؤية كما هو بحيث تطابق تلك الصورة الخيالية الصورة الخارجية لما أمكن ذلك لعجزهم عن التعبير، وعدم قدرتي على التصوير، بل عجز كل في أمره ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: الآية 91] فظهر أن ما حصل لي من معرفة الله قبل الكشف من الكتب والأفواه، ليس بمعرفة بل إنما معرفة الله تعالى أمر آخر وراء ذلك كله لا طريق إليها إلاَّ بالكشف كما أنه لم تكن تلك الصور المنتقشة في الخيال قبل رؤية صنوبر هي صنوبر، بل كان صنوبر أمراً آخر وراء تلك الصور كلها فكل =

للسالك بل قد تورطه المهالك. وأنتم ما كان المأمول منكم أن تقطعوا عنا السلام والكلام، بل كمال المروءة والوفاء كان مقتضياً أن تواجهونا أحياناً بأنفسكم، وإلاَّ فتراجعونا في النقير والقطمير، وتذكرونا دائماً بالتحرير مع السفير، ومن خدامنا من هو أبعد مشقة منكم وأقدم صحبة وأكثر خدمة لا يتحرك بدون إشارتنا، ولا تقس هذه الطريقة بخزعبلات متمشيخي العصر، وترهات أرباب الخداع والمكر، فالشيخ المحقق واسطة بين المريد وربه والإعراض عنه إعراض عنه فلا تعلموا رابطة صورتكم لأحد ولو ظهرت له فإنه من تلبيس إبليس، ولا تستخلفوا أحداً منهم إلاَّ بأمري فضلاً عن مزاحمتهم لخلفاء الأطراف من نحو أرزنجان وبدليس، ولئن تماديتم في هذا التغافل الذي تستعملونه لنعرضنّ عنكم بالكلية، وخرط القتاد دونه، ومن أنذر فقد أعذر، والسلام ختام الكلام.

* * *

= ما قيل أو يقال في معرفته تعالى تقريب من وجه وتبعيد من وجوه.

ومنها ناداني صنوبر وقال: إنك لما علمت أن الأخذ من الكتب والأفواه ليس شيء منها طريقاً إلى معرفة الله تعالى فلا تطلبها منهما ولا من صنوبر ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: الآية 102] ولكن أعاليها في (الصنوبري الشكل) الداخل فيك الذي بجنبك الأيسر الوارد فيه: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن».

ومنها تحققت أن لا مناسبة بيننا وبين المطلوب بوجه من الوجوه، وذلك أنني اجتهدت حين كنت أنظر إلى صنوبر أن أرسم صورته في خيالي على ما هو عليه في الخارج بحيث أشاهد في خيالي عين ما شاهدت في الخارج فعجزت عن ذلك، فعلمت أن من عجز عن خياله، فكيف يقدر على وصاله، مع أن هذا ظل المطلوب وعكسه، لا حقيقته ونفسه، ما للتراب ورب الأرباب وبيننا وبينه سبعون ألف حجاب كما ورد.

قال سيدنا الصدِّيق الرفيق رضي الله تعالى عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك. وقال سيدنا علي كرَّم الله تعالى وجهه: والبحث عن ذات الله إشراك. فجزى الله صنوبراً عني خيراً ووقاه ضرّاً وضيراً اهـ. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

[الرقعة السادسة والأربعون]

كتبها سقانا الله من ترياق شرابه في تحقيق معنى قوله ﷺ:
«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»
إجابة لطلب بعض أكابر العلماء وفي مقدمتهم عمر أفندي الغزي
مفتي السادة الشافعية بدمشق
والمحدِّث الشهير الشيخ عبد الرحمن الكزبري
ومولانا الشيخ عبد الرحمن الطيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن قوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد» إلخ، تقديره أقربية العبد إلى ربه[1]

---

(1) إن ما أفاده حضرة مولانا خالد ذو الجناحين من توجيه الحديث الشريف إلى هذا المعني البديع وتحليل ألفاظه القدسية هو المتجه عند جهابذة العلماء الأعلام والأقرب تناولاً للفهم، إلاَّ أن المقام يستدعي بسط الكلام لتكون الفائدة أتم والنفع به أعم.

فأقول: لا يخفى أن أقرب (أفعل تفضيل) له ثلاث استعمالات: إما أن يستعمل بمن، أو بالإضافة، أو بأل، وهنا مستعمل بمن حسب ما قرره حضرة مولانا الشيخ الإمام نفعنا الله بعلومه وعرفانه. وهي محذوفة مع المفضل عليه حيث إنه معلوم كما في قولك: الله أكبر، أي من كل شيء.

ويجوز أن يكون اسم التفضيل هنا مستعملاً بالإضافة والتقدير أقرب أكوان العبد وأحواله التي يتقرب بها إلى ربه، فعلى كلا الوجهين (مِن) في قوله عليه الصلاة والسلام: «من ربه» بمعنى إلى، ولا يصلح أن تكون تفضيلية كما أشار إلى ذلك قدّس سرّه والخبر محذوف وجوباً على حد قولهم: «اخطب ما يكون الأمير وهو قائم» إلاّ أنهم اختلفوا في تقدير الخبر.

فذهب الكوفيون إلى أن الحال من متعلقات المبتدأ وحذف الخبر من غير سد شيء مسده.

وذهب البصريون إلى أن التقدير حاصل إذا كان ساجداً فحذف حاصل. ثم حذف إذا مع شرطه العامل في الحال وأقيم الحال مقامه. قال الرضى: والذي يظهر لي أن تقديره بنحو يلابسه أو تلبسه يجعل خبراً للمبتدأ ثم حذف يلابس والعامل في الحال وقام الحال مقامه كما تقول: راشداً مهدياً أي سر راشداً مهدياً، انتهى بتصرف.

إذا احتطت علماً بما تلوناه عليك ظهر لك مكنون ما نبّه عليه حضرة مولانا الشيخ الإمام بقوله: وذكر مفصلاً في الرضي في باب حذف الخبر وجوباً.

وقوله: المراد من القرب إليه القرب إلى معرفة رحمته، هذا أحد المحتملات. =

حاصلة حالة كونه ساجداً من نفسه حال كونه غير ساجد، أي تلبسه بالسجود أقرب لفضل الربّ تعالى ورحمته من نفسه حال تلبسه بسائر العبادات.

فالتفضيل مبتدأ خبره محذوف وجوباً وهو حاصل قوله: «وهو ساجد» جملة حالية سادّة مسده ـ وذكر مفصلاً في الرضى في باب حذف الخبر وجوباً فراجعه إن شئت. ولفظة «من» في الحديث صلة للقرب بمعنى إليّ وليست هي التفضيلية بل هي محذوفة مع المفضل عليه وهو الضمير الراجع إلى العبد ـ أو اللفظ النفس المضاف إليه، ووجه حذفها استبشاع التكرار مع لفظ من ربه، إذ يصير التقدير أقرب ما يكون العبد من نفسه من ربه وهو كما ترى. والمراد من القرب إليه تعالى وتقدّس القرب إلى معرفة رحمة ربه. ثم الحديث ظاهر فيما ذهب إليه بعض الفقهاء من أن السجود أفضل، وإليه ذهب المحققون من الصوفية وعلّلوه بأنه يشير إلى المقصود الأصلي الذي هو المبدأ والمعاد المشار إليهما بقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [طه: الآية 55] الآية.

وقال سيدنا الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: القيام أفضل. ودليله

= ويحتمل أن يكون المراد بالقرب إليه تعالى القرب بالذكر والعمل الصالح لا قرب الذات والمكان لأن ذلك من صفات الأجسام والله منزّه عن ذلك، فقرب الله من العبد قرب إنعامه وإفاضة برّه وإحسانه وترادف مننه وفيض مواهبه وكرمه.

وقد يقال نظير ذلك في قوله ﷺ: «أقرب ما يكون الربّ من العبد في جوف الليل الآخر»، فقوله: في جوف الليل الآخر يحتمل أن يكون حالاً من الرب، أي قائلاً فيه من يدعوني فأستجيب له سدت مسد الخبر. أو حالاً من العبد أي قائماً في جوف الليل داعياً مستغفراً على حد قول النحاة: ضَرْبِي زيداً قائماً، فافهم والله يتولى الصالحين.

ثم إنه رضي الله عنه بيَّن استدلال بعض الفقهاء شكر الله سعيهم بهذا الحديث النبوي على أفضلية السجود على القيام وهو قول الإمام محمد الشيباني لأن القيام إنما شرِّع وسيلة إليه ولا تكون الوسيلة أفضل من المقصود كما هو المقرر.

والذي ذكره نور أبصارنا وضياء قلوبنا مولانا الشيخ العم عن إمامه الهمام قبلة أساطين الإسلام سيدنا محمد بن إدريس الشافعي المطلبي رضي الله عنه من أن القيام أفضل من السجود مستدلاً بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أفضل الصلاة طول القنوت ـ أي طول القيام ـ وهو موافق لما اعتمده أئمتنا الحنفية رحمهم الله، ومؤيد أيضاً بما روي عن عائشة أم المؤمنين أنه ﷺ كان يقوم الليل إلاَّ قليلاً وكان لا يزيد على إحدى عشرة ركعة والله تبارك وتعالى أعلم. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

حديث رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما: أفضل الصلاة طول القنوت. ويتأيد بأن ذكر القيام فرض وذكر السجود سنَّة وذكر القيام قرآن وذكر السجود تسبيح. وورد أن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه، وقالوا: إن ثواب الفرض يفضل على ثواب النفل بسبعين درجة.

ولذا كتبت على هامش الركن الثالث ما نصه: والقيام أفضل الأركان ثم السجود ثم الركوع. قال الشهاب القليوبي وفاقاً للروضة: ولا شيء إذاً ينوب انتهى. وتوقف الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه في هذه المسألة ولم يقض فيها بشيء. وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى: الأفضل في الليل طول القيام وفي النهار كثرة الرجوع ـ أي لأنه لم يرد في تطويله ﷺ القيام في النهار ما ورد فيه في الليل. وقد يرجح ما ذهب إليه محققو الصوفية بوجوه تركناها قاطبة تأدُّباً وترقياً من تأييد أضعاف ما ذهب إليه الإمام الهمام الشافعي المطلبي رضي الله تعالى عنه وجزاه عن الأمة خير الجزاء وسقى مرقده المبارك شآبيب رضوانه وسجال فضله وامتنانه في كل صباح ومساء والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة السابعة والأربعون]

كتبها قدّس سرّه إلى مريده الصادق الإمام الهمام السيد العلامة صدر الدين محمد أسعد أفندي الحيدري الماوراني مفتي الحنفية ببغداد وقدوة علمائها الأمجاد

بسم الله الرحمن الرحيم

أخصّ بأزكى التسليمات وأبهى التكريمات جناب قدوة العلماء الراسخين وأسوة الكرماء الماجدين سلالة النجباء ونتيجة السعداء الكريم ابن الكريم مولانا محمد الأسعد لا زال نائلاً مأرب الدنيا والآخرة، ومُشرَّفاً في الدارين بالخُلَع الفاخرة.

وبعد: فقد وصلت إلينا ألوكتكم الدالة على كمال الوداد وغاية التلطف

والاتحاد، وحاوية على وفور الشوق إلى الأحبة المهجورين من شرف لقائكم، والفقراء السائلين من الله طول بقائكم، نرجو من الله جلّ جلاله وعزّ نواله حمايتكم في كنف أمداد السادة النقشبندية بل المأمول أن يحشركم في زمرة تلك الطائفة العلية قدّسنا الله بسرّهم وأفاض علينا من برّهم. فإن المرء مع مَن أحب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

[الرقعة الثامنة والأربعون]

كتبها قدّس سرّه لبعض أساتذته أيام التحصيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمداً لمن علَّم آدم الأسماء تعليماً، وكرَّم نبيه على العالمين تكريماً، واصطفى منهم محمداً وعظَّمه تعظيماً، وصلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم تسليماً، وبعد: فيا مَن أحوجني الله إلى نواله مع غاية غنائي، وأكرمني من عميم أفضاله مع نهاية رجائي، والذي سلك بنا مسلك التعلُّم والتعليم وإنه قسم لو تعلمون عظيم.

أني لم أرد حين انتقالي من وطني إلاَّ وصالي إلى جنابكم، ولم أنو زمان ارتحالي من مسكني سوى اكتحالي بتراب أبوابكم، وإلاَّ فالعلماء في أرضنا أكثر من أن تحصى وأوفر من أن تستقصى، مع أن جلاء الوطن من خرط القتاد أصعب وقد استسهلته، وصحاب الأحبة من كل عذب أعذب وقد اعتزلته، وأما سبب عدم توقفي بعدما بلغت ذلك المقام، فهو عدم إطاقتي لغلبة الكثرة والازدحام، وانزوائي في هذه الورطة متسوّر الأحجار والثَّرَى، لم يكن إلاَّ لترصدي نقلتكم إلى المصايف من القرى، فالآن إن تأمروا بعودنا فنحن راجعون قهقرى، وإلاَّ فسبيل مجيئنا يُرى ورضينا من القلم بما جرى والسلام.

* * *

[الرقعة التاسعة والأربعون]

كتبها نوّر الله مرقده إلى مريده المخلص الصميم نجيب باشا وذلك توصية في الوزير الخطير الحاج ولي الدين باشا والي سورية عقب عزله منها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فالبادي لتحريره أولاً السؤال عن كيفية أحوال جناب منظور الفقراء ومغبوط الكبراء محمد نجيب أفندي لا زال محفوفاً بالإمداد النقشبندي. وثانياً: أن والينا الدستور الوقور وليّ الدين باشا طيّب الله خاطره حصل له بهذا العزل نوعاً ما انكسار بال، وأرجو له من الله جبر خاطره وعوده إلى أحسن حال. ثم آمر جنابكم ببذل الهمة والاعتناء لتطيبه ومساعدته ليحصل له ما ترجيته من الله تعالى قريباً، ولا يبقى هكذا محزوناً كئيباً، فإنه ما قصر في خدامات الفقراء لا سيما في سفر الحجاز، فكل معاملة عاملتموه إياها فكأنما عاملتموني بها، والفقير يدي قصيرة عن مكافأة الأحباب فحولناها إلى ذمة همتكم ولا أرضى عنك بالقصور في حق المنظور المذكور. وغيرتكم لا تحتاج إلى تهيج فرأينا الإطناب فوق ذلك من قبيل تحصيل الحاصل ولا يَعْرِفُ العارف، وأفضل الصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه الكرام والسلام في البدء والختام.

* * *

[الرقعة الخمسون]

كتبها أيضاً نفعنا الله تعالى ببركات أسراره إلى السيد عبد القادر أفندي الحيدري المشار إليه رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عقود رصعت بفرائد المحبة والوداد، وقلائد وشحت بجواهر التواضع

وحسن الاعتقاد ـ أعني بها الرقائم الكرائم وردتني من جانب منبع العلم والعرفان والأدب ـ وحائز فضيلتي الحسب والنسب ذي المجد التام والعزّ والاحترام سيدي صبغة الله أفندي زادة عبد القادر أفندي النبيل الهمام القاضي بمحروسة قبة الإسلام لا زال مؤيداً من الواهب المنعام بمزيد الإنعام والتوفيق والاحتشام بحرمة سيد الأنام عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام.

وكتبتم في القائمة الأخيرة أن الحاج حسن انتهبت أمتعته إلاّ الهدية المرسولة إلى الحضرة العلية وتوقف حتى تأتيه العرائض من هذا الفقير ثانياً إلى تلك السدة السنية استغربنا منه هذا الأمر فإن الفقير لا يكون معدوداً في زمرة الفقراء حتى لا تكون جميع مرادات المحبوب مراداً له، وتبين عند أهله بالكشف الصحيح أن لا مؤثر في الوجود إلاّ هو، فينبغي أن يلاحظ السالك في كل حادثة نزلت أنها منه تعالى شأنه وإذا رأى كل حادثة منه تقدّس شأنه لا يجوز له أن يكون بصدد تغيير الحوادث مثلاً ـ إذا أخذ منه المكاتيب لا يتوقف حتى يأتيه المكتوب مرة ثانية بل يذهب بلا مكتوب، وكذلك لو انتُهبت الهدية بالفرض ـ ولا يتخيل في قلبه كيف يكون وفودي على تلك الحضرة العلية بلا مكاتيب ولا هدية لأنه تعالى إذا أخذها هو فما مراده إلاّ الروح صفر اليدين لحكم بالغة ما كلفنا بإدراكها وإن أراد بتوقف ثمة أن يخبر شيخه حتى ينظر كيف يأمره رعاية لأدب الإرادة كما هو ظاهر حاله، فشيخه أمره بهذا المضمون قبل هذا، والآن أيضاً أمره به فلا يتوقف في موضع بعد اليوم لغرض من الأغراض وكل ما يجري عليه يحكيه في الحضرة العلية ولا ينزعج لشيء وإن ما وصل إلا بساتر عورته ثم بشرتم فيها داعيكم ببعض الأخبار السارة من جهة الحرمين الشريفين وغلبة عساكر الإسلام وانتظام أمرهم وذلّة الفرقة المخذولة الوهابية وقربهم إلى الدمار والبوار ووقوفهم على شفا جرف هار بشّركم الله بالجنة مكافأة لتلك البشرى وأيدكم لرضوانه ويسّر لكم العسرى آمين. وأخونا محمود صاحب يخصكم بمزيد التوقير والتسليم وإهداء التحية والتكريم.

* * *

[الرقعة الحادية والخمسون]

كتبها رضي الله تعالى عنه إلى مخلصه العلامة النحرير السيد عبد القادر أفندي الحيدري البغدادي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من المسكين الغريب إلى حبيبه الأديب الأريب وصفيه الوفي الحسيب منظوري القديم وحبيبي الكريم قاضي البصرة الفيحاء قبة الإسلام ودهليز بيت الله الحرام عبد القادر أفندي لا زال مؤيداً بالتأييد النقشبندي.

أما بعد: فقد ورد مكتوبكم المشعر بصحة ذاتكم المشحون بتعداد نعمكم وإحسانكم بالنسبة إلى هذا الفقير وأتباعه ونزال الفيحاء السابلة لطرف الهند ومكة من أشياعه، على أن ذلك الجناب لدينا بالمعروف موصوف وبكثرة الأيادي على أحبائه معروف، فقد أبديتم شيئاً لا حاجة إلى إبدائه، وأطنبتم فيما إظهاره ليس أولى من إخفائه، ثم أقدمتم لفرط خلوص بالكم ولغاية منزلتكم عندي ودلالكم على شيء لم يتجرأ عليه أحد وهو العفو عن أخيكم خادمي القديم عبيد الله من غير اطلاع لكم على وجه تكديره ولا أخبركم بما جناه فسامحته تطيباً لك فطب نفساً بذلك، فقد صرت سبباً لنجاته عن كثير من المهالك، وهذا قضاء لبعض ما لك عليَّ من الإحسان. وسنقص سائره إن شاء الرحمٰن فيما يأتي من الزمان.

وما قرع سمعكم من طرفه بأن بعض إخوانه افتروا عليه عندي بأشياء كدّرت خاطري عليه فليس له أصل أصلاً، وإن قدّر الله الاجتماع بيننا لأفصِّله لك فصلاً فصلاً، لكن هو من دنو همته يذكر في سبب تكدر قلبي عليه خلاف الواقع وأنا من فتوتي أستر على عيوبه وعواره فيقول من لا دراية له: ما بال فلان يكدر خاطر عبيد الله وهو بطانته وحقيبة أسراره. وبالجملة فإني سامحته بشرط أن لا يعود لما يعمله ويكتمه ويتعلم تمام المادة الرسمية ولا ينسى ما يتعلمه. وأسلِّم على أحبابي عموماً وعلى حريري زمانه عثمان بن سند الوائلي خصوصاً، ولا

تفوت إن شاء الله تعالى صلته عندي وكان تأخيرها ليس مني. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

[الرقعة الثانية والخمسون]

كتبها أمدنا الله بمدده إلى خليفته ونديمه السيد عبيد الله الحيدري المشار إليه بالرقعة الآنفة مفتي الحنفية والشافعية بمدينة بغداد رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من المسكين المهجور إلى السيد الذي كلما جفوته خاطبني بلسان شكور ومهما آذيته قابلني بقلب صبور، سلام يتعطر بنسيم قبوله الصبا والدبور.

أما بعد: فقد ورد من ذلك النديم القديم ما أبدعه في متن مكتوبه، فقضيت في مطالعته العجب من بدائع أسلوبه، فيا له من كتاب حوى ذكر الحبيب واحتراق الزائر المشتاق بمحبته، وهيج البلابل بتذكار منزلته وما والاه من طلوله وأودته وأمنه، فقد فاق نظمه بنات النعش ونثره الثريا، وأثبت تغزلاته ما قيل في سلف الزمان في بثينة وريا:

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندُّم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدِّم

ولولا مزيد اشتغال البال بمتاعب الحط والترحال وبكثرة القيل والقال ووفرة تردد الزوار إلى أن ضاقت بنا الدار لاتخذت مع اليراع ضراماً وفصلت ما أكتبني رقيمكم شوقاً وهياماً فاكتفيت بهذا القدر وجعلت السلام ختاماً.

* * *

[الرقعة الثالثة والخمسون]

كتبها قدسنا الله بطيب أسراره وأفاض علينا من أنواره إلى مخلصه القديم ومريده الصميم المحقق النقاد السيد أسعد صدر الدين الحيدري مفتي الحنفية ببغداد(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على أشرف رسل الله.

أما بعد: فإني أخص بالدعوات المرجوّة الاستجابة في الأوقات المعلومة

---

(1) هذا المولى المفضال هو عميد الأسرة الكريمة الحيدرية وركنها الأعظم، له في العلوم العقلية والنقلية الباع الطويل، وكان من كبار أخصَّاء حضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه وأقرب المنتمين إليه وهو عنده بمنزلة أكابر الخلفاء. أخذ الطريقة النقشبندية منه وحضر جلّ دروسه العلمية.

قال حفيده السيد إبراهيم فصيح في كتابه المجد التالد ما حاصله: إن حضرة مولانا خالد قدّس سرّه كان يعامله معاملة الأمثال والأقران والجد طاب ثراه لم يزل خاضعاً لأوامره مستفيضاً منه باللسان والجنان حتى إنه طاب ثراه مع كونه شيخ علماء العراق ومفتي بغداد وأستاذ الوزير العلامة داود باشا رحمه الله تعالى قال: لو أمرني حضرة مولانا خالد بوضع قصعة فيها لبن على رأسي وأمشي بها في أسواق بغداد كما يفعله أداني الناس لفعلت ذلك امتثالاً لأمره وانكباب جدي المشار إليه ومن كان في مصافه من فحول العلماء الأعلام مع جلالة قدرهم على طاعة حضرة مولانا الشيخ مع استغنائهم أمر لم يتيسر لغيره وهو سر من أسرار الله تعالى وهو من أعظم الكرامات وذلك لأنه من المعلوم أن هؤلاء الأعلام مستغنون عن الشيخ قدّس سرّه من حيث حطام الدنيا وحيثيتها وجاهها فانقيادهم لأمره كالخدام ليس هو إلاّ لما فيه من سر الولاية الكبرى الجاذب لهم كما هو ظاهر مع أن معارضة العلماء والفقهاء للمشايخ عادة معلومة من القديم والحديث.

ثم قال: وقد حدثني والدي أن العلامة داود باشا المشار إليه قبل أن يصير والياً على بغداد كان في أول أمره دفترداراً فيها ومع ذلك كان يدرس العلوم في بيته قبل الرواح إلى الحكومة فهرب من بغداد إلى شهرزور واجتمعت عليه العساكر والته وزارة بغداد من لدن الخاقان الأعظم حضرة السلطان محمود خان عليه الرحمة والرضوان فقدم بعساكره إلى قرب بغداد وحاصرها وكان واليها إذ ذاك سعيد باشا ابن سليمان باشا رحمهما الله تعالى. فاضطرب جدي المشار إليه من سعيد باشا لما كان بين جدي وبين داود باشا من الحقوق العظيمة حيث أن داود باشا قرأ عليه خمسة عشر سنة وأخذ عنه العلوم النقلية والعقلية وأجازه بها، فأرسل جدي ـ وكان مريضاً ـ والدي إلى عمي ليخبر حضرة =

المستطابة جناب العالم النحرير، والعلم الشهير، جامع شرقي الحسب والنسب

= مولانا خالد قدّس سرّه باضطرابه وبأنه مريض لا يستطيع المجيء إلى حضرته فذهب والدي إلى عمي في الزاوية الخالدية قرب بيتنا وأخبره بكيفية الحال وقام العم مع الوالد ودخلا على حضرة مولانا خالد قدّس سرّه وأخبراه بذلك، فقال حضرة الشيخ قدّس سرّه: إني أذهب بعد صلاة العشاء إليه لأنه ابن مشايخي في العلوم. فلما قضى صلاة العشاء قام الشيخ وعمي يقود السراج أمامه وأبي خلفه ولم يرضى بمجيء غيرهما معه، فأتى إلى الجد فاستقبله وجلسا ثم قال حضرة مولانا الشيخ خطاباً لجدي: يا أسعد أفندي أني لست بشيخ ولا صاحب كرامة وإنما أنا من أقل خدمة العلم الشريف ولكن أخبرك بحسب ظني والعلم عند الله أن داود باشا بعد خمسة عشر يوماً يدخل بغداد ويجلس في دست الحكومة وزيراً ويخنق سعيد باشا في القلعة فلا تخف ولا بأس عليك.

وجلس حضرة مولانا الشيخ مقدار ساعة ثم قام وذهب إلى التكية مع أبي وعمي وبعد تمام خمسة عشر يوماً دخل داود باشا بغداد وجلس في محل الحكومة وزيراً ومسك سعيد باشا في القلعة وخنقه كما أخبر حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه. وقد نقل السيد إبراهيم فصيح الحيدري نفسه في كتابه المذكور ما يؤيد هذه القضية بقوله في كتابه: إن سعيد باشا المشار إليه لما كان والياً على بغداد أتى ذات يوم بموكبه الحافل لزيارة حضرة مولانا خالد قدّس سرّه عقيب تعمير تكيته، فلما دخل عليه ورأى أكابر العلماء الأعلام وأرباب الإفتاء واقفين بين يديه بالخشوع والتذلل كالخدام ورأى جلال حضرة الشيخ انكبّ على قدميه من غير شعور وظلّ يرتعش ثم تبدّل جلال مولانا الشيخ بالجمال وبعد برهة اطمأن الوزير المشار إليه وطلب من الحضرة الدعاء فدعا له بحسن الختام. ثم قال له: يا سعيد باشا كل أحد يسأل عن نفسه غداً وأنت مسؤول عن نفسك وعن جميع من هو تحت ولايتك فاتقي الله فإن وراءك يوم ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: الآية 2]. وغدا الوزير يرتعش ويبكي بصوت مرتفع ثم قام حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه ووضع يده على رقبة الوزير ودخل الحرم وحرمه متصل بالزاوية وله باب منها، وقام الوزير وذهب إلى محله.

ثم ذكر الشيخ رضي الله تعالى عنه لأصحابه صحة إيمان الوزير وإيمانه، فطوبى له. ومن سر وضع الشيخ يده على رقبة الوزير رحمه الله تعالى أنه خنق بعد ذلك كما تقدم انتهى.

ثم قال: ومن خوارقه القدسية أنه لما خرج من بغداد متوجهاً إلى الشام وشيّعه جدي أشار قدّس سرّه إلى قرب المدة بين موتيهما وقد وقع موت جدي أسعد أفندي طاب ثراه بعد موت حضرة مولانا خالد قدّس سرّه بثلاثة أشهر، ولما وصل خبر وفاة حضرة مولانا الشيخ إلى بغداد اضطربت الخلائق وكأن القيامة قد قامت وشرع الخلفاء والعلماء وسائر المشايخ وأهل العلم والطرائق وأكابر الناس وأصاغرهم في الصلاة عليه خارج البلدة أفواجاً أفواجاً وكذا في جميع بلاد العراق، وكان جدي طاب ثراه مريضاً مرضاً =

[الرقعة الخامسة والخمسون]

كتبها قدّس الله سرّه وحرس من كيد الحسّاد قدره
إلى مخلصه القديم ومنسوبه الصميم
السيد عبد القادر أفندي الحيدري الخالدي
قاضي البصرة الفيحاء رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده.

وبعد: فمن العبد الذليل ذي الخاطر الفاتر، المخالف باطنه للظاهر، إلى السيد السند مولانا عبد القادر أفندي الحيدري قاضي مدينة البصرة المحمية، لا زال بهمَّة سادة الطريقة في كنف حماية ربّ العزّة محمياً، ومن جميع ما هو أصلح له في الدارين من حيث لا يحتسب مكفياً وبعد فقد طالت مدة الفراق، وعزّ بين الأحبة التلاق، وقبلاً كنا نستأنس بفقرات مكاتيبكم الفائقة، ونستنشق روائح ودادكم من عباراتكم الرائقة، ونسلي بها ضرورة تحتم البين الصوري، ونتمثل بها البيت الفارسي:

چونكه كل رفت كلستان شد خراب   بسوي كلرازكه يابم از كلاب

ومن منذ أزمنة لم تأتنا خطوطكم إلاَّ القليل، وليس الظن بكم في معاملتكم هذه إلاَّ الجميل. إلاَّ أن مكتوبكم الذي كتبتموه تهنئة بقدوم هذا المسكين المستهام، إلى برج الأولياء الكرام، بغداد مدينة السلام، كان عوضاً عن كل ما فات من كثرة ما نشرتم فيه من جواهر النظم والنظر، وما طويتم من بدائع الطي والنشر، فهو قام مقام الجمع وإن كان فرداً، فللّه دركم ما ألطف ما جمعتم فيه من البدايع وسردتموها سرداً. ووالدتكم الماجدة رؤوسكم بها سالمة انتقلت إلى جوار أرحم الراحمين بوجه اغتبطها كثير من الناس من الخواص والعوام، لما رأوا منها من الأمارات المفصحة عن سلامة الإيمان وحسن الختام. فالحمد لله أولاً وآخراً في البدء والختام والسلام عليكم.

* * *

[الرقعة السادسة والخمسون]

كتبها من الشام قدّس الله روحه وأعلى في جنات القرب فتوحه إلى جلبي زاده مولانا الشيخ عبد الله كاكي خليفة كوى سنجق رحمه الله تعالى الذي تقدَّمت ترجمته(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من العبد المسكين خالد إلى حبيبه وسيده الوافي الملا عبد الله الجلي صرف الله قلبه من زخارف الدنيا المكَّارة، وصانه من تلبيسات النفس الأمّارة، آمين.

إثر ذا، إن تفضّلتم علينا بالسؤال فحمداً له تبارك وتعالى الفقير في أرفه حال، إلاَّ إني من كثرة البدع في حزن وملال، ولو علمت الأراضي المقدسة هكذا لما هاجرت إليها مع أن من الأحباب الأماجد من يقول بسبب نزول هذا المسكين فيها: لم يبق من العشرة واحداً، والآن لو وجدت مكاناً يستريح فيه القلب لقلة الفساد، لهاجرت إليه إن شاء الله تعالى ولو في أقصى البلاد. ولا

---

(1) إني لولا أن الظروف الحاضرة والحروب الطاحنة القائمة على قدم وساق تحول بيني وبين ما يرمي إليه مضمون ما أشار إليه حضرة إمام العارفين مولانا خالد ضياء الدين في هذه الرقعة من البيان وما جاء في أشراط الساعة الكبرى من التبيان واستفاض إلينا متواتراً عن سيد ولد عدنان ﷺ لتركت القلم شوطاً بعيداً وللفكر ميداناً واسعاً سديداً بما يحير الألباب ويأتي من المعجزات النبوية بالعجب العجاب غير أني لعلمي أن الأئمة الحافظين لأحاديث الرسول ﷺ من اختلال المعاني والألفاظ قد ملؤوا مدوناتهم من أخبارها وطفحت مؤلفاتهم بما يشفي العليل ويروي الغليل من أسرارها اكتفينا بأن ننبِّه الناظر على الوقوف على هذه الأسفار ومراجعتها بإمعان والوقوف عليها بتدبر واتقان وبالأخص مطالعة كتاب الإشاعة لأشراط الساعة تأليف العلامة النحرير والعلم الشهير السيد محمد ابن السيد رسول البرزنجي ثم المدني فإنه كتاب لم يحك لعمرك بينات البيان على منواله، ولم تنظر عين إلى مثاله بما جاء فيه من الأحاديث الصحيحة والأخبار الكشفية الصريحة وإذا طبقها الإنسان على مجريات ما هو واقع في هذا الزمان تبين له ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام، نسئل الله أن يكفينا من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن ينصر عساكر الإسلام والمسلمين ويعلّي كلمة الموحِّدين ببقاء خليفة الزمان أمير المؤمنين مولانا السلطان محمد رشاد خان وأن يوفِّق وكلائه ووزرائه على حماية بيضة الإسلام ويقهر أعداء الدين والحمد لله رب العالمين. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

أرضى أن تتحرك لملاقاة هذا المذنب الذي هو في لجة التقصير مغترق، وإن كان القلب بنار فراقكم يحترق، فإن بقائي في الشام بفرض الحياة غير معلوم، لأن استقرار البال مع قلة المتبعين للسنَّة الغراء شؤم ومذموم، وليكن معلوماً لديكم أنه ما بقي من أشراط الساعة إلاً الأشراط الكبيرة، ويمكن ظهورها أيضاً في مدة يسيرة. وصلى الله على خاتم النبيين الذي بعثته من أشراط الساعة وعلى آله وأصحابه الملبين بالسمع والطاعة والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة السابعة والخمسون]

كتبها رضي الله تعالى عنه إلى خلفاء بغداد لأجل السيد عبد العزيز أفندي الكيلاني نقيب بغداد بما يتعلق بالاعتناء بشأن إرشاده في طريقة أسلافه الكرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فالمكتوب الذي وصل من خصوص المخلص العزيز الأصفى من الإبريز السيد عبد العزيز صاحب السجادة القادرية أعجبني مضمونه إن كان من قريحته ولم يكن بتلقين أحد منكم فآمركما أن تكثرا إليه التوجه وأن يشتغل اشتغالاً مستمراً باسم الذات والرابطة تارة وتارة ولو مدة قليلة، والفقير بالنفس أتوجه إليه من هنا إلى شكر هذه النعمة إن شاء الله تعالى ويظهر عليه الأثر. ثم إذا حصل له الفناء في الرابطة أو ظهرت له مع تأثيرها المعهود أو التأثير المجدد بلا ظهور هو أدنى المراتب لقوة التوجه ولو بعد يوم واحد ولا تستغربوا ذلك فإن التأثير بالحقيقة ليس إلاً من الرابطة فيتوجه إليّ جاءت له الاستخارة بنفي وجوده وإثبات صورة الرابطة على الوجه المعهود ثم الاستمداد من روحانية جده الغوث الأعظم بأبي هو وأمي. وكل ما هو معتاد أسلافه الكرام من الأوراد، إن كانت قلبية فيها أو لسانية فيلقنها من يأخذها منه بشرط مطابقة القلب للسان وهو لا

يترك الاشتغال بنفسه ليترقى كثيراً، وسأكتب له السلسلة القادرية بسند الأولياء الكرام.

وهذه معاملة ما عاملتها أحداً غيره ولا أرضى أن يعامل، وأنا أردت هذه لغيره وأبى الله إلاَّ أن تكون له، وستأتيه السلسلة وبعض آداب الطريقة العلية القادرية وكل هذه المعاملات لسبب صدقه واعترافه بأنه ليس أهلاً لإعطاء أوراد الطريقة لأحد وإن زاد زادت وإلاَّ فلا ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فُصّلَت: الآية 46] فلا تقطعوا عني خبره بل هو مباشر تحرير أخباره بنفسه إليَّ مع السعادة. وإذا علمت أن السيد لا يعد هذه المعاملة نعمة عظيمة ولا يستقيم عليها ولا يقوم بحقها ولو مآلاً فلا تظهراها عليه دعه يعمل ما يريد أتت إشارة من الغوث الأعظم أن أعامل بعض من يرجع إليّ للطريقة من أولاده الكرام هذه المعاملة وأراده ذلك وما وجدت أهلاً من الموجودين فإن قام بها فله سعادة الدنيا والآخرة وإلاً فهو الأعلم، والسلام.

* * *

[الرقعة الثامنة والخمسون]

كتبها رضي الله عنه إلى مخلصه راغب أفندي في دار الخلافة العلية صينت من كل بلية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من العبد الفقير خالد النقشبندي المجددي إلى مخلصه راغب أفندي، سلام من قلب سليم، ودعاء نرجو به الفوز بجنة النعيم.

أما بعد: فقد بلغني مزيد التماسكم لتحرير أسطر من هذا المسكين إليكم فأسعفتكم، وآمركم بالحذر التام من الانهماك في طلب الدنيا الدنية، فإن من كلمات السادة الصوفية أن المعرض عن الطريقة بعد الإقبال عليها يسقط من عين الله تعالى، حماكم الله من ذلك.

* * *

[الرقعة التاسعة والخمسون]

أصدرها سقى الله ثراه وابل رضوانه وبوأه أعلى فراديس جنانه من دمشق الشام جواباً إلى أفاضل محبيه المخلصين في ديار بكر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، من العبد المسكين خالد

---

(1) الشيخ المنعوت بهذا الخطاب اسمه محمد ويلقب بالقرافي من الأكراد الأيوبية، كان رحمه الله من أجلّة مشايخ الطريقة الخالدية وأكابر خلفائها الكاملين.

ثابر على صحبة حضرة مولانا قدّس سرّه ليلاً ونهاراً لم يفارقه سفراً ولا حضراً. هاجر معه أولاً من السليمانية إلى بغداد ثم تبعه منها إلى دمشق وأخذ عنه الطريقة وسلك على يديه ولحق بأهل الحقيقة ومع ذلك كان يحضر جلّ دروسه العلمية. ولما بلغ تمام الحظوة أذن له بالإرشاد وخلّفه خلافة مطلقة، وشهد له بالكمال، ولو لم يكن له من المناقب الغراء والمزايا السامية إلاَّ ما تضمنته هذه الوثيقة الأنيقة لكفاه شرفاً وفخراً، فقد اعترف له بقوة التصرف ورسوخ القدم وتأثير النظر في رفع الحجب ونفي حضور ما سوى الله تعالى وإنقاذ المنقطعين وقدرة إلقاء الأنوار في قلوب المسترشدين إلى آخر ما قال قدّس الله سرّه.

فيا لها من نعمة عظمى ومرتبة جليلة قصوى، يغبطه عليها العارفون ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العَنكبوت: الآية 43]. اختاره مرشداً لأهالي ديار بكر وأرسله إليهم فلبّى أمره بالسمع والطاعة، وتوجه في الحال ولم يتأخر ساعة، فلما وصل إليها ضرب أطناب سرادق فيوضاته عليها فتواردت إليه الناس أفواجاً أفواجاً وأضاء نبراس عرفانه عليهم سراجاً وهاجاً، ولا زال فيها حتى أنار فيافيها، إلى أن طلبه حضرة مولانا الشيخ إلى دمشق، فلما وصل أمره فوراً بالمسير إلى القسطنطينية لتدارك ما ابتدعه عبد الوهاب السوسي الذي تقدم ذكر طرده عن الطريقة ـ فقام منها قاصداً دار السعادة ماشياً على قدميه امتثالاً لأمره وتهذيباً لأخلاقه فوصل إليها وكان رحمه الله مع جلالة قدره وباهر حاله يغلب عليه الجذب والجلال حالة كونه من كُمَّل الرجال ـ وله سليقة جيدة في نظم الشعر الفارسي وقد شطر وخمّس بعض قصائد ومقطعات لحضرة مولانا خالد، عندي منها نذر يسير.

فمكث في دار الخلافة العلية مدة ثم عاد إلى دمشق ولا زال ملازماً خدمته بكمال الإذعان والانقياد إلى أن انتقل مولانا الشيخ إلى دار البقاء شهيداً بالطاعون عام اثنين وأربعين ومائتين وألف. ثم بعد مدة مديدة سافر مرة أخرى إلى دار السعادة وسعى في بناء تكية على ضريح حضرة مولانا الشيخ فاقترن مسعاه بالنجاح والقبول ونال مقصوده =

إلى أحبابه المخلصين من سكان آمد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

= ويبلغ غاية المأمول، فصدرت الإرادة السنية الملوكانية من طرف ساكن فراديس الجنان مولانا المرحوم السلطان عبد المجيد خان عليه الرحمة والرضوان بإنشائها من خزانته الخاصة الشاهانية، تقبَّل الله إحسانه وأعلا في غرف الجنان مكانه، حيث بنى بيتاً من بيوت الله عملاً بآية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: الآية 18] لتصف فيه أقدام العباد بين يديّ الرب المعبود وتعتكف أبدانهم أمامه بالقعود، وجباههم بالسجود.

وقد عيَّن طاب ثراه لإنجاز تلك العمارة والمشارفة عليها المرحوم نجيب باشا وزير بغداد والياً على سورية، لما له من شدة الارتباط بطريق الحضرة الخالدية كما اتضح لك فيما تقدم مما كان يرد عليه من الرسائل والتوجهات الخصوصية، فجاء دمشق وباشر بإنشاء المسجد والتكية ثَم والقبة على الضريح المبارك، وقد أجاد بإحكام البناء واتقان الوضع مع لطافة المنظر ورشاقة الصنع، ولما كملت خصص لها مرتبات وعيّن عليها تعيينات من إطعام طعام وما يلزم المجاورين حسبة لوجه الله الكريم.

وقد جعل، طاب ثراه، تلك السنة الشيخ القرافي وكيلاً عنه بأداء فريضة الحج الأكبر حيث صادف وقفة عرفة يوم الجمعة ووجه عليه تربدارية الحضرة الخالدية. وأنعم عليه بإحسانات سنية وتمّ له الأمر طبق المرام على أحسن نظام، وكان عمل التاريخ الفارسي المنقوش على بابي التكية المقام من نظمه، وذلك سنة اثنين وستين بعد المائتين والألف.

فمكث رحمه الله فيها يرشد الناس على أحكم أساس وأتت إليه الخلائق وقصدته الزوار من أماكن بعيدة، ولا زال منكباً على خدمة الطريقة إلى أن لقي الله تعالى - يوم عاشوراء عام اثنين وثمانين ومائتين وألف وقد أوصى رحمه الله تعالى تأدباً مع شيخه بأن يدفن لصيق باب التكية المذكورة من الخارج. فلما توفي دفن حيث أوصى - والداخل للزيارة يرى قبره قبل كل شيء وقد أدركته في صغر سني وفزت بدعائه عندما كان يأتي إلى زيارة سيدنا الوالد الماجد قدّس الله سرّهما.

ثم إن حضرة مولانا قدّس سرّه أخبر قبيل وفاته ببناء هذه التكية على لحده حيث قال: وأظن أنه سيبنى هناك - وأشار إلى المحل الذي عيَّنه لنفسه وأهله وخلفائه في سفح جبل قاسيون - تكية لفقرائي كما في رسالة السيد إسماعيل الغزي الموسومة بحصول الأنس في انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس، فانظر يا رعاك الله إلى هذه الكرامة الباهرة كيف تجلّت بكل مظاهرها وظهرت بعد مضي بضعة عشر عاماً من وفاته قدّس سرّه.

وكان الباعث لأهالي ديار بكر على طلب خليفة من حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه يرشدهم إلى معرفة الله تعالى من وهدة الغفلة إنما هو تمسكهم بسنن العلماء العاملين والأولياء الكاملين حيث قالوا: يجب على من غلب عليه مرض من الأمراض الباطنية كالرياء والعجب والكبر والنفاق أن يطلب شيخاً كاملاً ليخرجه من تلك الورطات =

وبعد: فقد تكرَّر منكم الإلحاح والإبرام وجاءت مكاتيبكم مراراً في بغداد

= المهلكة وإن لم يجده في بلدته أو إقليمه وجب عليه أن يسافر إليه ولا يستثنى من ذلك إلاَّ من رزقه الله قلباً سليماً كالأئمة المجتهدين وكُمَّل أصحابهم ممن عملوا بما علموا على وجه الإخلاص فورثَّهم الله علم ما لم يعلموا.

قال العارف الشعراني قدّس سرّه: ولا بد لغير هؤلاء ممن لم يرزق سلامة الباطن من سلوك طريق الصوفية على يد شيخ كامل عارف بمداواة أمراض القلوب إذ لا سبيل للعبد إلى ذلك المطلب النفيس إلاّ بواسطة المرشدين ولو عبد الله لنفسه عبادة الثقلين لأن عبادته معلولة ـ ومن هنا افترق السالكون والعابدون ـ فربما مكث العابد يعبد ربه على علة خمسمائة سنة، والسالك يخرج عن العلة من أول قدم يضعه في الطريق، لأن بداية الطريقة التوحيد لله تعالى في الملك، ثم الفعل ثم الوجود ـ والعابد لا يذوق لهذه الثلاثة طعماً، فوالله لقد فاز من كان له شيخ وخسر من لم يتخذ له شيخاً أو اتخذه ولم يسمع لنصحه كما في شرح الطريقة المحمدية للعارف النابلسي قدّس سرّه.

تنبيه: إن انتخاب حضرة مولانا خالد قدّس سرّه للشيخ القرافي وأمره بالمسير إلى ديار بكر لإرشاد الضعفاء محمول على من يسّر الله تعالى له في بداية أمره صحبة صحيحة وقيض له شيخاً عالماً عاملاً يسلك به الطريق ويدرجه إلى منازل التحقيق فمثل هذا ينبغي له عند القوم أن يلزم مواضع إرادته ويلتزم صحبة من يرده من عادته، فمن رزق ذلك يحرم عليه السفر، فهذه الصحبة خير له من كل سفر وفضيلة يقصدها. ثم إذا أحكم أمره في البداية بلزوم الصحبة وحسن الاقتداء وارتوى من الأحوال وبلغ مبلغ الرجال وانبجس من قلبه عيون ماء الحياة وصارت نفسه مكتسبة للسعادات، يستنشق نفس الرحمٰن من صدور الصادقين في أقطار الأرض وشاسع البلدان، ويشرئب إلى التلاق، وينبعث إلى التطواف في الآفاق، فهذا يحمد له السير وتنفجر منه على الخلائق فيوضات البر والخير، ويجب عليه السير في البلاد لفائدة العباد وينقذهم من الغفلة ليبذر في أراضي قلوبهم بذر الفلاح، ويكثر ببركته ونفسه وصحبته أهل الصلاح. على أن مثل هذه الأمة الهادية في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه لتعود بركة البعض على البعض وتسري الأحوال من البعض إلى البعض ويكون طريق الوراثة معموراً وعلم الإفادة منشوراً. قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

وقد اختلفت أحوال المشايخ في السفر، فمنهم من سافر في بدايته وأقام في نهايته، ومنهم من أقام في بدايته وسافر في نهايته، ومنهم من أباه ولم يسافر، ومنهم من استدام على الإعراض عن تعلّق القلب به والتفكر فيه، فإن ذلك مما يشوِّش على السالك حاله لأن الأسفار تقطع السالكين عن الوصل، وهذا كله يقال قبل الوصول إلى رتبة الكمال.

قال رسول الله ﷺ: «لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله =

ثم وردت مرة أخرى في دمشق الشام، لأن أرسل إليكم الشيخ أحمد الخطيب أو أحداً آخر ممن له تأثير نظر في الطريق فيستنقذ المنقطع منكم والغريق، فها أنا انتخبت لكم من له قدم راسخ في الترك والتجريد وتأثير مجرب في رفع حجب المريد ـ أعني المجذوب المقبل على مولاه الباقي صاحبنا القديم

= على هدى ما كان سفره ضائعاً». ونقل أن جابر بن عبد الله رحل من المدينة إلى مصر في شهر لحديث بلغه أن عبد الله بن أنس يحدِّث به عن رسول الله ﷺ ـ وقيل في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبَة: الآية 112] ـ إنهم طلاّب العلم، ومن جملة مقاصد السفر لقاء العارفين أو إنقاذ المنقطعين، فللمريد بلقاء كل صادق مريد، وقد ينفع اللَّحْظُ أكثر مما ينفع اللفظ ولذا قالوا: من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه، وهذا القول فيه وجهان، أحدهما: أن الرجل الصدِّيق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله، فإذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر إليه فهو نفع للحظ، ومن لا تكون أفعاله هكذا فلفظه أيضاً جزافاً لا ينفع لأنه يتكلم بهواه ـ ولهذا وصف حضرة مولانا خالد الشيخ محمد القرافي رحمهما الله تعالى بأنه ممن له قدم راسخ في الطريق وتأثير مجرب في رفع حجب المريد. فإن نورانية القول على قدر نورانية القلب، ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها.

والوجه الثاني: أن نظر العلماء الراسخين في العلم الحقيقي ترياق نافع ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستنشق بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق منهم واستئهاله لمواهب الله الخاصة فيقع في قلبه محبة المريد الصادق وينظر إليه نظر محبة عن بصيرة وعرفان، وأهل هذا المقام من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم للطلاب أحوالاً سنية ويهبون عليهم آثاراً مرضية. وماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى، ألا ترى أنه تعالى كما جعل في بعض الأفاعي من الخاصية أنها إذا نظرت إلى الإنسان تهلكه كذلك قادر بأن يجعل في نظر بعض خواص عباده خصوصية إذا نظروا إلى طالب صادق يكسبونه حالاً وحياة فيها سعادة الدارين كما أشار إلى ذلك السهروردي في عوارفه.

وحكي عن شيخه أنه كان يطوف في المسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس فقيل له في ذلك فقال: إن لله عباداً إذا نظروا إلى شخص أكسبوه سعادة الدارين وأنا أتطلب واحداً منهم، انتهى.

أقول: وكما أن الله تعالى قد تفضّل على السلف كذلك تفضّل على الخلف فإن الفيض الإلٰهي لم ينقطع والجود الرباني لا يتناهى والرحمة العامة لم تنصرم والتفضُّل الإحساني لم ينحسم، وفضل الله واسع لا ينحصر، وكم ترك الأول للآخر. ومن قصَّر الفضل الإلٰهي على بعض دون بعض وعلى أهل عصر دون عصر من غير دليل من كتاب ولا سنَّة فقد حجر الفضل الإلٰهي وهو غير محجور، والله ولي التوفيق. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

الشيخ المشهور بالفراقي ـ فهو إن استحقرتموه هيئة ولساناً، فستجدونه جليلاً إن شاء الله تعالى تصرُّفاً وجناناً، فعليكم بحسن اتِّباعه ما دامت الشريعة شعاره والطريقة دثاره.

وأوصيكم وإياه بكثرة الذكر ودوام الالتجاء إلى الله تعالى، والإعراض عن زخارف الدنيا الفانية ووفور الرغبة في الآخرة الباقية، وذكر الموت ووحشة القبور، والاستعداد التام ليوم الحساب والنشور، والتمسك بالسنَّة السنيَّة، والإعراض عن البدع الردية، وبالدعاء لنصرة الإسلام وخذلان أعداء الدين والمرتدين اللئام، والتضرع إلى المولى الكريم المنعام ليحسن خاتمة هذا المذنب المستهام ويوفِّقه لاتِّباع سيد الأنام عليه وعلى آله وصحبه الكرام في كل طرفة ألف صلاة وسلام. والسلام في البدء والختام.

* * *

[الرقعة الستون]

كتبها قدسنا الله تعالى بسره وجعلنا فداءً لتراب قبره إلى دهلي عاصمة بلاد الهند لحضرة مقتدى الأنام والنحرير الفهام محدِّث الديار الهندية ومؤلف التحفة الإثني عشرية الكريم ابن الكريم ابن الكريم المفسر الكبير مولانا الشاه عبد العزيز المجددي ابن الشاه أحمد وليّ الله المحدث الدهلوي ابن الشاه عبد الرحيم محشي المنار وغيره من المؤلفات قدّس الله تعالى أسرارهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيّد الله شيخ الإسلام والمسلمين وأيّد بطول بقائه الشريعة والدين ـ أعني الإمام الهمام ذا العلم العزيز والعمل الغريز سيدي وسندي محيي السنَّة السنيَّة وقامع البدع الغير المرضية مولانا الشاه عبد العزيز أطال الله ظلال فيضه على الأنام وأمد المؤمنين بميامن أنفاسه إلى يوم القيامة.

وبعد: فإن تتفضلوا على داعيكم المسكين بالفحص والسؤال عن حاله فلا يحرر من ألم فراقكم شروح بلابل باله، فالمرجو من حضرتكم العلية أن تطفئوا بتذكاره نيران كمده وبلباله، وأن تمنوا عليه بخط منكم مزيلين همومه برقمه وإرساله، فإن هذا المسكين لا يقاس على سائر الرعاة المهجورين، إذ من طول مسافة البعاد، وكثرة تخلل الأودية والفيافي والبلاد، لا يمكن له المكاتبة إلاّ مرة من السنين، وتستحيل معرفة أحوالكم عليه وامتناع اللقاء أمر مستبين.

ما أحسن قول من قال وأجاد في المقال:

كيف الوصول إلى الحبيب ودونه قلل الجبال ودونهن حتوف

فالمأمول من جنابكم ومن جناب إخوانكم الفاضلين الكاملين العالمين العاملين سيدي مولانا عبد القادر وسيدي مولانا رفيع الدين، نفع الله بوجودكم ووجودهما المسلمين، وقمع بكم آثار المبتدعة والملحدين بحرمة سيد المرسلين عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام أبد الآبدين أن تذكروا داعيكم أحياناً بأدعيتكم المستجابة في أوقاتكم المستطابة وتكرموا الفقير المحتاج إليكم كل مرة بكتاب، وتنعموا عليه بكلام وخطاب وتشفعوا له لدى حضرة سيدي وسندي وقدوتي وقبلتي ومعتمدي وزخري ليومي وغدي شيخ الطريقة ومحيي الحقيقة شيخي وإمامي قدّسنا الله بسرّه السامي. فلكل من خدَّامه إمكان التردد إليه وتيسير الفوز والفيض لديه، سوى هذا المسكين، فإنه حساً من هذه الدولة محروم وبِحميم الفراق الدنيوي موسوم، فقد طال الكلام وجلى، وخير الكلام ما قلّ ودل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأسلِّم على أخي المولوي إسماعيل وأوصيه بالدعاء وأرجو أن تجدوا لنا إجازة كتب والدكم طاب ثراه خصوصاً شرحه على حزب البحر بجميع ما فيه وبيان أن الرطب والعنب والحجب من الجمادي أم لا، وحينئذ فما الفرق بين الجماديات والحيوانات جزاكم الله خيراً.

* * *

[الرقعة الحادية والستون]

كتبها قدّس الله روحه من بغداد خطاباً إلى أخيه الشقيق مولانا الشيخ محمود صاحب بالاشتراك مع مخلصه المرحوم سليمان باشا الباباني حاكم السليمانية ووكيليه فيها إرشاداً وإدارة طاب ثراهما

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن منَّ علينا بإنزاله من المعصرات ماء ثجاجاً، ومرج البحرين يلتقيان كان هذا عذباً فراتاً وهذا ملحاً أجاجاً، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد عين سماحته ومعدن ملاحته الذي جعله قمراً منيراً وسراجاً وهاجاً، وعلى آله وأصحابه الذين لم يزالوا يدخلون الناس في دين الله أفواجاً.

أما بعد: فلما كان حقاً على الأمراء العادلين والعلماء العاملين أن يراعوا حال الفقراء حق الرعاية ويعنوا بشأن العلماء جلّ العناية وتوافرت الآيات المنزلة والحث على الصدقات والإحسان وتواترت الأحاديث المعولة في الترغيب على الأنعام احتساباً لله الملك المنان.

وكان أهل العلم أحق مسعف في الناس كما نطقت به الأخبار الدائرة على الألسن، وأثمن من كان على الولاة رعايتهم كما سمعته الآذان وشهدته الأعين، وكان حبيبنا الفاضل السيد إسماعيل البرزنجي والشيخ أحمد الأبيلي ووالده منهم رأينا أن نساعدهم كما ساعدنا قاطبة السادات والعلماء ترشحة من دأماء نوالنا أسوة ببقية الأصحاب فأنعمنا عليهم بما هو مشروح في القائمة المرسولة إليكما طي هذا الكتاب وهي من أخلص أموالنا سلماً عليهم وسَلمُها كل سنة إليهم على مرِّ الدهور والسنين لينفقوها على نفسهم وفي مصالحهم ويكونوا بذلك للدولة العلية من الداعين وفي استدعاء ارتقاء السدّة السنيَّة من الخالدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

* * *

[الرقعة الثانية والستون]

كتبها رضي الله عنه إلى مخلصه الحميم العلامة المفضال السيد عبد القادر أفندي الكردي الحيدري الماوراني قاضي البصرة الفيحاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، من المسكين المستهام إلى خلّه الوفي قاضي قبة الإسلام لا زال مودة لاتباع سنَّة سيد الأنام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام، غير ملتفت في نشر الأحكام إلى جمع الحطام.

وبعد: فلما طال أمد الفراق وعزّ الاجتلاء والتلاقي وهيجتنا لواعج الأشواق والاشتياق بادرنا بتحرير رقعة المودة والوفاء ونخبركم بأنَّا تشرفنا بزيارة أئمة الزوراء فالمأمول منكم ثبات القدم على إخلاص الفقراء وعلنا نسمع عنكم من ترك العشر وحسن القضاء.

وثانياً: لما تواتر عندنا حسن سيرة بعض أحبة الطريقة العلية والميل منهم إلى إرسال واحد من أهل التصرف المجربين من أصحابنا أرسلنا إليكم حامل هذه الورقة الشيخ إسماعيل وهو رجل يعتمد عليه في الإرشاد وأرجو من الله تعالى أن يجعله سبباً للهداية والسداد وفي نفس الأمر على فضل الله وتوفيقه يعتمد ومنه يستمد، وأن الناس ولو كانوا من أجلة الأولياء ليسوا سوى آلة فعليكم بحسن الإمداد ظاهراً وباطناً.

ولا نطيل الرسالة ونسلِّم على أخينا الأرشد الأسد الشيخ عثمان بن سند كان الله له عوضاً عن كل شيء والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة الثالثة والستون]

كتبها أدّبنا الله تعالى بآدابه وسقانا من رحيق شرابه إلى خليفته العلامة الجليل السيد عبيد الله أفندي الحيدري الماوراني(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الفقير خالد النقشبندي إلى محبه ومخلصه القديم عبيد الله أفندي

---

(1) هذا المولى والفلك السامي الأعلا كان خليفة لحضرة مولانا خالد قدّس سرّه في بغداد، لازم خدمته من عنفوان شبابه ملازمة العبد لمولاه وحضر جلّ دروسه العلمية وسلك على يديه الطريقة النقشبندية وفاز بأنظاره القدسية حتى بلغ مبلغ الرجال وتمّت له المقامات والأحوال. قال ابن أخيه السيد إبراهيم فصيح الحيدري في كتابه المجد التالد: أنه لما شرف حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه أولاً إلى بغداد تشرّف بخدمته وانتسب إلى طريقته وتحمّل معه أنواع المشاق في الحضر والسفر ولازم خدمته وقرأ عليه وحضر جلّ دروسه العلمية حتى أنه ترك الأهل والوطن وذهب معه إلى السليمانية ثم هاجر إلى دمشق الشام كما اتضح ذلك مما تقدم ذكره من المكاتبات التي كان يخاطبه بها دون غيره من سائر الخلفاء، وإن كانت على أنواع وأشكال من تأنيب وتأديب وتقريع وترغيب فإن ذلك من مقتضيات المرشد الكامل في تربية مريديه ليس إلاّ.

والحاصل أن السيد المشار إليه قد سلك على حضرة مولانا السلوك التام وهجر المآكل والملابس والاحتشام حتى ذكر ابن أخيه السيد إبراهيم فصيح الحيدري في المجد التالد أن حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه أمره بحمل الماء على ظهره وتسبيله في أسواق بغداد وأزقتها فامتثل أمره العالي وفعل ذلك مدة عشرين يوماً ثم أمره ببيع الماء بالدراهم من دون تسبيل ففعل ذلك مدة عشرة أيام واستكمل شهراً في حمل الماء على ظهره في أسواق بغداد وأزقتها مع كونه أجّل علماء بغداد وأكبرهم قدراً وعلماً وحسباً ونسباً، انتهى.

أقول: وهذا أشبه بما ذكره الإمام أبو طالب المكي في قوت القلوب حيث قال: لا بد لكل سالك من إسقاط جاهه وإخماد ذكره في مواضع اشتهاره وتعاطيه أموراً مباحة تسقطه من أعين الناس تهذيباً لأخلاقه وقسراً لنفسه الأمّارة بالسوء كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء إليه فلما سمع ذلك السائح استدعى بقلاً وأخذ يأكل أكلاً عنيفاً بمراء من الملك، فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذامّاً له.

قال بعض المنصفين: وإذا جاز لمن غصّ بلقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر إذا لم يجد غيره مع أن تجريمه مقطوع به ولا يفوته إلاّ حياة فانية فلأن يجوز مثل هذا إذا تعين أولى إذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى، فإذا التزم العبد هذه الطريق من الرياضات ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربّه واجتنى ثمرة =

الكردي الحيدري بضّره الله تعالى بقصوره وحماه من الاجتراء على السادة الأولياء بغروره مع شدة وهنه وفتوره آمين.

= غرسه على غاية الكمال والتمام، وتلك الثمرة أخلاق الإيمان التي تكيّفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي أثبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: الآية 269].

وقد بالغ بعض أئمة الصوفية رضي الله عنهم في مداواة علّة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزاً لهم أن يفعلوه ويأمروا به. وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك ممهلاً بحيث يرى ويظن به السرقة، فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يُعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه.

ومثل ما يروى عن أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه في قصة الشاهد الذي أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه وإعطائه في ذلك لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحالة في المحافل والمحاضر. والحكايتان مشهورتان ذكرهما الإمام أبو حامد الغزالي.

فإذا علمت ذلك تيقنت أن تحميل الماء للسيد عبيد الله الحيدري وتسبيله في الأسواق أمر مشروع جرى عليه القرافي في التربية والسلوك في طريق معرفة الله تعالى مهما أمكن، ثم إن حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه خلّفه خلافة مطلقة وفوّض إليه أمر الإرشاد في بغداد وأكثر خلفائها سلكوا أولاً على يديه ورباهم ثم خلفهم حضرة شيخنا الإمام قدّس الله سرّه العالي كما في المجد التالد، ثم قال: ومناقب عمنا المشار إليه وكراماته وآدابه ومكارم أخلاقه كثيرة، وقد أخبر حضرة مولانا الشيخ بوصوله إلى غاية درجة الفناء والبقاء حتى أنه قال: أمثال السيد عبيد الله والسيد عبد الغفور المشاهدي وموسى الجبوري ومحمد الجديد لا يوجد إلا في حلقة حضرة شاه نقشبند قدّس سرّه.

وله من الخوارق ما لا يسعه هذا المختصر. وبالجملة أن السيد عبيد الله المذكور كان لحضرة مولانا الشيخ يداً صادقاً وخلاً موافقاً، هاجر معه الهجرتين وعانى الأمرين وكان سبباً لدخول كثير من أجلاء العلماء في الطريقة العلية الخالدية لا سيما كبراء الأسرة العالية الحيدرية كالعلامة جدي أسعد صدر الدين الحيدري المشار إليه، والعلامة المفضال عمي السيد عبد السلام مفتي الشافعية ببغداد الحيدري، والعالم الصالح عمي السيد عبد الرزاق الحيدري، والعالم الصالح الورع ابن عمي السيد عيسى ابن السيد عبد السلام الحيدري، والعالم الأديب ابن عمي السيد فضل الله الحيدري، والعلامة الفاضل ابن عم والدي السيد صبغة الله ابن العلامة النحرير السيد إبراهيم الحيدري، والعالم الفاضل الأديب ابن عمي السيد عبد الحليم الحيدري، والعالم الزكي ابن عمي السيد إبراهيم ابن العلامة السيد محمد الحيدري الماوراني، والعالم العامل الصالح المدرس =

أما بعد: فالأمر الذي استشرتني فيه بالتحرير ليس لك فيه دخل بالنقير

= عمي السيد عبد القادر صدقي الحيدري، فكل هؤلاء السادة الأفاضل كانوا من رجال هذه الطريقة العلية النقشبندية ومن أخصاء الحضرة الخالدية قدّسنا الله تعالى بسرّه الأقدس وأفاض علينا فيضه وبره وجدواه، انتهى.

نبّه حضرة مولانا الشيخ الإمام قدّس الله تعالى سرّه خليفته المذكور أن الطريقة النقشبندية أسست قواعدها على دعائم الشريعة من تمسك بها فقد استمسك بالعروة الوثقى، وتسامى بين العارفين وترقى، وإن من وضع ميزانها من يده فقد مكر الله به، ولذا قال قدّس سرّه محذِّراً له: إن مبناها على أن لا يتغير شيء منها لمن يريد الاهتداء بمنارها ولا يتأتى ذلك إلاّ ببذل الجهد في استحصال رضاء المرشدين الكاملين والائتمار بأوامرهم والانتهاء عن منهياتهم، فإن مَن لا شيخ له فشيخه الشيطان ومتى كان شيخه الشيطان كان في الضلالة حتى يتخذ له شيخاً متخلّقاً بأخلاق الرحمٰن، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزّخرُف: الآية 36]. فيجب عليك أيها المريد الصادق أن تتأدب مع شيخك فإن كنت ناصحاً نفسك من رقدتك انتبه، وحصّن بيت قلبك بجنود الوقوف مع الآداب والحدود، وإن كنت صادقاً في دعواك الشهود اجلس على البساط وإياك الانبساط فإن ذلّة المقرب بألف ذلّة، وترك حذر الانبساط شغلاً بالمشهود أشرف حلة. ثم تأمل مرمى أدبه ومغزى تربيته لأتباعه وكيف حذّره بقوله قدّس سرّه: ولا تكن بصدد أحد يهدم أساسهم ولا تطلب ذلّ الطريقة لأجل الاتصال بكبراء الدنيا وحظوتك لديهم إلخ. فأين أنت منها إذ تكاد تضيق فيك الدنيا بما رحبت إذا لم يحترمك الناس ولا يرفعون مكانك لا سيما كبرائهم ووزرائهم.

فاعلم ذلك ولا تنسى نفسك فإن الإنسان على نفسه بصيراً. ما حجب عن شهوده إلا من لم يطلق من قيوده، واستولى الشيطان بدسائسه عليه ومن جملتها قوله بعدم وصولها إليه، وما علم أن ذلك من نزغاته الإبليسية ونزعاته الظاهرة في مهواة الأباطيل النفسانية يظن هذا الغرّ أنه ترقّى في معارج التدريج ترقّي الأهلة، وأن جموعه بلغت جموع السلامة لا جموع القلة، والحال أنه أسير الهوى وشيطانه لقيام الدليل على فساد ما يدّعيه وبطلانه. فرحم الله امرأ وقف عند الحدود وصان نواميس الحدود ولم يغترّ بسيرة الآباء والجدود، فإن من غرّه الغير كان كمثل الجدود، وليحذر النفس فإنها مهلكة مهلكة وملكة مملكة، معينة الخوان، معينة الخوان، منسية يوم الوقوف، منشية نوم الطرف المطروف، غادرة غير عاذرة، شاردة للحتوف مبادرة، ساعية في تلف الروح، داعية إلى سد باب الفتوح، فانهج مناهج أهل المجاهدة، لتدرج مدارج أرباب المشاهدة، وصاحب بصدق توجه الروح فإن معها الراحة، وجانِبْ هذه الدابة الجموح فإنها تسلب الصفا من الراحة، ولا تغرُّك بحليّها العاطل، فإن حسنها زور وادّعائها باطل، ولهذا حذّره رضي الله عنه بأن لا يكون بصدد إرضاء أحد من الأمراء والحكام بهدم أساس الطريقة وذلّها لأجل القبول لديهم والوصول إليهم، وتثبّت مكانته =

والقطمير، ولقد كنت تعلم أن الطريقة النقشبندية أسّست قواعدها على دعائم

= عندهم، فإن ذلك بالنسبة إلى المشايخ المساكين في إرشادهم إلى طريق معرفة الحق خسران مبين.

روي عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه قال: لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إليَّ من مجالسة الغني، لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم ومجالسة الموتى، قيل: ومن الموتى يا رسول الله، قال: الأغنياء». وفي الخبر الصحيح: «من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه، فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ذهب دينه كله لا محالة» وذلك لأجل الاتصال بكبراء الدنيا الفانية الشاغلة عن الدار الخالدة.

قال بعض الصالحين: قلت مرة لبعض الأبدال المنقطعين: دلني على عمل أعمله أجد فيه قلبي مع الله في كل وقت على الدوام، فقال: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظُلمة. قلت: لا بد لي من ذلك، قال: فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة. قلت: لا بد لي من ذلك. قال: فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة. قلت: أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم. قال: لا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة. قلت: هذه العلة، فقال: يا هذا أتنظر إلى الغافلين، وتسمع كلام الجاهلين، وتعامل البطالين، وتسكن إلى الهالكين، وتريد أن تجد قلبك مع الله على الدوام! هذا ما لا يمكن.

واعلم أن هذه الطريقة المنيفة التي أسست قواعدها على دعائم الشريعة الشريفة، على قسمين: علم وعمل ـ ثم العلم من حيث الجملة على قسمين: باطن وظاهر. والظاهر على قسمين: شرعي وغير شرعي. والشرعي على قسمين: فرض ومندوب. والفرض على قسمين: فرض عين وفرض كفاية. وفرض العين على ثلاثة أقسام، الأول: علم صفات القلب، وعلم أصل، وعلم فرع. والقسم الثاني من القسم الأول ـ وهو العمل ـ على قسمين: عزائم ورُخص، ولهذا نبَّه قدّس سرّه فيما قدمناه أن الطريقة ذات المعاني الرقيقة والعلوم الدقيقة، أسست قواعدها على دعائم الشريعة وهي مشتملة أيضاً على قسمين: علم وعمل. والأول منهما على قسمين: وهبي وكسبي. فالوهبي علم المكاشفة. والكسبي على قسمين: فرض وغير فرض، والفرض على قسمين: فرض عين وفرض كفاية. وفرض العين على ثلاثة أقسام: علم قلب، وعلم أصل، وعلم فرع، كما تقدم في العلم الشرعي، فهذا العلم الكسبي الذي هو أحد قسمي علم طريقة أهل الحقيقة، الذي هو علم الشريعة. والقسم الثاني من القسمين الأولين ـ وهو العمل الذي هو القسم الأول من قسمي علم الشريعة الذي هو العزائم ـ وهو مشتمل على سلوك طريقة الحقيقة، والطريقة مشتملة على منازل السالكين، تسمى مقامات اليقين، وهي ملازمة للشريعة في جميع علمها وعملها وأصولها وفروعها فرضها ومندوبها، على كل حال ليس بينهما مخالفة أصلاً. نعم هنا شيئان من العلم والعمل أحدهما: علم صفات القلب، فأهل الحقيقة لهم معرفته وتبديل صفاته الذميمة، وأكثر أهل الشريعة مهملون ومتهاونون فيه مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف. =

الشريعة التي ليلها كنهارها ومبناها على أن لا يتغير شيء منها لمن يريد الاهتداء بمنارها، ودخول الطريقة لا يبارك فيه ولا يحمد غبه إن لم يراع فيه قواعدها وآدابها. ومن أهم الآداب أن لا يختار الطالب شيئاً لنفسه، وقد سمعت مني أقوال السادة الكرام في حق طالب أراد تغير شغله بتعريض وإلمام، وأنت بعد ما قدر لك ما قدر لا ينبغي لك إلاّ بذل الجهد في إرضاء السادة وتوفيرهم بل خفض الجناح لصغير منتسبيهم فضلاً عن كبيرهم ولا تكن بصدد إرضاء أحد بهدم أساسهم ولا تطلب ذلّ الطريقة لأجل الاتصال بكبراء الدنيا واستئناسهم وبالغ في حسن التأدُّب معها ومع أهلها فلا ينفعك شيء من مناصب الدنيا من حزنها وسهلها بل لو تمتثل أمري ترى الضرر في دنياك أيضاً فحين زلّة القدم تندم ولا ينفعك الندم ولو كنت عندي لسمعت مني في هذا الباب ما قضيت منه العجب واعترفت منك بإساءة الفعل وترك الأدب نعوذ بالله تعالى في كل قول وفعل وأسلِّم على حبيبي الملا صبغة الله أسعد أفندي زادة وقاه الله وربّاه وزاده.

والحاصل إنك إن أردت إرضائي فكن سبباً لإخلاص الناس على مقتضى القاعدة واعترف عند كل أحد بأنك ضيّعت نفسك وتركت قاعدة السادة العلية في مباديك وأواسطك ونهايتك، والله لو علمت ما أعلم لبكيت دماً، صرفك الله تعالى إلى ما هو الأهم وبصرك بأن السم في الدسم، وطالع مكتوبي المرسل إلى عبد الغفور وصاحبيه الملا محمد الجديد وموسى الجبوري ففيه بقية من هذا الباب والسلام ختام الكلام.

= وأما القسم الثاني من قسمي علم الشريعة ـ وهو الرُّخص ـ فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكّون بأن ذلك حق والعمل به جائز لطفاً من الله تعالى بعباده ورحمة بهم، فللتخفيف ورفع الحرج عنهم.

وأما من حيث علمهم فلهم في العمل طريق في شواهق الحق علا شوامخ جبال عزائم الشريعة الغراء يسلكون فيها إلى الله تعالى بتوفيقه وعنايته وجميل لطفه وصيانته وعرة العقبات، صعبة الذهاب، منهم من يقيم فيها سبعين سنة، ومنهم من يقطعها بتوفيق الله في سنة، وبعضهم في شهر، وبعضهم في جمعة، وبعضهم في ساعة على حسب معرفة الله الكريم وتقدير حكمة العزيز العليم. اللهم أعِنّا على طاعتك وارزقنا معرفتك ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

[الرقعة الرابعة والستون]

كتبها قدّس الله تعالى سرّه وأفاض علينا بتوجهاته تمام المسرة من السليمانية إلى بغداد جواباً لخليفته الأكمل ونديمه الأمثل مولانا السيد عبيد الله أفندي الحيدري المشار إليه آنفاً رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

متّع الله تعالى جناب الأخ الأرشد، والخليل الأمجد الأنجد، منبع الحياء والأدب، كريم الحسب والنسب عبيد الله أفندي لا زال متمسكاً بالعروة الوثقى ومتوجهاً إلى مولاه وهو خير وأبقى.

وبعد: فقد هيج قراءة رقيمتكم الكريمة غرامي وازداد بتذكار مدينة السلام هيامي، وأكثرتم فيه من تقبيح هاتيك البلاد، والترغيب إلى سكنى مدينة السلام بغداد حميت عن طوارق الفتن والفساد.

حسن هذا الأمر لا شك فيه لدى أولي الألباب وليس استحسانه منحصراً عن رأي ذلك الجناب، وكيف لا تترجح بغداد على بلاد الأكراد حتى عند أرباب الجنون ولكن ما يقضى فسوف يكون، وإن الأمور بأوقاتها مرهونة والتقدير عن التغير مصون، والصبر على المصائب من شأن الفقراء، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ثم أصبتم في طرد زين الدين، فللّه دركم ولكن أوصيكم بالحلم والمسامحة والإعراض عن سفاسف الجهال، والاقتصار عن القيل والقال، والإكثار من السكوت ومطالعة الجمال، والمواظبة على الشغل والاشتغال، والمنّ على هذا المسكين بدعاء حسن الختام، والتضرُّع والانكسار على الدوام، والالتفات لنحو داعيكم في اليقظة والمنام، وأسلِّم على قرّة عيني صبغة الله أفندي أطال الله بقاءه، وياديتُ جناب العالم الفاضل أخي عبد الله أفندي بالمكتوب المستقل بخلاف ما مضى وجزنا عن جرائم إبراهيم آغا وأهل بيته ونرجو منكم الاستقامة. وأعجبني نظمكم للشجرة المباركة النقشبندية سوى مدح الفقير والسلام عليكم وأمر الطريقة في الترقي والمترقي كالمتنزل ها هنا والسلام.

[الرقعة الخامسة والستون]

كتبها سقى الله ثراه وابل الرضوان وبوأه أعلى فراديس الجنان من السليمانية إلى مخلصه الكامل العلامة المفضال السيد عبيد الله أفندي الحيدري المشار إليه آنفاً خليفة بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أسأل الله الكريم المنعام حسن الختام وثبات الأقدام في المعاملة مع مجانين محبة جماله، والوالهين في مهامه طلب وصاله، ولأخي في الله والمحب لوجه الله سيدي الملا عبيد الله، وأسلِّم أنا وأهلي على الشقيقة الشفيقة والدة عبد الحكيم، عاملهما الله بلطفه العميم إنه هو الجوَّاد الكريم، ثم إنها مأمورة مني ومن أهلي أن تعزي زوجة المرحوم حسن أفندي وابنته نيابة عنا مع المبالغة في تسكين خاطرهما من جانبنا والسعي الحثيث في إفهامهما بأنَّ هذا المسكين لا أنظرهما بعد اليوم بالعين التي كنت أنظرهما بها سابقاً إن شاء الله الرحمٰن.

ثم أخبركم بأن إنكار أهل السليمانية تبدّل بإخلاص ما رأينا مثله في بقعة من بقاع الأرض كما تسمعون نبذة منه من حامل الرقعة ـ ولا تظنوا إني أخلف الميعاد مع أحبة بغداد، وأغترّ بإخلاص الأكراد، ولكن من شدّة الازدحام، يفوت منا كثير من المرام، فما صار لنا إفراز الأحباء بالمكتوب وبالسلام ـ.

وبعد الست من شوال إن شاء الله نؤذن بالارتحال لذلك الطرف ولو عمل وليّ الأمر ما عمل لكن وكلتك لتسلِّم على جميع المخلصين والملا محمد الإمام نجيبه بالسلام وأخبرنا بما أجمعتم عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

[الرقعة السادسة والستون]

كتبها من بغداد أغدق الله عليه وابل الرحمة والرضوان وأعلى منزلته في فراديس الجنان إلى السليمانية براءة لذمة السيد معروف البرزنجي النودهي زعيم عصابة المنكرين إجابة لطلبه كما يتفسح ذلك من فحواها وإليك نصها بالحرف[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله

---

(1) لا يغرب عن علمك أيها الناظر أن السيد معروفاً المخاطب بهذه الرقعة لما انقطعت حجته وانطمست محجته كما قدمنا، ورأى أكثر علماء السليمانية قد رجعوا عن الإنكار وظهر لهم الحق ظهور الشمس في رابعة النهار، وتحقق خطأه وتيقن أنَّ منشأه الحسد والعناد فندم على ما جنته يداه وأصبح لسان حاله ينادي وا حسرتاه، وا مصيبتاه، حيث ظهر له أن مبارزة الأولياء الكاملين توجب البُعد من إله العالمين، وهذا لا يشك فيه عاقل ولا يجحده إلاَّ معاند جاهل.

فأخذ يتذرع بالوسائل لاستحصال رضا حضرة مولانا الشيخ عليه رجاء حسن التفاته إليه والصفح عن عثراته، وجعل الواسطة لتلافي ذلك كلاً من العالمين الكاملين الملا حسين القاضي المعروف بابن ملا جامي، والسيد إسماعيل البرزنجي المتقدم ذكره المدفوع بحكاية الرؤيا المختلفة الذي آل أمره بأن صار من أجلّة خلفاء الحضرة الخالدية.

فأتيا سدة بابه، وتمثلا بين يدي جنابه، وبلَّغا حضرته واقعة الحال وطلبا العفو عنه والاستحلال، فعفى عن زلاته وأقال عثراته فاسترحما من شيمته العثمانية وترجيا من شهامته القرشية أن يكتب له وثيقة تنطق ببراءة ذمته ليبرزها بين جماعته، فقبل سؤالهما وكتب له هذه السطور المدرجة أعلاه، وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية 134]. قال الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى: فسمى الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس محسنين وعرَّفهم أنه تعالى يحبهم ومن أحبه الله رضي عنه. ولما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: الآية 85] قال علي كرَّم الله وجهه: الصفح الجميل: الرضا بلا عتاب. وفي رواية: الرضا بلا توبيخ فيه ولا حقد.

فمن أمعن النظر لإذعان هذا العارف الكبير الوارث للمقام المحمدي الخطير كان ولا ريب مقتدياً به بالإنصاف والاعتراف، والاتصاف الموجب من بحره الاغتراف، إذ المرشد الكامل من كان هيناً ليناً منقاداً للطلاب عوّاداً إذا دعي للصواب، إذا رجع إليه =

وصحبه. من العبد المسكين والفقير المستكين إلى جناب سيدي الجامع لشرفي الفضل والأدب، الحائز لكرامتي الحسب والنسب، سيدنا ومولانا السيد معروف، سامحه بفضله الكريم الرؤوف.

= مسيء على خطأ وقع منه، أو قصد صدر عنه، فلا يتقاعس عن إجابته ويقبل بذلّه وكآبته، ويعرف حق من ساقه الله إليه، ويعلم أنه من جملة نعم الله عليه، قال الله في كتابه العزيز: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: الآية 40]، وقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [المَائدة: الآية 95].

هذا ولو أردنا تعداد مآثر هذا الإمام ومكارم أخلاقه لنفد الحصر قبل نفاده وفرغ الخاطر قبل أن تفرغ المآثر، كيف وإن ذكر المجد فهو ابن بجدته، أو العلم فهو ناسج بردته، أو الدين فهو معلمه وعارف ماهيته، أو الطريق فهو مجدده وناشر ألويته، أو التواضع فهو القائم بتفصيله وجملته، وإن مقاماً وراثياً تولى الله بناءه ولزم رسول الله ﷺ فناءه وحرس الشاه نقشبند قدّس سرّه معالم أرجائه، وغرس الإمام المجدد عرفانه حذائه، وأجاب مولانا خالد نداءه، وكان الصديق الأكبر نصيبه وإناءه لحقيق بأن يكون آمناً للدخيل ومورداً عذباً للوضيع والجليل.

وأن سبب عداوة الشيخ معروف لحضرة هذا الإمام على ما ذكره العلماء الأعلام هو أن حضرة مولانا خالد لما أرغم الله به أنف الجاحد والحاسد وحاز أسنى المقامات في اتباع الشريعة ووصل إلى أعلا منازلها الرفيعة، وأشرقت طلعته الوسيمة، وتحققت للأنام عقيدته السليمة، ودأب على إرشاد العباد، ورسخت محبته في قلوب عامة أهل البلاد، واستقامت أحوال خلفائه ومريديه، وخذلان أعدائه وحاسديه، حمل الحسد وحب الرياسة أهم رجال عصره على معارضته كالسيد معروف المخاطب بهذه الرقعة ومن ضرب على نغمته حيث لما رأوا الناس تأوي إلى بابه، ويسترشدون منه، ويأخذون عنه، ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، فغضب لذلك لأنه يحب أن يكون بهذه المثابة وهذا ليس في اليد بل هو ثوب إلٰهي يلبسه الله لصفوة عباده من المرشدين الكاملين والأئمة الوارثين.

قال الحيدري في المجد التالد: أن حضرة مولانا خالد قدّس سرّه لما عاد من الهند إلى السليمانية سنة 1226 هجرية واستقبله العلماء والأشراف وكافة العوام بغاية الفرح والسرور، وصار ذلك اليوم عندهم كالعيد ولم يظهر لهم الإرشاد وأقام مدة ثم رحل إلى بغداد بإشارة باطنية من شيخه الشاه عبد الله الدهلوي قدّس سرّه لزيارة الأولياء المدفونين فيها، فنزل في زاوية حضرة سلطان الأولياء الغوث الأعظم سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه في أيام وزارة المرحوم سعيد باشا ابن سليمان باشا، وشرع في الإرشاد بعد زيارة الأولياء الأمجاد، ومكث فيها مقدار خمسة أشهر، وأقبلت عليه الناس من جميع الطبقات للأخذ عنه والاسترشاد منه فخلّف فيها الخلفاء وأجاز العلماء ثم عاد إلى السليمانية بإشارة حضرة الشاه عبد الله الدهلوي المعنوية فأعلن =

وبعد: فقد بلغني ما وصيتم به الأخ الملا حسين القاضي وأمرتموه بتبليغه

= الإرشاد فيها، ونشر ألوية الطريقة عليها فتبعه الناس وحصل لهم من عرفانه كمال الاستئناس إلاّ السيد معروف المذكور وشرذمة من أتباعه فإنهم تخلّفوا عنه وأبوا متابعته بل عاكسوه وعارضوه لأن السيد معروف كان متمشيخاً عليهم بداعي الإرشاد في الطريقة العلية القادرية.

فقاموا عليه قومة رجل واحد وبعد قيل وقال يطول شرحه، لفقوا له بعض شبهات، ونسبوا إليه بعض خرافات، وعقدوا له مجلساً للمناظرة ودعوا إليه من الموصل الشيخ يحيى المزوري لأجل المناضلة وغبّ حضوره أفحمهم وأسكتهم، ومزّق حجتهم، وانقاد الشيخ يحيى إليه وتخلى عنهم وصار من خواص أتباعه كما سبقت الإشارة إليه بأوضح عبارة، فقاموا ساخطين، وانقضوا عنه مغاضبين.

ولما خابت أحلامهم ونكست أعلامهم تآمروا على قتله بحكم الوراثة المحمدية، وهذه الحادثة تشابه ما وقع لكفار قريش مع النبي ﷺ أبان الهجرة إلى المدينة المنورة وخيّب الله مسعاهم ونجّاه من كيدهم، ويؤيّد ذلك ما ذكره الحيدري ناقلاً عن والده وعمه قالا: كنا في خدمة مولانا خالد قدّس سرّه في السليمانية فصمم الشيخ معروف مع بعض الجماعة البرزنجية الذين هم أكابر أكراد السليمانية وأتباعهم بحيث بلغوا نحو مائتي رجل على قتله واتفق رأيهم على أن يقفوا له بالسلاح يوم الجمعة خارج باب المسجد فإذا خرج قتلوه وقطعوه إرباً إرباً. فلما كان يوم الجمعة قام حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه ومشى إلى المسجد وكان معه والدي وعمي وأخوه وبعض الخلفاء، قال الوالد: فلما قضيت الصلاة وخرجنا من الجامع رأينا صفوف الأعداء مرتبة بالأسلحة، فوقفنا في باب المسجد ننتظر خروج حضرة الشيخ ومن عادته قدّس سرّه أنه لا يخرج من المسجد بعد صلاة الجمعة إلاّ بعد جميع الناس كما هو المحبوب ودأب الصالحين، فلما خلا المسجد ولم يبق فيه أحد خرج قدّس سرّه خروج الأسد من عرينه والتفت إلى صفوف الأعداء، ونظر إليهم بعين الجلال، فمنهم من شرد وولى الفرار، ومنهم من سقط مغشياً عليه، ومنهم من صاح مجذوباً، ومشى حضرة شيخنا قدّس سرّه ومشينا خلفه والناس مطرقة رأسها من هيبته كأنما على رؤوسهم الطير حتى وصلنا إلى زاويتنا من غير أن يتعرض لنا أحد لا بالفعل ولا باللسان. وهذه القضية وقعت في ملأٍ من الناس وتجلّت بأجلى مظهر إلٰهي وهي في العراق أشهر من «قفا نبك» انتهى بتصرف.

ما قال المحقق محمد أمين السويدي في السهم الصائب: ثم اجتمع الشيخ معروف مع جماعته على الشيخ اجتماع الحسَّاد، وألفوا في مثالبه رسالة بدلوا فيها ما صلح من أحواله بالفساد، وزوّروا عنه أحاديث مختلقة، وخلقوا له أساطير ملفقة، استندوا في رواياتها إلى بعض الأكراد الذين اشتهرت عداوتهم له اشتهاراً ليس فيه عناد، فأوردوا عنه حكايات تنبيء عن حقد عظيم وتُخبر عن غلٍّ في صدورهم قديم، فذمُّوه من غير تأمُّل وتدبُّر، ونسبوه إلى ما هو بريء منه من الجور والتهوُّر، بل حكموا عليه وعلى أتباعه =

إلينا من حسن العبارات، ولطائف الإشارات، ثم ما ألقيتموه مع قرّة عيني العالم

= بالكفر، وتكلّموا فيه بالتقبيح والزجر، بعدما شهدت ببراءة ساحته المحترمة عامة أهل البلاد عما رمته به تلك الفئة الباغية الضالة عن طريق السداد، وأبى الله ما أراد الحاسد، وأتمَّ له بفضله وكرمه جميع المقاصد مما هو غني عن البيان والتفصيل، وكثرة التطويل، ومن أراد إطفاء نور أبى الله إلاَّ أن يتمه فقد أعمى الله بصيرته وأصمه. ورحم الله السيد محمد بن عابدين ما أنطقه بالحق حيث قال في كتابه «سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي»: ولم يزل هذا الإمام مبتلى بعداوة الحساد على عادة السادة الأمجاد، فيشيعون عنه الزور والبهتان من الكلام ويسعون به إلى الملوك والوزراء والحكام، فيتضاءلون عند الأنام حقارة ويزداد بدر إرشاده إضاءة وإنارة، انتهى.

يا ناطح الجبل العالي ليكلِمهُ   اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «إني إذا أحببت عبداً ابتليته ابتلاء لا تقوم به الجبال لأنظر كيف صدقه، فإن وجدته صابراً اتخذته ولياً وحبيباً، وإن وجدته جذوعاً يشكوني إلى خلقي خذلته ولم أبالي». فأُوذي حضرة مولانا الشيخ قدّس الله سرّه وصبر وتحمَّل من معاديه هذه الكوارث وما ضجر عملاً بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعرَاف: الآية 199] فخلاهم وشأنهم وهذا ليس بأول قارورة كسرت فقد نسبوا لله تعالى الولد والشريك والصاحبة والنظير، ونسبوا للرسول ﷺ السحر والشعر ورموه بالجنون ونوَّعوا القول في حقه إلى أنواع وفنون كثيرة وقد قتل بنوا إسرائيل كثيراً من أنبيائهم كما قال تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آلِ عِمرَان: الآية 112]، وما جاء نبي من الأنبياء ولا رسول من الرسل إلى قوم بشرع إلاَّ وقوبل بالأذى والجفا والضرر فصبروا على ما أوذوا فكان لهم حسن العاقبة. قال رسول الله ﷺ: «أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»، وكلما كثرت نعمة الله على العباد سلّط عليهم ألسنةِ حِدَادِ.

«عود على بدء»: ثم لما عاد حضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه في المرة الثانية إلى بغداد اغتنمها السيد معروف فرصة وأرسل إلى واليها سعيد باشا رسالته المذكورة ووسمها بتحرير الخطاب بعد أن وقّع عليها بأختام من بقي معه، وفيها تحريض وترغيب للوزير على إهانة مولانا الشيخ وإخراجه من بغداد. ولما وقف عليها ورآها مزخرفة الأقاويل كثيرة البهتان والأباطيل رماها من يده وقال: «إن لم يكن حضرة مولانا الشيخ خالد مسلماً فمن المسلم سبحان الله ما صاحب هذه الرسالة إلاَّ مجنون أو معاند أعمى الله تعالى بصيرته».

فلما وقف على مكرهم وكذبهم وتحقق مقتهم وكيدهم أمر العلماء الأعلام بالرد عليهم وإرساله إليهم، فانتهض العلامة النحرير السيد عبيد الله أفندي الحيدري لردهم فألّف رسالة حافلة بديعة في بابها وظرفها من علماء بغداد، وكذلك انتدب للرد عليها أيضاً العلامة النحرير السيد محمد أمين مفتي الحلة سابقاً والمدرِّس بالمدرسة العلية في بغداد لاحقاً برسالة سمَّاها: القول الصواب برد ما سمي بتحرير الخطاب، وهي التي =

الفاضل السيد إسماعيل من مكارم الأخلاق والاشتياق إلى التلاق، وإظهار

= ذكرها علماء وسادات السليمانية في صكهم الآتي ذكره قريباً. فختمت الرسالتان بخواتم جميع علماء بغداد وأرسلت إلى الشيخ معروف، فلما وصلتهم ولى المنكرون أدبارهم ثم لا ينصرون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 227]، فانطمست آثارهم وخفضت أعلامهم ـ لكن الشيخ معروف قام بتعاطي الأسباب اللازمة ثانية بتحريك عثمان بك عبد الجليل الموصلي وتشويقه على تأليف كتاب آخر تأييداً لرسالته فتهوّر وألّف رسالة وجعلها كالشرح لرسالة غاوية الشيخ معروف وسماها بـ«دين الله الغالب على المنكر المبتدع الكاذب»، وقد ردّ عليها بعد مضي مدة العلامة المفضال الملا محمد أمين السويدي البغدادي برسالة حافلة سماها «السهم الصائب لمن سمى العلامة الصالح بالمبتدع الكاذب» وهذه الرسالة قد أسكتتهم وأخرست أقلامهم وقطعت ألسنتهم، وقد أخذت الحكمة الإلٰهية غيرة على أوليائه مأخذها من عثمان الجليلي المذكور فقتل في صف النعال شر قتلة في حي سادة مدينة الموصل لاجئاً إلى حماهم مستشفعاً فلم تُقبل له شفاعة عند الله إذ قتله خصماؤه في دار الحاج إسماعيل أفندي قاضي الموصل يومئذ، اغتالوه على حين غرة ليلاً وهو على عتبة الباب، وهكذا اضطرته الغيرة الإلٰهيّة أن يلجأ إلى عتبة أبناء الرسول صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم على بغضه إياهم ومعاداته أولياء الله العارفين وورثته المحمديين ليُقتل بسيف الانتقام الإلٰهي هناك عبرة لأولى الألباب.

ولله در العلامة الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي حيث قال في كتابه «أصفى الموارد من سلسال أحوال مولانا الإمام خالد» مخاطباً من ألّف في الطعن عليه وإلى الله رحمته ورضوانه عليه:

أمؤلفاً فيه رسالة مكره ... سحقاً فما أنصفت يوم تؤلف
أرداك حقدك في مهاوي غيها ... نار ولكن لا أخالك تُنصف
أبعابد تغري وتهجوا أن ذا ... بغي به عن هدي ربك تجنف
صرفاً عن النهج السوي لهوة ... ملئت ضلالاً والشقاوة تصدف
أصبحت ذا إحن ودخل في امرىء ... برقو طلعته ينوب المسرف
أفلا ارعويت عن الغواية للهدى ... فلسوف تعلم ما أقول وتأسف
أو مثله ترمي بما هو بالروا ... فض والملاحدة الأخابث أعرف
هذا الضلال وأنت موقد ناره ... فلسوف تصلاها وعينك تذرف

هذا وبينما وزير بغداد سعيد باشا يفتكر بجرئتهم على حضرة مولانا الشيخ من أنواع الزور والبهتان إذ ورد عليه صك موقع عليه من أجّلة علماء السليمانية وأشرافها رداً على رسالة الشيخ معروف التي ذكرها حضرة مولانا الشيخ في جوابه له وقد ذكر ذلك الصك العلامة المحقق الشيخ أمين السويدي البغدادي في كتابه السهم الصائب فأحببت =

الأسف على ما صدر منكم في حق الفقير على سبيل الاتفاق، بسعاية أرباب

= إدراجه تذكرة للإخوان وتبصرة لكل منكر لئيم خوان، قال رحمه الله تعالى:

اعلم أيها الناظر بأني رأيت صكاً موقّعاً عليه من أجّلة علماء الأكراد وساداتهم كتبوا فيه شهاداتهم وختموه بخواتيمهم وأرسلوه إلى والي بغداد سعيد باشا، ومن جملة من وقّع فيه ختمه وأمضاه السيد علي البرزنجي القاضي في بلدة السليمانية والسيد عبد القادر البرزنجي المدرس من أبناء عم الشيخ معروف المذكور والملا عبد القادر نائب القاضي، والسيد محمود البرزنجي أحد أبناء عم الشيخ معروف المذكور، والسيد محمود البرزنجي وهو غير المتقدم ذكره، والسيد عبد العزيز البرزنجي أخو نقيب أشراف السليمانية، والسيد عبد الله البرزنجي، والسيد إسماعيل البرزنجي ابنا أخ النقيب، ومحمد أفندي المدرس ابن جلال الدين، والملا محمود المدرس ابن جلال الدين، والملا محمد المدرس ابن جلال الدين، والسيد علي البرزنجي المدرس من بني أعمام الشيخ معروف المذكور وحفيده الألمعي السيد عبد القادر البرزنجي أحد بني أعمام الشيخ معروف المذكور، والسيد محمد البرزنجي أحد بني أعمام الشيخ معروف المذكور، والسيد علي البرزنجي حفيد الألمعي المومى إليه، والملا عبد الكريم ابن الشيخ عمر الرمزباري المدرِّس بجامعها الكبير ورئيس علمائها وغيرهم من العلماء الأفاضل والسادات الأماثل. ومضمون الصك المذكور الثناء على حضرة مولانا الشيخ خالد والحط على رسالة الشيخ معروف وتكذيبها مع إن أغلب العلماء المذكورين أبناء عمه كما علمت لكن الحق أحق أن يتّبع وقد أحببت أن أذكر ذلك الصك بلفظه، فأقول: قال العلماء والسادة المذكورون:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أراح الفقراء مع كثرة تعرُض الظالمين لهم في كنف حماية الحكّام الكرام، وأزاح زخارف الملحدين ولو بذلوا الجهد بحسن اهتمام العلماء الأعلام، والصلاة والسلام على من رمي بالسحر والشعر والكهانة والجنون وهو منها أبعد الأنام، واتهم بما لا يليق بأدنى المتبعين فما ضرّه ذلك الاتهام، وأُريد به الهتك والفتك من أعدائه الكفرة اللئام، فعصمه الله تعالى من شرورهم وردّ مكائدهم إلى نحورهم فأزلّهم وهم ألد الخصام، وعلى آله وأصحابه الدافعين شبه المعاندين بأبلغ وجه ولا يخافون لومة اللوام.

وبعد: لقد رأينا الرسالة المزلفة المزخرفة الباطلة العاطلة التي افتراها بعض العلماء على وجه الحسد والعناد، الناشئة عن محض التهم والإفساد، المرسلة إلى مدينة السلام بغداد، مع ردها الذي أبدعه العالم الفاضل والنحرير الكامل الحائز لشرفي الحسب والنسب مولانا محمد أمين أفندي ـ الشهير بمفتي الحلة ـ المدرِّس بالمدرسة العلية، أفاض الله تعالى عليه شآبيب نعمه الوفية، فوجدناه قد أصاب في كل ما أجاب، وقمع مادة الشبه بلا شك وارتياب، وأتى في إبطال مكائد المفترين بالعجب العجاب، جزاه الله تعالى عن الفقراء خيري الدارين، وأثابه بما أجاب به حيث ما خلى في الجواب =

الأعراض وأهل الشقاق والاعتذار عن جميع ما جرى به اليراع في «رسالتكم

= الخلل والشين إلا أنه لعدم كمال اطّلاعه على غاية بطلان دسائس الماكرين، وظهور كذبهم وحسدهم على الفقراء والمساكين، ما أجاب عن شبهتهم إلا على طريق التسليم، ومع هذا فقد نسب الحساد المفترون حسدهم وافترائهم في رسائلهم الباطلة إلى جميع العلماء والسادات، وما خافوا من غضب خالق الأرض والسماوات، وما أرادوا بهذه إلاّ أن يصدر من جانب حضرة ولي النعم جلي الهمم وفيِّ الكرم، الوزير المكرم الدستور المفخم، الذي شبابه شاب عقلاء وعلماء، ومع حداثة سنه كبر جذالة وفهماً، أذلّ الله أعدائه كما أذلّ أعدائنا وأكرم أحبابه كما أكرم أحبابنا، إهانة وأذية بالنسبة إلى مولانا الذي إجابة أدعيته ترياق مجرب وجناب الوزير أدام الله تعالى به سعادة المسلمين ورد كيد الخائنين، مع عدم اختلاطه واطلاعه على أحوال مولانا بمحض إدراكاته الثاقبة وحذاقته الصائبة تيقن كذب الحساد في بادىء النظر، وتحقق لديه عنادهم أيده الله تعالى بحرمة سيد البشر.

ولقد فهمنا من جواب العالم النحرير والعالم الشهير مولانا محمد أمين أن حضرة أفندينا أباد الله تعالى أعاديه وأسبغ عليه أياديه، والعلماء الكرام والأمراء الفخام من أعيان بغداد مدينة السلام يظنون أن جميع علماء الأكراد رضوا بذلك الفساد، وأنهم قاطبة على ذلك الاعتقاد، فأوجب هذا علينا براءة لنا من الوقوع في موارق التهم، وتفادياً عن نسبتنا إلى إنكار الأولياء وهو بئس السقم، أن نقوم بالشهادة على ما تحقق لدينا ونخرج من عهدة ما أوجب الله تعالى علينا، فنقول: وبارىء العلق، وربّ الفلق، إن شيخنا ومولانا ومرشدنا ومقتدانا قدوة الكاملين وغوث الواصلين العبد المتوجه بشراشره إلى مولاه المعرض بكليته عما سواه، الباذل جهده في محبة الحق ورضاه، الصارف للنفوس الأمارة عن جميع ما تحبه وتهواه، الورع الزاهد والمرشد الراشد، والراكع الساجد والعالم العابد حضرة مولانا خالد قدّس الله تعالى سرّه العزيز وأمد الله تعالى ظلاله هو رجل تقي نقي ألقى الدنيا بما فيها إلى القفا وشمر لإحياء سنّة المصطفى، ورضي من الحساد بالمحن والجفاء، همّته تصحيح العقائد ومراده إعطاء الفوائد، ودينه دين الإسلام، وديدنه اتّباع معيد الأنام وسيرته تتبع آثار السلف الصالحين وطريقته ترويج الشريعة وتقوية الدين. الدنيا لا تعادل عنده جناح بعوض ويفرّ من لذائذها كما يفر الهارب من الكلب العضوض.

فكم من فاسق صلح ببركة إرشاده، وكم من مبتدع رجع بيمن تأثيره عن سوء اعتقاده، وكم رأينا منه غرائب التصرُّف، وكم أخبر بأمور ما وجدنا فيها تخلُّف، ونحن معاشر العلماء والسادات، منا من فاز بسعادة إرادته ومنا من اطلع قديماً على رشده وهدايته، ومنا من صحبه طول عمره وما رأى منه إلاً آثار التوفيق، ومنا من شرب من كؤوس باطنه رحيق الجذبات على التحقيق، وعندنا آثار علومه الزاخرة تزري بالبحر المواج، وأسرار جذبته الباطنية تحيي القلوب حياة النبات بالماء الثجاج، فسبحان الله العظيم، إذا كان مثل هذا البحر الزاخر والنجم الزاهر والنور الباهر والقائم الساهر =

المعهودة» الناشئة عن تقليد الوشاة وعن عدم الاطلاع، المهيجة عند بعض عوام

= والكنز الظاهر يسمى بالكافر فمن يكون معدوداً من المسلمين، وبمن يجوز أن يقتدى به في الدين.

اللهمَّ فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، ونحن أكثرنا من بني أعمام الشيخ معروف وما لنا من حيث النسب قرابة مع حضرة مولانا قدّس الله سرّه إلاّ أنه قد ربّاه الله بفضله حتى وصل إلى حده، هذا قطرة من بحر مناقبه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجُمُعَة: الآية 4].

لكن الشيخ معروف لما كان قبل ظهور حضرة مولانا قدّس سرّه معروفاً بالمشيخة بين الناس، ويظهر بعض دواعي ادعاء الباطن بالحيل والتمويه والالتباس، ثم بعد ظهور إرشاد مولانا خالد آل أمره إلى الكساد، وما قلّده أحد من أهل السداد، إذ ما كان عنده في الحقيقة باطن، وهو بعد في حجبه الغليظة البشرية قاطن، فأوقعه الحسد إلى ورطة الهالكين، فأنكر على مولانا الشيخ حتى تعدى إنكاره إلى جميع السالكين، فابتلاه الله تعالى بالوقيعة في أعراض الأولياء، وتكلم فيهم بما يأبى عنه الأغبياء فضلاً عن الأذكياء، وعلم الله وكفى بالله شهيداً أنه في كلِ ما نسبه في رسالته المزبورة إلى جناب مولانا أبقاه الله تعالى مفترٍ فيه كذّاب، وما تكلّم أبداً في حقه بالصواب، وكان مولانا خالد قدّس سرّه في السليمانية بين أظهرنا سنة كاملة ما قدر الشيخ معروف ولا غيره من المنكرين أن يواجهه بكلام ولا أطاقوا أن ينسبوا إليه مكروهاً فضلاً عن سوء الاعتقاد وارتكاب الحرام لكنهم لما خيلت لهم أنفسهم أنكم لعدم اطلاعكم على حسدهم وعنادهم لعلكم تغترون بمقالهم ارتكبوا ما أدى إلى ندمهم وانفعالهم. فللّه در الوزير العديم النظير الأديب الشهير الفخيم الخبير العادل البصير كهف الفقير وملاذ المسكين الشطير، كيف ألهمه الله تعالى الصواب وتنبّه على الأمر بتحرير الجواب، وما اغترّ مع قلّة تجاربه للأمور بغرور أهل الفساد والزور، مع أنهم نسبوا معتقدهم إلى جميع علماء شهرزور ـ ثبته الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وأيده وأعزّ به الدولة العلية القاهرة ـ فقد اكتسب بهذا الصنيع من أرباب الطريقة النقشبندية الأدعية المستجابة أناء الليل وأطراف النهار ونسألُ الله تعالى تأييده في زوايا (الدراويش) بالسر والجهاد. نعم إذا أراد الله شيئاً هيّأ أسبابه، وإذا قدّر لعبده شرفاً يعلّمه آدابه، وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، انتهى.

فإن قلت: قد عرفنا مزيد فضل هذا الإمام وكثرة الثناء عليه من عامة الأنام، وإن من تكلم فيه بالنسبة إليهم أقل القليل، ولكن القاعدة التي عليها التعويل بين أهل التفريع والتأصيل، أن الجرح مقدم على التعديل.

الجواب: هذا في غير من اشتهرت عدالته وظهرت ديانته وفي غير من علم أن التكلم فيه ناشيء عن عداوة أو جهالة أو غباوة. فقد قال الحافظ الباجي: الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحوه، وكانت هناك قرينة دالة على =

المريدين لفرط الوحشة وشدة النزاع، الحاكمة على هذا المسكين بأمور تنبو عن استماعها الأسماع، من استحلال المحرم والكلمات الدالة على الكفر وداعية الاستيلاء على البقاع، وغير ذلك مما لا يليق بشأن الأوغاد والرعاع، وتفصيله لا يخفى على ذهنكم الوقاد، وطبعكم النقاد، وإني لبريء مما نسبتم إليّ من فنون المثالب والفساد والإفساد، وأمرتم السيد المذكور أن يستكتب مني ألوكة تنطق ببراءة ذمتكم عن جميع ما صدر وغبر وجرى به القلم بمقتضى القضاء والقدر لتصير مفتاحاً لأبواب الائتلاف ومصباحاً لدياجير المراء والخلاف. وبلغني من السفيرين المذكورين تصميمكم على الإمساك فيما بعد عن أمثال ما مضى من النزاع والمفاخرة، وملاقات ما فات بطيب التحابب وحسن المعاشرة وتبديل

= سبب جرحه من تعصب مذهب أو غيره، فإنّا لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة. وإلاً فلو فتحنا هذا الباب وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة إذ ما من إمام إلاً وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.

وقد عقد الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في كتابه العلم باباً في حكم قول العلماء بعضهم في بعض بدأ فيه بحديث الزبير رضي الله تعالى عنه: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء» الحديث. وروي بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: اسمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في ذروبها. وعن مالك بن دينار: يؤخذ بقول العلماء والقرّاء في كل شيء إلاً قول بعضهم في بعض. وقال الإمام المحقق الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى بعد نقله لكثير من كلام الإمام ابن عبد البر محرراً لهذه المسألة: أن الجارح لا يقبل منه الجرح وإن فسره في حق من غلبت طاعاته كل معاصيه ومادحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة في الذي جرحه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء أو غير ذلك فنقول مثلاً: لا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صلاح، لأن هؤلاء أئمة مشهورون صار الجارح منهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي على نقله وكان القاطع قائماً على كذبه فيما قاله، ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك. وإليه أشار الرافعي بقوله: وينبغي أن يكون المزكون براءً من الشحناء والعصبية في المذهب خوفاً من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق، وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرحوا بناءً على معتقدهم وهم المخطؤون والمجروح مصيب. وتمام هذا البحث مبسوط في طبقات الشافعية للإمام السبكي فراجعه إن شئت وبالله التوفيق. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

المعارضة والمنافرة، بالمفاكهة والمسامرة، فسرتني هذه الحكاية غاية المسرة وحمدت الله تعالى على هذه النعمة المرة بعد المرة، شكراً لمن بدّل الشقاق بالاتفاق، وهيّأ أسباب الوصال بعد طول الفراق، أدامنا الله تعالى على هذه النية، وأتمّ لنا بمنّه هاتيك الأمنية.

ثم الأمر بإرسال المكتوب امتثلناه وهو أحسن مطلوب ونريد جوابه على أبلغ أسلوب. وأما الإبراء فهو يصدر مني ليلاً ونهاراً، وفصحت به في المحافل جهاراً كما قرع سمعكم مراراً، وأما حب الالتئام وترك الخلاف فأمر يشتاق إليه أهل الإنصاف، فكيف بمن يدعى له، فدُم في طريق التصوُّف ولو بالجزاف.

ولا يخفى عليكم أن السبب الأصلي لهذه الوحشة إنما هو ترك التردد وتقليد أقاويل الناس. فإن صحَّ ما بلغني عنكم فعليكم بالإعراض عن الكلمات المؤدية إلى الشك والوسواس، فإن أحوال أهل الفقر وراء العقل والعلم لا يدرك بالقياس، وبعد اللَّتيا والتي يضمن لك هذا المسكين إن ثبت قدمك وما طغى قلمك بعد اليوم أن ترى نتائج لا يحمل أكثرها السفير وتزيد على حوصلة التقرير والتحرير.

ومن بعد هذا ما تدق صفاته وما كتمه أحظى لديّ وأجمل

والسلام عليكم وعلى ولديكم السيد محمد والسيد كاكا أحمد ورحمة الله وبركاته.

* * *

[الرقعة السابعة والستون]

كتبها نفعنا الله بأنفاسه وأفاض علينا من مشكاة نبراسه
من دمشق إلى بغداد جواباً إلى مخلصه الصميم ونديمه الحميم
شريكه في أيام تحصيله العلوم الجهبذ المفضال
مولانا الشيخ عبد الرحمٰن الروزبهاني رحمه الله تعالى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، والشكر للمنعم الذي أذهب عنا

الحزن باطِّلاع أحوال الأحباب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ما انكشفت عن شمس محياه الحجاب، إلاَّ وانشقت بنصول هيبته البدور وانكبت بحلول عظمته الأنصاب، وعلى أتباعه الذين لم يكن لمخالب صولتهم سوى دماء أعاديهم خضاب، والآل والأزواج والذريات والأصحاب ما ناح الحمام وجاد السحاب.

وبعد: فوالذي أحرق قلبي بنار اشتياقكم، وأغرق جسدي في بحار دموعي من شدائد فراقكم، ثم والذي أكرمني في زمن الوِصال بسعادات الهوى، وسقاني وقت حرمان الجمال كؤوس غساق الجوى، لا يمضي عليَّ وقت إلاَّ وذكركم أنيسي، ولا يمر عليَّ حين إلاَّ وشبحكم جليسي ولم أزل مذ فارقتكم ليلاً ونهاراً أُريق من عيوني الدموع أنهاراً، وأصبّ منهما العبرات بحاراً، وصارت مقلتي سحاباً، ودموعي أمطاراً، فسبحان من أرسل السحاب عليّ مدراراً، وأعظمه عندي شرفاً ومقداراً، والسلام ختام الكلام.

* * *

[الرقعة الثامنة والستون]

كتبها جواباً إلى خليفته وصديقه
العلامة السيد الشيخ عبيد الله أفندي الحيدري
المفتي ببغداد رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أخصّ بأبهى التحيات وأزكى التسليمات جناب من أطفأ نيران همومنا بعباراته الرائقة وكسر فقرات غمومنا بفقراته الفائقة ـ أعني سيدي ومحبي لوجه الله سليل ليوث غابة السلسلة العلية الحيدرية الملا عبيد الله جعله الله له وكان له عوضاً عن كل شيء.

وبعد: فقد تشرفنا بمكتوبكم الكريم وهاج مجدداً شوقنا مما فيه من أسلوبه الحكيم وتأملنا ما فيه من استدعاء الالتفات واستعذبنا زلال هاتيك العبارات

اللطيف محمد طاهر أفندي مفتي القدس الشريف، ومن المخلص للطريق النقشبندي محسوبنا الخواجة عمر راسم أفندي حاوياً لفقرتين سرتا الخاطر، وأقرّتا الناظر.

= الزمان غضب حضرة الخاقان المشار إليه طاب ثراه على حالت أفندي المذكور ونفاه إلى مدينة قونية التي فيها مرقد حضرة مولانا جلال الدين المشار إليه رضي الله تعالى عنه ثم أمر الخليفة بخنقه فخنق هناك انتقاماً منه على سوء عمله وافترائه على أوليائه الكاملين رضوان الله تعالى عليهم واكتفى المسلمون من شره وفساده والحمد لله رب العالمين، انتهى.

عجل الله تعالى بالانتقام من الظالم للمظلوم وهو أحكم الحاكمين مع أن حضرة مولانا الشيخ أعرض عن جناية هذا الظالم ولم ينتقم منه وإنما حول أمره لشيخه لعلمه بأن المغفرة حاصلة له بعدم الانتقام بالنفس قال تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّور: الآية 22] فاستعطف الله تعالى الخلق وندبهم إلى العفو كما يحبون أن يفعل بهم.

قال القاضي البيضاوي رحمه الله تعالى: ألا تحبون أن يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه. ثم قال رحمه الله: روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأ آية: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ [النُّور: الآية 22] الآية على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال أبو بكر: «بلى أحب» وأعاد إلى مسطح نفقته التي كان قطعها عنه انتهى.

وهي قصة الإفك المتلوة في كتاب الله الكريم وكان المشيع لذلك عصابة منهم عبد الله بن أبيّ مطروداً ومشهوراً بالنفاق ـ وحسان أعمى أشلّ اليدين ـ ومسطح مكفوف البصر. ثم قال عند قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النُّور: الآية 15] ما نصه عظيم في الوزر واستجرار العذاب، فهذه آثام مترتبة علق عليها من العذاب العظيم إلقاء الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم انتهى.

وهذا حالت أفندي الأفاك الشهير قد استجر العذاب لافترائه واستصغاره بمقام الورثة المحمديين قاتله الله ثم قتله انتقاماً منه وكرامة لحضرة مولانا الشيخ الإمام قدّس سرّه في صبره على مناوأته وإيذائه، قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى عقب هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عِمرَان: الآيتان 135 – 136] ما نصه: وتنكير جنات في هذه الآية يدل دلالة صريحة على ما لهم دون ما للمنفقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقاً بين القبيلين أنه فصل إليهم بأن بيّن أنهم محسنون مستوجبون لمحبة الله تعالى وذلك =

إحديهما: إن بعض الإخوان المسلمين قالوا فينا باجتهادهم أشياء أرادوا بها تكدير خاطر ظل الله على العالمين، ملجأ الفقراء والعالمين، مولانا السلطان الأعظم لا زال محفوظاً عن تكدير قلوب الفقراء، وملحوظاً بعناية الله الأقدس الأرحم.

= لأنهم حافظون على حدود الشرع وتخطوا إلى التخصيص بحسن الأخلاق، وفصل آية هؤلاء بقوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: الآية 136]، وكم بين المحسن المتدارك والمحبوب والأجير ـ قيل: كان سليم بن نوفل سيد بني كنانة ضربه رجل من قومه بسيف فقال له سليم: أما خشيت انتقامي، فقال له: فما سودناك علينا إلاّ لأن تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني وتحلم على الجاهل وتحمل المكروه في النفس والمال. فعفى عنه كما فعل حضرة مولانا الشيخ مع من وشى عليه عند خليفة العصر ونابذه بالعداء وصاوله بالإيذاء فانتقم الله له منه عاجلاً وآجلاً.

ولا ريب أن كان ذلك جزاء ما افتراه على أصفياء الله، فيجب على كل من آمن بالله واليوم الآخر أن يتباعد مهما أمكن عن مصاولتهم ومعاداتهم حتى لا يكون محلاً لغضبه وعرضة لسخطه وعقابه، نسأل الله العافية من ذلك لأن لحومهم مسمومة وسهام حرابهم الصائبة مسنونة وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حاكياً عن ربه عزّ وجلّ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة» أخرجه البخاري عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما. قال العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى في سل الحسام الهندي: ومعنى آذنته بالمحاربة أي أعلمته أني محارب له ومن حارب الله تعالى لا يفلح أبداً ولم يحارب الله عاصياً إلاّ المنكر على الأولياء وآكل الربا وكل منهما يخشى عليه من سوء الخاتمة انتهى.

وقال ابن عدي رحمه الله تعالى: إياك ومعادات أهل لا إلٰه إلاّ الله فإن لهم من الله الولاية العامة فما بالك بالولاية الخاصة فهم أولياء الله ولو جاؤوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله لقيهم الله بمثلها مغفرة. انتهى.

وقال ابن عطاء رضي الله عنه في مفتاح الفلاح: كل من ثبتت ولايته حرمت محاربته ومن حارب الله فقد ذكر جزاه في الدنيا والآخرة، قال ﷺ حاكياً عن ربه: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب» اهـ.

ومن أمعن النظر وأنعم الفكر فيما تضمنته هذه الرقعة المباركة تحقق عن مقام هذا الوارث المحمدي والفرد الواحد المجددي الذي تولى الله حراسته وحفظه من كيد أعدائه بمضمون ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المَائدة: الآية 67] وينصرك نصرا مؤزراً. فإنه قدّس سرّه من قوة إيمانه بالله وشدة يقينه في توكله على الله ورسوخ قدمه وسمو مقامه لم يتعرض في رسالته المذكورة إلى براءة ساحة نفسه عما رماه وافتراه عليه ذلك الواشي لا تصريحاً ولا تلويحاً كما هو دأب الورثة الكاملين رضي الله عنه مع أعدائهم أمثال حالت أفندي المذكور، على أنك ترى مولانا الشيخ قدّس سرّه كأنه ما تحرك =

فألهمه الله تعالى ما زخرفوه من جملة دواعي النفس الأمارة، فلم يصغ إليهم بل ردهم بصريح العبارة.

= منه شعرة تشعر بأنه تأثر من عدوه بقدر الذرة وذلك لمزيد حلمه وشفقته بالمسلمين ورأفته وحنانه بإخوانه المؤمنين كما هو حال الأولياء الكاملين والأئمة الوارثين. وفضلاً عن ذلك فإنه قدّس سرّه لم يخرجه عن إخوانه المسلمين فقال معرضاً: «إن بعض الإخوان المسلمين قالوا فينا باجتهادهم أشياء أرادوا بها تكدير ظل الله على العالمين فردهم بصريح العبارة» إلى آخر ما قال. هذا والإعراض عن المنكرين عند القوم أعظم تعريف وضعوه للولي الذي تولى الله حفظه، قال في الرسالة القشيرية: فإن قيل فما معنى الولي، قيل محتمل أمرين، أحدهما: أن يكون معناه مَن توالت طاعته من غير تخلُّق معية. والثاني: تولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي فلا يلحق به الخذلان الذي هو قدرة العصيان ويديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعات، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية 196].

فإن قيل: فما الغالب على الولي في أوان صحوه، قيل: صدقه في أداء حقوقه سبحانه ثم رفقه وشفقته على الخلق في جميع أحواله ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ثم دوام تحمله عنهم من غير التماس منهم وتعليق الهمة بنجاة الخلق وترك الطمع من كل وجه وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم والتصاون عن شهود مساويهم ولا يكون خصماً لأحد في الدنيا والآخرة كما نقله العلامة ابن عابدين في رسالة إجابة الغوث.

قلت: وإذا أحطت علماً بما تلوناه عليك علمت أن جميع هذه التعاريف التي وضعها أئمة هذا الشأن للولي تنطبق تمام الانطباق على حضرة مولانا القطب الأعظم قدّس سرّه الأقوم فإنهم افتروا عليه وآذوه ووشوا به إلى السلاطين والحكماء ونابذوه فداوم على تحمل ذلك منهم، فحفظه الله من شرورهم وحرسه من الخذلان وتولاه من سهام مساويهم، ولم يكن خصماً لأحد من خلق الله تعالى كما يتضح من مطالعة رسائله التي أودعناها كتابنا هذا بتأمل. على أن هذا الوصف الشريف إنما هو تمكن إيمان التوحيد من قلبه ليس إلاَّ.

تصديقه: بما قال الإمام الغزالي قدّس سرّه: التوحيد أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع عنك الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلاَّ منه. ومن ثمرة ذلك التوكل عليه تعالى وترك شكاية الخلق والغضب عليهم والتسليم لحكم الله فينتظم شمل العالم في نطاق واحد ولا يرى بعين قلبه في الدارين غير الواحد فيصلي على جميع الموجودات صلاة الأموات ويكبِّر عليها أربع تكبيرات ويتساوى عنده الحمد والذمّ فيرى ذمهم له تأديباً وزجراً، وحمدهم فتنة ومكراً، فأمر بحركة ألسنتهم بحمده وذمه ومتى بقي فيه للنفس نصرة ولو مثقال ذرة فهو صاحب دعوى وله شيطانه أغوى، انتهى.

ومن هذه النقول عن أولئك الأئمة الفحول تعلم صحة ما طبقناه وتتحقق صدق ما قلناه ونقلناه في شامخ مقام هذا الإمام حيث تساوى لديه حمد الخلق وذمهم، وذلك =

وثانيهما: أن حضرة منظور هذا المسكين على الدوام، مفتي الأنام، وشيخ

= من رسوخ مقام التمكين في التوحيد والتفريد ولذا لم يجر قلمه في هذه الرقيمة في مجاوبة السيد طاهر أفندي الحسيني بكلمة تُشعر بالانتصار لنفسه أو الحط من قدر الواشي المذكور مع شدة وهنه ومعاداته لأولياء الله كما هو ثابت تاريخياً، بل لم يتعرض له بشيء لا صراحة ولا إشارة ولم يدافع عن نفسه لحضرة السلطان ولا ناضل متوكلاً على الرحمٰن ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية 49] فإنه تعالى يقتص للشاة الجماء من القرناء في الموقف يوم العرض الأكبر والجزاء وهو الحافظ المعين على الابتلاء للقريب والبعيد كما قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: الآية 46]. فإن قيل: ظلّام من صيغ المبالغة فيوهم نفيه ثبوت أصل الظلم، قال العلامة المحقق الشهاب محمود الآلوسي في كتابه الفيض الوارد شرح مرثية مولانا خالد: أجيب عن ذلك بوجوه **الأول**: أن هذه الصيغة قد تأتي للنسبة كتمّار ولبّان فيكون المعنى: وما ربك بذي ظلم، وهو معنى ما قيل: وما ربك بمنسوب إلى الظلم، وذلك نفي له من أصله. **والثاني**: أنه وإن كان للكثرة لكن جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى: ﴿عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سَبَإ: الآية 48] عالم الغيب حيث قابل صيغة المبالغة بالجمع واسم الفاعل بالواحد. **والثالث**: أن صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء في الإثبات فجرى النفي على ذلك. **والرابع**: أنه تعريض بأن ثم ظلاماً للعبيد من ولاة الجور. **والخامس**: أن الآية وردت للرد على قوم جهلة كانوا يقولون أن الله سبحانه ظلّام للعبيد، فلا مفهوم للقيد الذي تدل عليه الصيغة، ومثل ذلك من وجه: ولا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة. **السادس**: إن قليل الظلم على فرض وقوعه منه سبحانه وتعالى كثير، ففيه الكثير عنه سبحانه عين نفي القليل، إلى غير ذلك من الأجوبة التي ذكرها الألوسي المذكور.

ثم قال: وحضرت يوماً في مجلس شيخنا مولانا خالد قدّس سرّه فجرى ذكر هذا السؤال، فقال بعض من حضر: المراد المبالغة في النفي لا نفي المبالغة. فقال حضرة الشيخ قدّس سرّه: يكاد أن لا يعقل هذا وإن ذكره بعض المحققين ممن سما قدره ونما ذكره. ثم أخذ قدّس سرّه يقرر ما ارتضاه ويحرر من الأجوبة ما رآه إلى أن قال: أحسن الأجوبة ما يقال: إن الآية نزلت في رد قوم كانوا يقولون: الله ظلّام للعبيد، فردّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: الآية 46].

وردّ بآيات أخر على من يزعم نسبة شيء من الظلم إليه تعالى فإذا كان المقصود من الآية مجرد الرد على أولئك لا ينظر إلى ما يقتضيه مولولها وهو الجواب الخامس الذي سمعته في عداد الأجوبة التي قررها قدّس سرّه من هذا ما ذكره بعضهم في دفع الإشكال المشهور في كلمة التوحيد من أن تقدير الخبر لا موجود لا يتم به التوحيد لأنه لا يلزم من نفي وجود إلٰه إلاّ الله نفي إمكانه. والتوحيد إنما يتم به لأن من نفى الوجود وقال بالإمكان فهو عارٍ عن الإيمان وتقدير ممكن يلزم منه إمكان الله جلّ جلاله وفيه ما فيه وتقديرهما مع ما فيه لا دليل عليه، والذي ذكره ذلك البعض اختيار الشق الأول =

الإسلام، له الإخلاص التام، والميل القلبي إلى هذا الفقير المستهام، فأوجب

= والكفار إذ ذاك إنما يقولون بوجود آلهة كثيرة وذلك يكفي في ردهم ومخالفتهم ولم يقل أحد منهم بوجود إله واحد فقط وهو الله تعالى مع إمكان غيره ليحتاج في رده إلى نفي الإمكان. نعم لا بد في نفس الأمر من ذلك ومبرهن عليه وثابت في غير ما هنالك. انتهى ما ذكره حضرة ضياء الخافقين مولانا خالد ذي الجناحين بمعناه. وما ذكره قدّس سرّه في كلمة التوحيد رأيته في مواضع عديدة مع أجوبة غير قوية ولا سديدة إلاَّ أن ما اعترض به على تقدير ممكن من أنه يلزم منه إمكان الله تعالى وفيه ما فيه إنما يتم على مذهب الشافعية القائلين بأن الجملة المتضمنة استثناء حكمين: إيجابي وسلبي، وأما على مذهب الحنفية القائلين بأن فيها حكماً واحداً، وأن حكم المستثنى مسكوت عنه في الجملة وإنما يعلم من خارج إذ ليس في كلمة التوحيد على مذهبهم نظر إلى ذلك التقدير أكثر من أن ما عدا الله تعالى من الآلهة غير ممكن، وأما أنه سبحانه وتعالى ممكن وغير ممكن فلا تفيده الآية أصلاً، فافهم ولا تكن من الغافلين.

وقد تواترت الأخبار وتعاضدت الآثار على أن الظلم حرام مشؤوم، وأن الله تبارك وتعالى لا بد أن ينتصر للمظلوم، وقد اشتهر ذلك بين الأنام، حتى كاد أن يعد من أجلى البديهيات لدى الخاص والعام. ومما يحكى أن جباراً بنى قصراً شامخاً للتفاخر والتنافس على أمثاله، فجاءت عجوز فبنت بظهره كوخاً تعبد الله فيه، فبينما هي في بعض الأيام في حاجتها إذ خرج الجبار يدور حول القصر، فرأى الكوخ فسأل عنه ثم أمر بهدمه فهدم فلما جاءت العجوز ورأته مهدوماً سألت من هدمه فأخبِرت بالقصة فرفعت طرفها إلى السماء، وقالت: يا رب إن لم أكن حاضرة لما خربوا بيتي فأنت أين كنت، فأمر الله سبحانه جبريل عليه السلام فاقتلع القصر بمن فيه انتصاراً لتلك العابدة وانتقاماً من البغاة كما انتقم من حالت أفندي وسخط عليه المرحوم السلطان محمود خان حتى نفاه إلى قونية كما علمت وأمر بخنقه فخُنق فيها وهي كرامة عظيمة لأوليائه الذين من آذاهم فقد حارب الله.

ولله در من قال في هذا المعنى:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين اللّه لم تنم

ومما أثمر هذا المنهاج لهؤلاء الرجاج غيبتهم عن شهود مقام العبودية، الذي هو في الحقيقة ونفس الأمر أشرف المقامات السعودية. ولهذا وصف بها نبيه ﷺ ومن رام شهود العبودية مشى إليها ومَن فارقها وما درى ومشى إلى غيرها كان مشيه في الحقيقة القهقرى، وكل من خرج عمّا لها إلى منازعة صفات الربوبية فقد سوّى بين المحبية والمحبوبية، وكان كالمتشيع بما لا يملك والمتتبع لما به يَهلك ويُهلك، شحط السوم فيما لا يجديه نفعاً، ولا يكسبه هنا وهناك رفعاً، فهو كمن شار في مخمر العشا مع أنه أعشى وأفشا، أو كمن خرج بين سمع الأرض وبصرها وما درى طول ليلته من =

هذا علينا مزيد الدعاء لمولانا السلطان الأعظم، والخاقان الأفخم، أناء الليل وأطراف النهار بالنصر والتأييد، وبالحفظ والبقاء والتأبيد، واضمحلال أعداء الدين والكفرة الملحدين بطالع دولته السعيد، وأن يجعل الله جناب شيخ الإسلام محفوظاً في ظل حمايته. ومورداً لفضله وعنايته إلى أمد بعيد، لكن القلب يميل إلى قضاء ما سافرتم لأجله من مطلبكم وما كتبتم من خصوصه شيئاً فبقي الخاطر من جهتكم منتظراً والقلب متفكراً، عسى أن يكون المانع خيراً، وسيجعل الله بعد كل عسر يسراً. وصلّى الله تعالى وسلّم على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين. وأخصّ جميع المخلصين الفقراء المساكين بالدعاء والسلام، وهو خير الختام.

* * *

[الرقعة الحادية والسبعون]

كتبها قدّس سرّه إلى العالم الفاضل الملا محمد سعيد أفندي السويدي البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

أسلّم على حبيبي محمد سعيد السويدي. فوّضتك إلى موسى الجبوري على طبق طلبك فانقطع عن صحبة عبد الغفور واشتغل بالعلم والعمل وما يعنيك واترك ما لا يعنيك. الله تعالى يصلحنا وإياك آمين والحمد لله رب العالمين.

= قصرها. وإذا أردت أن تسير به إلى الحق عنفاً صار يطرطب شفتيه غيظاً وحنقاً، لظنه في نفسه أنه عبقري أهل الحق الأبلج، مع كونه سمين مهزول الحسب أطبج، لا يعرف الهر من البر، ولا الغر من الفرّ، شق العصا، فخالف وعصى، عاث فيه ذئب الجهل، لتوعره وتركه السبيل السهل، وهذا زمان العثاعث الذي بلغ فيه السيل الزبى، القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، فإن كنت قد أدركت بارقة قرب فصنها ودع من يعتر أو يختر، وإن طرقتك طارقة شرب فعش ولا تغتر، فإن الحق تبارك وتعالى إذا أراد تطهير قلب غسله، وإن أراد بعبد خيراً عسله. والزم حي العبودية فإنه مقيد بحمل التي من غاب عنها بدره ما اكتمل، ومن استقام قدمه فيها علا كعبه وهان صعبه. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

[الرقعة الثانية والسبعون]

كتبها أعلا الله درجته في أعلى عليين وحشرنا معه
تحت لواء خاتم النبيين إلى أتباعه المخلصين في المدينة المنورة
إعلاماً بإرسال العلّامة المفضال السيد عبد القادر سركلو البرزنجي
عوضاً عن الشيخ إسماعيل الزلزلوي الذي أغراه عبد الوهاب المطرود
وجاء بالرسالة التي رد عليها العلامة ابن عابدين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من المسكين المستهام، على سكان طيبة الطيبة السلام. يا إخوان الطريقة جزاكم الله خيراً وأسكركم من رحيق الحقيقة.

ما أحسن ما بلغني عنكم من سرعة التنصل عن ذلك العبد المفتون، لما اعتراه والعياذ بالله من الجنون والمجون، ثبتكم الله على طريق الاستقامة، وصانكم بمنّه وكرمه عمّا يوجب الندامة.

لقد شكر الله لكم ما صنعتم، واستحسن الفقير فعلكم الذي فعلتم.

لهذا أرسلت إليكم السيد السند الفاضل، وَالْحِبْرَ المستند الكامل، سيدي السيد عبد القادر أفندي البرزنجي، كان الله له عوضاً عن كل شيء، فعليكم باتباعه وامتثاله، وبالاقتداء بفعاله واستماع مقاله، والاعتقاد التام بنفوذ تصرفه وباهر حاله، وإن ساق القدر المحتوم سيدي المرقوم إلى غير قطركم فتمسكوا فيما يأتيكم من كماله، واسألوا لهذا المسكين عني الالتفات ممن أتمَّ الله فضله وأفضاله، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة الثالثة والسبعون]

كتبها أمدنا الله تعالى بمدده إلى مخلصه الصميم المرحوم عبد الله باشا حاكم أيالة عكا لما حمل على إطفاء نار ثورة جبل لبنان سنة 1242[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم

وحيث اتجهتم صادفتكم عناية ويرعاكم الرحمٰن من كل جانب

مفيض عليكم ما قصدتم من المنى بنهج سلكتم في فنون الأسالب

(1) الباعث الذي حمل الدولة العلية إذ ذاك على تجهيز هذه الحملة على ما حكاه صاحب رسالة حل الرموز هو لإطفاء نار فتنة أضرمت في ربوع لبنان سنة 1242 هجرية بين الدروز والنصارى وانشقاق أهل الجبل إلى شقين أحدهما مع الشيخ بشير جنبلاط زعيم الدروز، والثاني مع المير بشير الشهابي المرتد الشهير، ذلك طلباً للرياسة ونزع زمام حكم الجبل من أيدي الشهابيين.

وقبل سوق جيش عكا من طرف المرحوم عبد الله باشا حاكم أيالة صيدا لإخماد نيران تلك الثورة الداخلية كتب طاب ثراه عريضة استنجادية إلى شيخه ومرشده مولانا خالد قدّس سرّه يستدعي فيها منه المدد بالدعاء والملاحظة بالتوجهات المعنوية، وذلك بناء على ما اعتمده العلماء الموثوق بعلمهم من أهل السنة والجماعة باستحباب طلب ذلك من باطن أهل القلوب الطاهرة وأرباب الكرامات الظاهرة على طريق خرق العادة التي خصهم الله بها دون غيرهم لأنهم من جنوده وحزبه تعالى. وفي ذلك من الفوائد المعنوية ما لا يخفى على أهل البصائر النيرة.

فمن الآيات البينات الدالة على ثبوت وقوعها منهم ما جاء في القرآن الكريم حكاية عن نبي الله سليمان عليه السلام وصاحبه آصف إذ قال: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل: الآية 38] فطلب عليه السلام من الملأ - وهم الجن والأنس - وفيهم مردة الشياطين ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: الآية 39] فقال سليمان: أريد أسرع من ذلك ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النمل: الآية 40] وهو آصف بن برخيا من الإنس وكان كاتب سليمان ووزيره: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: الآية 40] فأتى به في هذه المدة القصيرة، وكان العرش في اليمن وسليمان عليه السلام في الشام، ومسيرة ما بينهما ثلاثة أشهر، فأتى به من تحت الأرض وهو سرير مكلل بالجواهر والذهب سالماً بما فيه بأسرع من لمح =

وبعد: فقد وردت رقعة الاستغاثة والاستمداد، فوقع التوجه إليه تبارك وتعالى لكم في تسهيل المراد، وطلب التوفيق والنصر والاستيلاء على. . . الدروز، وإطفاء ثائرة فسادهم وتسكين ما وقع منهم من الحركة والبروز. والمرجو منه تعالى وتقدّس تيسير كل عسير إنه على كل شيء قدير. وعليكم بصدق النية، وتحقق الأمنية والتعويل عليه تبارك وتعالى من يسير وعسير، والاستمداد من روحانية الرجال في كل نقير وقطمير، والتبرىء من حولك وقوتك في الفعل والقول، والتمسك القوي بحول ذي القوة والطول، ولا تغفل عما أجزتك به من الكلمات المأثورة فإن لكل ورد وارد.

ودمتم في توفيق الله ونصره وهو الحافظ الأمين، وصلى الله تعالى وسلم على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

* * *

= البصر. وقد أجمع أهل العلم من المفسرين وغيرهم أن هذا من نوع الكرامة التي حبا الله تعالى بها أوليائه البررة وهو الأمر الخارق للعادة يجريه الله على أيدي الخاصة من عباده المقربين. وقد ذكر تعالى هذا في مقام الافتخار لذلك الرجل الصالح ولم يعتب على نبيه السيد سليمان عليه السلام ولم يقل له: لِمَ طلبت المعونة من غيري، ولو على سبيل الأمر، وأنا أقرب إليك من حبل الوريد وعبيدي غير قادرين على هذا الأمر الذي لا يقدر عليه غيري. وذلك من التماس الأسباب كما قصَّه الله عليه في كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن أصدق من الله حديثاً.

ووقوعها من الرسول ﷺ معجزة له، ومن شهداء وصلحاء أمته المرحومة كرامة لهم، والفاعل الحقيقي في ذلك هو الله تعالى وحده، إلاَّ أنه تعالى يكرِّمهم بها فضلاً منه ومنة. وكرامات الأولياء من حيث هي معجزة لأنبيائهم عليهم الصلاة والسلام لأنها تكون لهم بواسطتهم وذلك بسبب متابعتهم لهم كما تقرر فطلب المرحوم عبد الله باشا من شيخه قطب الزمان المدد بالدعاء الصالح والمعونة بالتوجهات القلبية للنصرة والغلبة في تسكين ثورة أولئك المشاغبين إنما هو من هذا القبيل الذي لا مطعن فيه عند أهل الحق والإنصاف ممن ليس في قلبه مرض الإنكار على الأولياء بمجرد اتباع الهوى والغرض ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: الآية 257].
لمؤلفه: أسعد صاحب.

[الرقعة الرابعة والسبعون]

كتبها قدّس سرّه جواباً إلى الوزير الخطير عبد الله باشا حاكم عكا المشار إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

أقرّ الله تعالى عينكم، وأيدكم بنصره، وحفظكم عن رؤية نفسكم، وأقامكم في اجتناب نهيه وامتثال أمره.

أما بعد: فقد وردت بشارة غلبة جيشكم على الدروز... وعدم وقوفهم في مقابلة المجاهدين في سبيل الله بعدما حملوا عليهم حملة صادقة، فالحمد لله تعالى على حسن صنيعه مع أوليائه، وقطع دابر أعدائه، حمداً يوافي نعمه ويكافىء مريده، لا زلتم كما رمتم مظفرين ومنصورين ولأرباب الأنظار الإكسيرية منظورين، والسلام ختام الكلام.

* * *

[الرقعة الخامسة والسبعون]

كتبها أمدنا الله تعالى بإمداده جواباً من دمشق الشام إلى الشيخ محمد الجديد الخليفة المقدم في بغداد دار السلام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفقير المسكين إلى منظوره الملا محمد الجديد عصمه الله عما وصمه وصانه عما شانه آمين.

---

(1) اشتهر هذا العارف المفضال في الخطة العراقية بأبي يوسف الثاني، صاحب التحقيقات في مشكلات المعاني، كان من أكابر الخلفاء الخالدية، وأعاظم الفقهاء الحنفية، أخذ الطريقة النقشبندية من حضرة مولانا خالد وسلكها على يديه، وحضر جلّي دروسه العلية وأتقنها عليه، ولما آذن منه الكمال خلّفه خلافة مطلقة وأذن له بالتوجه والإرشاد، وتدريس العلوم الشرعية على وجه السداد في بغداد.

فنهض يرشد الناس على أحكم أساس يدرّس الفقه والحديث والتفسير وكتب =

ما كتبته إلينا من إخلاص خادمنا أسعد أفندي إبن النائب وقاه الله من شر النوائب فهو بعض من آثار خلوصه وما خفي عليك أكثر، وعليك برضاء عبد الغفور فإني أرضى لرضاه وأسخط لسخطه.

= التصوُّف في زاوية حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه وكان بيته ملاصقاً لها ولا يخرج منها إلى داره إلاّ بعد صلاة العشاء، وكانت تأتيه الفقهاء والطلاب أفواجاً أفواجاً للقراءة عليه والاستفادة من علومه وفيوضات عرفانه. لازم حضرة مولانا الشيخ العم سنين عديدة وأزمنة مديدة وأفنى حياته في الإرشاد ونفع العباد، وقد فوّض له الأمر والنهي إبان هجرته إلى الشام على سائر خلفاء بغداد وأمرهم بأن يراجعوه ولا يخرجوا عن طاعته ورضاه، وكانوا يعدونه في العراق بمنزلة حضرة مولانا خالد قدّس سرّه حتى أن السيد عبد الغفور المشاهدي من أكابر الخلفاء البغداديين مع جلالة قدره، وسمو منزلته عند مولانا خالد كان مع باقي الخلفاء يتأدبون معه وقاراً واحتراماً وكانوا لا يتصدرون في حلقة الختم والتوجه بل ينتظرون أمره وإشارته حتى إذا أراد أحدهم الانصراف ليلاً إلى داره يستأذنه فإن أذن له ذهب وإلاّ بقي تلك الليلة في التكية امتثالاً لأمره. وكانوا يتوجهون للإخوان يومي الجمعة والثلاثاء معاً في حلقة واحدة إلاّ أن الشيخ محمد الجديد المشار إليه هو الذي كان يدير الختم الشريف ثم يشرعون بالتوجه، فيبدأ الشيخ من جهة اليمين والسيد عبد الغفور من جهة اليسار والسيد عبيد الله الحيدري والشيخ موسى الجبوري من الوسط إلى بقية الصفوف، وعند تلاقي الخلفاء كان الشيخ محمد الجديد مع كونه مقدماً عليهم يتأدب معهم فلا يتوجه إليهم ما لم يطلبوا منه التوجه لأنفسهم. كما أنه كان أيضاً يطلب التوجه منهم إليه في أكثر الأوقات حرمة لمكانتهم في الطريقة، وكيف لنا بزرقاء اليمامة تعير طرفها للنافذ البصير كي ينظر أحوال بعض خلفاء هذا الزمان وما يقع منهم ونسمعه عنهم من المنافسات والإنكار على بعضهم، فلو كانوا موجودين أيام حضرة مولانا خالد ورأى ذلك الاختلاف منهم مع خلوهم من الزهد وتزاحمهم على جيفة الدنيا الدنية لما رضيهم في طريقته وأبعدهم عن حضرته. ومن اطلع على وصيته التي سنذكرها انجلت له شمس اليقين.

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

وكان كل من الخلفاء المشار إليهم يجلس في حجرة مختصة به، إلاّ أن الشيخ محمد الجديد كان يجلس في الحجرة التي كان يجلس فيها حضرة مولانا قدّس سرّه وكان كثير الأتباع لآدابه الضيائية في جميع أحوالِه التي كان غالبها الجلال وغالب أحوال السيد عبد الغفور الجمال، وكان يمنع دخول المريدين على بعضهم في حجراتهم ويأمر كلاً منهم بالانفراد والاشتغال بورده من الذكر والمراقبة، وكان يديم مراقبة أحوالهم ويأمرهم بطلب العلوم وتصحيح العقيدة على وجه الكمال بمقتضى ما جاء عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وجعل لهم أوقاتاً مخصوصة لمذاكرة الفقه والحديث والعقائد والتصوُّف بعد أداء الفرائض. وكان قدّس سرّه يأمر الخلفاء بقوله: لا تخلفوا إلاّ =

وذكرت أن المخلصين بل أهل بغداد كافة صار لهم إخلاص عجيب مع جناب الوزير داود باشا بسبب هذه المعاملة التي وقعت منه وهو بالنسبة إلى ما يهدى له من الأدعية المستجابة والإثنية المستطابة في سائر الأقطار من أرباب الحضور والانكسار كالقطرة بالنسبة إلى البحر الزخار بل من الأذكياء من يقول أن هذه الخدمة ظاهراً من ابن النائب.

وكتبت من إخلاص الحاج محمد المستغني عن البيان، وبيت السويدي عموماً، والملا محمد أمين أسعد خصوصاً، كتبوا إليّ أن الملا محمد سعيد أراد السفر لملاقات الفقير فمنعوه وقالوا له: امكث في مدرسة الفشيطني واشتغل بقراءة العلم ونشر الطريقة. لقد أصابوا في ذلك إني لا أرضى أن يترك عياله ويجيء إلى هنا، وهو الآن متيقن أن القرب والبعد في عالم الباطن سواء فليس

= العلماء، كما كان دأب شيخنا الأعظم مولانا خالد قدّس سرّه، فإن طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنّة فمن لم يحفظ القرآن ولم يحفظ الحديث ولم يتفقه فلا يقتدى به، كما قال الجنيد.

وقد ورد عن الإمام مالك نظير ذلك حيث قال: من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق. فيا أسفاه على رسوم معالم الحقيقة، ويا حسرتاه على إضاعة أصول الطريقة، كيف أصبحت تئن تحت نير قوم يدعون الكمال في الإرشاد وهم أضل من القطا في سبيل السداد، تلفظوا بالنصائح المزخرفة وجعلوا بينهم وبينها مسافة ما بين المشرقين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون، فالنصيحة سهلة والمشكل العمل بها لمرارة مذاقها عند متبع الهوى فهم اشتغلوا بما لا يعنيهم حتى أعرض الله عنهم بدليل ما ورد عن الرسول الأعظم ﷺ: «علامة إعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وإن امرؤ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خُلق له لجدير أن تطول عليه حسرته، ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار». ومن اعتقد أن السلوك في سبيل الإرشاد العاري عن العمل بما في الكتاب والسنّة يوصله إلى الله تعالى فاعتقاده وهم باطل بعيد عن الحق بمراحل والويل كل الويل لمن اشتغل بالإرشاد العاري عن العمل الشرعي لجلب حطام الدنيا وتحصيل الرفعة بتشويه صباحة هذه الطريقة العلية الصدِّيقية حيث تكون حجته داحضة مردودة عليه. فاشتغل يا أخي بالعلم والإرشاد والعمل بالطريقة المحمدية التي لحمتها وسداها الشريعة الأحمدية واكسر ثورة النفس وهذِّب أخلاقك بمكارم الأخلاق تعش عيشة راضية، وطوبى ثم طوبى لمن وفّقه الله ورعاه بعين عنايته حتى التحق بأهل الكمال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النّحل: الآية 128]. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

لهذا التعب فائدة فليشتغل بالعلم والعمل وإحياء ما بين العشائين والطلوعين والتهجد. وأذنت له في ختم الخواجكان وختم القرآن إن تيسر، ولم يؤذن له فيما طلبوه مني الآن لعله يتيسر في وقته.

ومن خصوص أجوبة الأحباب المخلصين: لا تكتب بخطي وبعضها لا تكتب أصلاً، لا تظنوا بي السلو والتناسي عنهم فقد كتبت لك قبل هذا إني أحن إليهم حنين الطائر إلى فرخه، بل هم أشهى إليّ من الشباب وشرخه، لكن ليس عندي كتاب، وأهل الشام من الأحباب لا يعرفون سليقتي وأنا بحمد الله مشتغل بأمور الدين اشتغالاً ليس لي عنه فراغ إلاّ نادراً.

فالمرجو مسامحتهم والاكتفاء بالود القلبي والدعاء الغيبي وبما تيسر من تحرير الجواب. ثم أوصي الأحبة عامة وإياك خاصة باتِّباع السنَّة وترك الحظوظ وسعة المشرب والصفح عن عثرات الإخوان والإعراض القلبي عن زخارف الدنيا الفانية وترك الوجود، وبذل المجهود، والوفاء بالمعهود، والقناعة بالموجود، والسعي في تحصيل الشهود، والسلام ختام الكلام.

* * *

[الرقعة السادسة والسبعون]

كتبها رضي الله عنه وأمدنا بنفحة منه من دمشق إلى العالمين الفاضلين والمرغدين الكاملين مولانا الشيخ محمد الجديد والسيد عبد الغفور المشاهدي معتمديه في بغداد قدّس الله سرّهما

بسم الله الرحمن الرحيم

من أذلّ العبيد إلى سيديه عبد الغفور ومحمد الجديد، السلام عليكم ورحمة الله الكريم المجيد.

وبعد: فقد مضى برهة من الزمن لم أذكركما بورقة فأحببت أن أكتب إليكما مع الخادم القديم والمخلص الصميم عبيد الله أفندي وبعثته إلى أهله وأمرته بالاشتغال بطلب العلم ليكمل ما بقي له من المادة، ويقرأ تتمة ما جعله

العلماء جادة، وأمر الإرشاد مفوض إليكما كما في السابق فأنتما بالاختيار في كثيره وقليله ودقيقه وجليله، وله شغل آخر لا يزاحمكما في أمركما ـ وعليكما باتباع الشريعة الزهراء، والسنَّة السنيَّة الغراء، والرفق والمداراة مع الإخوان المسلمين، وعدم الإعجاب بما يظهر منكما من التأثير، والتبري من الحول والقوة حتى في النقير، وكمال المجاملة، وحسن المعاملة مع موسى الجبوري، والسلام.

* * *

[الرقعة السابعة والسبعون]

كتبها رضي الله عنه إلى مريده ونديمه القديم شريكه في تحصيل العلوم العلامة المحقق مولانا الشيخ عبد الرحمٰن الروزبهاني جواباً له لما طلب تغيير شغله قبل بلوغ مقامه(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فقد تشرّفنا بمطالعة المكتوب وترجينا لإنجاز ما فيه من

(1) إن حضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه نبّه مريده في هذه الرقعة على أمر عظيم من دقائق السلوك في الطريقة النقشبندية حيث قال محذراً له: إياك أن تشتغل بما لم تؤمر به قياساً على أخيك وأخي الشيخ علي فيفوت عنك فوائد لا تحصى فإنه قد يكون ضرراً إلخ.

إن الانتقال من ذكر اسم الذات إلى النفي والإثبات إنما هو موكول إلى فراسة الشيخ البصير العارف بدقائق السير والسلوك فإن رأى في مريده استعداداً للجذبة شغله بمراقبة اسم الذات. وإن رآه خارجاً عنها أمره بالنفي والإثبات مع ملازمة الرياضات حتى يتمكن الذكر من قلبه فينجذب إلى الله تعالى ثم يشغله بالمراقبة على الترتيب والتدريج المتعارف عندهم حيث قالوا: إن اسم الذات ذكر المجردين عن قيد السوى. والنفي والإثبات ذكر المقيدين بقيد السوى، فمقام صاحب ذكر اسم الذات فرق مجرد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: الآية 91] الآية. ومقام صاحب ذكر النفي والإثبات فرق مقيد وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى =

المطلوب، فأما الإذن للاشتغال بالنفي والإثبات فهو موقوف على الوصول إلى مقامه أو إشارة أحد من الحضرات. وأما التوجه والالتفات فعسى أن يكون في

= يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله» الحديث. ولما كان اسم الذات من الأسماء الجبروتية ـ أي الدالة على العظمة والجلال ـ والنفي والإثبات من الأسماء الملكوتية، كان ولا ريب الوصول بذكر اسم الذات إلى عالم الجبروت بالنسبة لأهل الجذبة أقرب من الوصول بذكر النفي والإثبات ولا يجوز للسالك الاشتغال به إلاَّ بالانتقال إليه بدلالة الشيخ المرشد وتوجهه من لطيفة إلى لطيفة بالتدريج حتى يمر على سائر اللطائف ويحصل له سلطان الذكر في جميع جسده، ومتى وصل إلى هذه المرتبة المتعالية يلقنه حينئذ ذكر النفي والإثبات القلبي.

وكيفية الاشتغال به هو أن يلصق السالك الأسنان بالأسنان، والشفة بالشفة، واللسان بسقف اللهات مغمضاً عينيه ويجلس متربعاً في محل خال حابساً نفسه تحت السرة، ويلقي أولاً جميع شعوره وإدراكاته إلى قعر القلب بالوقوف التام، ثم يخرج النفس من أنفه بعنف إلى منتهى الدماغ قاصداً إخراج الخواطر والهواجس الشاغلة عن قلبه حتى يحصل له الحضور في عبادته تعالى.

وقد شرطوا بأن يكون معه حس بقوة الوقوف القلبي فإن ذلك من أعظم الأسباب لدفع الخطرات عن القلب في كل وقت ـ ثم يمتص النفس ويحبسه تحت السرة ـ وهذا وإن لم يشترطه الإمام بهاء الدين شاه نقشبند قدّس سرّه إلاَّ أن رجال الطريقة اتفقت كلمتهم عليه في التسليك على أنه أقرب لتأثير القلب حسبما جربوه فليعلم ذلك.

قال علماؤنا قدّس الله تعالى أسرارهم: أنه ينبغي للسالك أن يلاحظ لفظة (لا) ويتخيلها مستطيلة من السرة إلى أم الدماغ مع ملاحظته معناها الذي هو النفي. ثم يلاحظ (إله) فيجر ذلك الخط من أم الدماغ إلى رأس الكتف الأيمن، ويلاحظ لفظة (إلا) فيجر ذلك الخط من رأس ذلك الكتف على محال اللطائف بحسب الخيال إجمالاً ماراً بها إلى فم القلب. ويريد منه الاستثناء فيلقي لفظة (الله) بعظمتها إلى قعر القلب الصنوبري بشدة زائدة بحيث يتأثر بحرارتها جميع الوجود ضارباً عليه الكلمة الطيبة بكل قوته موتراً في العدد الذكري إلى أن يبلغ إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين مرة في نفس واحد، وفي المرة الأخيرة يتخيل (محمد رسول الله) إلى قعر القلب أيضاً بقوة إطلاق النفس المحبوس على سويدائه بحيث يتأثر بحرارة ذلك الضرب الشديد جميع البدن وتحترق بتلك الحرارة جميع الخطرات الفاسدة الشاغلة من حضور القلب.

ولهذا الذكر عندهم شروط، منها أن لا يتنفس الذاكر إلاَّ على وتر كما علمت لأن الله وتر يحب الوتر وكلما زاد في حبس النفس ازداد تطهير باطنه من الأغيار، وله خاصية عجيبة في تسخين الباطن وجمع العزيمة وهيجان العشق وقطع أحاديث النفس. والمراد بالحبس ها هنا حبس نفس غير مفرط فبينه وبين ما يأمر به الحكماء الإشراقيون في رياضتهم بون بعيد فلا تغفل. =

بعض الأوقات. والأدب الأهم في كتابة المكتوبات التصريح بما لا بد بيانه للمريد من الأحوال والإدراكات قلَّ أو كثر، والقليل هنا كثير. ولله در قائل هذا البيت أجاد فيما أفاد:

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

وطلب تبديل الذكر غير متعارف عند أهل الطريق. إياك أن تشتغل بما لم تؤمر به قياساً على أخيك وأخي الشيخ علي فيفوت عنك فوائد لا تحصى فإنه قد يكون ضرراً والمريد لا يدري به عسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم نصّ قاطع والحقير بمقتضى إدراكي ما أرى أحوال قلبكم بعد مقتضيه للنفي والإثبات وأنتم

= وقد قالوا: إن للعدد الوتري عندهم خاصية عجيبة فينبغي للذاكر عندما يخرج (إلاَّ الله) من كتفه الأيمن ويضربها على القلب أن يحرك الرأس قليلاً تحقيقاً لمعناه فإنه يوجب التأثير حسبما جربه من عاناه.

قال محققوا طريقتنا قدّس الله أسرارهم: وينبغي أن يكون هذا الذكر بغير تصور المعنى بخلاف ذكر اسم الذات فيبقى الذكر فيه على حالته المشغول بها حتى يبلغ عدده إلى الحادية والعشرين أو الثالثة والعشرين مرة بنفس واحد ويقدر على إتيان هذا المقدار من العدد، وهذا يسمى عندهم وقوفاً عددياً. وإذا عجز عن الإتيان به لكثرته وضعفه فليرسل النفس وليستعمل الذكر فيه من غير حبسه فهو نافع أيضاً، وكلما ضاق النفس يطلقه ثم يستأنف العمل في ذكره كذلك وهكذا إلى أن تحصل له النتيجة المتقدم ذكرها.

وينبغي أن لا يفرط بحبس النفس بحيث يشتد عليه ضيقه لئلا يشوش حضوره، ولو كان له مقصود معين من المطالب فيخصه بالنفي صريحاً حتى ينتفي أثرها من قلبه لأن الخطرة الكونية تسد عليه باب الفيض بخلاف الخطرة العلمية. وهذا يستمر له مع استحضار روحانية شيخه المربي مستمداً من فيض باطنه على إتمام مشروعه بهذه الوظيفة المقدسة ناوياً (بلا إله إلاَّ الله) نفي ما سواه عن القلب. وله أحوال ومقامات لا تعد ولا تحصى فاطلبها من محلها. وقد استوفينا البحث عنها وأوضحنا كيفياتها بكمال التوضيح والبيان في مؤلفاتنا وعلى الأخص كتابنا بلوغ الأماني لإخوان الصفا في القطر اليماني فراجعه إن شئت.

فإذا علمت هذا تبين لك مرمى ما نبّه عليه حضرة مولانا الشيخ الإمام قدّس سرّه في هذه الرسالة من حقائق العرفان ودقائق السلوك وجب عليك أن لا تتبع هواك فتضل عن سواء السبيل وأن تقتفي أثر الأئمة الكبار من أهل العرفان باتخاذ المرشد الكامل الحكيم وتتقيد بتربيته ليأخذ بيدك إلى معارج الكمالات حيث من لا شيخ له فشيخه الشيطان، والله الموفق إلى النهج القويم والصراط المستقيم. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

ما كتبتم إدراككم فبقي الأمر على ما هو عليه والخروج عن ديدن أهل الطريق بمظنة عده من عداد الإخلاص أمر يفهم بشاعته العوام فضلاً عن الخواص، والسلام ختام.

* * *

[الرقعة الثامنة والسبعون]

كتبها قدّس سرّه وثيقة إلى الشيخ أبي الخير آذِناً له بحضور الختم الخواجكاني عند الشيخ خالد الجزري خليفته في ديار بكر رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، لا يخفى على أرباب التصديق والتوفيق بأن مخلصنا في الله الشيخ أبو الخير قبلناه في الطريقة النقشبندية وأذنا له بحضور الختم عند خليفتنا وبالأذكار القلبية، ونوصيه باتّباع الشريعة الغراء، والسنن المصطفوية وترك الآثام والأخلاق الردية، وأن يذكر الفقير المستهام بدعاء حسن الختام.

* * *

[الرقعة التاسعة والسبعون]

كتبها أمدنا الله تعالى بإمداداته وأفاض علينا من بركاته إلى العالم الفاضل والمرشد الكامل مولانا الشيخ عبد الله الجلي خليفة كوي سنجاق قدّس الله سرّهما[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أخصّ بمزيد التحية والسلام، وغاية العناية والإكرام، محب هذا المسكين

(1) لقد تحقق عند رجال هذه الطريقة بالكشف الصحيح والوجدان الصريح أن ختمها المأثور عن حضرة رئيس حلقات الخواجكان سيدنا الخواجه عبد الخالق الغجدواني =

المستهام، الذي لا تزعزعه لومة اللوام، وتسويل اللئام والطغام.

وبعد: فطالما عذبنا فراقكم ومللنا من شدة ترقُّب لقائكم، وتعلّلنا بإطفاء

= رضي الله تعالى عنه محك لصدأ معادن قلوب المريدين، ومظهراً لأشعة أنوار الغيوب عند السالكين ليروا هذا المنهل العذب في مقام الإيمان ويغترفوا من سبيل سائغ شراب ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 60] فيفيض الله على أهله من جزيل نعمه الواردات الربانية واللمعات الإحسانية. كيف لا وهو ورد وارده محمدي ومورد كوثره هدى أحمدي، ظلّ عرفانه للملازمين عليه ممدود، وجداول عوارفه من بحر التوحيد موررود، حفّ بالأنوار القدسية والمواهب الأنسية ولازم عليه الأولياء الأكابر، وأرشدوا إليه الأعاظم والأصاغر فحصلت لهم من بركاته الغاية، وأشرقت على قلوبهم شموس الهداية، فإن اغترفوا فمن بحره الذاخر، وإن استضاؤوا فبنوره الزاهر، لاح لهم منه جمال كمال الأقمار، ونطق لسان حالهم بمكنونات الأسرار، إن سئلوا عن أنسابهم قالوا من طينة الغرام مقطورة، ويسنى شموسه أحسابهم مستورة، استغنوا عن المراتب الظاهرة بمعاني الدرجات في الآخرة. ونظراً لما درجناه وما تحقق عند أولئك الأكابر أوصى حضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه خليفته بشدة الاعتناء به والمواظبة عليه وهو وإن لم يكن من شروط هذه الطريقة الأنيقة إلاّ أن كبار مشايخها عدوه من شعائرها وجربوه في جلب المنافع ودفع المضار فوجدوه مضيئاً كالشمس في رابعة النهار.

وشرطه عندهم أن يقرأ بين الجماعة لأن الجمع لا يخلو من رجل صالح مقبول الدعاء وسر الاجتماع هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى أن تنتهي سلسلة الارتباط إلى النبي ﷺ ومنها إلى الله تعالى. ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ومن الاثنين أبعد». وإذا لم يتمكن المريد من الحضور مع إخوانه يرخص له في القراءة منفرداً بشرط أن يؤذن له بذلك. وينبغي للتالي أن يستحضر في نفسه أولاده وإخوانه إذ الختم المذكور وكر لأهل هذه الطريقة يجتنون به المنافع الدنيوية والأخروية كما تجتني النحل العسل من خواص الورود والأزهار.

واعلم أن هذا الختم الشريف سريع التأثير حسبما جربه الأولياء الكبار المجمع على ولايتهم وشرطوا لمن أراد قراءته رعاية أركانه وشروطه وآدابه والمداومة عليه في الشدة والرخاء، وقد بالغ قطب الطريقة مولانا خالد قدّس سرّه في الحث على المداومة عليه صباحاً ومساءً لأنه أتم في حصول المقصود إذ توجه القلوب واجتماع الهمم في حصول أمر لا يعادله توجه قلب رجل واحد. وورد في الصحيحين عنه ﷺ: «أن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإن وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا وإذا تفرقوا عرجوا إلى السماء» الحديث بطوله. =

لواعج الهجران بتكرار ذكراكم، إلى أن اتفق توجه ناقل الرقيمة إلى تلك الجهة،

= وأركانه سبعة، **الأول**: الخضوع والخشوع والحضور. **والثاني**: قراءة الفاتحة سبع مرات عن يمين الشيخ. **الثالث**: الصلاة على النبي ﷺ مائة مرة. **والرابع**: قراءة سورة (ألم نشرح) تسعة وسبعين مرة. **والخامس**: قراءة سورة الإخلاص ألف مرة ومرة. **والسادس**: قراءة الفاتحة أيضاً سبع مرات عن يسار الشيخ. **والسابع**: الصلاة على النبي ﷺ كذلك مائة مرة.

وحيث أنه في حصر العدد عندهم سر دقيق لا يدركه إلاً من أوتي الحكمة بإنارة البصيرة أكدوا على المريد أن لا ينقص في الورد المذكور ولا يزيد، ولقد جاء في السنّة المطهرة حصر العدد في ذكر الله تعالى كما في الحديث: «من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وتحميدة وتكبيرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر». والعدد في الأذكار كالأسنان في المفتاح إذا زاد فيه سن أو نقص فيه سن بطل نفع ذلك المفتاح، ولأجل ضبط العدد في ورد الختم الخواجكاني المذكور وضع رجال هذه الطريقة مائة حصاة من صغار الحصى وعشرة من كبارها يأخذ الشيخ مدير الختم العشرة المذكورة مع إحدى وعشرين من الصغار ويوزّع بقية المائة على الحاضرين في الحلقة ثم يفتتح الختم بهذا الدعاء المأثور عن المشايخ الكبار قدّسنا الله تعالى بأسرارهم، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم يا مفتح الأبواب، ويا مسبّب الأسباب، ويا مقلّب القلوب والأبصار، ويا خالق الليل والنهار، ويا دليل المتحيرين، ويا غياث المستغيثين، أغثنا توكلنا عليك يا أرحم الراحمين، ونفوّض أمورنا إلى الله إن الله بصير بالعباد بألف ألف لا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم ـ ثم يقول جهراً ـ: (أستغفر الله) ويستغفر بعد ذلك هو ومن حضر سراً خمساً وعشرين مرة، ثم يقول: (الرابطة الشريفة) ومعناها: أن يستحضروها جميعهم ويستفيضوا من روحانية حضرة مولانا الشيخ قدّس سرّه مقدار خمسة دقائق وهو ضروري من أنفع الوسائل حسبما جربوه إذ الرفيق قبل الطريق، ثم يدير الشيخ سبعاً من الحَصَيَاتِ الكبار على سبعة أشخاص ممن جلس عن يمينه ويقول: (الفاتحة الشريفة) فمن وصلت إليه حصاة منها يقرأ الفاتحة مرة ويردها ليد الشيخ في الحال ثم يقول الشيخ: (الصلوات الشريفة) فيصلّي جميع من حضر على النبي ﷺ بعدد ما في يده من الحصى بأي صيغة كانت، والوارد أفضل وهو: «اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم» بحيث يسمع كل نفسه ولا يتعداه. ثم يقول الشيخ: (ألم نشرح) الشريفة مع البسملة فيقرؤها كل فرد من الفقراء بعدد ما في يده من الحصى ويشتغل الشيخ بالصلاة على النبي ﷺ لتتميم المائة وإذا فَرَغَ يترك منها في يده مقدار ما يلحق به إخوانه بالقراءة ويفرق الباقي منها عليهم ويشتغل معهم إلى تمام الختم الشريف ثم يقول: (الإخلاص الشريفة مع البسملة) ويقرؤها كل واحد منهم بعدد ما في يده من =

فبادرنا بتحريرها مبشرين لكم بتجديد العهود القديمة، ومزيد الالتفات إلى هاتيك

= الحصى ثم يستأنف قوله: (الإخلاص الشريفة) أيضاً إلى عشرة أدوار في كل دور ينقل حصاة من الحصيات العشرة التي أمامه من جانبه اليمين إلى جانبه اليسار ليتسنى له ضبط العدد فيبلغ ما قرأ من سورة الإخلاص ألف مرة ويزيد الشيخ من نفسه على الألف سورة واحدة للدلالة على معنى الأحدية. ثم يدير الشيخ سبعاً من الحصيات الكبار أيضاً على سبعة أشخاص ممن يكون جالساً عن يساره من المريدين ترسل مع جاويش الحلقة لكل واحد حصاة واحدة فيقول (الفاتحة الشريفة مع البسملة) فيقرأ كل من السبعة أشخاص سورة الفاتحة مرة كما تقدم، ثم يقول (الصلوات الشريفة) كالأول فيقرؤونها مائة مرة أيضاً ثم يدعو الشيخ بالدعاء المأثور عن حضرة إمام الطريقة مولانا خالد ضياء الدين قدّس سرّه ويهدي ثواب ذلك إلى أرواح رجال سلسلة الطريقة العلية النقشبندية خصوصاً والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتة عموماً رضوان الله ورحمته وبركاته عليهم أجمعين. ثم يقرأ أحد الحاضرين ما تيسر من القرآن الكريم مع مراعاتهم جميعاً للوقوف القلبي الذي هو الركن الأعظم عند إمام الطريقة السيد محمد بهاء الدين البخاري المعروف بشاه نقشبند قدّس سرّه العزيز لأن قراءة العوام تلاوة الألفاظ، وقراءة الخواص تدبر معانيها، وقراءة أخص الخواص تدبر حضور القلب والتوجه إلى صاحب الكلام القديم جلّت كبرياؤه. وقد نظم حضرة مولانا خالد قدّس سرّه هذا الختم الشريف بهذه الأدبيات فقال:

إذا ما رُمْت ختم الخواجكاني ... فسبعاً أقرّ السبع المثاني
وصلِّي عقيبه مائة تماماً ... على الهادي الحبيب بلا تواني
وكرِّر في ألم نشرح بصدق ... بعدّة طاء مع عين العيان
وقل في سورة الإخلاص ألفاً ... وزده واحداً عند البيان
وعد للأولين بصدق عزم ... كما ذكروا تنل كل الأماني
وسل ما شئت من خير تجده ... وتُعطى ما تروم مع التهاني

وآدابه التي هي عندهم بمنزلة الشروط ثمانية، **الأول**: الوضوء. **والثاني**: المكان الخالي عن اللغط والتشويش على القارئين. **والثالث**: كون الحاضرين منسوبين للطريقة العلية النقشبندية الخالدية. **والرابع**: أن تكون الحلقة تحت حيطة رئيس مأذون له من أحد المشايخ الكاملين. **والخامس**: الاستغفار إما خمساً أو خمسة عشر أو خمساً وعشرين مرة. **والسادس**: تغميض العينين من ابتداء قراءة الختم الشريف إلى انتهائه. **والسابع**: الرابطة الشريفة. **والثامن**: تلاوة آية كريمة من القرآن العظيم في آخر الختم واستحضار معناها وطلب الاستمداد من أرواح رجال السلسلة ولا سيما ممن يذكر الشيخ، وذلك من أهم المطالب بالنسبة للإخوان خصوصاً في اجتماعهم عند قراءته صباحاً ومساءً أو يوما الجمعة والثلاثاء فإنه أرجى للقبول وأقرب للإجابة كما تقدم. وإنما اختاروا قراءته في ذينك الوقتين امتثالاً لما جاء في القرآن خطاباً للنبي ﷺ إذ =

الأخلاق الكريمة، فعليكم بشدة الاعتناء بالختم والتوجه وترويج الطريقة العلية،

= قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: الآية 28] الآية، وهم فقراء أهل الصفة من المهاجرين إذ قال لهم ﷺ: «افرحوا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وهو يعدل خمسمائة سنة من أيامنا». وتمام الكلام مبسوط في شرح مشكاة المصابيح والتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي.

وإني ولله الحمد لا زلت مثابراً على قراءة هذا الختم الشريف صباحاً ومساء منذ أمد مديد مع عصابة صالحة من الفقراء في تكية المرحوم المبرور السلطان سليمان خان الكائنة بالمرج الأخضر ظاهر دمشق الشام وبينما كنا مرة جالسين يوم جمعة نقرأ الختم الشريف المذكور وغب التوجه المعروف، نهضت على عادتي أقتطف من جواهر زواهره لطائف الظرائف وأستخرج من معانيه العرفانية طرائف اللطائف، فشرعت في إبداء بعض النصائح الدينية، والترغيب على مداومة الأذكار والملازمة على الأوراد الخفية والجلية، لا سيما حضور جمعية الختوم الخواجكانية والتنويه بشأنها وما يترتب على ذلك من الفضائل وتنوير الباطن. وكان الجامع المذكور غاصّاً بالإخوان وكان من جملة الحاضرين العلامة المفضال المشهور بدمشق بالزهد والورع والصلاح الخواجة محمد أكرم الأفغاني إمام المرحوم المبرور السردار غلام محمد خان الشهير (بطرز أفغان) فما كدت أن أتم وعظي إذ شرع بقول للإخوان: إني رأيت الآن في هذا المجلس الشريف كأن العرش الأعلى قد مالت منه قائمة من قوائمه وأشرفت على السقوط فارتعشت لذلك مع من رأيت من العالم النوراني خشية من سقوطه، وبينما أنا على تلك الدهشة التفت فرأيته قد رجع إلى ما كان عليه واعتدل ما مال منه، فسألت بعض من كان من العالم الروحاني عن سبب رجوعه واعتداله عن الميلان والسقوط فقالوا: هو ببركة قراءة ختم الخواجكان الذي يتلى في تكية السلطان سليمان بدمشق، انتهى.

ولا تسأل يا أخي عما حصل للإخوان في ذلك المجلس من الذوق والشوق عند سماع هذه الواقعة منه رحمه الله تعالى حيث علت منهم الصيحات من عظم ما ورد عليهم من الجذبات والواردات، فللّه الحمد والمنّة على هذه النعمة والقبول لدى تلك الحضرة التي هي بالأنوار المحمدية مستجنة.

ومن شروط هذا الختم الشريف أن لا يحضر فيه أجنبي عن الطريقة على المشرب الخالدي، وأن يغلق الباب على القارئين كما سبقت الإشارة إليه في ذكر حكاية الرؤيا المختلفة التي رتبها السيد معروف النودهي افتراء على حضرة مولانا خالد قدّس سرّه كما وضحت ذلك بأجلى بيان في رسائلي لا سيما كتابي الذي أفردته في سرّ هذا الختم الشريف وسميته بنور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان المطبوع.

ثم أوصاه قدّس سرّه بعد الاعتناء بالختم المذكور بالتوجه والانتظار في صبحي =

والانتظار في صبحيّ الجمعة والثلاثاء للأنظار الإكسيرية في الاستفاضة القلبية،

= الجمعة والثلاثاء للأنظار الإكسيرية في الاستفاضة القلبية، وهي على خمسة أنواع، **النوع الأول**: هو أن يتوجه المريد الصادق إلى نسبة شيخه الروحانية سواء كان حياً أو ميتاً بعين الخيال ويستحضره أمامه منتظراً للفيض الذي يجيء إليه من قلبه. **والنوع الثاني**: هو أن يلاحظ المريد شيخه الغائب في عين قلبه ويجعله واسطة بينه وبين الله تعالى. **والنوع الثالث**: هو أن يتوجه المريد إلى خزانة خياله ويلاحظ شيخه فيها وهذا النوع لدفع الخيالات ولتحصيل الجذب أسرع. **النوع الرابع**: هو أن ينفي المريد نفسه من البين ويثبت شيخه في محل نفسه، وهذا النوع لدفع البليات أوقع. **النوع الخامس**: هو أن يجعل المريد قلبه تحت قلوب مشايخ السلسلة واحداً بعد واحد من شيخه إلى سيدنا رسول الله ﷺ ويجعلهم الواسطة العظمى بينه وبين الله تعالى ثم يجمع حواسه الخمسة ويجعلها شيئاً واحداً فإن كل حاسة منها تكون باعثة لتفرقة القلب، ثم يتوجه بهم إلى الحقيقة الجامعة التي هي من عالم الأمر ـ أعني المضغة المتعلقة بالقلب الصنوبري الذي هو وكر القلب الحقيقي الموضوع تحت الثدي الأيسر بأصبعين مائلاً منه لجهة الصدر ـ. فإذا واظب المريد على ذلك يظهر له أثر الغيبة وعدم الشعور وطرد الغير عن القلب في الخفاء فتتصرف فيه حينئذ جذبات الحق وتستولي على باطن العبد التجليات الذاتية وتذهب عن باطنه جميع الوساوس وما شاكلها من الهواجس ويتصرف فيه الحق في نفسه بنفسه، وفي هذا المقام يتجلى له معنى الذكر الحقيقي من معنى لفظة الجلالة الذي هو الاسم الأعظم ويضمحل في الحقيقة ونفس الآمر العالم والوجود ويحصل الاستغراق في بحر التوحيد. فإذا استغرق السالك فيه يغيب عنه ما سوى المذكور تعالى كما إذا استغرق في الماء لا يرى الغير أصلاً.

سئل أبو يزيد البسطامي عن الاسم الأعظم فقال: الاسم الأعظم ليس له حد محدود ولكن افرغ قلبك لوحدانيته واذكره بأي اسم شئت، انتهى. فعلم من هذا أن الذكر عند الغيبة بأي اسم كان من أسمائه تعالى لا يكون إلاَّ الاسم الأعظم. فاجتهد يا أخي بهذا الذكر وتوجه إليه بفراغ قلبك عما سواه لتظفر باسمه الأعظم الذي إذا دعوته به أجابك.

ولهم في التوجه حالات وكيفيات يستعملونها فيما بينهم كما قال الإمام المحدث الشاه عبد العزيز بن مسند وقته الشاه أحمد وليّ الله الدهلوي إمام هذه الطبقة في تعليقاته على رسالة القول الجميل. والحكمة في التوجه كالحكمة في مراعاة الضربات الذكرية عند القادرية ـ وللنقشبندية فيه تصرفات عجيبة من جمع الهمة على المراد، فيكون على وفق الهمة والتأثير في الطالب ودفع المرض عن المريض وإفاضة التوبة على العاصي والتصرف في قلوب الناس حتى يحيوا ويعظموا في مداركهم ويتمثل فيها واقعات عظيمة والاطلاع على نسبة أهل الله من الأحياء وأهل القبور والإشراف على خواطر الناس وما يختلج في الصدور، وكشف الوقائع المستقبلة، ودفع البلايا النازلة وغيرها.

ثم قال: ونحن ننبهك على نموذج منها، أما هذه التصرفات عند كبراء أصحاب الفناء في الله والبقاء به فلها شأن عظيم. وأما عند سائرهم فالتأثير في الطالب هو أن يتوجه =

فإن المؤمن الكامل لا يبالي إلاَّ برضا مولاه ولا يرجو النجاة في كل حال إلاَّ منه

= الشيخ أولاً إلى نفسه الصادقة ويصادمها بالهمة التامة القوية ثم يستغرق بنسبته القلبية بالجمعية، وهذا بعد أن تكون نفس الشيخ حاملة لنسبة من نسب القوم وكانت له ملكة راسخة فيها فتنتقل نسبته على الطاعات على حسب استعداده ـ ومنهم من يشوب بهذا التوجه الذكر والضرب به على قلب الطالب، وإذا غاب الطالب فإنهم يتخيلون صورته ويتوجهون إليها.

وأما الهمة فهي عبارة عن اجتماع الخاطر وتأكد العزيمة بصورة التمني والطلب بحيث لا يخطر في القلب خاطر سوى هذا المراد كطلب الماء للعطشان، وقد أخبرني من أثق به أن من الشيوخ من يشتغل بالنفي والإثبات ويعني به تقدير لا راد لهذه الآفة أو لا رازق أو ما يناسب هذا، إلاَّ الله، فإنه الفاعل لهذا الفعل. وأما رفع المرض فهو عبارة عن أن يتخيل نفسه أنه هو ذلك المريض وأن به هذا المرض ويجمع الهمة بحيث لا يخطر في قلبه دون هذا، فإن المرض ينتقل إليه وهذا من عجائب صنع الله في خلقه.

وأما إفاضة التوبة على العاصي فصورته أن يتخيل نفس ذلك العاصي بعد أن أثر فيه نوع تأثير كأن نفسه أفاضت إلى نفسه وواقع بين النفسين اتصال ما، ثم يستأنف فيندم ويستغفر الله فإن ذلك العاصي يتوب عن قريب. وأما التصرف في قلوب الناس حتى يحبوا، أو في مداركهم حتى يتمثل منها الواقعات (صورته): أن يصادم نفس الطالب بقوة الهمة ويجعلها متصلة بنفسه، ثم يتخيل صورة المحبة أو الواقعة ويتوجه إليها بجامع قلبه فإن المتوجه إليه يتأثر ويظهر فيه الحب وتتمثل له الواقعة.

وأما الاطلاع على نسبة أهل الله فطريقه أن يجلس الطالب بين يديه إن كان حياً، أو عند قبره إن كان ميتاً، ويفرغ نفسه عن كل نسبة ويفضي بروحه إلى روح هذا الشخص زماناً حتى يتصل بها ويختلط معه ثم يرجع إلى نفسه فكلما وجد فيها من الكيفية فهو نسبة هذا الشخص لا محالة.

وأما الإشراف على الخواطر فطريقه أن يفرغ نفسه عن كل حديث وخاطر ويقضي بنفسه إلى نفس هذا الشخص فإن اختلج في نفسه حديث من قبيل الانعكاس فهو خاطره. وأما كشف الوقائع المستقبلة فطريقه أن يفرغ نفسه عن كل شيء إلاَّ انتظار معرفة هذه الواقعة فإذا انقطع عنه كل حديث وكان الانتظار منه في طلب معرفة هذه الواقعة التي يبتغي حصولها والوصول إليها كطلب الماء للعطشان ثم يربو بنفسه زماناً بعد زمان إلى الملأ الأعلى أو السافل بقدر استعداده ويتجرد إليهم حتى ينكشف له الأمر يهتف هاتف يرد عليه واقعة في اليقظة أو رؤيا في المنام. وأما دفع البلية النازلة فطريقه أن يتخيل تلك البلية بصورتها المثالية ويتخيل مصادمتها ودفعها بقوة ثم يجمع بهمته على ذلك ويربو بنفسه زماناً بعد زمان إلى حيز الملأ الأعلى أو السافل ويتجرد إليهم حتى تندفع والله تبارك وتعالى أعلم.

وشرط هذه التصرفات وما يجري مجراها اتصال نفس المؤثر بنفس المؤثر فيه والإلمام بها والإفضاء إليها وأصحاب التجريد من غواشي البدن يعرفون هذا الاتصال =

ولا يطمئن قلبه إلاً بذكره، ولا يصرف وقته إلاً بشكره، فبعد انكشاف غبار الأكدار يحمد أهل الاستقامة، ويشكر مساعي من لم يسمعوا الملامة والمتصنع الجبار يعضّ بنان الندامة ولا ينجبر كسره إلى القيامة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته بدء كل كلام وختامه.

* * *

[الرقعة الثمانون]

كتبها رضي الله عنه وأمدنا بنفحة منه إلى مخلصه الصميم ومعتمده الحميم ذي الرأي الصائب السيد محمد أسعد أفندي الشهير بابن النائب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام إلى من لديه روحي وفؤادي، وثنائي على مَن لا زالت تتوقَّد له نيران ودادي، بل ليس سوى تشرُّفي بحضوره في الدنيا مرادي، أدام الله تعالى بقاءه وزاد على الأماثل نماءه.

وبعد: فإن تتفحصوا عما جرى عليّ من طول أزمنة فراقكم وامتداد أوان اشتياقكم، فنحن بحمده تعالى على حسب مرامكم، من جميع الجهات، سوى افتراق جنابكم فإنه لمن أشد البليات، ونرجو أن ترسلوا كيف ما اتفق كيفية الحالات، وتفرحوا مهما أمكن قلوبنا بنقل المقالات، لا زلتم تقضى كما تحبون مناكم، وما انفككتم في ظلّ حماية مولاكم، والسلام ختام الكلام.

* * *

= ويقدرون على تحصيله وما ذكرناه من الأشغال هو الذي كان يختاره سيدي الوالد قدّس سرّه. وللإمام المجدد الفاروقي أشغالاً أخرى ذكرها في مكتوباته فراجعها ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: الآية 213]. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

[الرقعة الحادية والثمانون]

كتبها قدّس سرّه سنة 1241 من بيت الله الحرام إلى دمشق الشام للعالم الفاضل مخلصه الشيخ صالح العجلوني الشهير بابن أبي الفتح رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى. من العبد الغريب إلى المحب الأديب الحسيب النسيب الشيخ صالح لا زال بالنعم محفوفاً، ومن النقم بحرز الله مكنوفاً، سلام الله ورحمته وبركاته.

أما بعد: فقد ورد كتابكم وسرنا خطابكم فبحمده سبحانه وتعالى نحن مع الأتباع والأصحاب إلى تاريخ الكتاب في أرغد عيش وهناء، وسلامة عن الأكدار والأسواء، وقد دعونا لكم بحسن التوفيق وبلوغ المرام، كما هو المأمول من جنابكم السعيد، وبحسن الختام.

* * *

[الرقعة الثانية والثمانون]

كتبها أمدنا الله بإمداداته ونفعنا بوافر هباته إلى مخلصه العلامة المفضال الحسيب النسيب السيد محمد أفندي الجندي المفتي بمعرة النعمان داخل ولاية حلب الشهباء رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الذليل الفاني خالد النقشبندي المجددي العثماني إلى محبه في الله ومخلصه لوجه الله الحسيب النسيب والعالم الفاضل الأريب جندي زادة السيد محمد أفندي المفتي بمعرة النعمان لا زال من صروف الدهر محفوظاً، وبمأرب النشأتين محظوظاً، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد ورد إلينا كتابكم، وفهمنا ما فيه من لذيذ خطابكم، فوجدناه حاكياً عن سلامة الذات الشريفة، وحاوياً على ما يستطاب من الإخلاص التام وسائر المطالب المنيفة، وتلذّذنا من تلك العبارات، وصار موجباً لمزيد الالتفات. ولا يخفى لدى أرباب العنايات أن ميل قلوب أرباب الباطن على قدر اتباع المريد للسنن السنية، واجتنابه عن البدع الردية، وترك الوجود بالكلية، فإن من الأصول المشتركة بين أئمة الطرق أجمعهم، نفي الوجود، وبذل المجهود، والقناعة بالموجود، والوفاء بالعهود، ونسيان ما سوى الله في مشاهدة المولى المعبود. وأوصيكم بكل ذلك مع التشمير عن ساق الجد بحسب الطاقة للذكر الخفي والمواظبة على ما أجزناكم به من الأوراد فإنها أنجح دواء لإزالة الأمراض القلبية كما أطبق عليه جهابذة الكشف والوجدان، وأن لا تنسوا هذا المسكين المستهام من دعاء التوفيق وحسن الختام.

* * *

[الرقعة الثالثة والثمانون]

كتبها أعاد الله علينا من بركات أنفاسه إلى الوزير الخطير مخلصه عبد الله باشا حاكم عكا

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الذليل الأقل من كل قليل إلى جناب الوزير الجليل ذي الخلق الجميل، سلام أرقّ من النسيم الساري، ودعاء أروق من التسنيم الجاري.

أما بعد: فقد وصل المرسوم السامي حاوياً لفنون الأدب وأصناف المحبة والخلوص، مشتملاً على أنواع التواضع الذي يرفع الله صاحبه كما هو المنصوص، وعلى التماس الأدعية المستطابة، في أزمنة الإجابة من الفقير الأدنى من النقير، فأخبر جنابكم بأن الدعاء لسلطان الإسلام حفظه المهيمن العلام، ثم للوزراء والكبار من الرجال والأمراء بل القضاة والمفاتي من أهم الواجبات في ذمة الفقراء، لأن مصالح البلاد بهم منوطة، وراحة العباد بصلاحهم وإصلاحهم

مربوطة، ففي صلاحهم المصلحة العامة وفي العكس العكس، لكن القبول موقوف على صفاء سر الداعي وحسن استعداد المدعو له، فإذا عارض دعاء الفقراء المساكين السهام الصائبة من أدعية المظلومين المضطرين، فالغلبة لدعاء المضطر، إذ لا حجاب بينه وبين ربّه ولو كان فاجراً أو كافراً فضلاً عن مؤمن وصالح، كما ورد ذلك في عدة أحاديث، فبقدر مزيد الاعتناء منكم بالشريعة المطهرة الغراء، والميل إلى جبر خواطر الرعايا الفقراء، تصيرون مظاهر الأدعية المستطابة، في مظان الإجابة، ولا زلتم مؤيدين بأمداد السادات الكرام، ومتمسكين بسنن سيد الأنام ومصباح الظلام، عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين في كل بدء وختام.

وإن أردت المنظورية التامة من أرباب القلوب، فلا تصغي إلى كلمات أهل العناد، فإن من كلماتهم القدسية: «من علامة إعراض الله تعالى عن العبد وقيعته في عرض أوليائه» وكل من يصغي إليهم فهو منهم، بل يجب عليك ردع أرباب الإنكار ومنع المفترين على أهل الفقر والانكسار.

* * *

[الرقعة الرابعة والثمانون]

كتبها منَّ الله علينا من نفحات أسراره إلى خليفته السيد عبيد الله الحيدري مفتي بغداد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من العبد الذليل خالد الشهرزوري الجافي، إلى خادم مروج الطريقة بالبيان الصافي ـ أعني الرفيق الشفيق عبيد الله أفندي أمده الله تعالى بالإمداد الخاص وأيده بمزيد التقوى والإخلاص.

أما بعد: فإنّا قد تشرّفنا بمطالعة مكتوبكم المهيج للأشواق والمذكر عن أيام التلاق، فمع وفود رسلكم تترى، وتذكر الفقراء بالمكاتيب مرة بعد أخرى، ما أخبرتم الفقير عن أحوالكم ولو في مرائي استعدادات الطلاب، ولا أفصحتم

عن كيفية أحوال أمثال عمر أفندي من الأحباب، وإن لم نر له مثيلاً في هذا الباب، فإن مكاتيبكم ما أتتنا من زمان، وترك المحاورة قد يفضي إلى الإعراض والنسيان، وأهم الأمور عند أرباب القلوب الاستقامة، وأبعد الأشياء لدى خُلص الأحباب التهاون والسآمة، أما الفقير فهم ليسوا عنده على بال مع قوّة الاشتغال، وغاية البعد قلباً عن أشغال أرباب المقال، ثم المأمول تذكار داعيكم في مظان الاستجابة بالدعوات المرجوة الإجابة لحسن الختام والتوفيق لإحياء سنَّة سيِّد الأنام ومصباح الظلام عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام.

* * *

[الرقعة الخامسة والثمانون]

كتبها من دمشق إلى خليفته في بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

حبيبي الملا محمد الجديد وفّقه الله تعالى على سلوك هذا الطريق السديد، وعلَّمه المماشاة مع القريب والبعيد.

أما بعد: فقد أذنت في زواج سيدي عبد الغفور وأمرته بالتوسط بل بالتقليل في أسباب العرس، فإن عمل به فأعلمني عما يصرف إن صار فتوح فيه هنالك، وإلاً فأنا أقضي عنه إن شاء الله تعالى كثير ويسير ذلك ـ الملا محمد الموصلي من خلص الأحباب وفيما اعتقده أنه لا يظهر منه سؤال ولا جواب ـ والبيت محول إلى اختيار الخادم التائب أعني أخي وحبيبي أسعد أفندي ابن النائب، وإن أردتم تفصيلاً عن أحوال الفقير فارجعوا إليه فعنده الخبر اليقين.

واترك التأكيد عليّ في تحرير أجوبة المكاتيب فإن الكتّاب المقرَّبين لديَّ لا يوجد منهم أحداً، والفقير ليس بحمد الله على ما تعهدونه من كثرة مجالسة الناس ومجاوبة أهل التصلُّف، وقد ورد أنّا وأتقياء أمتي براء من التكلُّف، والاشتغال بمكاتبة الناس يضيع مني خيراً كثيراً، فمن يحبني فليدعو لي بحسن الخاتمة وتوفيق اتِّباع السنَّة وأنا أدعو له بذلك، ولا يحتاج إلى كثرة المكاتبة،

ولا يترتب عليه شيء إلاّ برودة الخاطر والمعاتبة. نعم إن اتفق أمر مهم أو خبر يسرّ القلب فليكتب من غير انتظار لئلا يشوّش عليّ، وسيدي عبد الرحمٰن أفندي الروزبهاني إن رضي بالقعود مع العيال في داري فليقعد فيها وإن تحاشى عنها حياء كما هو دأبه فألحوا عليه عن لساني أنت وابن النائب وإن لم يرتضه في نفس الأمر فهو مختار والأمر إلى من فوضته إليه، وأسلِّم على محمد بن سليمان ـ يعني به قدّس سرّه صاحب كتاب الحديقة الندية ـ بشرط أن لا يرى للناس منامات كثيرة، والسلام ختام.

* * *

[الرقعة السادسة والثمانون]

كتبها إلى خليفتي بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

أسلِّم على سيدي عبد الغفور ومحمد الجديد ـ إن حامل الورقة رجل غريب عن أهله في اليمن يريد الرجوع إليهم عن طريق البصرة، فعليكم بمساعدته وتحرير التوصية له لمن يلزم ـ ثم أخبركم من طرف محمد سعيد السويدي بأنه عجزني وأعجز خلفائي والمريدين من كثرة ما كتب إليهم من الوساوس والشكاية إلى الناس عن يد الخلفاء رعاية انقياده لعبد الغفور. وأفهموه بأن لا يراجعني بكتاب وخطاب ولا يحرِّر من عنده شيء فضلاً عن أن يوسط غير المريدين في الترجي والإلحاح بواسطة الغير. فالآن أخبركم تكراراً بأنه مفوض إلى عبد الغفور إجازة وقبولاً وغير ذلك وأنا لا أحب عبد الغفور إلاّ لأجل نسبه الكريم على علمي بكونه معقلاً فلا أسمع شكاية أحد فيه. والسلام ختام الكلام.

وإذن محمد سعيد مشروط بإرضاء خليفتي عبد الغفور وامتثاله له كما كتبته قبل هذا إليه بخطي، والحاصل أنه إنما أذن بسبب تزوجك لئلا تنقطع أنت عن ملازمة التكية وتستعين به على مداومة قراءة الختم الشريف الخواجكاني ولم أجعله مصدراً للإرشاد وشيخاً مستقلاً حتى يتباهى بمكتوبي في الجانبين الغربي

والشرقي ويقول: فلان جعلني خليفة له، لكن عبد الغفور وغيره حسدوني. ويأخذ مكاتيب من الناس في ذمّ خلفائي بأنهم حسّاد وذوي نفوس أمّارة ويرسلها إلي.

إذنه محوّل إلى السيد عبد الغفور، فوّضته إليه، فوّضته إليه، فإن ردّه فهو ردي وإن قبله فله الفضل عليه فلا يرى شيخه إلاً عبد الغفور ولا يراجعني في شيء أصلاً. وإن لم يرض بمشيخة عبد الغفور فلا إذن له ولا يلومن إلاً نفسه، هذا مع علمي بقصور عبد الغفور وقلّة فهمه، والسلام ختام الكلام.

* * *

[الرقعة السابعة والثمانون]

كتبها ثبتنا الله على هديه إلى الشيخ إسماعيل الأناراني خليفته بدمشق ووصيه الأول على أولاده

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الذليل الأقلّ من كل قليل إلى جناب الشيخ إسماعيل، لا زال موفّقاً للمحامد والخصال الكرائم، وملجأ لأصحاب الذنوب والجرائم آمين.

وبعد: فقد ورد كتابكم الشريف، وخطابكم المنيف، متضمناً للترجي والشفاعة، والعفو عما صدر من محمد الكركوكي من الإساءة والشناعة، ولا يخفى عليكم أن هذا المسكين على حسب المقدور يحب المعاملة مع أحبابه وأصحابه بما هو ديدنه الدفع بالتي هي أحسن، إلا أن مساوىء أخلاق بعض الناس تلجىء الحليم إلى التهور، وتحمله على ما ليس في التصور، بحيث يجب عليه شرعاً هجره وفراقه، إذ حسن المعاملة معه يخرج عن حيز القدرة والطاقة.

وبالجملة فتكدّر خاطري على المومىء إليه بلغ مبلغاً لو لم يتوسل بكم لكان العفو عنه أصعب من خرط القتاد، لما ظهر منه من المساوىء والفساد، لكن أجر كظم الغيظ عند الله عظيم وأنتم تصديتم لعفو جرائمه ولأجل عين تكرم

[الرقعة التسعون]

كتبها من دمشق الشام إلى خليفته في بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفقير المجهور، إلى سيده وقبلته عبد الغفور، ومن المسكين المرمي بسهام الفراق الشديد، إلى سيده وقدوته محمد الجديد، كان الله لهما عوضاً عن كل طارف وتليد آمين.

أما بعد: فقد وصل مكتوبكم مخبراً عن قيام قرّة عيني بهاء الدين وتوجههم إلى هذا الطرف، وفيه تفصيل وافٍ بكيفية سفرهم، ومن قام بخدمتهم ومن سبق غيره فيها ومن ساعدهم أكثر جزاهم الله عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

فقد وقع عندنا موقع القبول، مع أن حاصل الدنيا لا يساوي جناح البعوضة كما ورد عن الرسول، لكن إلى ساعة تاريخه ـ وهو يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة 1238 ـ ما جاءنا خبر من طرفهم واستعدادهم لله الحمد والمنة تام، وفي كل بلدة يشيّعهم العسكر ويركب معهم أكابر ذلك البلد إلى المأمن.

وإن تسئلوا عنا فنحن بحمد الله سالمون والطريقة العلية في غاية الرواج والابتهاج لكن ميل الفقير إلى الإنزواء أكثر مما كنتم تعهدونه، ويتكدّر خاطري باجتماع الناس وأراه إضاعة للوقت حتى إلى الآن مع كثرة التماس الأحباب ما شرعت في الدرس فضلاً عن الطريقة لكن مخلصنا الشيخ أحمد الخطيب مشغول بالتوجه والرغبة عليه زائدة وبسبب عزلتي عن الاجتماع أرسلت من عندي من المريدين كلاً إلى مكانه، الملا إبراهيم إلى الجزيرة والسيد إسماعيل البرزنجي إلى شهرزور، وأخي الشيخ محمود صاحب إلى محلي في السليمانية، وعبيد الله أفندي الحيدري إلى بغداد، ومحمد المجذوب إلى كركوك، والسيد طٰه

الشمديناني إلى وآن، وهكذا جميع من عندنا من الخلفاء، وعليكم بحسن حماية كتبنا والاحتياط في إرسالها إلينا. وعليكم بحسن المعاملة مع موسى الجبوري فإن محبتي له غير خفية عليكم، والسلام عليكم.

* * *

[الرقعة الحادية والتسعون]

كتبها قدّس سرّه العزيز إلى خليفة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد المسكين إلى أخي الملا محمد الجديد سلّمه الله تعالى.

كتاب التصريح عند عيسى ابن المرحوم موسى المندلاوي، وشرح المطالع عارية عند المرحوم الملا عبد العزيز الكردي في السليمانية ترسل خبراً إلى الملا عبد الرحمٰن يأخذه من أخيه الملا علي ويبعثه إليك وترسلهما مع الكتاب الصغير ـ في الشهور والأيام ـ الذي أنت أخذته من بين الكتب أو ضاع، وتكتب صورة المكتوب الآتي إليكم سابقاً من خصوص النصائح إلى الشيخ محمود أخي وإلى كل من الملا عبد الله وهداية الله إلى أربيل وترده للملا محمد سعيد السويدي، ومن خالف في شيء مما فيه تخبرني لأعامله بما يتأدّب به.

علامات آخر الدنيا متعاضدة فلا تغرنكم الحياة المستعارة والاغترار بأمنيات النفس الأمارة، وترسل إليّ الخبر بأي واسطة كانت، أرسل الملا مصطفى بن زينبة كتاب الإصابة هل هو بالثمن حتى آمر له أو بالعارية لأعلم ذلك، فإنك ما أخبرتني فيه بشيء. ونسخة حاشية السيوطي بخط مؤلفها التي أعطيت إلى عبد الفتاح كي يكتب لي منها نسخة خاصة لكن بشرط أن لا تكون إلاً بخط الملا خطاب ولو طلب زيادة في الأجرة فلا بأس بذلك، والسلام عليكم وعلى سائر الأحباب عموماً وأخي محمود خصوصاً ورحمة الله وبركاته.

* * *

[الرقعة الثانية والتسعون]

كتبها رضي الله عنه من دمشق جواباً إلى شيخ الإسلام ومفتي الأنام مخلصه الصميم مكي زادة مصطفى أفندي طاب ثراه(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن منَّ على كثير من العباد السعداء لقربهم المعنوي بحسب بعض

---

(1) تقلّد هذا المولى الجليل زمام مقام مشيخة الإسلام في الدولة العلية ثلاث مرات في مدة سبع عشرة سنة وشهراً. وكان أولها سنة 1233 ثم عزل منها سنة 1234 ثم تقلدها ثانياً سنة 1239 وعزل سنة 1241 ولازم الطاعات والعبادات وترويج الطريقة العلية الخالدية في بيته مع قوة اليقين ثم تقلدها ثالثاً سنة 1248 وبقي إلى أن توفي السلطان محمود خان وجلس ولده السلطان عبد المجيد خان على سرير الملك سنة 1255 وأبقاه في مسند المشيخة الجليلة مدة أربع عشرة سنة من خلافته إلى أن توفي فجأة في حمام بيته سنة 1262 ودفن في مقبرة بهائي أفندي الكائنة في جوار الفاتح وقد امتاز رحمه الله تعالى على أقرانه بالعفة والاستقامة والصلاح. انتهى من (السالنامة العلمية).

كانت عادة حضرة مولانا خالد قدّس سرّه عدم قبول الهدايا والعطايا إلاّ نادراً وقد قبل من حضرة شيخ الإسلام المشار إليه تلك النسخة من القاموس وأبان له عما وقر في صدره وثبت في نفسه من قوة اليقين بعد الاتكال على الله والاعتماد عليه جلّ شأنه.

ومما لا شك فيه أن حضرة شيخ الإسلام المشار إليه كان من المشمولين بأنظار مرشده مولانا العم إذ تقرّب إليه بالهدايا والمراسلات. فهكذا كانت الكبراء والوزراء يستعطفون من يصون علمه ويتعدى نفعه ويتقربون إليه بطلب التوجهات القدسية، وكانوا يرون أدعية العلماء أنفس ذخيرة تقنى وأطيب ثمرة تجنى وينتهجون سائر المناهج لتعطف قلوب الأولياء ودوام رضاهم عليهم بأعين البصائر التي كحلها الله بنور قدرته فنفذ بصرها إلى الملكوت واخترق الحجب ورأى ماضي الأولين ومستقبل المتأخرين.

وهكذا شأن المرشد الكامل يرى ما يصل إليه عن طريق المريدين وإن عظمت منزلتهم في الدنيا صلة ظاهرية. قال علي كرّم الله وجهه: لا تجعل بينك وبين الله منعماً، واعدد نعمة غيره عليك مغرماً. ولابن عطاء الله الإسكندري من حكمه: العطاء من العبد حرمان، والمنع من الله إحسان، وكل نعمة أتت للعبد فهي واصلة إليه من ربه، فإذا أعطاك أشهدك بره، وإن منعك أشهدك قهره.

ولما كان ربط الأسباب بالمسببات أمراً لا يسع العبد إنكاره جعل الشرع شكر المنعم واجباً، قال عليه الصلاة والسلام: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» فيتوجه الحمد والشكر من المنعَم عليه إلى المنعم الظاهري مع اعتقاده أن المنعم الحقيقي هو الله جلّ شأنه وما وقع لغير الله بالظاهر فهو راجع إليه تعالى. =

حاله، وخيّب أناساً من محيط فيضه ونواله حتى لم يبالوا بباهر حاله ولم يتذكروا

= ولكن الغنى غنى النفس، واعلم أن القناعة في حد ذاتها شريفة ممدوحة في الكتاب والسنّة وهي في العلماء أشرف كما ورد، الورع حسن وهو في العلماء أحسن وفي عزهم وشرفهم عز العلم والإسلام وشرفهما. قال الفضيل: لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعاً وعز الإسلام أهله كما كان عليه حضرة مولانا خالد قدّس سرّه، ولكن ويا للأسف نرى بعض العلماء اليوم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم لتسلم لهم دنياهم بذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك عرضاً فذلّوا وهانوا وسقطوا من أعين الناس:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لعظُما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

قال وهب بن منبه لعطاء الخراساني: كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنياهم وكانوا لا يلتفتون إلى دنيا غيرهم، وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم، وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم.

قال ذو النون المصري: كان الرجل ينفق ماله على علمه ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالاً، وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره ونرى اليوم من أهل العلم فساداً في الظاهر والباطن.

فانظر يا رعاك الله ما ذكر هؤلاء الفضلاء تجده لازماً لمن تحلى بالعلم والإرشاد وما هذا الانحطاط والنزول فينا إلاّ لعدم قناعتنا بالموجود وتطلبنا إلى المفقود، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. فحق على من منح عقلاً سامياً وفكراً نيراً وسداداً في القول أن يحكم بأن لله سبحانه وتعالى عباداً استخلصهم لنفسه وخصهم بسجايا يبعد عن متناول الفهم إدراكها وفطرهم على الزهد والعفة والورع، وجبلهم على محاسن الصفات، فتراهم كبراء الأفئدة لا تستخفهم المموهات الدنيوية، والملذات الفانية، أحراراً لم تأسرهم فواتن الدنيا بزينتها، ولا سواحر الحياة ببهرجتها، مسلمين وجوههم لخالقهم لا يخافون بطش جبار ولا سطوة غاشم، فقراء ولكن تخضع الملوك أمامهم، حلماء ولكن ترتعد العتاة بحضرتهم يعرفون من أين تنقاد العقول المستعصية وكيف تستلين القلوب القاسية وبأي وسيلة تلجأ الجباه العاتية إلى السجود، والإخبات أمام عظمة الله تعالى وجبروته ليسهل لهم الرضوخ من الأمير في سطوته والشريف في سمو محتده والشجاع في قوته والفيلسوف في نفوذ فكرته.

فهم صفوة الأمة وطريقهم لب الكتاب والسنّة، وهم المقبلون على الله بسرائرهم الراغبون في الدار الآخرة المعرضون عن زخارف الدنيا وفضولها قدموا مرضاة الله ونصحوا الخلق رحمة بهم، وهذا هو الدين الخالص الذي أمرنا به القرآن العظيم، لا =

بحكمه وأمثاله وصلاة وسلاماً على الخليفة الأعظم، والكنز المطلسم، مظهر جماله وجلاله الذي كفى، عبرة لمن اعتبر بشقاوة عتبة وعتيبة وسعادة صهيبه وبلاله.

= كما زعم قوم ممن تسممت أفكارهم بسموم المدارس الأجنبية وأنكروا طريق الأولياء الكاملين وأعرضوا عن مذاهب الأئمة المجتهدين وقالوا: إن الدين عبارة عن السعي في انتظام أمر المعاش والحياة الدنيا وأكثرهم ربما كان منكراً للآخرة أو يكون إيمانه بها مشوباً بالشك والريب لا يجد لإيمانه بالله وبالدار الآخرة حلاوة مع إعراضه عما يقرب إلى الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يُوسُف: الآية 106]، وتلك هي نتيجة الغفلة عن الله وبغض الصالحين ومخالطة المبتدعين.

فأين إيمان هؤلاء من إيمان معاذ رضي الله عنه لما قال له النبي ﷺ: «كيف أصبحت يا معاذ، فقال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً. فقال: إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك. قال معاذ: كأني بعرش ربي قد برز وكأني أنظر إلى الجنة والنار» الحديث. فقال عليه الصلاة والسلام له: «قد عرفت فالزم». نعم إن ديننا قد أحاط بمصالح الدنيا والآخرة ولم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة، وإنما أمرنا بإصلاح ملكنا ومعايشنا ودنيانا وعلائقنا وسياستنا مع سائر الأمم ولكن بشرط أن لا تغفل قلوبنا عن ربنا ولا عن تعلقها بحب الدار الآخرة. تأمل قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: الآية 45]، وصفهم سبحانه بأنهم أولو أيدي، أي أولو أعمال عظيمة لأن الأعمال إنما تزاول بالأيدي وهذه الأعمال تشمل الصنائع النافعة والخيرات والمبرات. ثم وصفهم بأنهم أولو أبصار أي: أولو أبصار نافذة في أنواع العلوم والمعاملات. ثم قال: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: الآية 46] فلم يمنعهم طول باعهم في الأعمال ونفوذ بصائرهم في أنواع العلوم وسياسة الخلق من تعلق قلوبهم بالدار الآخرة التي ينال فيها قرب الملك الجبار ورضوانه.

ولقد درج على ذلك المنهج رجال الطرائق القويمة من أهل الباطن حتى عظّمهم أكابر الأئمة وأساطين الإسلام كالشافعي وأحمد وأضرابهم رضي الله عنهم، ولقد أيدّهم الله بالكرامات الباهرة حتى قال بعض الأئمة: إن من علامة صدق حال القوم ما يقع على أيديهم من الخوارق. ثم ظهر قوم ادعوا طريقتهم وهم على غير الحق وفشا في كثير منهم الجهل والبدع وأصبحوا هدفاً لطعن الطاعنين حتى أصبح عصرنا هذا ويا للأسف ميداناً للتلاعب بالدين فترى أناساً يتعالمون وليسوا بعلماء ينكرون أصل طرائق القوم كأن لسان حالهم يقول للناس: لا تذكروا الله ولا تحبوه، والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 165] وكأنهم يقولون: لا تحبوا نبيكم والعياذ بالله فإنهم ينكرون زيارة قبره الشريف وهو فيه حي يرزق، ولقد قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» وكأنهم يقولون: لا تحبوا سلفكم الصالح ولا تذكروهم بخير، نعوذ بالله من المقت والحرمان.

أما بعد: فقد وصلت كتابتكم المنبئة عن الإخلاص التام وحسن الاعتقاد المطوية على آيات المحبة والوداد، وعلى إهداء النسخة النفيسة من القاموس المحيط لأن التهادي تورث التواد، وكان الطريق إما الرد وإما القبول مع إتحاف أحسن منها، ولما كان في الرد مظنة كسر الخاطر، قبلناها والقبول عندنا من النوادر، فخالفنا عادتنا رعاية لحالكم، وجبراً وتفريحاً لبالكم، وحبيناكم ببعض الأدعية الفاخرة، وهي أحسن منها عند أرباب الدنيا فضلاً عن أهل الآخرة، وإظهار الشوق إلى خدمة الفقراء وانجذاب الخاطر إليهم مع الانهماك في زخارف الدنيا أدلّ دليل على حسن الاستمداد، وأوقع عندنا من إهداء الهدايا وأجلب بحسن النظر والإمداد، فإن التذكر في أسباب الغفلة لا يلقي إلاَّ ببعض الأفراد، زادكم الله إقبالاً إليه وبلّغكم الأمنية ووقاكم الإعراض عن تلك الزخارف الدنية، وأعانكم على إماتة البدع الردية، وإحياء السنن السنية، على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية. ولله در من قال وأجاد في المقال:

هب الدنيا تُساق إليك طرّاً ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلاَّ مثل فيء ... أظلّك ثم آذن بالزوال

منَّ الله علينا وعليكم بإراءة حقيقتها كما أراها عباده الصالحين، ونبّهنا وإياكم قبل زلّة القدم حين لا ينفع الندم من ندامة الغافلين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة الثالثة والتسعون]

كتبها عطّر الله مضجعه إلى تلميذه العلامة الشهير السيد محمود شهاب الدين الآلوسي عليه الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فقد وردت مكاتيبكم الدالة على مزيد الإخلاص، المشعرة بكمال

المودة والاختصاص، وفّقكم الله تعالى لاتّباع حبيبه خاتم المرسلين، وثبّتكم على سيرة السلف الصالحين، وإياكم والاغترار بهذه الجيفة الدنيوية والفرار الفرار عن البدع القبيحة الردية.

وأوصيكم بترك الانهماك في اللذائذ، والتمسك التام بالطريقة والشريعة والعضّ عليها بالنواجذ، وأن تذكروا هذا العبد المسكين المستهام، بدعاء حسن الختام، والسلام عليكم في البدء والختام.

* * *

[الرقعة الرابعة والتسعون]

كتبها قدّس سرّه إلى عم والدتي الشيخ محمد صالح إمام الشافعية في الحرم الشريف وخليفته بها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فأسئل الله عمّ إفضاله ونواله وتقدّس جلاله وجماله، أن نُذكر في هاتيك الحضرة العلية لدى الأخوة المسلمين عموماً ولدى سيدي الشيخ محمد صالح خصوصاً لكي نفوز بسعادة الالتفات من سكان ذلك المقام، ويذكرنا السيد المرقوم أطال الله بقاءه أحياناً بدعاء حسن الختام. طوبى لكم ما أوفر حظكم بدوام الإقامة هناك، يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً.

هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم   وللعاشق المسكين ما يتجرّع

ونيابة عن وجود مَن هو سيد كل فضل وجود بإرسال سجادة لعلكم تشرّفونها بوطىء قدميكم، فيا لها من سعادة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

[الرقعة الخامسة والتسعون]

كتبها رضي الله عنه إلى بغداد إلى العلامة المفضال السيد محمود أفندي الكيلاني نقيب أشراف بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

أسلِّم غبّ دعوات فائقة، وأهدي تحايا التسليمات بعد الابتهالات من الله بجنابكم لائقة، راجياً من الله فلاحكم في الدارين، وطالباً منه صلاحكم في النشأتين امتثالاً لأمركم وتطييباً لقلبكم بطلب الدعاء، **أولاً**: فالفقير ما له لهذا الأمر استحقاق واجتراء لأنه مغمور بالذنوب ومعترف بالعيوب، أسأل الله لي ولكم العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وأرجو منكم أن تذكرونا في مظان الاستجابة بحسن الخاتمة وطلب الاستقامة على اتِّباع سيد المرسلين والاقتداء بهدي السلف الصالحين، واقتفاء السنَّة السنيَّة واجتناب البدع الردية، فدعاء الإخوان الصالحين في ظهر الغيب أرجى للإجابة، وأقرب للإصابة، أراني الله تعالى وإياكم حقيقة الدنيا كما أراها عباده المتقين، وحشرني وإياكم في زمرة عباده المقرّبين ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ [إبراهيم: الآية 20]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أولاً وآخراً، وأيدكم بروحانية أوليائه باطناً وظاهراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

[الرقعة الخامسة والتسعون]

كتبها قدّسنا الله تعالى بأنفاسه وأنار قلوبنا بمشكاة نبراسه إلى مخلصه ومعتمده مولانا الشيخ يحيى المزوري قدّس سرّه[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على قدوة أنبيائه محمد الذي ما

(1) من أمعن نظر البصيرة في حكم هذه الرقعة علم من مغزاها قدّس سرّه قطع أمله من صلاح حال السيد معروف البرزنجي المخاطب بمكتوب المحقق الكبير الشيخ يحيى =

أوذي نبي مثل إيذائه، وعلى آله وصحبه وأزواجه وأحبائه.

= المزوري وذلك من قول حضرة مولانا الشيخ الإمام: «وبعثنا مكتوبكم إليه مع والينا لعله ينتفع به وما أراه. . .» ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

فلا ملام علينا من أحد فيما نكتبه وتقضيه علينا الخدمة العلمية في بيان ما ذكرناه من إنكاره وطعنه في حضرة مولانا خالد وما نقلناه عمن عاصره ورد عليّ مفترياته التي تهور بها كما أطلعناك على بعضها وهو قليل من كثير ولا ينبئك مثل خبير.

وما حمل الشيخ ملا يحيى على عرضٍ رد اعتراضات الشيخ معروف المذكور على أنظار حضرة مولانا العم قدّس سرّه إلاّ لأن يكون معلوماً لديه، وقد أرسله إلى السليمانية مع والي شهرزور وأعطاه إياه. . . فهذا رد واحد من ردود جمة على رسائل أتته من طرف الشيخ معروف كان يملؤها من شبهاته ويرسلها إلى الشيخ يحيى واحدة بعد أخرى زاعماً بها أنها براهين ناصعة والحال إنما هي سفسطة ومشاغبة بناها على أفكاره السقيمة غيظاً منه في متابعته لحضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه الأعم.

وعلمت مما تقدم أن السيد معروف لم يدرك مناه من مجيء الشيخ يحيى إلى السليمانية لما دعاه لأجل مناظرة حضرة مولانا خالد بل صار ذلك المجيء نعمة عظيمة وداعياً قوياً لدخول هذا الإمام الكبير في الطريقة الخالدية واعترافه بولاية حضرة مولانا خالد الكبرى كما تراه في نصائحه الدينية وإقناعه في البراهين اليقينية، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: الآية 213].

ومن ثم سولت له النفس الأمارة بالسوء لأن يحنق على الشيخ يحيى المزوري وطفق يحرر الاعتراضات الواهية ويرسلها إليه في عمادية الموصل الحدباء وجميعها يرمي إلى غرض واحد وهو تنفيره عن متابعة حضرة مرشده الكامل مولانا الشيخ الإمام لتتم له الرياسة والسيطرة على الأكراد في تلك النواحي والبلاد بدعوى الإرشاد الوهمي.

وأما الشيخ يحيى عليه الرحمة والرضوان فبالنظر لما فطر عليه من سلامة الصدر وطهارة القلب وقوة الإيمان والشفقة على المسلمين انبرى لتحرير الردود المسكتة والأجوبة المبكتة وإرسالها إليه راجياً بها إصلاحه ورجوعه عن حسده وعناده حاضاً على متابعة حضرةِ مرشده الكامل مولانا خالد رضي الله عنا به والاستفاضة من فيض بره ونواله، باذلاً قصارى جهده، ناصحاً له بأخذ الطريقة إن كان كفواً لها كبعلها وليس كل مدع تسلم له دعواه إن لم تقم بينة على صدقه في سره ونجواه فإن التكحل ليس كالكحل والمكبل بقيودِهِ ليس كالمطلق الذي رحل. ومن بذر حبة في سباخ الدعوى يوم الحصاد يندم، ومن بنى أساسه على الماء لا ريب بناؤه يتهدم.

والفرق بين المقترف للدعاوي والحق ظاهر، كالصبح في رائعة النهار والفرق ظاهر، وأين حال من يقول ممن يتقول ومن يثبت قدمه في فيافي العرفان ممن يتحول. فشأو أهل هذا الطريق (الصديقي) عزيز وطلاّبه أعزّ وسلوك سبيله بكل توجه سري وقلبي أحق وأوجز، فإن حق الحق من غيره أحق وأنجز، والدعوى ظلام وتركها نور، ومن مشى في النور رفعت له الستور. وفي المثل: من قال أنا وقع في العنا، ومن أقر في =

وبعد: فقد شرّفتنا رقيمة كريمة من جناب سيدي وسندي مروِّج طريقة

= العجز وألقى السلاح سلم من المقاومة واستراح. ورحم الله امرءاً سدّد وقارَبَ وجَنَحَ للسلم وما حارب. . .

«عود على بدء»: وحيث إني قد ظفرت ببضعة تحارير نادرة في بابها بعيدة عن طلابها انتخبت منها سبعة تحارير كادت أن تضاهي ببهائها السيارات السبع وتحاكي بزلال حياتها رأس النبع، جردتها من كتابي الموسوم ببلوغ الأماني ودرجتها هنا ليعمّ نفعها للقاصي والداني، ويزدان بها كتابي هذا كما ازدان ذاك لدى المنصفين من أهل العرفان، على أنها وأبيك ستكون للطالب الصادق قوت القلوب.

كيف لا وهي من رشحات أقلام إمام جمع من العلم ورعاً وزهداً وزاد على الزبد شهداً من ملئت بتحقيقاته الكتب والدفاتر وسار ذكره ولا مسير للمثل السائر، ذي الكمالين المعنوي والصوري، مولانا الملا يحيى الخالدي العمادي المزوري قدّس الله روحه، وهو الذي وصفه المحقق البغدادي أبو الفوز الملا محمد أمين السويدي في كتابه السهم الصائب بقوله: هو المحقق في المعقول والمدقق في المنقول ذي العلوم التي ناهز بها النحارير من المتقدمين، وناقل فيها المشاهير من المتأخرين حتى غدا لا يعد الخليل من أخلائه ولا سيبويه من زملائه، ولا يرضى عبد القاهر وإن جاء بدلائل إعجازه، ولا ابن الحاجب وإن جاد باختصاره وإيجازه، ولا العضد وإن صير لفرسان العلوم موافقاً، ولا الشيخ الرئيس وإن كان في إشاراته ماهراً عارفاً، صاحب التآليف الجسيمة التي لا تعادل لنفاستها بقيمة، ومن جملتها حاشيته التي هي كالسراج الوهاج على تحفة ابن حجر التي شرح بها المنهاج، إلى آخر ما قال في وصفه من الفضائل والكمال وجلائل الخصال.

ولقد ظفرت بتلك النصائح العالية والمنائح الغالية بعد كدّ عظيم، فهاكها وأنت مرتاح، واقتطف ما فيها من الحكم التي هي أغلا من الدرّ النظيم. وقد بذلت جهد المستطاع في تصحيحها وعمّقت النظر في تنقيحها روماً للاختصار واعتماداً على ما سطّر في بطون الأسفار.

«النصيحة الأولى»

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فيا أخي الشفيق اشفق علينا وعلى نفسك فلا توقعها في ورطة الإنكار على مرشدنا مولانا الشيخ خالد قدّس سرّه العزيز، ولقد كتبت إلينا بعض نقوض واعتراضات عليه مستدلاً بقول ابن حجر في تعريف الولي ـ وبيانه في شرحه على الهمزية حيث قال: الولي هو المداوم على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في الملذات ـ ويتجه هذا في حق الولي الكامل الذي رفعت عنه الحجب الحائلة بينه وبين ربّه عزّ وجلّ بقدر استعداده المقدر له أزلاً بواسطة مجاهدته وامتثال أمر مرشد مكمّل كما في أغلب الأولياء سواء أمر بالإرشاد أو لا، أو لمن أوتي علماً لدنياً من غير واسطة كما حصل =

الفقراء العلاَّمة النحرير الملا يحيى جزاه الله عنا خير الجزاء، فوجدناها مشحونة

= للبعض. وأما أصل الولاية فإنها تحصل لمن وجدت فيه صفة العدالة الباطنية بالشروط المذكورة عند الفقهاء اهـ.

ومراد قول ابن حجر في تعريف الولي أنه المداوم على فعل الطاعات أي على فعل جنسها بالأعضاء ظاهراً وباطناً كدوام الخوف وترك المحرمات، فإنه طاعة ومثاب عليه بنيته كما ورد عن صاحب الرسالة العظمى ﷺ في الحديث الصحيح كما نبَّه عليه في شرحه «الفتح المبين» وذكر فيه أيضاً ما حاصله: إن الأعمال العادية التي لا تتوقف على النية قد تفيد الثواب إذا نوى بها فاعلها القربة كالأكل والشرب بقصد التقوِّي على الطاعة، والنوم إذا قصد به ترويح البدن للعبادة، والجماع إذا نوى به التعفُّف عن الفاحشة، والتطيب إذا قصد به إقامة السنَّة. وهكذا فدوام الذكر القلبي والحضور الباطني كما هو حال كُمَّل هذه الطائفة السنية ـ أعني أئمة الطريقة النقشبندية قدّس الله أسرار أهاليها وأدخلنا تحت لواء مواليها ـ.

على أن الأبدال وأكثر الصدِّيقين ليس لهم كثير طاعة بالجوارح الظاهرة كما يشير إلى ذلك ابن حجر في شرح قوله ﷺ: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صوم بل بشيء وقر في صدره» يقصد أن الولي من ليست همته وقصده إلاَّ فعل الطاعات وإقلاع المعاصي عن قلبه وإن صدرت منه أحياناً مع عدم الإصرار عليها. وقد سئل الجنيد البغدادي قدّس سرّه: أيزني العارف، فطرق ملياً ثم أجاب بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزَاب: الآية 38] إشارة إلى أنه قد تصدر عنه الكبيرة أيضاً في بعض الأوقات وليس معنى قول ابن حجر في تعريف الولي أنه المداوم على الطاعات من أنه يجب أن يكون في كل ساعة وآن متلبساً بالطاعة بجميع الأعضاء الظاهرة أو بعضها كما توهمت يا أخي، وليس معنى قوله: إنه المداوم على اجتناب المعاصي، أنه معصوم لا يصدر عنه ذنب أصلاً من صغيرة أو كبيرة، ويؤيده ما قال في باب الردة: إن قول القشيري من شرط الولي الحفظ للجوارح، كما أن من شرط النبي العصمة. فكل من المشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع، مراده أنه إذا وقع منه مخالفة على الندرة بادر للتوبة فوراً لا أنه يستحيل عليه وقوع شيء منه أصلاً اهـ.

إذا علمت هذا فأقول: أن الولي هو الذي يكون اهتمامه بتهذيب النفس بالفضائل وتطهير القلب من دنس الرذائل وحفظ الجوارح عن المعاصي، فإن صدرت منه معصية كانت على سبيل الهفوة عن غير قصد ولا إصرار تنفيذاً لطاعة الله تعالى وقدره. ثم إن صدرت منه كبيرة تستوجب حداً أو ضماناً حكم فيها عليه بمقتضى الشرع وإن كانت صغيرة لا تستوجب ذلك فلا يجوز لأحد أن يعزره عليها كما نبَّه على ذلك ابن حجر في باب الأشربة.

فيا أخي إنَّ ما اعترضت به على مرشدنا مولانا الشيخ خالد قدّس سرّه بأمره المريدين بالذكر الخفي الذي لا يسمعه صاحبه مستدلاً بحاصل ما جاء في الحديث المنقول في حصن الحصين: أن كل ذكر مشروع لا يسمعه صاحبه لا يعتد به ولا يثاب عليه مردود =

بكمال الإخلاص والاشتياق، ومملوءة بمحامد الخصال ومكارم الأخلاق،

= حيث أجيب عنه بما قاله القاري في شرحه على هذا الحديث: إن كل ما أمر به الشارع بما يتعلق به النطق كالقراءة في الصلاة والتشهد والتسبيح والتحميد لا يعتد به إذا لم يتلفظ به اللسان ـ وليس معناه أن من ذكر الله بقلبه لا يعتد بذكره ولا يثاب عليه بل المداومة على الذكر لا تتصور إلاّ في القلب، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النُّور: الآية 37]، وهي منطبقة على رجال هذه الطريقة العلية النقشبندية الخالدية قدّس الله أسرارهم الجلية تمام الانطباق. فتأمل يا أخي حق التأمل ولا تقذف بنفسك في هوة الإنكار على الأولياء الكاملين فإنه السم القاتل كما نبَّه عليه ابن حجر في فتاويه الكبرى.

وقوله في تعريف الولي المعرض عن الانهماك في اللذات معناه: أنه لا يكون مهتماً في الأطعمة اللذيذة، والملابس النفيسة، والسعي وراء مشتهيات نفسه غافلاً بذلك عن القيام بحقوق الخالق ومخلوقاته، لا أنه لا يأكل شيئاً لذيذاً ولا يلبس لباساً نفيساً بل ربما يرون في تناول ذلك مصلحة على حسب مقتضى المقام. وفي الإحياء للغزالي: أن معروف الكرخي رئيس العارفين كان يأكل كل ما يُقدم له من لذائذ الأطعمة، فقيل له: إن بعض الأولياء على خلاف ما أنت عليه، فقال: بسطتني معرفة الله تعالى وأنا ضيفه وأما غيري فقد قبضهم الخوف منه تعالى فلا يأكلون لذيذاً.

ونُقل أن الغوث الكيلاني قدّس سرّه كان يضع أحياناً على رأسه عمامة قيمتها نحو مائة دينار فأكثر، ورأيت في كتاب الروضة أن الإمام أبا حنيفة أيضاً كان يلبس في بعض الأحيان لباساً قيمته ألف دينار. وكل ذلك لا يخلو عن حكمة أو مصلحة دينية إما لزيادة النشاط في العبادة أو إظهاراً لنعمة الله عليهم، أو عدم تنفير العباد عنهم حتى لا يحرموا بركاتهم أو غير ذلك. وليس معناه ما تبادر إلى ذهنك وتوهمته في مخيلتك.

ويا أخي إني لأعجب منك حيث كنت تعتمد سابقاً على كل ما أقول ولم تعهدني كذاباً ولا أخدع نفسي، فعليه أنصحك لله أن تبادر بالدخول تحت حيطة مرشدنا مولانا خالد ضياء الدين وتصاحبه وتكف عن إنكارك عليه وتخدمه بالروح والمال والبدن وتعرض عن الإصغاء لما يقصده الحسّاد من إيغار الصدور: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحُجرَات: الآية 6]، انتهى.

«النصيحة الثانية»

أيها الأخ الشفيق إياك أن تقصر نظرك على ظهور الخوارق ووقوع الكرامات عن يد مولانا ومرشدنا الشيخ خالد قدّس سرّه العزيز إيقاناً بولايته وتثبيتاً لها إذ هذا ليس بضروري في أولياء الإرشاد ولا شرطاً في ولاية كل ولي، وإنما المدار على وجود قوة التصرف في قلب المريد الصادق المستسلم إليه وانتقاله من حال إلى حال وإخراجه من الرعونات البشرية إلى الأخلاق الكمالية، كما قال الإمام الرباني المجدِّد للألف الثاني =

ووصل معها جواب مكتوب الشيخ معروف عومل بحسن الختام من الكريم

= قدّس سرّه: إن ظهور الخوارق من الولي ليس بركن في الولاية ولا بشرط فيها لأنه لا يدّعي ديناً جديداً بخلاف المعجزة لمدّعي النبوّة فإنها شرط فيها، وأما الولي المرشد فمن ضروريات إرشاده وجود التصرف في قلب المريد بواسطة ملازمة صفاء قلبه من الكدورات النفسانية وامتثال أوامر شيخه واجتناب نواهيه بحيث يبقى معه كالميت بين يدي المغسل يقلّبه كيف يشاء اهـ.

ويؤيده ما ذكره الشعراني في الطبقات: أن السيد إبراهيم القرشي كان يقول: يلزم على السالك أن يكون مع شيخه على صورة الميت لا حركة له ولا كلام ولا يتحدث بين يديه إلاّ بإذنه ولا يعمل شيئاً من سفر أو زيارة أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو تلاوة قرآن أو ذكر إلاّ بإذنه، وهذه طريقة السلف مع أشياخهم إذ الشيخ والد الروح، فعليك يا ولدي بإطاعة الشيخ وقدمه على والد الجسم لأنه أنفع وأنجح، وتأمّل في كثير من الفقراء فأنهم صحبوا أشياخاً كثيرة حتى ماتوا ولم ينتفعوا بهم لعدم الأدب معهم اهـ.

قال الغزالي في الإحياء: وبالجملة كل متعلم سالك فتبقى لنفسه إرادة واختيار دون اختيار العلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران اهـ.

ولنرجع إلى ما كنا في صدده فنقول قال مولانا الإمام المجدد قدّس سرّه أيضاً: كثرة ظهور الخوارق من الولي لا يدل على أفضلية صاحبها على غيره فيمكن أن يصدر من الولي الأبعد خوارق وكرامات أكثر مما صدرت عن الولي الأقرب، فإن الخوارق الصادرة من بعض الأولياء لم يصدر عشر معشارها من الصحابة الكرام رضي الله عنهم مع أن أفضل الأولياء لم يبلغ في القرب إلى رتبة أدنى الصحابة.

وقال أيضاً: النظر إلى ظهور الخوارق وطلب معرفة الأولياء وتجربتهم بها دليل على حصول الاستعداد التقليدي والحال أن اللائق والقابل لقبول فيض الولاية في الغالب هم الذين غلب استعدادهم التقليدي على النظري، فانظر إلى أفضل البشر بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وبلوغه تمام الحظوة وتشرُّفه حالاً بدولة النبوة بسبب غلبة ذلك الاستعداد فيه دون الأقرباء، وانظر إلى خسارة أبي جهل بواسطة قصور هذا الاستعداد فيه مع وجود ظهور تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة كيف لم يتشرّف بسعادة تصديق تلك الدولة المقدسة بسبب غلبة النظر فيه وإنكاره ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: الآية 25]. فهذا جنيد البغدادي قدّس سرّه لم ينقل عنه عشرة خوارق مع أنه رئيس الطائفتين إذ لا يجوز للأولياء إظهارها إلاّ لنحو مريد صادق غير مفشي لأسرارهم وجليس أمين لا يطلع عليها غيره غالباً إلاّ بعد موته، انتهى.

وقال ابن حجر في الخاتمة: ومما يفارق الكرامة المعجزة أن المعجزة يجب على النبي إظهارها وأن الكرامة يجب على الولي إخفاؤها إلاّ عند الضرورة أو إذن أو حال غالب لا يكون فيه اختيار أو لتقوية يقين مريد أو يكون في إظهارها مصلحة يعلمها =

الرؤوف، فوجدناه مسكتاً له بالأدلة والوجدان ومفحماً على مسلك العلماء وأهل العرفان، (فبعثناه إليه مع والينا لعله ينتفع به ـ وما أراه) ـ.

= الولي. ومما يفارق الكرامة السحر أيضاً إذا كان الخارق غير مقترن بادِّعاء النبوة وظهر على يد شخص صالح قائم بحقوق الله تعالى وحقوق خلقه كان كرامة وإلاَّ فهو سحر واستدراج. وتميّز الصالح عن غيره بيِّن لا خفاء فيه، فإن للبراهمة قوة تظهر لهم الخوارق كالطيران مثلاً لمزيد الرياضات لكن يصدر منهم عقبه ما يفسِّقهم ويفضح حالهم كما بيَّن ذلك شيخي ابن أبي الخمائل رحمه الله تعالى في أحد البراهمة، انتهى. مع أنه رحمه الله تعالى قال فيها أيضاً ما حاصله: إن اختلف في جواز صدور الخوارق عن الأولياء والحق الذي عليه أهل السنَّة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدِّثين إن صدورها عنهم جائز عقلاً وواقع نقلاً ويكفي ما ورد في القرآن عن الخضر عليه السلام بناء على أنه ولي وما ثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه أخبر عن حمل امرأة أنه ذكر فكان كذلك، وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كشف له عن سارية وجيشه بنهاوند فقال على منبر المدينة وهو يخطب يوم الجمعة: يا سارية الجبل، منبِّهاً له عن كمون العدو خلفه. ويجوز بلوغها مبلغ المعجزة في جنسها وعظمها لأن خوارقهم معجزات للرسول المتبوع لهم ﷺ في المعنى، حتى إحياء الموتى كما وقع ذلك للغوث الأعظم عبد القادر الجيلي قدّس الله سرّه العزيز في إحياء دجاجة مأكولة اللحم باقية العظام كما هو شائع مستفيض.

وقال أيضاً: ومما يفارق المعجزة الكرامة أن دلالة المعجزة على النبوة قطعي وأن النبي يعلم قطعاً أنه نبي وأن دلالة الكرامة على الولاية ظني وقد لا يعلم مظهرها ولا من ظهرت عليه الكرامة أنه ولي. قال الإمام الرباني المجدد للألف الثاني قدّس سرّه العزيز: نقل أن بعض الأولياء يقول: عجبت ممن يقول إني رأيتك هذه السنة في مكة وقت الحج حججنا معك. وبعضهم يقول: رأيتك هذه السنة في بغداد ويظهر أنه كان رفيقاً إلى غير ذلك.

وقال أيضاً: إن كرامات الأولياء معجزات للرسول، فكما أن معجزات الرسول كانت لترويج دينه وتقويته كذلك كرامات الأولياء تكون للتقوية إذا كانت خالية عن الحظوظ النفسانية ومنزّهة عن الشهرة وجرّ متاع الدنيا إلى غير ذلك. فكلما بعد الزمان منه ﷺ كان تجلّي مظهر اسم المضلّ متعلقاً بالخلائق فيقل رواج الدين ويتعسر ترويجه فلا يظهر الله تعالى على أيدي الأولياء الكرامات إلاَّ قليلاً بخلاف الأزمنة الأولى القريبة منه ﷺ كان تجلي مظهر اسم الهادي متعلقاً بالخلائق فيكثر رواج الدين وترويجه، فلذلك أظهر الله تعالى من الكرامات على أيديهم ما لا يعد ولا يحصى مع أن أكثرهم ندموا في آخر عمرهم على إظهار الخوارق.

وقال بعض العلماء: عقوبة الأنبياء حبس الوحي، وعقوبة الأولياء إظهار الكرامات، وعقوبة المؤمنين التقصير في الطاعات، لا حول ولا قوة إلاَّ بالله. =

وأوصيكم وصية تامة ببذل المجهود على قدر المقدور في ترويج هذه

«النصيحة الثالثة»

= الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى. اعلم أيها الأخ الموفق كما أن الاتصاف بالإيمان والقيام بالطاعات واجتناب الكبائر والعلم بكيفيات ذلك واجب على كل مكلف ذكراً كان أو أنثى. وأنه يجب على أولياء الأولاد تعليم ما يلزمهم وأن يأمروهم بالعبادة لسبع ويضربوهم على تركها لعشر كما نص على ذلك ابن حجر والغزالي في الإحياء. كذلك يجب على كل مكلف تطهير قلبه من أرجاس الرذائل وإزالة الخبائث الباطنية كالحسد والخيانة والعجب والمكر والتكبر وغيرها، ومثل ذلك يجب على مَن له ولاية على الأولاد أن يعلمهم كيفية الاتصاف بمكارم الأخلاق والتحرُّز عن سفاسف الصفات وسيئات الأخلاق. ثم إن كل مكلف يجب عليه تعلُّم ظواهر حدود أمراض القلوب وأسبابها وعلاجها، نعم مَن زكت فطرته وصفت طويته وأمكنه التخلي عن الرذائل فلا يحتاج إلى تعلمها، فكل خلق ذميم فهو من مداخل الشيطان في القلب وتصرفه فيه ويشهد لذلك ما قاله الغزالي في الإحياء: ما دام الإنسان غافلاً عن ذكر الله فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تغلق، وأبوابه كالشهوة والطمع والحسد والغضب وغير ذلك ومهما كان الباب مفتوحاً والعدو غير غافل لم يدفع إلاَّ بالحراسة والمجاهدة. فإذاً لا يكون الخلاص منه للمؤمن إلاَّ بالمجاهدة وهي لا آخر لها إلاَّ بالموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حياً. نعم قد يقوى الإنسان فلا ينقاد لوساوسه ويدفع عنه شر مكايده بالجهاد وشغل القلب بذكر الله تعالى.

وفي «الزواجر» لابن حجر نقلاً عن بعض المتأخرين: وأما كبائر الباطن فيجب على المكلف معرفتها ليعالج زوالها لأن من كان في قلبه مرض منها لم يلق الله بقلب سليم اهـ.

وفي التحفة في بحث النوافل: أفضل عبادات البدن بعد الشهادتين الصلاة ففرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل ولا يرد طلب العلم وحفظ القرآن لأنهما من فروض الكفاية ويليها الصوم فالحج فالزكاة على ما جزم به بعضهم. وقيل: أفضلها الزكاة، وقيل الحج، وقيل غير ذلك.

والخلاف في الإكثار من واحد ـ أي عرفاً ـ مع الاقتصار على الآكد من الآخر وإلاَّ فصوم يوم أفضل من ركعتين، وقس على ذلك غيره. نعم العمل القلبي لعدم تصور الرياء فيه أفضل من غيره اهـ.

قوله: العمل القلبي، قال نور الدين المصري: كالمعرفة والتوكل والصبر والرضا والخوف والرجاء ومحبة الله تعالى ورسوله والتوبة والتطهير من الرذائل. بل نقول: إنما كان العمل القلبي أفضل من الأعمال الظاهرة لأن له زيادة تأثير وقوة في زيادة الإيمان وتكميله وصيرورته إيماناً يقينياً حقيقياً خارجاً عن الاستدلال والتقليد المحض، وكونه إيماناً صورياً تقليدياً. =

الطريقة العلية المندرسة من قديم الزمان وترغيب المسلمين فيها بالدلائل

= قال ابن حجر في خاتمة فتاويه الكبرى: فيضم العيان إلى البرهان في حقهم، وأما غير العمل القلبي إن كان صلاة فليس بتلك المثابة في ذلك التأثير والقوة، وإن كان له تأثير بالنسبة إلى العمل القلبي المؤدي لما ذكر من زيادة الإيمان وقوة الفكر، كما ورد في الخبر: فكر ساعة خير من عبادة سنة. إذاً فالعمل بطريقة مرشدنا مولانا الشيخ خالد قدّس سرّه العزيز على كل من لم يرزق قلباً سليماً واجب أو فرض عين ذكراً كان أو أنثى لأن ما يتوقف عليه الواجب فهو واجب كما أن الحج أو قراءة القرآن أو صلاة الليل يصير واجباً أو فرض عين على من يتوقف تطهير باطنه على واحد منها.

فيا أخي متى ما صاحبت شيخنا القطب المحمدي مولانا خالد المجددي قدّس سرّه ترتدع عن إنكارك وتدخل تحت حيطة نصيحته وفيضه وإني لا أخدع نفسي حتى أخدعك، وقد أثنى العلامة ابن حجر رحمه الله على طريقته العلية في خاتمة فتاويه حيث قال: الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هي الطريقة النقشبندية قدّس الله تعالى أسرارهم وقد كتبنا لكم سابقاً جواب جميع ما استشكلته واعترضته على مرشدنا بقول الحاسدين والسفهاء ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: الآية 213]، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجرَات: الآية 6] اهـ.

«النصيحة الرابعة»

يا أخي الشفيق، فليكن معلوماً لدى جنابكم الرفيع أن شيخنا ومولانا خالد قدّس سرّه العزيز لا يدّعي ديناً غير الدين الحق الذي عليه نبينا المصطفى ورسولنا المجتبى ﷺ وأصحابه وأتباعه من العلماء العاملين المتدينين بدينه كأبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك رضي الله تعالى عنهم، وكالإمام الغزالي والعز ابن عبد السلام والسبكي والإسنوي وابن حجر رحمهم الله، إلى غير ذلك مما يطول ذكره. بل هو قدّس سرّه يطلب ويدّعي ويخدم تقوية هذا الدين الحق مهتماً بالمسلمين امتثالاً لحديث رواه ابن حبان: «من أصبح وهمه غير الله تعالى فليس من أهل الله، ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم». فهو قدّس سرّه العزيز مشتغل بخدمة الناس وتدينهم بدين الله تعالى وتطهيرهم من المعاصي وبإخراجهم عن الإيمان الصوري إلى الإيمان الحقيقي وإيصالهم إلى محبة الله تعالى بمتابعة رسوله ﷺ بمضمون قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 31]. فيجب على مَن أحب الله ورسوله أن يعينه في ذلك إلاّ أنه قد حقّ ما نقله ابن حجر رحمه الله تعالى: لا يحسد الأفاضل كما وقع للأنبياء خصوصاً محمد ﷺ أفضل الخلق خلقاً باتفاق المؤمنين والكفار، وكذا سلطان الأولياء المرشدين الشيخ عبد القادر الكيلاني والإمام الرباني قدّس سرّهما، فكيف مع غيرهم.

ثم إن كان إنكاركم عليه قدّس سرّه من حيث الطريقة فالطريقة النقشبندية سابقة عليه =

والبرهان، فقد بلغ إلى درجة اليقين أن المقبولية عند سادات الطريقة تكون على

= شهيرة، وقد أثنى عليها ابن حجر حيث قال: الطريقة العالية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هي الطريقة النقشبندية التي هي مأخوذة من مشرب أفضل البشر بعد النبيين صلوات الله عليهم أجمعين أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. وإن كان إنكاركم عليه قدّس سرّه من حيث أحواله وأقواله وآدابه وخصاله فيا أخي ما صاحبتموه ولا خالطتموه فإن كل مَن صاحبه وعلم أحواله وخصاله وسمع أقواله سلم ولايته الكبرى وأذعن لها وأنه من الرجال المقربين والصدِّيقين وأنه قطب الطريقة، كيف وهو قدّس سرّه العزيز يأمر المريدين بجميع مأمورات الشرع الشريف وينهاهم عن جميع منهياته سواء كان ولياً أو ملكاً أو قاضياً أو حاكماً أو مفتياً كما هو مشاهد منه ومنقول عنه، على أن هذه الطريقة ليست خارجة عن الشريعة بل هي سلوك سبيل طريق مستقيم إلى الله بواسطة أوراد شرّعت، منها سورة الإخلاص والفاتحة وألم نشرح والاستغفار والذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي. وروى الشيخ في العظمة: فكر ساعة خير من عبادة سنة، انتهى. والحال أنه قدّس سرّه العزيز يقول تبعاً للسلف الطريقة التي هي الخروج من العادات والصفات المذمومة ظاهراً وباطناً، والحقيقة التي هي الوصول إلى حضرة الذات القديم والاتصاف بالإيمان الحقيقي، وهما خادمان ـ أي محصلان ـ للشريعة ـ أي لسائر الشريعة الحقيقية ـ وإلاّ فهما الجزء الأعلى منها كما نص على ذلك ابن حجر في الخاتمة.

ثم اعلم أنه قد يستفاد من الرسالة المدنية أن للإيمان صورة وحقيقة، وكذلك للشريعة ولرؤية الباري عزّ وجلّ في القيامة وللجنة صورة وحقيقة فصورة الإيمان هي الإيقان الصوري التقليدي التابع للاستدلال والنقل كإيمان العوام والعلماء بالغير العارفين الذين أحاطوا بالشريعة لم يهتموا لصفات القلب المذمومة وإزالتها فلم يبلغوا رتبة الخواص. وحقيقة الإيمان هو الإيقان الحقيقي الحالي الشهودي الخارج عن الاستدلال والتقليد وإن حصل من الإيمان وما حصل منه ـ أعني المداومة على الشريعة الصورية ـ. وصورة الشريعة عبارة عن الإتيان بالأحكام الشرعية مع الإيمان الصوري، ففي هذا المقام ليس إلاّ صورة الإيمان والصلاة والصوم والزكاة وعلى هذا القياس سائر الأحكام فلا تتحقق حينئذ حقيقة العبادة مع الأوصاف القبيحة لكنه تبارك وتعالى قبل طاعة العباد بهذا الإيمان تفضلاً منه ورحمة بهم وأكرمهم أيضاً دخول الجنة ترحُماً وتفضُّلاً، والشريعة الحقيقية هي عبارة عن الإتيان بالأحكام الشرعية مع الإيمان الحقيقي والشريعة الحقيقية. والرؤية الحقيقية إنما هي رؤية صاحب الإيمان الحقيقي، والشريعة الحقيقية أشد ماهية ولذّة من رؤية صاحب الإيمان الصوري والشريعة الصورية والجنة الصورية هي نعمها الممدوحة المشتهاة اللذيذة لصاحب الإيمان الصوري والشريعة الصورية لكن التذاذه دون التذاذ صاحب الإيمان الحقيقي والشريعة الحقيقية والجنة هي نعيمها المذكورة لصاحب الإيمان الحقيقي، والشريعة الحقيقية، والرؤية الحقيقية، والتذاذه بنعيمها أشد من التذاذ صاحب الإيمان الصوري إلخ. =

مقدار الجهد في إحياء رسوم الدين وتقوية المريدين، وسمعنا أن أكثر قرى

= فأصحاب الصور والحقائق كلهم يأكلون في الجنة من فاكهة واحدة محظوظون باللذة الصورية لكن بذوق أهل الحقائق اللذة الحقيقية، ولذة أهل العبور دون لذة أهل الحقائق، فكل من الإيمان والشريعة والرؤية والجنة قسمان: حقيقي وصوري، الأول للخواص والثاني لغيرهم. فإن أردت الوصول إلى الحقائق فاتصف بالإيمان الصوري أولاً ثم استقم على الشريعة الصورية ثانياً مع الدخول تحت حيطة مرشد كامل مكمّل فتصل إلى الإيمان الحقيقي، ثم إلى الشريعة الحقيقية، ثم إلى الرؤية الحقيقية، ثم إلى الجنة الحقيقية.

خاتمة: قال أبو الحسن الشاذلي قدّس سرّه: لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتِّباع الشريعة الغراء سراً وعلانية، ومجانبة البدعة الشنعاء ظاهراً وباطناً، فكل شخص لا ترى فيه جهداً ظاهراً وأعمالاً صالحة في الظاهر بلا ظهور نور الإيمان فيه ولا بركة للخلائق كما عليه بعض العلماء وأكثر المتصوفة، فاعلم أن في باطنه بدعاً ومعاصي مانعة من ذلك والله يتولى الصالحين.

«النصيحة الخامسة»

اعلم أيها الأخ الشفيق أنك قد كتبت إلينا اعتراضات وإشكالات لا يقنع فيها من له خبرة بِكُتُبِ الشرع فضلاً عن كتب السلف الصالح الجامعة بين علمي الظاهر والباطن، فكتبنا لكم أجوبتها المأخوذة من كلام من يعتد بأقواله في الشرع والتصوف فلا نعيدها في هذه الورقة لكن نرجو العفو إن وقع سوء أدب فيما كتبناه. فيا أخي الشفيق إن ما كتبته إلينا ظاهر في التعصب والميل عن خطة الاستقامة، فهذا هو الإنكار المنهي عنه والإيذاء المضر المشار إليه في الحديث القدسي: «من آذى لي ولياً فقد أذنته في الحرب»، ويضرك ديناً ودنيا بل نخشى عليك من سوء الخاتمة لأن إنكار الأولياء محاربة مع الله تعالى ولا يحارب الله تعالى إلاّ كافر.

فنقول: استمع واقبل ما ننقل لك من كلام المتبحرين الجامعين بين الظاهر والباطن المتصف بهما الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى فإنه أخذ علم الباطن عن الشيخ الشهير ابن أبي الحمائل.

فإن قلت: نحن نقيس شيخكم مولانا خالد قدّس سرّه على أكثر الخلفاء القادرية والأحمدية الجهلة الذين لم يبلغوا رتبة الكمال ولم يستحقوا منصب الإرشاد ـ أعني الفناء والبقاء ـ فهم معدودون من العوام ولم يقطعوا تعلق قلوبهم عن الدنيا وجمع حطامها فينصبون أنفسهم للإرشاد ويقطعون طريق أهل الله عن المسلمين وليس لهم قوة تامة في الدين وبركة سارية إلى الخلق والمريدين فيجب على الحكام والولاة والعلماء منعهم عن الإرشاد وإضاعة المريدين عن الوصول إلى الله تعالى ورفع الحجب بينهم وبينه فلا يحصل لهم غير ثواب الأوراد واستفادة مصاحبة الشيخ.

قلنا: هل تقاس الملائكة بالحدادين، فإن شيخنا القطب الأعظم قدّس سرّه العزيز =

عمادية المحمية كانت بها مساجد معمورة بالجماعة والأذكار والآن إمَّا تعطّلت

= بخلافهم فإن صاحبته ترتدع عن إنكارك وتصدقني في كل ما أقول. سئل رحمه الله تعالى عن قوم من الفقهاء ينكرون على الصوفية إجمالاً وتفصيلاً فهل هم معذورون بذلك أم لا. أجاب بقوله: ينبغي لكل ذي عقل ودين أن لا يقع في ورطة الإنكار على هؤلاء القوم فإنه السم القاتل كما شوهد ذلك قديماً وحديثاً، وقدمنا قصة ابن السقاء المنكر لولاية ولي الله تعالى فأشار إليه أنه سيموت كافراً فشوهد عند موته بعد تنصره لتعشقه بفتاة نصرانية أبت عليه إلاَّ أن يتنصر مستقبل الشرق، وكلما يحولونه إلى القبلة يتحول إلى الشرق حتى طلعت روحه مع كونه كان أوجه أهل زمانه علماً وذكاء وشهرة وتقدماً عند الخليفة فحقت عليه الكلمة بواسطة إنكاره على ذلك الولي حيث قال في حقّه: لأسألنَّه مسألة لا يقدر على جوابها، وتقدم أن الإمام أبا سعيد بن أبي عصرون قاضي دمشق وإمام الشافعية في زمنه صدر منه لذلك الولي نوع قلة أدب فوعده أن يغرق في الدنيا إلى شحمتي أذنيه فولاَّه نور الدين الشهيد الأوقاف بدمشق فكان كذلك، وأن إمام العارفين وتاج الأولياء المرشدين مولانا السيد عبد القادر الجيلي قدّس سرّه العزيز، وهؤلاء جاؤوا إلى ذلك الولي فوقع للأولين ما ذكر. وأما الشيخ قدّس سرّه فلما تأدب معه دعا له ووعده بالولاية بل بالقطبية وإن قدمه سيصير على رقبة كل ولي، فانظر إلى شؤم الإنكار وفائدة الأدب والاعتقاد.

وجاء أيضاً عن المشايخ العارفين والأئمة الوارثين: أن عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم من بركتهم، وقالوا: يخشى عليه سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك، وقال بعض العارفين: من رأيتموه يؤذي الأولياء وينكر مواهب الأصفياء فاعلموا أنه محارب لله تعالى مبعد ومطرود عن حقيقة قربه. وقال العارف المجمع على جلالته وإمامته أبو تراب النخشبي رضي الله عنه إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى. وقال الإمام العارف شاه شجاع الكرماني: ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله تعالى لأن محبتهم دليل محبته. وقال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى: قبول قلوب المشايخ أصدق لسعادة المؤمن من رد قلب شيخ من الأولياء فلا محالة يراغمه ذلك ولو بعد حين ومن خذل بترك حرمة المشايخ فقد ظهرت شقاوته وذلك لا يخطىء انتهى. ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ في الحديث القدسي: «من آذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب» أي أعلمته بأني محارب له ومن حارب الله تعالى لا يفلح أبداً. وقال العلماء: لم يحارب الله عاصياً إلاَّ المنكر على الأولياء وآكل الربا وكل منهما يخشى عليه من سوء الخاتمة إذ لا يحارب الله إلاَّ كافر، انتهى ما في الخاتمة.

قال الشعراني قدّس سرّه العزيز: كان أبو الوفاء رضي الله عنه يقول: كل من أرضى العارف بالله تعالى أرضى معروفه وكل من أغضب العارف بالله أغضب معروفه كما جاء في الحديث: «إن الله تعالى يرضى لرضا عمر ويغضب لغضبه». وجاء مثل ذلك في حق فاطمة وبلال وعلي وسلمان وحبيب، فاعلموا واسعوا على أن يرضى منكم العارفون =

وإما خربت، فما يتردد إليها من المصلين ديار فإن أمرتم ـ ولو على لسان هذا المسكين ـ أن يجتهد مخلصنا زبير باشا كان الله له في تجديد رسومها يكون لكم أجر عظيم.

= ويسروا معكم إن أردتم رضى ربكم وبَسْطِ رضوانه عليكم واحذروا عما يسخط به العارفون فإن العكس في العكس، واسئلوا الله تعالى توفيقكم لذلك.

«النصيحة السادسة»

يا أخي الشفيق، قد نسبت الكفر إلى شيخنا ومرشدنا مولانا خالد قدّس سرّه العزيز ومريديه بسبب الإصغاء إلى كلام الحساد والفساق وقد نقلوا لك أنه قدّس سرّه قال: يجوز أن تصدر الذنوب من الأولياء، ففهمت من ذلك أنه أفتى بأن للأولياء ارتكاب المعاصي والكبائر، فحكمت لذلك بكفره. ونقلوا لك أيضاً أن من مريديه من يقول: «خداوند خالق منم نبي مرسل منم وما از شيخ عبد القادر بذركتره ومولانا خالد قدّس سرّه العزيز نبي ماست» أعني ميرزا عبد الكريم والملا محمد أمين الشهير بمعرفة الشرع والعمل بما عليه أهل اليقين وغيرهما، فحكمت بكفرهم أيضاً لذلك فصرت سبباً لحمل بعض العلماء إلى ذلك التكفير أيضاً فكاد أن يكون كفراً لك وله.

فيا أخي إن ما نقل عنه قدّس سرّه العزيز من أنه يجيز صدور الذنوب من الأولياء حق وصدق لكن ليس مقصوده قدّس سرّه ما فهمته من تلك العبارة من انحلال أحكام الشرع في الأولياء بل مقصوده كما نقل عنه قدّس سرّه أن صدور الذنوب من الأولياء ممكن حين كونهم أولياء مع عدم سلب الولاية عنهم لأن الأمن من سوء الخاتمة والعصمة من المعاصي لا تكون إلاّ للأنبياء. قال العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى: الولي لا تصدر منه كبيرة ولا صغيرة غالباً وأن ما نقل عن مريديه قدّس سرّه العزيز مما مر حق أيضاً لكن صدور تلك الكلمات ليست معصية في حقهم فضلاً عن كونها كفراً بل كاد أن يكون طاعة عظيمة لأنه إنما نشأ بسبب جائز الطاعة ـ أعني المداومة على الذكر والأوراد والاشتغال التام بالفروض والسنن والتفكّر في عظمة الله تعالى وقدرته فسكروا وغابوا عن حسّهم واختيارهم فليسوا مكلفين حينئذ وليس عليهم إثم فيما قالوا وفعلوا إلاّ فيما يتعلق به ضمان شرعي كالمجانين والصبيان، ولا تبطل صلاتهم بما يصدر عنهم بلا اختيارهم وإن كثر ابتلاؤهم به بحيث لا يخلو زمن يسع الصلاة من ذلك بل ولا صلاة عليهم إن اشتدت غيبتهم ـ.

قال الإمام جعفر الصادق عليه الرضوان: إن لله شراباً لأوليائه إذا شربوا منه سكروا وإذا سكروا طربوا وإذا طربوا وجدوا وإذا وجدوا أنابوا وإذا أنابوا ذابوا وإذا ذابوا خلصوا وإذا خلصوا وصلوا وإذا وصلوا اتصلوا، لا فرق بينهم وبين حبيبهم ليصدر عنهم حينئذ ما يدل على الاتحاد وغيره مما لم يأذن به الشرع لمن كان صاحياً أو عاقلاً مختاراً لكن ليس عليهم إثم كما أفتى به ابن حجر في خاتمة فتاويه الكبرى والقطب الكيلاني =

فقد ورد في حديث رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه صلى الله عليه وسلّم قال: «من تمسك بسنّتي عند فساد أمّتي فله أجر مائة شهيد».

= المفتي على مذهبي مالك وأحمد رحمهما الله تعالى فيما نقل عنه ابن حجر رحمه الله فيها، وأبو العباس ابن العطار وأبو العباس القاسم النصرأبادي رحمهم الله تعالى غير مجوزين قتل العارف الشاكر حسين بن منصور الحلاج لما بلغ إلى غاية القرب منه تعالى فكره ذلك منه: «أنا الحق» بلا قصد واختيار.

سئل نفع الله تعالى به: ما الذي يجاب به عما وقع من شطحات الأولياء كقول أبي يزيد: «سبحاني وما في الجبة غير الله»، وقول الحلاج: «أنا الحق» ونحو ذلك مما لا يخفى من كلماتهم وإشاراتهم التي ظاهرها انتقاد وباطنها حق إلاّ عند أهل المقت والعناد.

فأجاب بقوله: إن ما وقع من الشطحات للعلماء العالمين الذين حباهم الله بالشريعة وبالسلامة عن حرمات الإنكار ومنَّ عليهم بالاعتقاد في أوليائه تعالى أجوبة مسكتة وتحقيقات مبهتة فحمل ما صدر عنهم على أحسن المحامل وأقومها لا يهتدي إليها إلاّ الموفقون ولا يعرض عنها إلاّ المخذولون، فاحذر أن تكون ممن يشرب كأس سم الإنكار عليهم فيهلك من وقته، فبادر إلى السلامة من غضب الله تعالى ومحاربته ومقته فقد قال عزّ وجلّ في الحديث القدسي: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» أي أعلمته أني محارب له. قال الأئمة: لم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلاّ للمنكرين على أوليائه وآكل الربا ومن حارب الله تعالى لا يفلح أبداً.

ومن الأجوبة: أن تلك الكلمات كانت حكاية عن حضرة الحق ونطق عما يليق - يعني بهم - لما تقرّبوا إلى الله تعالى ووصلوا إلى مقام العبودية والوصل والمحبة أدركوا منه تعالى أنه قائل: أنا الحق، فأرادوا أن يقولوا قال أنا الحق إلاّ أنهم لضيق حالهم وغلبة الحال الوارد عليهم لم يمكنهم أن يقولوا ذلك حكاية عنه تعالى فتجوزوا في العبارة بلا اختيار فقال: أنا الحق، وكذلك في: أنا الرسول، مثلاً فيبسط لهم العذر ويرفع عنهم الأمر لسكرهم وغيبتهم في تجليات معبودهم.

وممن اعتمد هذا المسلك الشهاب السهروردي المجمع على إمامته في العلوم الظاهرة والباطنة في عوارفه حيث قال: وما حكي عن أبي يزيد ما قال مثل ذلك إلاّ على معنى الحكاية عن الله تعالى، وقال: مما ينبغي أن يعتقد مثل ذلك في الحلاج أيضاً في قوله: أنا الحق، ومنها أن ذلك وقع منهم في حال الغيبة والسكر الناشئين عن الفناء في المحبة والشهود لموارد الأحوال المزعجة للقلب المانعة له من صحوه وتميّزه، ألا ترى أن بعض الهموم والواردات الدنيوية إذا وردت على القلب أذهلته وأذهبت تميزه لشدة تمكنها فيه واستغراقه في ذكرها وخطرها، فإذا كان ذلك الذهول يغيّبه في الأمور السافلة التي لا تقاوم عند الله جناح بعوضة فكيف إذا كانت بمداهمة واردات الحق على القلوب ولواعج المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب وتجليات عوام الملكوت المنكشفة =

وأدعو لأولادكم عموماً وحبيبي الملا محمد أمين خصوصاً كتبه الله في

= لهم في منازلهم ومشاهدة عجائب القدرة في ترقياتهم فإن تلك لا تبقي في القلب شعوراً ولا تمييزاً بل يصير صاحبها كالسكران فحينئذ ينطق بما رسخ في خلده ويرجع بطبعه قهراً عليه إلى ما كان يلحظه ويقوله فينطق لسانه طبق تلك العبارات لكن بعبارات لا يقصد بها ما توهم ظاهرها من اتحاد وحلول ونحوه.

فتأمل ذلك وعول عليه تسلم، فإن كل سكر ينشأ عن سبب جائز فصاحبه غير مكلف، وممن اعتمد هذا المسلك القطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني نفعنا الله تعالى به حيث قال مترجماً عن حال الحلاج: «طار طائر بعض العارفين من وكر شجرة صورته وعلا إلى السماء خارقاً صفوف الملائكة فكان بازياً من بازات الملك مخيط العينين بخيط ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: الآية 28] فلم يجد في السماء ما يحاول من الصيد، فلما لاحت فريسته قال: «رأيت ربي» فازداد تحيُّره في قول مطلوبه ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 115] فعاد هابطاً إلى حطة الأرض وطلب ما هو أعز من وجود النار في قعور البحار فنظر بعين عقله فما شاهد سوى الآثار فكر فلم يجد سوى محبوبه فطرب فقال بلسان سكر قلبه: «أنا الحق».

ويكفي الحلاج شرفاً شهادة هذا القطب له بهذا المقام الرفيع مع أن الصوفية وغيرهم اختلفوا فيه اختلافاً كثيراً، فبعض العارفين كأبي العباس بن عطاء وأبي عبد الله بن حنيف وأبي القاسم النصرابادي رضي الله عنهم أثنوا عليه وصححوا حاله وجعلوه أحد المحققين وخالفهم بعض المشايخ فلم يثبتوا له مقاماً في التصرف ولم يأخذوا عنه الطريق، ولا ينافي ما قاله الأولون لأنه وإن كان محققاً بل عالماً ربانياً كما قاله ابن الحنيف إلاّ أنه لما كثرت منه الكلمات التي ظاهرها مخرق للشريعة ومستنفر عنها أعرضوا عنه فلم ينسبوا له قدماً في التصرف ـ أي الاقتداء ـ وجعلوه في حيز المجاذيب الذين لا يقتدى بهم ولم يعدوه من أصحاب التصرف.

وإياك أن تفهم أن من الصوفية من ينكر عليه حاله الباطني فإن الأمر ليس كذلك، وقد بسط الغزالي رحمه الله تعالى أحواله فأجاب عن كلامه ووقائعه بما ينزه ساحته عن الحلول والاتحاد وغيرهما من الاعتقادات الباطلة. ونقل عنه كلمات دالّة على كونه عارفاً ربانياً معربة عن حقيقة ما هو عليه، منها: أنه لما سئل عن التصوف وهو مطلوب للصلب، فقال: أهونه ما ترى. ومنها: أنه قال لخادمه وقد قرب صلبه حين قال له: أوصني، فقال: عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك. ومنها: أنه قال وهو يستخمن في قيده إلى الصلب:

قديمي غير منسوب	إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب	كفعل الضيف بالضيف
فلما تواترت الكأس	دعا بالنطع والسيف

ومنها: أنه قال عن معنى المريد: هو الخارج عن أسباب الدارين وغيرها، انتهى =

زمرة السعداء وحشره تحت لواء الأنبياء والأولياء يوم اللقاء، وعليكم بالمثابرة

= كلام الغزالي. وهذا منه قدّس سرّه صريح في أن ما صدر من الحلاج لا يؤاخذ به لأنه حكايات أو ناشيء من السكر المتولد عن سبب جائز كما مر. قاله ابن حجر.

فتأمل يا أخي فيما كتبناه إلى جنابك الرفيع وانصف ولا تشرب سم الإنكار على الأولياء فإنه قاتل للشاربين. قال المرشد الكامل المجتهد في علميّ الظاهر والباطن الإمام الرباني المجدد لشريعة النبي ﷺ في رأس الألف الثاني: طريقتنا هذه تسري وتبقى بركتها إلى يوم القيامة وتكون فائقة على سائر الطرق أبداً بفضل الله تعالى ولطفه علينا، وإجماع العلماء المتشرعين العاملين عليها وترتيبهم لها على طبق قوانين الشرع الشريف وتهذيبهم لها وبعدها عن البدع والتحريف، وميل منبع الفيض ـ أعني محمداً ﷺ وآله وأصحابه ـ إليها وإلى أهلها باطناً، وميل رؤساء جميع الطرق العلية إليها أيضاً باطناً كالقطب الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني، وغوث الخلائق محمد بهاء الدين البخاري المعروف بشاه نقشبند، والشيخ الكامل مولانا نجم الدين الكبرى، والشيخ الشهير معين الدين الجشتي، والشيخ المقرب شهاب الدين السهروردي، والشيخ الشريف السيد أحمد الرفاعي وأويس القرني الرباني، وجنيد البغدادي، ومعروف الكرخي قدّس الله أسرارهم وغيرهم ممن له تصرف وبركة وفيض روحاني أدلّ دليل على صحة ما نقول. فطريقتنا هذه مأخوذة ومركبة من مشارب الطرق الخمسة المشار إليها ففيها بركتها وإليها ميل أعزتها فلذلك كثرت بركتها دون سواها لكنها اشتهرت بالطريقة النقشبندية لكون أغلب أذكارها واشتغالها وآدابها مرعية فيها إلى يومنا هذا. وأما سائر الطرق فقد كثرت فيها الجهلة بالشرع الشريف الناقصة عن رتبة الإرشاد فلم يمكن لهم ترتيب طرائقهم وتنقيحها عن المحظورات بل أحدثوا فيها البدع المانعة عن مصدر الفيض وتهذيب الأخلاق السيئة ككأس لطيف وقع في أيدي الحدادين فكيف يبقى سالماً.

ثم اعلم أنه قد أنعم الله تعالى على هذا الفقير بلباس الشاه الإسكندري القادري ـ أعني خرقة مباركة لشاه كمال الدين قدّس سرّهما ـ بأمره ووصيته له بذلك باطناً ففاض على بركات كثيرة من أرواح المشايخ المكرمة ووقع لهم إذن وخلافة لي في الطريقة القادرية. ثم أخذت الطريقة الجشتية عن الشيخ الكريم والدي عبد الأحد رحمه الله وأفاض عليّ بركة وفيضاً كثيراً من أرواح المشايخ الكرام فوقع لي منهم إذن وخلافة كذلك. ثم أدخلت تحت حيطة أهل الطريقة الكبرويّة وفاض عليّ فيوض من أرواح أهلها القاهرة فوقع لهم إذن لي وخلافة أيضاً بها. ثم دخلت تحت حيطة أهل الطريقة السهروردية ففاضت عليّ فيوض كثيرة من أرواح مشايخها الكرام فوقع لهم أيضاً إذن لي وخلافة بها. ثم دخلت تحت حيطة أهل الطريقة النقشبندية قدّس الله تعالى أسرارهم العلية في خدمة شيخي الكامل الشفيق قطب الأولياء الشيخ محمد الباقي بالله قدّس سرّه العزيز فامتثلت أمره واجتنبت نهيه ففاض عليّ من أرواح مشايخها الكرام بركات كثيرة وعلوم نافعة ومعارف وإلهامات موافقة للشرع الشريف فوقع لهم أيضاً إذن لي وخلافة =

على شغل الطريقة العلية فإنها أنجع دواء لمداواة الأمراض القلبية ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ

= فيها. ثم لما داومت عليها وتفحصت عن أحوالهم ومشاربهم ومقاصدهم وجدت أن مشرب أهل هذه الطريقة أعلى من مشارب الطرق الأخرى بمراتب لا تحصى وأن مقصودهم من الطريقة أولاً والحاصل لهم آخراً ليس إلاً ثلاثة أمور عظيمة مهمة هي المقصودة من إنزال القرآن الشريف وبعثة النبي ﷺ وتدوين الشرع الشريف، فلذا كنت مستقيماً فيها ومقتصراً في الإرشاد عليها وأعرضت عن الإرشاد في البواقي «ومن وجد البحر استقل السواقيا» واستفدت منها جملة أمور:

أحدها: عقيدة صحيحة موافقة لأهل السنّة والجماعة، يعني التصديق والإيمان المفهوم من حديث: «آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله» على التفصيل الذي بيَّنه القرآن الشريف والأحاديث النبوية وما أجمع عليه الصحابة الكرام والشرع المطاع، وحصَّلت إيماناً حقيقياً شهودياً صدِّيقياً لا إيماناً صورياً تقليدياً.

وثانيها: حصول دوام المشاهدة الذاتية التي هي عبارة عن الحضور الذاتي الدائمي مع التذكر الدائمي لحضرة ذاته المنزهة عن النقائص المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: الآية 41]، وبقوله عزّ وجلّ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النُور: الآية 37]، وبما جاء في الحديث الشريف: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، فالإحسان عبارة عن ذلك الحضور الدائمي.

«**وثالثها**»: اتِّباع السنَّة السنيَّة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية، يعني امتثال أوامر الشرع واجتناب نواهيه ظاهراً وباطناً دائماً المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: الآية 112] فمن جدّ واجتهد ووصل إلى هذه المقاصد الثلاثة فهو واصل إلى الله تعالى وكامل وعارف عند أهل هذه الطريقة، وإن لم يحصل هذه الثلاثة فهو ليس بواصل عندهم وإن حصل له كشوفات وأحوال كثيرة وجذبات لطيفة وأنوار فالأحوال والأنوار والمواجيد والكشوفات اللوحية والسماوية والأرضية والقلبية والبحورية والنعيمية والجنتية والنارية فلم يعدوها من المقاصد الثلاثة والمطاليب المقصودة ولم يلتفتوا إليها بل هي عندهم مبشرات يتربى بها أطفال الطريقة تنشيطاً لهم على السلوك، فهي من مقدمات السلوك والوصول إلى الله تعالى، وهذه المقاصد الثلاثة عند كُمَّل هذه الطريقة العلية الذين لهم عزائم عظيمة وهمم عالية بخلاف أهل الطرق الأخر فأكثرهم إذا وجدوها وظهر لهم شيء من تلك الأحوال فرحوا وقنعوا بها وعدوها من المطالب والمقاصد وغفلوا عن المقاصد الأصلية المأمور بها فيتوجهون بهمة القلوب إليها ويعدون ذلك كمالاً لأنفسهم فلا شك أنهم حينئذ يقعون في العجب. قال الغزالي رحمه الله: هو تكبر يحصل في الباطن من تخيل كمال في النفس من علم أو عمل أو مال أو ولد إلى غير ذلك، فيقطعون بذلك عن الطريق والتقرُّب إليه تعالى ويقفون ويجلسون في سجن النقص وعادات العوام والصلحاء الناقصين فيحرمون من الإيمان الحقيقي الشهودي والإحسان المرضي السعودي، ومن اتباع شريعة =

مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فَاطِر: الآية 14]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

= النبي ﷺ بالاتباع الحقيقي، وكذا حال من تمسك بهم أعاذنا الله وإياكم منهم، انتهى.
واعلم أن للأشياء وجوداً في الأعيان فهي الوجود الأصلي الحقيقي ووجوداً في الأذهان وهو الوجود العلمي الصوري ووجوداً في اللسان هو الوجود اللفظي الدال على ما في الذهن من الصورة العلمية وتلك الصورة هي المنطبعة في النفس من الوجود العيني الخارجي فلو لم يكن وجوداً في الأعيان لم تنطبع الصورة في الأذهان ولو لم تنطبع الصورة في الأذهان لم يعبر عنها باللسان، فإذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة أمور متباينة لكنها متطابقة متوازية، وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد مراجعة ما ذكره علماء الكلام في مباحث الكيف والوجود الذهني وظهر بهذا أن الاسم غير المسمى الذي هو الموجود في الخارج بالوجود الأصلي كما أنه غير الصورة الذهنية التي يعبر عنها بالعلم.
ومن العلماء من ذهب إلى أن الاسم عين المسمى فقط وأن تعدد الأسماء راجع إلى تعدد الصفات الذاتية والفعلية القائمة بذات المسمى وإنما ذهبوا إليه زعماً منهم بأن أسماء الله تعالى لو كانت عبارة عن الألفاظ الدالة على ما في نفس الأمر لزم أن لا يكون له تعالى أسماء في الأزل إذا لم يكن في الأزل لفظ ولا لافظ لأن كل واحد منهما حادث. وأجيب عنه بأن المراد بالأسماء في قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: الآية 8] معاني الأسماء المحمولة على الذات حمل المواطأة كما ذكرنا، فإن معاني نحو القدوس والعالم والقادر ثابتة له في الأزل بمعنى أنه متصف بصفة وإن لم تكن الأسماء متحققة فيه فإنه تعالى قدوس وعالم في الأزل بمعنى أنه متصف بصفة القدس والعلم ولا محذور في حدوث الأسماء الملفوظة المتصفة بكونها عربية مشتقة قليلة الحروف أو كثيرة لأن مقتضى الدليل القاطع أن الله تعالى قديم وصفاته الذاتية والفعلية قديمة مصونة عن الزوال باعتبار وجود ذاتها العينية، وأما وجودها في اللسان وفي أذهان الإنسان فحادث، قاله شيخي زادة في حاشيته على تفسير القاضي البيضاوي رحمهما الله تعالى.

«النصيحة السابعة»

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده وبعد: فالمنهي إلى جنابكم أنه وصلنا مكتوبكم وفهمنا ما فيه. فيا أخي إن كان إنكاركم على شيخنا ومرشدنا مولانا خالد قدّس سرّه من حيث الطريقة فمعلوم أن طريق السادة النقشبندية حتى كسائر طرق السادات الباقين، وقد أثنى عليها الملا علي القاري في شرحه للحصن الحصين عند شرح حديث من دخل السوق وقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة بما نصه. ولعل وجه هذه الفضيلة =

[الرقعة السادسة والتسعون]

في بيان وصية حضرة مولانا خالد التي أملاها قدّس سرّه على بعض خلفائه الذين لازموا خدمته إذ ذاك بدمشق وإليك نقلها مَعَ ما علق عليها من الملاحظات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قد أوصى وأكّد قبيل مرضه في يوم الثلاثاء وفي ليلة الأربعاء وصية كرّرها

= بخصوص السوق لأنه محل الغفلة والذاكر فيها كالمجاهد في الفارين، وهذا دليل لما اختاره السادة النقشبندية من أكابر الصوفية حيث قالوا: الصوفي كائن بائن عرشي فرشي خلوته في جلوته إلى غير ذلك من عباراتهم نفعنا الله ببركاتهم، ومن تتبع أحاديث رسول الله ﷺ وعرف أخباره وأحواله وعلم أقواله وأفعاله تبين له أن هذه الطريقة هي التي اختارها ﷺ بعد البعثة وحثّ أمته على هذه الحالة وتبعه أكابر الصحابة دون ما ابتدعه المبتدعة وإن كان بعضها مستحسناً في الجملة، انتهى.

فانظر يا أخي بعين الشفقة على نفسك كيف أثني على طريقة شيخنا مولانا خالد قدّس سرّه العزيز واستحسنها، كيف لا ومن أحواله أنه يأمر بقيام الليل ودوام الوضوء وإحياء ما بين العشائين والطلوعين وصلاة الإشراق والضحى والأوابين بل بسائر السنن فضلاً عن الواجبات، وبنهي عن البصاق إلى جهة القبلة واليمين والتنعل قائماً والشرب كذلك في نفس واحد بل وعن سائر المكروهات فضلاً عن المحرمات ويكفي في حقهم ما أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يفضل الذكر على الذكر سبعين ضعفاً إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا، قال الله تعالى: انظروا هل بقي له من شيء، فيقولون: ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلاّ وقد أحصيناه وكتبناه. فيقول الله تبارك وتعالى: إن لك عندي شيئاً حسبناه ولا تعلمه وقد أخبرتك به وهو الذكر الخفي» ذكره الحافظ السيوطي في البدور السافرة عن أحوال الآخرة. وفي الجامع الصغير: خَيرُ الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي. رواه أحمد وابن حبان والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه.

قال علي القاري في شرح حديث: «ليذكرن الله أقواماً في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الجنات العلى» وفيه دليل على أن الملوك والأمراء ومن يجري مجراهم من أهل الدنيا من المترفهين لا يمنعهم حشمهم ورفاهيتهم عن ذكر الله تعالى وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم برحمته الجنات العلى، انتهى.

وأنت يا أخي إن وفقك الله تعالى للهدى ودخلت هذه الطريقة العلية يحصل لك ما حصل لغيرك من الاستغراق في بحر التوحيد والحيرة في مطالعة الجمال والجلال =

أربع مرات. أما في المرة الأولى والثانية فقد قال قدّس سرّه: «أوصيك بثلث

= فترتدع عن إنكارك لا محالة وتندم على ما كنت تفعل. ويا أخي لِمَ لا تصدقني وأني ما أخدع نفسي وقد جربت فوجدت ما تقر به العيون مع أني من أرذل مريدي حضرة مولانا خالد قدّس سرّه العزيز وأدناهم وقد كنتم تعتمدون علينا قبل اليوم وتصدقوننا في كل ما نقول، فيا عجباً أن صرنا الآن عندكم من الكاذبين، وقد ذكرتم في مكتوبكم أنه لا بد للمريد أن يمشي على الماء ويطير في الهواء، فيا أخي مرشدنا قدّس سرّه ينهى المريدين عن إظهار الكشف والكرامات فكيف يسوغ لهم أن يظهروهما على أن غرفة واحدة من بحر التوحيد أفضل من ألف كشف وكرامة، والكرامات حيض الرجال، والسلام على من اتبع الهدى.

«النصيحة الثامنة»

يا أخي إن الإنسان إذا دخل تحت حيطة مرشد كامل واهتم غاية الاهتمام بتطهير قلبه من الخبائث الرديئة كالحسد والكبر والعجب والنفاق وغيرها، وتفضل الله عليه بإزالتها وزكت النفس وأنصف (بالفناء) أي زوال صفاتها المذمومة حقيقة أو صورة (والبقاء) أي بقاء النفس مع صفات الله أي ظلالها وآثارها الممدوحة لا عينها، وارتفعت الحجب الظلمانية التي بينه وبين ربه أي الحاصلة من المعاصي بل هي نفس المعاصي والنورانية أي الحاصلة من النور وهي الطاعة يصير ذلك الإنسان ولياً مجتهداً في طريق الإرشاد ووضع الآداب والأوراد فيحرم عليه حينئذ الصدقة المعنوية أي تقليد غيره ولو كان مرشده الذي رباه في العلوم الباطنية والمعارف الإلٰهيَّة والإرشاد ومصالحه بل عليه أن يعمل برأيه وبما يظهر له من الإلهام والكشف أو من الرؤيا الصادقة فإنه حينئذ لا يخلو عن أحدها كما أنه يحرم من المجتهد في العلوم الظاهرية الصدقة الصورية ـ أي تقليد الغير في المسائل الشرعية ـ وإن استفاد منه علوماً جمة كما أشار إلى ذلك المحقق الدواني في حاشية شرح هياكل النور بقوله، وكما حرم على القسم الأول ـ أي من أولاد النبي ﷺ ـ وهم العلماء المجتهدون في العلوم الظاهرية الصدقة الصورية ـ أي تقليد الغير في الأحكام الشرعية أيضاً حرم على القسم الثاني منهم وهم الأولياء العارفون الصدقة المعنوية ـ أي تقليد الغير في المعارف الإلٰهية ـ انتهى. ويومىء إلى هذا المعنى حديث الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق كما ذكره ابن حجر في خاتمة فتاويه.

قال ابن علان: أن السلوك والوصول إليه تبارك وتعالى يختلف باختلاف الأشخاص وآدابهم ومشاربهم وأورادهم وعباداتهم ـ فبعضهم يصل إليه تعالى بالمداومة على نحو صلاة التهجد ونوافل الطاعات والصيام المسنون وقراءة القرآن ـ وبعضهم بالمداومة على الذكر والفكر والندامة والبكاء والحسرة على ما فات من عمره ـ وبعضهم بالرياضة الكثيرة الشاقة، وبعضهم بالاشتغال التام بخدمة الناس وقضاء حوائجهم، وبعضهم بالدخول تحت حيطة مرشد كامل فارغ عن تزكية نفسه مأمور بتزكية الخلائق وإرشادهم إلى طريق معرفة الله تعالى، وهذا الأخير هو الطريق الأسهل الأسلم والأغلب =

مالي وأملاكي حتى البيت وجعلت وصياً على الثلث المذكور الشيخ إسماعيل

= الأحكم، وبعضهم بالمعاصي المشوبة بالطاعات كما قال العارف ابن عطاء في حكمه: معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً.

وأصل هذا ما جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه ابن حبان عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا أن ذنوباً هي خير العبد المؤمن من العجب ما خليت بين عبدي المؤمن وبين الذنوب» وروى الديلمي بلفظ: «لولا أن المؤمن يعجب بعلمه لعصم من الذنوب حتى يهم فيها ولكن الذنب خير له من العجب». وبعضهم يصلون إليه تعالى في مدة ساعة وبعضهم يصلون في سنة وبعضهم في سبعين سنة بمضمون ما جاء في الحديث الشريف: «إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة»، وقد قالوا: إن كل عشرة آلاف حجاب منها ترفع في بلوغ مقام إلى النهاية ثم بعد وصولهم إلى مرتبة الفناء والبقاء يتفاوتون في المحاسن والمواهب والفضائل أيضاً كما هو بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حيث تفاوتوا في الخواص والفضائل والإيذاء والإكرام.

وأيضاً قد يكون في المفضول حسنة وموهبة قد لا تكون موجودة في الفاضل ومع ذلك لا يكون بذلك فاضلاً على الفاضل كما وقع ذلك كثيراً بين الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم، كان زيد أعلمهم في علم الفرائض، وعثمان أشدهم حياء، وعلي أشدهم كرّاً وفرّاً، وأبو بكر أشدهم وأكملهم إيماناً، وكذلك الأولياء العارفون بعد الكمال يتفاوتون في المحاسن والصفات الممدوحة، فبعضهم وإن كان متأخراً ربما يكون أشد قوة من غيره في الإرشاد وتزكية النفس، وبعضهم يكون أشد من بعض آخر حياء، وبعضهم يكون أشد من غيره إكراماً، وبعضهم يكون أشد من غيره حَنَاناً ورحمة، وبعضهم يكون أشد من غيره موعظة وتأثيراً، وبعضهم يكون أشد من غيره إكثاراً في النوافل والصلوات، وبعضهم يكون أشد من غيره صوماً وصدقة، وبعضهم أشد قراءة للقرآن من غيره، وبعضهم أكثر ذكراً وتفكراً فالحد الجامع لهم المانع لغيرهم هو أن الولي هو المؤمن الملازم على فعل الطاعات والمداوم على اجتناب المعاصي، المعرض عن الانهماك في الملذات، فمن صدق عليه الحد فهو وليّ واصل كامل وإلاً فلا. فلا يجوز الاعتراض بمحاسن بعضهم على بعض آخر وبمحاسن الأحياء على الأموات وبالعكس. فالاحتجاج على بعض بمحاسن بعض آخر خطأ عظيم وجهل عقيم فكن يا أخي على حذر من ذلك حتى لا تقع في هوة إنكارك على من هو وليّ في الواقع فتهلك وتدخل تحت طائلة قوله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب». فإن إنكاركم عليهم مضر ومحاربة مع الله اللهم إلاّ إن ارتكب ما أجمع على تحريمه وكان عالماً بذلك، وقد ارتكبه بلا داعية دواء بدني أو ديني كما أفاده الشعراني.

ثم أن العبد إذا دخل طرق القوم وتبحر فيها ووصل إلى حضور بلا غيبة أعطاه الله تعالى هناك قوة الاستنباط لآداب الطريقة نظير الأحكام الشرعية الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما يفعله العلماء المجتهدون وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً لم تصرح =

الأناراني وبعده الشيخ محمد الناصح، وبعده الشيخ عبد الفتاح العقري، أن يبنوا

= الشريعة بوجوبه به أولى من إيجاب أولياء الله تعالى حكماً في الطريقة لم تصرح الشريعة بوجوبه كما صرح بذلك الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

إيضاح ذلك: أنهم كلهم عدول في الشرع قد اختارهم الله تعالى بالهبة فمن دقّق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن حكم الشريعة بعد الكمال. كما أنهم وصلوا إليه تبارك وتعالى بمتابعة الشريعة المطهرة سراً وعلناً، انتهى ما قاله العارف ابن علان الصديقي قدّس سرّه. فانظر يا أخي إلى ما حررناه لك واحذر محاربة الله تعالى: «بكوش جان بشتوا، وأنا ليحيى المُزُورِي».

هذا ما ظفرنا به من رسائل هذا الجهبذ المفضال عليه الرحمة والرضوان التي رد فيها اعتراضات السيد معروف وإنها لسيوف بواتر قصمت بشبا دلائل إعجازها شبه أولئك المعاندين كما تعرض عليهم غيره من العلماء الأعلام في الرد عليهم برسائل متعددة أبانت عما انطوت عليه أفئدتهم النيرة من الغيرة على الأولياء كالعلامة الشهاب محمود الألوسي والشيخ عثمان بن سند الوائلي النجدي والشيخ حسين الدوسري والعلامة السيد محمد بن عابدين وغيرهم من صناديد علماء الأمة وفطاحلها في العراق والشام والروم كما سنوقفك على نزر من ذلك قريباً ونجعله مسك الختام في هذا المقام.

واعلم أن خلاصة ما أورده أولئك المتهورون من القبة الواهية على حضرة مولانا خالد قدّس سرّه عشرة شُبه لا غير وقد تكفل بردها العلامة الكامل الشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي في كتابه الحديقة الندية والبهجة الخالدية وقد نقضها من أساسها وأزال شبه التباسها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تطرب منها أولو الألباب. وتقول عند سماعها إن هذا لشيء عجاب حيث أسكتت الحاسد وأبكتت الجاحد والمعاند ولقد أبدع فيما أجاب وأعرب عن لفظ مستطاب وهذه خلاصتها مع الجواب.

الشبهة الأولى: قالوا إن الأولياء أخفياء والشهرة بالولاية والظهور بالإرشاد لطالب الهداية آفة تؤذن بحسب الرياسة.

فالجواب: أن حب الرياسة أمر قلبي لا يحكم عليه بالظنون، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات: الآية 12] وقال ﷺ: «ما أُمرت أن أشق عن قلوبكم». والمرشد بعد تأهله للإرشاد وتبحره في علوم الشريعة والحقيقة وأمر أشياخه له بنشر فوائد الطريقة ودعوة الخلق إلى الحق على بصيرة باتباع سبيل المبعوث رحمة للخليقة يحرم عليه الإخفاء وكتم ما عنده من الفوائد والآلاء إذ قال ﷺ: «إذا ظهرت البدع أو الفتن فليظهر العالم علمه» الحديث، وقال: «من كتم علماً ألجم بلجام من نار يوم القيامة» فالظهور في حق مثل هذا من امتثال المأمور والإخفاء عين القصور.

الشبهة الثانية: أن وقوف بعض المريدين وإعظامهم لحضرة مولانا الشيخ العم قدّس سرّه محظور مستدلين على ذلك بقوله ﷺ: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار». =

منه قرب قبري صهريج ماء للخيرات وينصبوا الشواهد على قبري وقبور أبنائي

= **فالجواب**: أن الحب هو أمر قلبي لا يحكم عليه بالظن مع وجود دلائل قطعية على ضده مع نهيه عن ذلك وزجره وتوبيخه وكراهته له، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحُجرَات: الآية 12]. وقد نقل العالم المحقق السفير في شرح صحيح البخاري عن إبراهيم الشهيدي أنه قال: كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر ثم يستند إلى منارة مسجد، فيقف بين يديه علي المذيني وسليمان بن داود الطائي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لواحد منهم اجلس، ولا يجلس أحد منهم هيبة له وإعظاماً، فليت شعري ماذا يقول المنكر في وقوف هؤلاء المجتهدين العظام بين يدي شيخهم أكان بحب قلبي منه لذلك فيصدق عليه الحديث أم لا كما تشهد به سيرتهم الحميدة ويؤيده حسن الظن بالسلف الصالح المطلوب في حق كل مسلم فإن اختار الشق الأول والعياذ بالله فلا كلام لنا معه إذ جواب مثله السكوت. وإن اختار الشق الثاني قلنا له: هلا سحبت هذا الحكم على شيخنا الإمام العالم العامل المتبع لسيرتهم ونهج سبيلهم الواضح وتجنب التعسف والقوادح.

الشبهة الثالثة: تقبيل المريدين يديه والتبرك به وعدّهم ذلك سجوداً لغير الله.

فالجواب: أن تقبيل يد العالم العامل الصالح لا ينكره إلاَّ الغبي الطالح، قال خاتمة المتأخرين العلامة الشيخ علاء الدين الحصكفي في الدر المختار من كتاب الكراهية والاستحسان، ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم والمتورع على سبيل التبرك وكذا السلطان العادل وقيل ذلك سنة، وقال فيه أيضاً: وإن طلب أحد من عالم أو زاهد أن يدفع إليه قدمه ويمكنه من تقبيله أجابه، انتهى. وقال العلامة الشهاب أحمد بن حجر الهيثمي في تحفة المحتاج وأفتى المصنف بكراهة الانحناء بالرأس وتقبيل نحو رأسٍ أو يدٍ أو رجل لا سيما لنحو غني لحديث: «من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه». ويندب ذلك لنحو صلاح أو علم أو شرف لأن أبا عبيدة بن الجراح قبّل يد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، انتهى.

وقال الإمام محيي الدين النواوي في كتاب الأذكار فصل من أراد تقبيل يد غيره إن كان ذلك لزهده وصلاحه أو علمه أو شرفه أو صيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية لم يكره بل يستحب إلى أن قال: روينا في سنن أبي داود عن زراع رضي الله عنه وكان في وفد عبد القيس قال: فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي ﷺ ورجله. ونقل أدلة كثيرة في هذا الفصل إلى أن قال: وعن سهل بن عبد الله التستري السيد الجليل أحد أفراد زهاد الأمة وعبادها أنه كان يأتي أبا داود السجستاني ويقول أخرج لي لسانك الذي تحدث به حديث رسول الله ﷺ لا قبله فيقبله وأفعال السلف في هذا الباب وفيرة وهي أكثر من أن تحصى والله تعالى أعلم.

أقول: وفيما علقته على الحديقة ها هنا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يذهب إلى بيت أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ ليقرأ عليه القرآن =

وأن يجعلوا ألف قرش منها لإسقاط صلاتي» وسكت عن بحث الإرشاد لأحد.

= والتربية قبل أمرهم برمي الدنيا والخروج من مناصبها مع تبسطهم في الملابس والمآكل وتلبسهم بالمخالفات.

الجواب: إن تلقين الذكر لمثل هؤلاء الموصوفين أمر حسن وهو من سياسات الإرشاد إذ لو قال لهم من أول الأمر: اتركوا واخرجوا من كل المظالم وصححوا التوبة لا يكون لهم قبول فيدبرون عن الهداية وينفرون ويحرمون من بعض الفوائد لاستصعاب ذلك، وهذه السياسة موروثة عن فعل سيدنا رسول الله ﷺ مع بعض الأعراب، فإن بعضهم قال: أدخل الإسلام بشرط سقوط فرض صلاة الصبح عني، وبعضهم بشرط آخر، فقبل منهم سراً ليدرجهم على تمام الهداية فتدرجوا عليها كما هو مستفيض. وأوحى الله إلى داود عليه السلام لما أنف من مجالسة بعض الفساق ونحاهم عن مجلس وعظه أن «يا داود المستقيم لا يحتاج إليك، والمعوج لا تقومه فلماذا أرسلت فأدخلهم في سلك جلسائه وجماعة إفادته»، فليت شعري هل من قائل بكفر الظلمة والفساق حتى يطردوا بالتأييس من علاج أمراضهم القلبية وهل وضع الإرشاد والسياسة إلاّ للضال المعوج، وهل يلزم أن يكون جميع متلقني الذكر أهل ترك للدنيا وتجريد واستقامة، أم منهم الواصل ومنهم السائر المختلط المتوسط ومنهم المثير المتخلف المتساقط وهذه السياسة الحسنة قد مشي عليها كثير من المشايخ المرشدين لغبة رأفتهم وتموج رحمتهم على عامة المسلمين كما بيّنه الإمام المحقق الشيخ عبد الوهاب الشعراني في مننه الكبرى.

وقال الشيخ العلامة ابن حجر في خاتمة فتاويه من المسائل المنثورة: والأخذ عن مشايخ متعددين يختلف الحال فيه بين من يريد التبرك ومن يريد التربية والسلوك، فالأول يأخذ ممن يشاء إذ لا حجر عليه. وفي كتاب الأجوبة المرضية عن الفقهاء والصوفية للشيخ العارف عبد الوهاب الشعراني قدّس سرّه النوراني، وقد كان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: ينبغي للشيخ المربي أن لا يأمر المريد برمي الدنيا إلاّ بعد أن يمهد له بساطاً قبل ذلك يذكر له فيه ما يحصل له من أنواع التقريبات الإلهية واللطائف الربانية والعلوم اللدنية، وهناك يتنبه المريد لطلب ما يدعوه الشيخ إليه ويبادر لامتثال أمره وتهب عليه ريح التوفيق فلا يقف مع شيء يحجبه عن حضرة ربه عز وجل، انتهى.

قلت: والبساط المذكور يختلف باختلاف استعداد المريد طولاً وقصراً فمنهم من يتم تمهيدهم بحسب تفرس الشيخ فيهم وتفاوت معالجتهم. وفي الكتاب المذكور: وسمعت شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى يقول: كأن لسان حال النفس تقول لصاحبها: كن معي في بعض الأغراض وإلاّ صرعتك. وفي الحديث: المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى ـ والمراد بالمنبت الذي حمل دابته فوق طاقتها حتى رقدت على الأرض فلا هو قطع الأرض ولا هو أبقى فيها قوة تحمل بها نفسها فضلاً عن غيرها ـ. =

وفي المرة الثالثة والرابعة كرّر قدّس سرّه ما سبق، وزاد فيمن جعلهم

= وسمعت سيدي علياً المرصفي رحمه الله تعالى يقول: لا بأس بتناول بعض الشهوات المباحة تقوية للنفس إذا ضعفت عن القيام بالعبادة كما أنه لا بأس بلبس الثياب الفاخرة إظهاراً لنعمة الله تعالى كما أنه لا بأس بأكل الطعام اللذيذ وشرب الماء البارد الحلو لأجل استجابة الأعضاء للشكر بعزم وقوة كما عليه السادة الشاذلية، فقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدّس سرّه يقول لأصحابه: كلوا من أطيب الطعام واشربوا من ألذّ الشراب وناموا على أوطأ الفرش والبسوا ألين اللباس وأكثروا من ذكر ربكم فإن أحدكم إذا فعل ذلك وقال الحمد لله رب العالمين يستجيب له كل عضو فيه للشكر بخلاف ما إذا فعل ضد ذلك فإنه يقول: الحمد لله، وعنده اشمئزاز وبعض سخط على مقدور الله عزَّ وجلَّ، ولو أنه نظر بعين البصيرة لوجد إثم الاشمئزاز والسخط الذي عنده يرجح على إثم من تمتع بالدنيا فإن التمتع بالدنيا المباحة أخف بيقين من حصول الاشمئزاز والسخط.

وكان سيدي أبو المواهب الشاذلي رحمه الله تعالى يقول: طريقتنا إظهار النعمة في الملبس وغيره دون التقشف لما فيه من عدم انشراح النفس به فثياب أحدنا كثياب الأغنياء وقلبه فقير فلا يكاد أحد ينسبه إلى الفقر لما هو عليه من الفخامة وأكل الأطعمة الفاخرة. وقال العلامة المحقق الملا علي القاري الحنفي رحمه الله تعالى في شرح حديث: «ليذكرن الله أقوام في الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم جنات العلى» من الحصن الحصين، وهذا دليل على أن الملوك والأمراء ومن جرى مجراهم من أهل الدنيا المرفهين لا تمنعهم حشمتهم ولا رفاهيتهم عن ذكر الله تعالى وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم برحمته الجنات العلى وفيه إيماء إلى طريقة بعض السادة الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والبكرية، انتهى. وفي كتاب رشحات عين الحياة ما معربه: إن إمام الطريقة حضرة الخواجه بهاء الدين الشيخ محمد شاه نقشبند قدّس سرّه قال من كلام لأحد خلفائه الخواجة علاء الدين الغجدواني: «كل الطعام جيداً واشتغل جيداً» انتهى. وفي هذا القدر كفاية لدفع هذه الشبهة التي هي معظم شبه المنكرين، والله وليّ التوفيق.

الشبهة الثامنة: أمر حضرة مولانا خالد قدّس سرّه لأصحاب النخوة النفسانية أو العلمية أو النسبية من بعض مريديه ببعض الخدم الكاسرة لها كحمل الماء وتسبيله وعمل الطين وكنس الزاوية وأمثال ذلك.

فالجواب: لا مروءة أعلى من مروءات الأنبياء ولا نخوة أسمى من نخوة الأصحاب ولا هيئة أرفع من هيئاتهم مع صدور كثير من ذلك منهم كما قال العلامة المحقق محمد أفندي البركوي في الطريقة المحمدية. وينبغي أن يستعمل التواضع المحمود كما فعله الصحابة والأخيار من ذلك مباشرة أعمال البيت وحاجته ككنس البيت وطبخ الطعام وحمل المتاع من السوق إلى البيت ولبس الخشن والخلق والمرقع والطيلسان والمشي حافياً ولعق الأصابع والقصعة وأكل ما سقط على الأرض من الطعام والتقاط دقائق =

أوصياء وهو: إسماعيل أفندي الغزي العامري شقيق حرمه المحترم. ثم جعل

= الخبز ونحوه من السفرة والحصير والأرض ومجالسة المساكين ومخالطتهم وأنواع الكسب من البيع والشراء وإجارة نفسه للأعمال المباحة كرعي الغنم وسقي البستان والكرم وعمل الطين والبناء وحمل الحطب على ظهره فإن كل ذلك وأمثاله تواضع فعله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله تعالى عنهم وأكثره صدر عن سيد المرسلين وصحابته المكرمين والتجنب منه والتأنف عنه كبر من أخلاق الجبّارين ولكن كثيراً من الناس يعكسون الأمر بجهلهم، انتهى. قال ثابت بن أبي مالك: رأيت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه أقبل من السوق وعلى ظهره حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان، فقال: وسِّع الطريق للأمير يا ابن مالك. وقال عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنه: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت على نفسي نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة إلى بيت عجوز من الأنصار فأفرغها في إنائها.

الشبهة التاسعة: إن المريد في حال جذبته لا يخلو إما أن يكون باقي العقل والاختيار فهي باختياره وتصنعه أو مسلوب العقل فينقض وضوئه مع أنّا نراه يصلي بلا تجديد للوضوء.

فالجواب: حصر ذلك في شقين مغالطة إذ لنا شق ثالث لا يلزم منه محذور أصلاً وهو أنه في جذبته باقي العقل مع سلب الاختيار بالمغلوبية كالمحموم بالحمى النافض فإنه مع بقاء عقله مسلوب الاختيار في الارتعاش والارتعاد وما نحن فيه من هذا القبيل. فهو مع سلب الاختيار مغلوب الحركات وبقاء العقل لا يقتضي عدم سلب الاختيار كما مثلنا وكالملقى من شاهق والعاطس.

وفي تاريخ خلاصة الأثر للسيد المحبي الشامي رحمه الله تعالى: أن الشيخ العلامة سنبل سنان الرومي الصوفي الجليل المعاصر لمفتي الثقلين أبي السعود العمادي كان من أهل السماع وكان في زمنه المولى عرب وهو من كبار علماء الظاهر فأطال لسانه في حقه وأكثر الوقيعة به فافترق العلماء إذ ذاك فرقتين، لكن الفرقة الكثيرة كانت في طرف الشيخ سنبل سنان فاجتمعوا يوماً في جامع السلطان محمد الفاتح ودعوا الشيخ إليهم فحضر هو وأتباعه ثم قال: ما أحسن جمعيتكم ما كان الداعي إليها، فأجابه المولى صاري كوز ـ وكان قاضي استنبول إذ ذاك وفيه غلظة ـ: إن أتباعك يذكرون الله بالدوران والسماع فما دليل جواز ذلك بيِّنوه لنا وإلاَّ فامتنعوا من ذلك.

فسأله الشيخ: إذا لم يكن المرء صاحب اختيار ماذا يحكم عليه شرعاً؟ فقال القاضي: أتزعمون أن هؤلاء يسلبون الاختيار إذا ذكروا. فقال فيهم من هو كذلك فقال القاضي: إذا فرضناهم كذلك فمن سلب اختياره أتراه يذهب عقله أو يجذب فقط. فقال الشيخ: هؤلاء عقلهم كامل فقال: يا لله العجب يسلب اختيارهم ويبقى عقلهم، هذا الكلام من أي مقولة هو.

فقال الشيخ سنبل سنان قدّس سرّه: هل أخذتك الحمى، قال: بلى، قال: لأي =

الوصاية بعده لأصلح أقاربه بشرط العلم والإرشاد، ثم لأرشد المريدين في

= شيء كنت ترتعد؟ أترى عقلك لم يكن في رأسك فسلب الاختيار لا يوجب زوال العقل. فتفطن إن كنت عاقلاً. فأفحم القاضي صاري كوز ثم التفت إلى الجماعة وخاطب كلاً بما أبهته فلم يجروا بعدها جواباً اهـ.

الشبهة العاشرة: إرسال حضرة مولانا خالد قدّس سرّه بعض خلفائه إلى بعض البلاد لإرشاد العباد من أن مراده بذلك الشهرة والرياسة.

فالجواب: أن للمرشد الكامل أن يأذن لمن يراه أهلاً في إرشاد قومه أو غيرهم من النواحي كما فعل مثل ذلك كثير من الأولياء خصوصاً السادة النقشبندية قدّس الله أسرارهم السنية فإن رئيس الخواجكان الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدّس الله سرّه كان له في كل قطر وبلدة وناحية خليفة من خلفائه وكذلك غيره والأمر الحق الإلٰهي كلما ظهر وشاع وملأ النواحي والبقاع كان أكثر في الانتفاع ولقد شاهدنا أموراً من الباطل في النواحي البعيدة زالت بظهور الخلفاء الخالدية فيها ومجيئهم، وحلّ محلها التقوى والذكر وأتباع السنّة والخشية والخشوع وتدارك ما فات من الهفوات بالتوبة والندم والاستغفار بالأسحار وتطهير القلوب عن الأغيار، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسرَاء: الآية 81]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التّوبَة: الآية 122]. وقال العلامة المحقق المفسر النظام النيسابوري الحنفي في التأويل لهذه الآية من تفسيره: فهلا نفر من كل قوم وقبيلة وفرقة طائفة هم خواصهم وأهل الاستعداد الكاملون ليعلموا السلوك ويخبروا بذلك قومهم لعلهم يحذرون الفئة لانتباه القلب الحي اهـ.

فليت شعري لماذا يجب في كل قطر ومسافة قصر وجود عالم قائم بحجج الدين، ودفع الشبه وتعليم الناس، ويعترض على إقامة بعض الخلفاء الخالدية خلد الله لهم فيوضاتهم على مفارق البرية الداعين إلى الله تعالى على بصيرة المتبعين سبيل سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الملقنين الذكر والمراقبة والتوجه إلى الله تعالى والإعراض عما سواه لمن أراد أن يتذكر، وهل هذا إلاّ من الحسنات التي لا تنقطع بالموت والصدقات الجارية من غير فوت. هذا معظم ما تقوله المتقولون واختلقه المضللون من التحامل على حضرة مولانا الشيخ الإمام قدّس سرّه وبقيت شبهة ردها العالم المؤيد للفريق النقشبندي المرحوم العلامة محمد أمين أفندي مفتي الحالة في رسالته البديعة المؤلفة لرد المنكرين أهل الحسد والخديعة الموسومة بالقول الصواب في رد ما سمي بتحرير الخطاب. ولم يبق منها إلاّ اللائي هن أَوْهَنُ من نسج العنكبوت وموردهن لا يليق بجوابه إلاّ السكوت وهي أحقر من أن تذكر وأوهى من أن يجاب عنها وتحرَّر، وهذه أمهاتها، فلا نطيل بأقوال أناس حدها ترهاتها فلما أطلعت العلماء الأعلام في العراق والشام على تحاملهم على هذا القطب الكامل طفقت تترى ردودهم على رسالة الشيخ معروف وشرحها الشنيع الذي =

الطريقة العلية الخالدية، ثم ذكر كيفية وقف كتبه الشريفة على تفصيل ما كتبه بيده الشريفة على أول صحيفة من ورق قاموسه الخزنوي المهدى إليه من مكي زاده شيخ الإسلام مصطفى عاصم أفندي ـ الذي مرّ ذكره في الرقعة الثانية والتسعين ـ.

وشرط قدّس سرّه أن لا تخرج الكتب من المدرسة التي أفرزها من داره وجعلها مسجداً لله الكائنة الآن في محلة القنوات المعلومة بدمشق ـ وأن تكون الناظرة على الحرم حليلته المحترمة أم المريدين والدة بهاء الدين لا غير ـ وكلما يتعلق بهن لهن فلا يعد من الثلث المذكور. وأن لا تدخل امرأة أجنبية للبيت أبداً إلاّ إذا دعت الضرورة إلى مرضعة فتدخل بشرط أن لا تخرج إلاّ بعد إتمام مدة الرضاع.

ثم قال قدّس سرّه: «وأما أملاكي التي في كردستان المعلومة الحدود والأجناس فتعطى لإخوتي هناك»، ولم يكن له إذ ذاك منهم في قيد الحياة إلاّ شقيقه الأصغر سيدي الوالد الماجد خليفته الشيخ محمود الشهير بالصاحب وشقيقتهما المصونة.

ثم قال: «ويؤدى من ثلث مالي المذكور دين الشيخ أحمد البقاعي، ودين الشيخ إسماعيل الزلزلوي. وأن يتعيّش الفقراء المخصوصون بهذا الطريق من الثلث المذكور» واصنعوا منه طعاماً لهم. وأما مدرسة البيت فلا تقطعوا منها

= سوده عثمان بك الجليلي سود الله وجهه يوم تسود وجوه وتبيض وجوه وجميعها يرمي إلى غرض واحد وهو تأييد كتاب السهم الصائب الذي رد به عليهما العلامة السويدي وانتصر به لحضرة مولانا فضلاً عمن ذكرناهم من جهابذة العلماء وصناديد الفضلاء، فمنهم من كتب تفصيلاً كما علمت فيما تقدم، ومنهم من كتب إجمالاً كما سنطلعك عليه متتابعاً موقعاً عليها تحت كتاباتهم كل بإمضائه وهي لعمرك لدى خطابها كالحور المقصورات في الخيام.

وإذا أحطت علماً بما تلوناه وستتلوه عليك ظهر لك أن ما زخرفه أولئك المعاندون ونسبه إليه هؤلاء المتهورون هو إفك صريح وبهتان قبيح ويشهد بذلك طلعته الوسيمة وعقيدته السلفية المستقيمة التي عرفها الخاص والعام وتتكلم عن نفسها في عامة بلاد الإسلام. **لمؤلفه: أسعد صاحب.**

الصلوات وأحب أن يقرأ فيها ختم الخواجكان وأن يتقيد على الملا بكر والملا عمر.

وأما بحث الإرشاد فلم يذكره إلاّ بقوله قدّس سرّه: «إني أحب أن لا تخرج خلفائي من رأي إسماعيل الأناراني» وسكت عن من يكون بعده.

ثم أجاب الشيخ إسماعيل فقال: يا سيدي إني لا أحب ذلك ولا أليق به. فقال قدّس سرّه: صدقت والأمر كذلك ولكن الموجب لذلك هو عدم محبتك له ورغبتك فيه».

ثم قال: لا تعدوا شمائلي ولا تبكوا عليّ، واكتبوا إلى الأطراف والأكناف أن لا يبكي لفقداني أحد، وكل مَن له استطاعة وصدق في المحبة أحب أن يضحي الأنعام ويهبّ ثوابها إليّ. ولا أقول أنا لا أحتاج إلى بعث صدقة أو قراءة آية كما قال بعض أرباب السكر والهيام بل أحتاج إلى فاتحة وسورة إخلاص.

ثم قال من فرط غيرته: الحذر الحذر على الحرم، فلو تحركت بخلاف الأولى في حقهم يا إسماعيل لن تراني في الآخرة.

ثم قال: فلتقضي عني جميع فرائض صلواتي على عدد سنوات عمري من وقت وجوبها عليَّ إلى وفاتي - وهي خمس وثلاثون سنة -. لأنه رضي الله عنه بلغ سنه الشريف خمسين عاماً إلاّ شهراً وسبعة عشر يوماً على الأصح، وعلى ما سمع منه مراراً وتواتر إلينا عمَّن نثق بكلامه. وهذا يخالف ما ضبطه العلامة الشيخ محمد بن سليمان الخالدي البغدادي في كتابه الحديقة الندية والبهجة الخالدية.

ثم قال قدّس سرّه: قولوا للشيخ أحمد الخطيب، والشيخ محمد الصالح، والشيخ إسماعيل بن الزلزلي أن يسامحوني، وأنتم سامحوني أيضاً بل وجميع مَن في سائر البلاد كذلك مع أني لا أقصد في جميع أفعالي مع أتباعي إلاّ الصلاح والأصلح ووجه الله تعالى.

ثم قال: يا إسماعيل اعرف قدر خلفائي، ولا تراجعوا الحريم قط في أمر الإرشاد والطريقة، ولا تزيدوا التكايا عما في عهدي، ومن أراد الإحداث فليعمر جامع العداس.

ثم قال: «عليكم جميعاً بالاتحاد والاتفاق وترك الوجود والنفاق، واعملوا عملاً تقرّ عيناي بكم في قبري». وكل ما حذّر منه وذكره جرى في آخر مجلسه العام، وبعد ذلك لم يتكلم مع أحد لا قليلاً ولا كثيراً، بل دخل دائرة الحرم وتوضأ وصلى ركعتين وقال: «الآن أصبت بالطاعون». فأقبل على الله وتوجه إلى القبلة الشريفة واشتغل بالأحوال القلبية والمناجاة الغيبية، غير أنه ـ روحي فداءه ـ جيء إليه فَنَهرَ وقال: «دعوني وربي فما أبقيت عليَّ شيئاً مما ينبغي من الكلام إلاَّ قلته»، ثم غطس في استغراق تام من غير تخلل صحو، وذلك من ليلة الأربعاء بعد العشاء إلى وقت المغرب من ليلة الجمعة، ثالثة عشرة من ذي القعدة من شهور سنة ألف ومائتين واثنين وأربعين، ثم أفاق من استغراقه وقت أذان المغرب وقال مجيباً للمؤذن: «الله حق الله حق» أربع مرات، ثم قرأ الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: الآيات 27 - 30].

قبلت روحه الزكية الشريفة الطاهرة المنيفة الأمر الإلٰهي المجاب في ضمن هذا الخطاب من الملك الكريم الوهّاب، واتصل بعالم القدس في غاية العزّ والشرف والأنس، وانتقل من عالم الفناء إلى عالم البقاء ووصل الحبيب إلى الحبيب بأنواع الإعزاز والإجلال والترحيب.

فائدة غريبة: كانت الساعة التي تلى فيها آية: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفَجر: الآية 27] ساعة المغرب، وجاءت لفظة المغرب في حساب الجمل تاريخاً لوفاته، وذلك سنة 1242 فذابَ لفراقه قلب كل مقيم وغريب، وملئت الأرض من البكاء والنحيب ولم تر مؤمناً إلاَّ وهو متأوّه محزون، وقد ضاعف الله رتبة غوثيته بشهادة الطاعون، ودفن فيما عيَّنه للحده قبل وفاته بل وقبل مرض موته فوق تل

النور في سفح (جبل قاسيون)، وقد أفرد بوفاته قدّس سرّه بكمال التفصيل الشيخ الفاضل الماجد السيد إسماعيل أفندي الغزي كتاباً حافلاً سمّاه «حصول الأنس في انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس» فارجع إليه إن أردت الوقوف عليه، وقد كتبت أيضاً في هذا الموضوع كتابة شافية وبسطت فيها تمام البسط في تعليقاتي الواقعة على كتاب «الحديقة الندية» الذي ألّفه الشيخ محمد بن سليمان الحنفي البغدادي رحمه الله تعالى.

فيا لها من مصيبة أصيب بها الإسلام وكان أعظم الناس مصاباً به الخلفاء المرشدون ثم الفقراء النقشبندية المريدون والعلماء العاملون، بل أصيب بها الإسلام، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وهو قدّس سرّه كما كان صاحب التصرُّف في الأبدان والأرواح والقلوب ومترقياً في المنزلة الغوثية على أنهج قدم محمدي كما تشهد له به الكمالات التي لا يصل إلى حصرها حسوب، واشتهر في حياته وبعد وفاته كما هي رتبة الفرد الغوث الوارث للمقام المحمدي في الإرشاد ولا ينقطع إمداده عن مريديه تولياً له بنفسه الزكية في الحظيرة القدسية سيما ولسائر محبيه من العباد في سائر الأقطار والبلاد، وأنه لسيف مسلول وسوط نقمة وعذاب على مَن تعرّض لفقراء النقشبندية، وقد شاهدنا ذلك وهو والله أوضح من ظهيرة النهار لدى أولي الألباب والأبصار لا ينكره إلاّ من حُرِم فيض جماله وطرد عن الولوج من أبواب سعادة كماله فعمي قلبه ولم يحس بسلب إيمانه وزواله، فلو عُدَّت نجوم السماء عدت كراماته إذ كل خائض في عجاج بحر مناقبه في حياته وبعد وفاته لم يأت إلاّ بما كان مناسباً لصفاته.

ولولا وجود ملاحظة لمن تصفى وداده وأنسه لهلك فيما بين هذا الزمن قبل يومه وأمسه، ولكن هو حضرة مولانا في دنيانا وأخرانا شهوده ظاهرة وآياته باهرة ومعجزات كراماته متواترة وعقولنا عنها في دهش قاصرة، كما سنطلعك على نبذة منها إن شاء الله تعالى في الخاتمة.

فهو من الأحياء في الدارين ما مات بل عرجت روحه الزكية إلى أشرف منار. اللهم بجاهه عليك وبسره لديك وبقربه منك وبحبه إليك أرزقنا رضاك ولا تقطع عنا فيوض إحساناته الحبيَّة حتى نلقاه في حوزة رضاك، واسلك بنا في سيره كما نريد ويريد سير إسعاف وعناية وإرشاد لنا ولكل متمسك بطريقته ومريد، ولا تحجبنا بتقصيرنا عن شهود جمالك فيه فإنه مظهر الدلالة العظيم عليك بلا تمويه ولا ترديد. وافتح لنا به فتوحاً ينتج الجمع عليه إلى الممات، وأذقنا لذة حضوره عند معاينة الفراق الدنيوي على أجمل الصفات، واختم لنا بصحبته وقدوته ولا تحجبنا عنه حتى توصلنا إلى عنده فنلقاك بلقاه وننال رضاك برضاه، وصلى الله على سيدنا محمد المرشد الأعظم والكنز المطلسم إمام الأنبياء والمرسلين وحبيب ربّ العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

* * *

[الرقعة السابعة والتسعون]

كتبها قدّس سرّه إلى شمدينان إلى الجهبذ الكامل السيد طٰه الحكاري قدّس سرّه



وعليكم السلام ورحمة ربنا الكريم المنعام، وخصّكم بعرفانه ومنَّ عليكم بإحسانه إنه هو الرؤوف الرحيم.

وبعد: فقد تشرّفت بوصول مكتوبكم وابتهلت إلى ربي لنجاح مطلوبكم، وأرجو منه المنّ والقبول، والتفضُّل بحصول المسؤول، ومن شفقتكم أيضاً هذا هو المأمول، وأصحابي يأملون فلاحكم عموماً وخصوصاً سيدي السيد عبد القادر (البرزنجي) والحاج موسى، يرجون من ذلك الجناب الإمداد بدعاء سلامة الإيمان، فإنكم أهل الترحُّم والإحسان. وأنا أرجو منكم ومن أخينا الفقيه عبد

القادر طلب التوفيق لهذا المسكين الغريب، والمجرم الكئيب، وأن يشغلني وإياكم في رضاه، ويصرفني عما سواه، وأن لا يصدني بالمتاع القليل المحتقر عما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* * *

[الرقعة الثامنة والتسعون]

كتبها أمدنا الله بمدده من بغداد إلى خليفته الجليل بدمشق الشيخ أحمد الخطيب الإربيلي مؤلف كتاب نور الهدى ورسالة آداب الشيخ والمريد

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام تام بمزيد المحبة والإكرام على الأخ في الله مخلص الطريقة بلا اشتباه الملا أحمد أفندي النقشبندي الشافعي سلَّمه الله تعالى.

إن سئلتم عنَّا فنحن بحمده سبحانه وتعالى في صحة وعافية، ونعم من الله وافية، نسأل الله لنا ولكم دوام الاستقامة، فعليكم بالسعي الحثيث في أسبابها فهي خير من ألف كرامة، وأوصيكم بالاشتغال بإحياء السنن السنية وقمع البدع الردية، ونشر العلوم بالإخلاص، والتمسك بآداب ساداتنا الخواص، ونفي الوجود، وبذل الموجود، والصبر على المفقود، والتبتُّل إلى الملك المعبود، وتذكُّر هذا المسكين بالدعوات الخيرية على الدوام، والسلام في البدء والختام.

* * *

[الرقعة التاسعة والتسعون]

كتبها قدّس سرّه إلى مخلصه الصميم العلامة السيد خليل أفندي السمين نقيب أشراف طرابلس الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على رسول الله وعلى آله ومَن والاه.

وبعد: فقد وردت مكاتيبكم الدالة على مزيد الإخلاص، المشعرة بكمال المودة والاختصاص، وفقكم الله تعالى إلى اتباع حبيبه خاتم النبيين، وعلى سيرة السلف الصالحين، وإياكم والاغترار بهذه الجيفة الدنية، وأوصيكم بالفرار عن البدع الردية، وترك الانهماك في اللذائذ والتمسك التام بالطريقة والشريعة والعضّ عليهما بالنواجذ. وتذكروا هذا المسكين المستهام بدعاء حسن الختام، والسلام عليكم في البدء والختام.

* * *

[الرقعة المائة]

كتبها من القدس الشريف إلى حضرة سليل بيت المجد والشرف مخلصه السيد المفضال حسن أفندي تقي الدين الحصني مفتي دمشق ونقيب أشرافها

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام على الأخ الرفيق والمحب الشفيق والخدن الصديق ـ أعني السيد حسن أفندي تقي الدين دام الله إقباله ولا زال تقضى آماله ـ.

وبعد: فقد كنا من وفور الاشتياق إلى جنابكم مترصدين الوسيلة التذكار وطلل ما كنا نؤمله منكم في الأسفار، فبينما نحن مترقبون لذلك إذ جاء أخونا السيد عبد الرزاق القطب وعاد إلى طرفكم فبادرنا إلى إرسال الألوكة معه وبحمد الله قد شاهدنا بدر مجدكم يلوح ومن تلقاء خيالكم نسيم البهجة يفوح. ونرجو أن تفرحونا بإرسال حالاتكم ولا تنسونا بملاحة مقالاتكم، وتسرونا بالمداومة على أذكاركم التي أجزناكم بها وهي الدواء الناجع لكل مرض قلبي، والسلام عليكم.

* * *

[الرقعة الأولى بعد المائة]

كتبها قدّس سرّه من القدس الشريف إلى مخلصه الحميم خاتمة المحققين مولانا السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين

بسم الله الرحمن الرحيم

أرسل من التحايا أعرفها، ومن الثنايا ألطفها، إلى مَن ما برحتُ بزلال وصاله ظمآن، وبرشحات جماله عطشان ـ أعني به السيد السند والحبر المستند مولانا محمد أمين عابدين لا زال في كنف الحق محمياً وفي الطريق المستقيم مهدياً ـ.

وبعد: فلما طال لملاقاتكم اشتياقنا وزاد بحرارة الود احتراقنا، ولم يتفق إلى الآن بستان اشتياقكم لقاؤنا فحين ما اتفق عزيمة الشيخ إسماعيل الأناراني إلى ذلك الصوب الشريف والمقصد المنيف بادرنا إلى إظهار محبتنا والدعاء لجنابكم في المقامات المباركة بأن ينفع بمؤلفاتكم العالم الإسلامي، فلو كنتم تسئلون عن كيفية أحوالنا أو كمية بلبالنا، ما كنا نشكو إلاً من حرقة بالنا من نأي مَن لا راحة بدونه لحالنا والمرجو منه تعالى أن لا تكونوا أيضاً كذلك، ولا تمهلوا في إرسال الأحوال وإبراز الآمال فإنّا لن نألو جهداً فيها بعون الله الملك المتعال، والسلام عليكم وقلبي وروحي لديكم.

* * *

[الرقعة الثانية بعد المائة]

كتبها قدّس سرّه جواباً من القدس إلى محدِّث الشام الشيخ عبد الرحمٰن الكزبري

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحقير الفقير إلى سيدي الكريم ابن الكريم عامله الله بلطفه العميم، تشرفنا بألولتكم الكريمة واطلعنا على وفور محبتكم المستديمة، جزاكم الله خيراً

وأفاض عليكم من وابل فضله وظله وجعلكم من الذين يظلّهم يوم القيامة في ظلّه.

وأسلّم على أخي وحبيبي المحقق المفضال الشيخ عبد الرحمٰن الطيبي ومخلصنا الصميم الملا أحمد الطرابلسي الأروادي، ونرجو منكم أن تذكرونا بصالح الدعوات، ونحن ما نقصر إن شاء الله الرحمٰن، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

* * *

[الرقعة الثالثة بعد المائة]

كتبها والى الله مَن والاه وعادى من عاداه إلى مخلصه قدوة المحققين العلامة الجليل الملا محمد أمين أفندي السويدي البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فأسلِّم على السادة الكرام السويديين عموماً وأخص منهم سيدي العالم الفاضل الملا محمد أمين لا زال على جادة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. ثم البادي لتحريره طول مدة الفراق، وهيجان لواعج الود والاشتياق، ثم الاستخبار عن ذلك الخِل الوفي وكيفية مزاجه في هذه الأزمنة التي مضت مع انقطاع الأخبار، وعدم الاطلاع عن أْوال تلك الديار، بسبب المتاعب في الأسفار، والفقير بحمد الله لا نشكو سوى ألم البعاد الممزوج بالهيام.

حاشية: حاوية لأنواع الإخلاص، وجالبة لكم حسن النظر وكمال الاختصاص بمنّه تعالى: أكثروا من الجد مهما أمكن في أمور الدين والسعي على قدر الطاقة في اتِّباع السنَّة وقضاء حوائج المسلمين، والسلام في البدء والختام.

* * *

[الرقعة الرابعة بعد المائة]

كتبها قدّس سرّه إلى العلامة الكامل
السيد عبيد الله أفندي الحيدري
أحد خلفائه في بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

أسلِّم على الأخ في الله والمحب لوجه الله المنظور بعين عناية الحضرات النقشبندية مولانا عبيد الله لا زال محفوفاً بالمنن الرحمٰنية ومكنوفاً بالإمدادات الروحانية.

وبعد: فقد طالعنا رسالتكم الحاوية لأنواع اللواعج والاشتياق المنبئة عن التألُّم بألم الفراق حقاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: الآية 79]. قرّت عيون الأحبة بسواد سطورها، وامتلأت قلوب المشتاقين من لذّة سرورها، نرجو الله لنا ولكم الاستقامة والفوز بسعادات الدنيا ودرجات القيامة إنه معطي المسؤول ومانح كل مأمول.

وعليكم ـ وإن قلّت فائدتكم بالنسبة إلى إخوانكم ـ بالمواظبة على ما أمرتم به فإن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه، وقد أخبرتكم أولاً بقلّة الفائدة لكن القليل من هذه النسبة الشريفة كثير والقطرة منها فوز كبير، نرجو منكم الإمداد بدعائكم ومن الله جلّ جلاله طول بقائكم وسعادة لقائكم، والسلام عليكم.

* * *

[الرقعة الخامسة بعد المائة]

كتبها قدّس سرّه إلى خليفته
السيد عبيد الله أفندي الحيدري رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلف يميناً بكمال ربي الرحيم وأنه قسم لو تعلمون عظيم، أن لا نجاة بشيء إلاَّ بالقلب السليم، وهذا أمر منصوص بنص القرآن الكريم، فأوصيكم يا

سيدي بتقوى الله وطاعته واجتناب ما نهى عنه برحمته، وترك التعلُّق بالمال والأولاد وادِّخار الأعمال الصالحة ليوم المعاد، وبسائر ما كتب في الإجازة فوالله تعالى شأنه يصير المال والأولاد هباء منثوراً وسوف تعلم كأن لم تكن الدنيا شيئا مذكورا.

وبلغني من الملا عبد الله الهراتي ما قرّت منه العيون وانبسط منه القلب المحزون، وكذلك أرجو من الله الزيادة إذ من استوى يوماه فهو مغبون، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. وأسلِّم على الأخ الأرشد ابن عمكم عبد الله أفندي الممجد ضاعفه الله إخلاصاً وزاده بهما اختصاصاً، والأخ العزيز ابن الأفندي الملا صبغة الله، وعلى جميع الأحباء والأخلة والمنتسبين الأجلّة، خصوصاً الممتاز بين المخلصين عمر أفندي كان الله له، والمدعي التفوق على جميع المنسوبين حبيب آغا جعله الله حبيب أحبائه بحرمة محمد خاتم أنبيائه منكم الدعاء بحسن الختام، والسلام عليكم والإكرام.

* * *

[الرقعة السادسة بعد المائة]

كتبها قدّس سرّه من دمشق جواباً إلى جناب مخلصه الصميم علامة العلماء الأعلام وقدوة المؤلفين الفخام مولانا الملا محمد أمين السويدي البغدادي رحمه الله تعالى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. من العبد المسكين

---

(1) إن هذا الجهبذ المفضال قد قام في الانتصار لحضرة مولانا العم حق القيام تحتم عليّ أن أذكر نبذة من ترجمته أداء بحق خدمته لأني أعد من أولاد حضرة مولانا العم فضلاً عن كوني من خدَّام أبواب سدته فأقول: هو العلامة النحرير مالك أزمّة التقرير والتحرير، المؤلف الشهير صاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة أبو الفوز محمد أمين أفندي نجل المحدث المفضال علي أفندي السويدي البغدادي الذي تقدم ذكر ترجمته في الرقعة الثانية والعشرون من كتابنا هذا، كان رحمه الله تعالى المفرد العلم في تحقيق العلوم المنطوق منها والمفهوم قرأ أولاً على والده وعمه وأخذ عن غيرهما ممن =

والفقير المستكين (خالد) إلى خله وسيده محمد الأمين، الفاضل المحقق

= عاصرهم من علماء العراق كان سلفي الاعتقاد شافعي المذهب نقشبندياً وخالدي المشرب، ثم لما شرف حضرة مولانا خالد قدّس سرّه إلى بغداد لازمه وحصر جلّ دروسه العلمية وجدّد منه أخذ الطريقة النقشبندية واغتنم صحبته وفاز بأنظاره الإكسيرية إلى أن هاجر إلى دمشق الشام.

وإني قد وقفت له على جملة مؤلفات جليلة واطلعت فيها على تحقيقات في أنواع العلوم جميلة أبانت عمّا له من تحقيق المشكلات وأخذه منها الحظ الأوفر من منطوقها وحلّ المعضلات، من جملتها حاشية مطبوعة علقها على كتاب العقد الثمين في أحاديث رسول رب العالمين من تأليف والده المشار إليه طاب ثراه، فإنه كتاب لم يسبق له نظير في بابه ولم تنظر عين مثله بين أترابه، ومنها كتاب سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب مطبوع أيضاً في مطبعة بغداد وهو كتاب لم يصنف على منواله ولم تنظر عين إلى أمثاله. ومنها شرح على كتاب السير والسلوك إلى ملك الملوك تأليف العارف الرباني الشيخ قاسم الخاني وقد بيَّن فيه الحق الحقيق الجدير بالقبول والتصديق وهو لم يطبع إلى الآن، ومنها كتاب السهم الصائب لمن سمى الصالح بالمبتدع الكاذب، وهو الذي رد فيه على رسالة عثمان بك عبد الجليل الموصلي الموسومة بتحرير الخطاب التي جعلها كالشرح لرسالة الشيخ معروف تجاوز الله عنا وعنه الذي نوهنا به غير مرة في كتابنا هذا، وقد انتصر رحمه الله تعالى لحضرة مولانا حينما اطلع على رسالته المزخرفة المطوية على تكفير حضرة مولانا قدّس سرّه فقال من جملة أجوبته له عند قوله: «والمرجو ممن رآها من العلماء أن ينظر فيها نظر حاشد لا نظر لئيم حاسد» وأن يتأمل فيها تأمل منصف إلخ. وقد تأملت رسالته تأمل من أنصف من دينه وجانب الاعتساف من يقينه، فرأيت دعواه كلها في حضرة مولانا خالد مخالفة للواقع لا أصل لها ولا حقيقة، ودلائله وإن كانت صحيحة شرعية مأخوذة من الكتاب والسنّة وأقوال علماء الأمة إلاّ أنه استدل بها على إمام علماء الدين ووصفه بما ليس فيه بيقين، فهي من باب (زناه فحده) فلذلك نفينا صحة دعواه وتحققها في نفس الأمر والله شهيد عليه وعلينا.

إلى الديّان يوم الحشر نمضي وعند اللّه تجتمع الخصوم

والعجب كل العجب من هذا الآفاك الأثيم كيف تجاوز في رسالته هذا التجاوز في تضليل بل وتكفير هذا الإمام الكبير الذي شهدت بولايته الكبرى أجلّة علماء الإسلام من أهل الحل والإبرام في عامة بلاد الإسلام لا سيما مدينة بغداد وما والاها من الخاص والعام مع أن الذي تحقق عندي أنه لم يجتمع به ولا بأتباعه ولم يخالطهم فما أدري ما السبب الذي حمله على ذلك ورمى هذا الجم من أتباعه بمجرد تهوره مع عدوه بما ليس فيهم فكان الواجب عليه أن يستفسر عن حاله وأحوالهم من العدول الثقات ليخبروه بحقيقة حاله فإذا أخبروه بما يوافق قول أعدائه فيه فينتصر عندئذ للدين ويحذر منه ومنهم المسلمين ما استطاع من أنواع التحذير وإذا أخبروه بموافقته لما عليه أهل الشرع فليثني عليه ويرد على أعدائه بما بهتوا به فإن ذلك هو الحق الذي لا محيص عنه على أن من =

المتين، والكامل المدقِّق الرزين. السلام الأغلى من الدرّ الثمين، والتحية التي

= سلكوا عليه وانتموا إليه من علماء بغداد وغيرهم من سائر البلاد ليس لهم في ذلك غرض ولا فضول، ولكنهم لما بلغهم ما بهتت به عليه أعدائه من كونه مطاوع نفسه والشيطان في طريقته وسالك في طريق أهل البدع والكفر أرادوا الاطلاع على حقيقة حاله فترددوا إليه فرأوه عالماً كبيراً وعارفاً نحريراً أحاط بالعلوم العقلية والنقلية وعاملاً بها على وفق الشريعة المحمدية، فلما تحقق عندهم علمه الزاخر وعمله الباهر وزهده وسلاحه الزاهر تقواه وورعه الفاخر اعتقدوه وأخذوا عنه وانتفعوا بعلميه الباطن والظاهر وعلموا أن ما قاله فيه أعداؤه من الأكراد إنما هو صرف حسد وحقد وتزوير وعناد لا سيما ما افتراه عليه عثمان الجليلي المذكور فإنه كفر صريح وتهور قبيح وكيف يكون كذلك من يدعو إلى العمل بالكتاب والسنَّة ويزن أعماله بميزانهما ولا يقبل شيئاً من خواطره فيها حتى يشهد بها شاهداً عدل من الكتاب والسنَّة.

ولقد جرى لي معه قدّس سرّه بحث في الإلهام فقال: الإلهام عندنا معاشر النقشبندية غير معتبر في الأحكام الشرعية لعدم جواز العمل به، فقلت: يا سيدي إن علماء الكلام والأصول يقولون باعتباره إذا كان موافقاً للكتاب والسنَّة، فقال مجيباً: إذا كان الإلهام موافقاً للكتاب والسنَّة فالعمل حينئذ ليس بمقتضى الإلهام نفسه بل بما دل عليه الكتاب والسنَّة الموافق لهما الإلهام. فانظر يا أخي إلى زيادة تحقيقه في أمور الدين واتِّباعه لكتاب الله المستبين وشدة تمسكه بسنَّة نبيه إمام المتقين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم السلام أبد الآبدين.

ولقد ذكر عثمان المذكور من جملة مفترياته أن حضرة مولانا خالد يبغض الأشراف ـ يعني بذلك الشيخ معروف ومن لفّ لفيفه تجاوز الله عن سيئاتهم ـ فهو مبني على تقليده واتباعه له من غير روية وهذا تحقيق للشيخ معروف المذكور الذين قلدوه في هذه السنَّة السيئة في إيذاء الأولياء العارفين طبعاً لا شرعاً ﴿نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: الآية 104] إذ تكفير هذا العالم العامل الرباني والعلم الكامل النافع للقاصي والداني الورع الزاهد والمتبع المجاهد حضرة مولانا الشيخ خالد بالافتراء والبهتان ونسبته بالباطن إلى ما هو بريء منه بشهادة البداهة والعيان، وأكل لحمه المسموم وارتكاب إنكاره المشؤوم فهي سنَّة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً، وقد تكرّر منا أن دعواه لا تسمع في حق جناب مولانا الشيخ لأن داء الحسد ملأه بالكذب والافتراء من فرقه إلى قدمه وسيندم على ذلك حيث لا ينفع الندم. وكأنه يزعم ويدّعي أن السيادة منحصرة فيه وفي المنكرين من بني أعمامه وإلاّ فغيرهم من سادة الأكراد وسادة سائر البلاد يحبهم ويحبونه بل كثير منهم مريدوه انتفعوا بعلومه وأسراره بأموالهم وأنفسهم يفدونه والسادة المنكرون يتحبب إليهم فيبغضونه وهو متباعد عن بغض أدنى مؤمن من إخوانه المسلمين بمن ينسب ولو كذباً إلى النسب المطهر النبوي والحسب الفاطمي العلوي بل هو أشد حباً له ﷺ، وأن ينتمي إليه ولو بأحد الانتمائين كما هو =

تضحك في رياض الصدق واليقين، على الحوحم والعنبر والياسمين.

= مشاهد في مَن حاله بلا امتراء ولا مين. كيف وقد أفاد كثيراً من الشرفاء علوماً وأموالاً واستفادوا من جنابه حكماً وأحوالاً وقضى لهم كثيراً من الحاجات وتشفع للمنكرين منهم عند الحكام بشفاعات جمة مما هو ثابت بشهادة الثقاة محبة لجدهم سيد الكائنات عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأكمل التسليمات.

وقد يفهم ذلك بأجلى بيان من الصك الذي تقدم نقله بحروفه عن إقرار أكثر سادة شهرزور لكن الشيخ معروف وقليلاً من أقاربه المقلدين له في الإنكار وتشهير الزور لتأليفهم الرسالة العاطلة الباطلة في تكفيره وتضليله وشهادتهم عليه بما هو بريء من كثيره وقليله، واعتقادهم التقرب إلى الله تعالى ببغضه وإيذائه يزعمون بالقياس على أنفسهم أنه كذلك بالنسبة إليه وحاشاه من أن يذكرهم إلاَّ بخير في دعائه فضلاً عن أن يتصدى لهم بإيذاء وانتقام أو عتاب مع قوة تسلطه عليهم بكثير من الوجوه والأسباب ولو كان كما يزعمه الشيخ معروف وأتباعه ببغض الأشراف لما تتلمذَ عليه منهم عشرات الألوف ولما قدموه على أنفسهم وأقاربهم الذين منهم ذلك المنكر (المعروف). وهذا لا ينكره إلاَّ أعمى البصر والبصيرة. وفاسد العقل والسريرة، ولو فرضنا أنه يبغض بعض المتهتكين ممن يتقوى في الفساد والإفساد بهذه النسبة الشريفة لجاوبه أن بغض الشريف لكونه شريفاً حرام يستوجب الإثم من الله تعالى. وأما بغضه لفسقه ولهتك حرمة جده ويبغضه لكذبه ولغير ذلك من المعاصي فلا يوجب الإثم أصلاً كما تحقق بل هو شعبة من شعب الإيمان كما روى ذلك أهل الحديث فجناب الشيخ إن صح عنه ذلك فهو لا يبغض الشريف لكونه شريفاً بل يبغضه إذا صدر عنه ما ينافي شريعة جده المصطفى ﷺ.

إذا علمت ذلك وتيقنت ما هنالك تبين لك أن جميع ما ذكره فيه وفي أتباعه خلاف الواقع بل هم كما قال في وصفهم العلامة السيد أمين مفتي الحلة سابقاً والمدرِّس بالمدرسة العلي لاحقاً في رسالته «القول الصواب» التي رد فيها على رسالة معروف الموسومة «بتحرير الخطاب» بقوله: «فهم صادقون في عبادتهم منكبون على طاعتهم قامعون للذاتهم متجنبون عن شهواتهم، حليتهم التواضع وكل منهم لعظمة الله خاشع لا يأخذون الأشرار باللسان، ويفوضون أمرهم إلى الرحمٰن، إلى أن قال: لعمري أنهم أهل تقوى وعبادة، وأرباب إخلاص وزهادة، عن الفرائض وأداء السنن لا يفترون، وعلى إخوانهم المؤمنين لا يفترون، وعن اللغو هم معرضون، قلوبهم شحنت بالتوحيد وألسنتهم لا تفتر عنه ولا تحيد، وهذا هو حالهم على الدوام، فما قولك دام فضلك بحال إمامهم ومقتداهم العالم الزاهد، العابد الراكع الساجد المجاهد مولانا الشيخ خالد إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى. ثم أخذ يقرع الشيخ معروف مخاطباً له بقوله: فيا أيها المعروف بالعلم والفضل، الموصوف بالسيادة والنبل قد علمنا علم اليقين أن مولانا هذا الزاهد، العلامة الأواه الشيخ خالد، موصوف بهذه الكمالات، ومتباعد عن النقائص والشبهات بمراحل ومسافات. أما كونه علامة في المعقول والمنقول، وفي الفروع والأصول هو حيٌّ موجود، ليس بمعدوم ولا مفقود فما سئل عن مسألة عقلية إلاَّ وقد =

أما بعد: فقد شرّفتنا رقعتكم السامية القدر المحتوية على العتاب على قلّة

= أجاب عنها ببراهين قطعية وما طولب بمشكلة نقلية إلاً وقد حلّ عقدتها بأدلة واضحة جلية مع تصاغره لنفسه وتواضعه بين أفراد جنسه حتى كاد أن يعد نفسه عدماً مع أنه يحق له أن يكون بينهم علماً لما خص بتحقيق العلوم في المنطوق والمفهوم حتى إذا سألتَه عن تعريف العلم تصاغرت عنده ولو كنت جبلاً من الفضل والفهم إذ يقرر لك التعريفات فتحصل المقاصد فكأنه ينظر إلى ما بين يديه من المواقف والمقاصد، ثم أخذ يتكلم على زهده وورعه إلى آخر ما قال.

ويؤيده ما قاله العلامة المحقق خاتمة المفسرين السيد محمود شهاب الدين الألوسي عليه الرحمة في كتابه نزهة الألباب وغرائب الاغتراب متعرضاً لهؤلاء الخونة عند ذكر أشياخه وما قرأه عليهم وأخذه عنهم وهذا نصه، وقرأت مسألة الصفات من الخيالي على حضرة مولًى لا يصل إلى حقيقة فضائله خيالي المجددي المجدي حضرة مولانا خالد العثماني النقشبندي وهو صاحب الأحوال الباهرة والكرامات الظاهرة والأنفاس الطاهرة الذي تواتر حديث جلالته وأجمع المتصفون على ولايته وعمَّت بركاته الحاضر والبادي وانتشر صيته في كل واد ونادي، بهر بجلٍ صفاته أطوار العقول، وأنال من تلامذته غاية الوصول، امتد في الأحوال باعه، وعمرت بالفضل والأفضال رباعه، كان حريصاً على سلوك سبيل أهل السنَّة والجماعة لا يصرف من أوقاته ساعة في غير حل دقيقة علم أو طاعة حسن السمت والسيرة نير القلب والسريرة إن توجه إلى قلب مريد ملأه نوراً أو ربط على إكرام معدم أفعم ناديه بأيدي أياديه سروراً.

الإمام الجليل غوث البرايا	غيثها المرتجي ندى إحسانه
ذو سجايا مثل الرياض سقاها	وابل القطر من ندى هتانه
بحر جود له جداول عشر	في يديه تدفقت من بنانه
سار في الخافقين ذكر علاه	وعلا قدره على كيوانه
فائض العلم عن روية فكر	كاد يجلو سر الفضا بعيانه
ثابت الذهن كم خفايا علوم	قد جلاها بالكشف عن برهانه
فهو كشاف مشكلات معان	حل ألفاظها بديع بيانه

وبالجملة ما حوى أحد في عصرنا فضله، وأنا لم أر مثلاً له وأظن أنه هو أيضاً ما رأى مثله، وإنكار بعض الأجلّة عليه، وتوجيههم سهام الطعن وحاشاه إليه كان بعضه محض نفسانية وبعضه الآخر من غير روية. ومن المنكرين من كان كالبائل في بئر زمزم، أراد أن يشهر اسمه بالإنكار على ذلك العالم العليم، وله قدّس سرّه في ذلك سلف أجله، ابتلوا بالإنكار عليهم مثله، وتحملوا من معاصريهم حملاً ثقيلاً، وصبروا على ما نالوا من معاديهم صبراً جميلاً، تلك ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية 62] على أن ذلك إنما نقص قدر من آذاهم، ولم ينقص قدر ذرة من شامخ علاهم. =

أدبي ونسيان التفتيش عن كتاب «الأدب المفرد» وتحصيله لذلك الأديب المفرد

= من كان فوق محل الشمس رتبته فليس يرفعه شيء ولا يضع

وكان له قدّس سرّه عليّ شفقة شفيقة، وقد أمرني بالاشتغال بالعلم وضمن لي أن لا أحرم من بركة الطريقة، وها أنا إلى هذا الزمن الزمِن منتظر تحقق ما ضمن وكأني في بركة تلك البركة، أسبح إن شاء الله ولا سبح السمكة، وقد طارت روحه إلى حظيرة القدس في دمشق الشام، فحبست في أقفاص الأسى لطيرانه قلوب المسلمين والإسلام، وقيل في تاريخ ذلك غير ما قيل هنالك، ومنه قول السيد جواد السّياه بوش من قصيدة مرثية شرحتها شرحاً نفيساً سميته الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد:

ولما هويت الحق قلت مؤرخاً هو للقاء الحق في القدس خالد
وحين بكت أهل الطريقة أرّخوا بكى فقدك الدرس الإلٰهي خالد
وحين نحوت القدس قلت مؤرخاً دنيء بإزاء القدس في القرب خالد
وحيث اتحدنا في الطريقة نسبة وقد طهرت أعراضنا والمحامد
فذا نعت صدق عن لساني أرخوا مقامك صدق عند مولاي خالد

وقد ظهر لك أن ما زخرفه أولئك المشاغبون ونسبوه إليه في رسائلهم المذكورة هو إفك وبهتان فإنه قدّس سرّه لما تحقق عنادهم وكذبهم قال: يا الله العجب كيف تجرّؤوا عليّ بما نسبوه من التضليل والتكفير إليّ وأنا من علماء المسلمين الداعين إلى الله وقد أعطاني الله بسطة في العلم أقتدر بها على تفاصيل اعتقاد الاثنين والسبعين فرقة التي افترقت عن هذه الأمة كما جاء في الحديث عن سيد الأولين والآخرين ورد كل فرقة إلى طريق الحق المبين مع بيان الطريق التي ضلت منه بالأدلة الواضحة البيان الظاهرة للعيان على أني وإن كنت راض بنسبتي للنقائص والقصور ولكن لا أرضى بنسبتي إلى التكفير المذكور لأن الرضا بالكفر كفر، انتهى. وحيث وعدناك أيها الناظر أن نطلعك على ما كتبه علماء العراق والشام من الردود الإجمالية وأيدوا بها كتاب السهم الصائب الذي رد فيه المحقق الشيخ أمين السويدي على عثمان عبد الجليل والسيد معروف رداً شافياً وجعلوها انتقادات كالتقاريظ على الكتاب المذكور بكلام كالدر المنضود والجواهر المنظومة في العقود وقد أحببت أن أشنف الأسماع بتلاوة تلك الآيات البينات المفحمة بمعجزاتها لأولئك الرعاع منتخباً منها ما لا بد منه وما لا يستغنى عنه مذيلاً كل رسالة منها بإمضاء صاحبها مقدماً عليهم حضرة نور السلالة الهاشمية ومصباح السلسلة الفاطمية العلامة الرباني السيد محمود أفندي الكيلاني نقيب أشراف بغداد وصاحب السجادة القادرية طاب ثراه وجعل الجنة مأواه، وهي هذه:

«الرسالة الأولى»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، وبتقديره مفاتيح الخيرات ومغاليق الشرور، =

القائم مقام الجمع، وإني ما تلقيت أمركم بالطاعة والسمع، كلا أني ما نسيت

= مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور، ومورد أعدائه ورطات الغرور، جعل مفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة، وترك السنَّة، ولم يخلق نعمة له على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة والحضور، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدور، بنور البصيرة لاجتناب المنهي وامتثال المأمور، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا دليل إليهما غير عمى القلب بظلمة الجهالة المقصية فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح إلى قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النُّور: الآية 35]، وهم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى، والمفترون قلوبهم ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النُّور: الآية 40]، وهم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء من الرديء ولم تنفتح بصيرة أحدهم ليكون بهداية نفسه كفيلاً، وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسرَاء: الآية 72] والصلاة والسلام على سيدنا محمد منقذ الخلائق من الفجور وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور.

أما بعد: فقد رأيت الرسالة الباطلة المدللة بدلائل لا تقريب لها ولا تنطبق على الدعوى الراجمة بالغيب الراقمة كذباً بالعيب تقليداً لمن ضل حسداً من أهل شهرزور، وغوى وزل حقداً من ذوي الغرور والزور، ودعوى بالباطل وما ارعوى التي لفقها تلفيق خابط وجمعها جمع حاطب بليلٍ حالِك رجل من الظُّلمة القاصرين والجهلة المنكرين على كثير من أولياء الله المتقدمين والمتأخرين كسيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ مولانا جلال الدين الرومي والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي والشيخ عمر بن الفارض والشيخ عبد الرحمٰن الجامي والشيخ عبد الكريم الجيلي والشيخ عبد الغني النابلسي وأضرابهم قدّس الله تعالى أسرارهم الطاهرة ونصر ألوية أحزابهم الفاخرة (عثمان بك الموصلي بن المرحوم سليمان باشا) بصره الله بعيوب نفسه حتى يتباعد عن الإنكار ويتحاشا، مؤسسة على التقبيح والتضليل والقدح والتكفير بالعقل القاصر والهوى لأمة محمدية مجتمعة على الهدى بريئة من الضلال والبدعة والردي مستحسنة العقائد والأقوال والأخلاق والأعمال عند كافة أولي النهى الموصوفين بالعلم والتقوى - أعني جناب فارس ميدان التدريس والفتوى صاحب العقيدة الخالصة الأشعرية والطريقة الصافية النقشبندية البكرية، والسريرة الطاهرة السنية المستغني عن الإطناب في الألقاب مجلي مضمار علوم السنَّة والكتاب، ومصلّي مصلى السير بمعاني نور الاقتراب إذا عسعس الليل وسل الحادي وحار الدليل إلى رحاب الأحباب، العارف الرباني والعلم العثماني المعتصم بحبل الله المتين، المستمسك بعروة القدوة بالإمام المبين قطب الإرشاد إلى المقعد الصدقي العندي شيخ المشايخ الشيخ خالد النقشبندي قدّس الله سرّه، وحُرِسَ من كيد الحساد قدره وجمهور مريديه ومعتقديه من العلماء والصلحاء =

ميعاد ذلك الخل الوفي الشفيق، كيف وإني أحنّ إلى هاتيك الربوع حنيني إلى

= والنجباء المبرئين عما يقوله المنكرون بالتزوير والتمويه من غير دليل يستند إليه ولا رؤية منه لأحد منهم ولا لنقل يعول عليه بل لما صحب قلبه من الوقيعة في الأولياء وحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله الذي يؤتيه من يشاء تعزُّزاً وغروراً بالدنيا وحباً للرياسة واتباعاً للهوى ـ ووافقه على ذلك بعض المنسوبين إلى العلم بالمدينة المذمومة وقرضوها بتقاريض مجموعة مختومة، فويل لهم مما كتبت أيديهم في أكل اللحوم المسمومة، وعادة الله في قصم منتقصي العلماء معلومة، وكان من القضايا المسلمة لدى أهل الأصل والفرع أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع، وأن الأكرم عند الله هو الأتقى، وأن السنَّة للاعتصام هي العروة الوثقى، وأن الأمة لا تجتمع على الضلالة، وأن ما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن كما يروى عن خاتم فصّ الرسالة، وأن كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة، وأن التصديق بكرامات الأولياء من جملة متممات إيمان من آمن بالقدر وصدّقه، وأن لا عبرة في الرد والقبول بقول كل عنيد أو جهول ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّساء: الآية 59] وأن الحكم لا يكون إلاّ بالظاهر والله يتولى السرائر ـ أوجب ذلك على علماء الشريعة الانتداب لحسم مادة تلك البدعة الشنيعة بإحقاق الحق وإبطال الباطل وإظهار الصواب بالدلائل ـ فانتدب لهذا الأمر المهم والخطاب المدلهم الألمعي المحقق واللوذعي المدقق الجهبذ النحرير مالك أزمة التقرير والتحرير الناصر عملاً بالحديث المحق على المبطل المتعدي أبو الفوز محمد أمين أفندي السويدي أمده الله بالتوفيق بشرح بديع أنيق يفضي براءيه إلى العجب من حسن تأليفه ومبانيه، ورصافة ترصيفه ولطافة معانيه، ويفضي بالناظر إلى الحكم بكذب ملفق تلك الرسالة وبطلان دعاويه على وجه وجيه برد كل اعتراض وقانون قويم تنتقض به مقدماتها أشد انتقاض ولله دره من محقق دمغ بقواطع حججه الساطعة رؤوس الطائفة الأفاكة المبتدعة وأخمد نار الإنكار على العلماء الأخيار، وسدّد القول في قمع مادة الأشرار، فشهد ببطلان دعاوي تلك الرسالة الباطلة وحقية مطالب هذا الشرح المقرون بالعدالة والله خير الشاهدين وخير الناصرين.

وأنا الفقير إليه تعالى السيد محمود الكيلاني نقيب أشراف بغداد عفي عنه

«الرسالة الثانية لعالم بغداد»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدى حزبه صراطاً مستقيماً وشرع لهم طريقاً محكماً قويماً فجعله من شبهات أهل البغي محفوظاً سليماً ووفقهم لتبيين مقاصده حديثاً وقديماً، وجعلهم نجوماً يهتدى بهم إلى هذا الطريق وملجأ ينجو به كل غريق يقتدي الساري بسيرتهم الدالة إلى المنهج الرضي ويظهر له التمييز بين كل جوهري وعرضي كيف لا وهم أهل الحقيقة الذين أوضحوا لنا كل دقيقة يهتدي بهم من هداه الله فاهتدى، ويزيغ عنهم من استحب =

جزوى والعقيق، بل قد يجري على لساني في خلال المقال من غير احتفال من فرط بلبال البال هذان البيتان:

= العمى على الهدى، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من تكملت به مكارم الأخلاق والشيم، والعلم الفرد الذي أنار بنوره العرب والعجم أرسله رحمة للعالمين وقامعاً لرقاب الطاغين والباغين، وعلى آله وأصحابه الراشدين، والخلفاء المهديين إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد أمعنت فكري في الرسالة التي صنّفها الموصلي الجليلي عثمان المعرض عن طريق الرحمٰن المتبع سبيل الشيطان قد انتهك بها حرمة الإسلام والمسلمين والعلماء العاملين والأولياء الواصلين لأنه تردّى برداء الجهل والغواية وقلّة المعرفة والدراية، فارتكب كبائر السيئات وانهمك في المعاصي والملذات، وتمسك بكل باطل ومال إلى كل عاطل، وفعل أفعالاً شنيعة لا يسعنا ذكرها في هذا التقريظ، ولا يمكننا أن نتعرض لها أدنى تعريض ولو حررنا منها شيئاً على سبيل الإجمال لأدى ذلك إلى الملال وأتعب قريحة البال، لكن اختصرنا المقال إذ ما كل ما يعلم يقال ولنجمع ذلك بقول موجز قاصر فنقول:

كان عمله عمل مَن لم يؤمن بالله واليوم الآخر، فالذكي يفهم بالإشارة ما لا يفهمه البليد بألفي عبارة، ولذلك عدل عما يقتضي له من التواضع إلى التكبر ومن الصلاح إلى الطلاح ومن النصيحة إلى الفضيحة ومن الإخلاص إلى الرياء ومن الزهد إلى الرغبة ومن القناعة إلى الطمع ومن العبادات إلى اللهويات ومن المسامحات إلى العداوات ومن المكافآت إلى الإساءات ومن الحلم إلى الغضب ومن الشفقة إلى القسوة فمن كان موصوفاً بهذه الأوصاف ومجرداً عن مكارم الأخلاق والإنصاف لا يهتم الكاملون بتزويراته ولا يتكدر الفاضلون بترهاته لأنه فضلة في الأيام كواو عمرو في الكلام ـ متضمنة لذم شيخ الطريقة النقشبندية وزهرة الشجرة العلية قطب العصر والزمان وغوث الوقت والأوان من به أحيا الله الطريق بعد اندراسه ورد غريبه إلى مسقط رأسه العارف في العلوم الربانية والجامع بين العلوم النقلية والعقلية، صاحب الكرامات العظيمة والمشاهدات الجسيمة من شيّد الله به الشريعة النبوية في هذه الأوقات وبه ظهر ما اندرس من مآثر سيد السادات فكشف عن قلوب الغافلين الران بأسراره، وأنقذ العاصين عن الزلل بمفاتيح أنواره الفريد الجليل الفضيل، من ليس له نظير ولا مثيل، جامع التقرير والتحرير الراقي لزورة المجد الخطير الذي هو في سماء النجوم علاه وأنى لها أن تشاهد علو مجده وعلياه، وهي تخفى عند الصباح وهذا ظاهر في صباحه ومساءه، هذا وكل إطناب في مدحه إيجاز وكل حقيقة من المدح له ففي غيره مجاز.

لا تقل لأوائل الفضل كم من ... أول فضله بنا عن أخير

وبالجملة: فإن مادحه كمن قال للأسد: ما أشد شجاعتك، وللبحر المحيط ما أوسع ساحتك، شيخ المشايخ الأجلة ورئيس المذاهب والملة، هو أكبر من أن يفي بوصفه =

الاهل إلى أكناف زوراء عمران   معاهدها قبل الممات معاد

= قول، وأعظم من أن يقاس بفضله طول، له شرف ينطح النجوم، وكرم يفضح الغيث السجوم، كأنما هو مغناطيس أنفسنا، فحيثما دار دارت حوله الصور. الورع الزاهد والراكع الساجد شيخنا ومولانا ومرشدنا ومقتدانا قدوة العارفين وعمدة الواصلين وقمر المخلصين المتوجه بشراشره إلى خدمة رب العالمين ـ الشيخ خالد ضياء الدين ـ قدّس الله تعالى سرّه وأفاض علينا خيره وبرّه ـ، فكم من فاسق صلح ببركته وكم من غافل استيقظ بصحبته، وكم من مبتدع رجع بموعظته عن سوء الاعتقاد، وكم من باغ ما عاد بهمته إلى الفساد فهو الحقيقي أن يمدحه المادحون، وجدير أن يذكر من فضائله وفواضله المخلصون، وهي محتوية على تكفير هذا العالم الهمام والأسد الضرغام، وإبعاده عن معالم الإسلام، وعلى تكفير سائر من شرب من كؤوسه صبوح الصلاح، وظهر عليهم من أسراره نور الإيمان، ولاح من العلماء الأكابر والسادة الأفاخر، من غير دليل نقلي ولا قياس عقلي، بل بمجرد نقل العاذل الكاذب، معروف الذي هو بالتزوير والحسد والغرور معروف، ما حام في أحواله حول الصواب، ولا راقب في ذلك يوم الحساب، مع أن الشيخ العارف بالله والمتوكل على مولاه أضاءت أشعة شموس أنواره بين العباد، ولاحت علائم نفحات أسراره في سائر البلاد، وليت شعري هل يليق لمثل هؤلاء الضالين، والأشقياء الخاسرين، أن يقطعوا بتكفير هذا الولي النقي والعالم التقي، ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون. ومما قلنا لمناسبة هذا المقام وتجاسرهم على قطب الأنام:

لئن ذم اللئيم كرام قوم   أفاض ما عليه بذا عتاب
فقد يعلو الذباب على أسود   وقد يعلو على الذهب التراب

مشتملة على التقاريض من بعض علماء البلد ولها خبط وخلط بشهاداتهم، استبدوا ما أرى ذلك منهم إلاّ من أكبر الكبائر والمآثم، وأعظم العظائم من الجرائم، حيث إنهم أيدوه بذلك غاية التأييد من غير رؤية ومشاهدة لهذا الولي الفريد، العالم العامل التقي الوحيد، ومن غير اطلاع على سيرته وسريرته، ومن غير وقوف على تيار بحار علومه وعقيدته، بل كان صدور تلك الشهادة منهم لمجرد موافقة ذلك الشرير لأنه أخو الوزير، وما راقبوا بذلك العليم الخبير، ما لهم بذلك من حميد ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: الآية 46]، وأني لما تَفكّرْتُ في حال مؤلفها ومبتدعها بحسب ما حققته منه في ماضي الزمان، ودققته بالسماع من الأكابر والأعيان.

أقول: لا يبعد صدور ذلك من مثل هذا الأحمق الجاهل، واللئيم العاطل، ولا غرو أن يطعن في أعراض أولياء الله الصالحين، والمشايخ المعتبرين، من ختم على سمعه وبصيرته، وحالت حجب الكبائر بين التقوى وبين سريرته، حيث نصب نفسه للطعن في أعراض أولياء الملك الديان، ومثل ذلك صادر منه غير مرة في سالف الزمان، وقد تكلم على الشيخ الأكبر والعالم الأفخر محيي الدين بن عربي الغوث الأعظم سيدي =

بـلاد سـكـنّـاهـا وكـنـا بـحـقـهـا إذ الـنـاس نـاس والـبـلاد بـلاد

= الشيخ عبد القادر الكيلاني قدّس الله سرّهما وعلى الشيخ الواصل عمر بن الفارض وعلى الشيخ الزاهد عبد الغني النابلسي الشامي صاحب المحامد وعلى غيرهم كافأه الله جزاء هذه الأعمال الشنيعة، والأحوال الرديئة الفظيعة، إنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم وقفت على شرحها المتكفل بردها فأمعنت فيه فكري الفاتر، وخضت في هذا البحر الزاخر فرأيت فيه جواهر من النظم وعقباناً، ودرراً من النثر ومرجاناً، وهو مغمور بأنواع قواعد الكمال، وموشح بإكسير الجمال، مورده أحلى من النبات، وكأسه حوى ماء الحياة، وأنه عديم المثال، ومنثوره المنشور كنثر اللآل، كيف لا وقد سلك فيه مسالك القبول، ورد بالدلائل القاطعة ترهات رسالة ذلك اللئيم الجهول، فهدم قواعد أركانها، ومزق معالم بنيانها، ونقض مقدمات دلائلها الباطلة، وأبطل نتائجها الكاذبة العاطلة، بالدلائل القرآنية والأحاديث النبوية، وقصم بقواصم حكمه ظهر مبانيها وزيف بالحجج والبراهين جميع ما فيها، كيف لا وهو صادر من المصدر المشتق منه أفعال المكارم والأفضال، ذي الفعل الصحيح السالم بناؤه من الأعلال، العالم العلامة والحبر الفهامة صاحب الأفعال المرضية والملكات الملكية ذي النور، ابنُ الحجج والأدب والمجد ابنُ العلم والحسب من بلاغته تخرس الفصحاء وفصاحته تبكم ألسن البلغاء مصداق خير الناس، من ينفع الناس، محكم الفرع والأساس، رافع رايات ذوي التحقيق، وناصب معالم أولي الفصاحة والتدقيق، وكاسر شوكة الأعادي أبي الفوز محمد أمين السويدي البغدادي، جعل الله سعيه مشكوراً وذنبه مغفوراً، فلقد أتى من درر الفرائد وغرر الفوائد بما تستحسنه الأماجد والأكابر والعلماء الأفاضل من الأوائل والأواخر، وأبكار أفكار لم يطمثهن قبله أنس ولا جان، قد لازم فيه طريق التحقيق ونصرة الدين، وخالف سبيل الفساد ورد دلائل الخاطئين الخاسرين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين آمين.

وأنا العبد الفقير إلى ربّ العالمين السيد أحمد الخطيب للحضرة الأعظمية عفي عنه

«الرسالة الثالثة»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدور الموافقين بمحبته عباده المؤمنين المتقين ونصر حزبه المفلحين بجنود نصوص السنّة والكتاب المستبين حيث نص عليه بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: الآية 47]، والصلاة والسلام على خاتم فص الرسالة المبشر بقوله: «لا تجتمع أمتي على الضلالة» سيدنا محمد الذي توعَّد من آذى الأولياء فيما يرويه عن الرب بقوله: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، المخبر بأن الفرقة الناجية هم أهل السنّة والجماعة القائل: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق =

لكن مهام طلبي للكتاب المذكور ما صارت بهدف النجاح مقرونة، وما

= إلى قيام الساعة». وعلى كافة الآل والأصحاب ما نطق مجيب بالصواب وأوتي الحكمة وفصل الخطاب.

أما بعد: فقد أمعنت النظر في الرسالة التي ألّفها بعض أهل الموصل في تكفير شيخ الطريقة النقشبندي الذي هو إلى الله تعالى أقرب، موصل العالم العامل والعارف الكامل محيي السنَّة السنيَّة ومميت البدعة الردية، جامع الفروع والأصول، علامة المنقول والمعقول، جناب الشيخ القدوة ضياء الدين مولانا خالد الأشعري الشافعي النقشبندي القادري قدّس الله تعالى سرّه وأفاض علينا بره. وفي تكفير أتباعه من العلماء السادات، ذوي التقوى والعبادات، مشحونة بالكذب والإفك والزور، مسنداً رواية أكثر ما فيها إلى بعض الحاسدين المتعصبين عليه بالباطل من أهل شهرزور مقرّظة بتقاريظ بعض المشهورين من أهل البلد المذكور، مع عدم رؤيتهم أبداً للشيخ المشار إليه ولا اطلاع على عقيدته ولا عقائد مريديه ممن يعول عليه. على أنهم لو رأوه أيضاً لما أحاطوا بحقيقة حاله وكنه فضائله وكماله لقصور أنظار أكثر الحضار عن إدراك تيار معارفه القاذف بالحكم والأسرار كما قيل:

هيهات أن تصطاد عنقاء العلى ... بلعابهن عناكب الأفكار

هذا ولم يخافوا في مثل هذا التجرىء من الله تعالى تنكيلاً وقد نهى الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسرَاء: الآية 36] متعاونين على الإثم والعدوان وإيذاء هؤلاء المؤمنين بالقدح والبهتان على وجه التعصب والحسد ظناً كاذباً وتخميناً وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزَاب: الآية 58]. ودققت الفكر بمحضر العلماء في شرحها المتضمن لردها المتين، بدلائل السنَّة والكتاب المبين، وأقوال العلماء المنصفين مع أبحاث تدخل في الآذان من غير استئذان، وفرائد فوائد يتحلى بها جِيد الزمان، وقواعد نواهد لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، وفصول تشتمل على نوادر أصول، ونقول لا ينكرها إلاّ حاسد أو جهول، تقرّ بها أعين ذوي الإنصاف من الفحول، كيف لا وهو السهم الصائب لمن سمى الصالح بالمبتدع الكاذب الصادر من مصدر فرع العلماء الأطايب العالم الفاضل ذو القول الفاصل بين الحق والباطل، فارض ميدان التحقيق الشافي لصدى الصادي أبي الفوز محمد أمين السويدي البغدادي شكر الله سعيه على هذا الشرح حيث سدّد فيه التعديل والجرح وأتى بما ليس فيه إنكار ولا قدح، واكتسب به من الصالحين الدعاء والمدح فأقسم بخالق السماء ذات الرجع ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطّارق: الآيات 11 - 14] لم يصدر إلاّ عن الشهادة والعيان من غير مبالغة ولا بهتان، ونحن أيضاً لم نحكم إلاّ بما ثبت لدى جمهور العلماء المتيقظين ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يُوسُف: الآية 81] ولو ذاق أولئك المعرضون نبذة مما عند جناب الشيخ نفعنا الله به من العلم =

وجدت له أثراً عند أحد، والأمور بأوقاتها مرهونة، وإن شاء الله الكريم الوهاب

= والعمل والخشية والأحوال لاعترفوا بخطئهم وتابوا إلى الله تعالى بغاية الخجل والانفعال نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير.

قاله بفمه وكتبه بقلمه الفقير إليه عزّ شأنه محمد رفيع بن حسين المبتلى بقضاء مدينة السلام بغداد عفى عنه.

«الرسالة الرابعة لعالم الروم والشام»

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من جعل العلماء ورثة الأنبياء وجعل مدادهم أفضل من دماء الشهداء فنحمده على ما وفقنا لتصريف المباني على النحو الصحيح ومكننا لإيضاح المعاني بالنطق الفصيح، ونشكره على ما أرشدنا بآداب المناظرة في الكلام إلى الحق والصواب، وخصّصنا بإفهام الخطاب في فصول وأبواب، ونصلّي ونسلّم على مَن هو منبع التفسير والحكمة الإلٰهية، ومجمع الأصول والفروع والأخلاق الجميلة الطبيعية، وعلى آله وأصحابه المستنبطين لجزئيات العلوم وكلياتها، عن علومه الدقيقة عباراتها وإشاراتها وبعد:

فيقول العبد البائس إلى موائد إحسانه البسيط إلى كافة البرايا، والمحتاج إلى عوائد نعمه المحيطة، ورحمته السائرة على الخطايا، والواثق بكرمه الأبدي ورفده السرمدي، عمر بن مصطفى أفندي الآمدي، المدعو بعمر أفندي زاده، رزقهم الله الحسنى والزيادة:

إن المولى الجليل المفخم، والعالم الكامل العلم، إمام الطريقة وهمّام الحقيقة لدى أكابر الأولياء والصالحين، وعند أجلّة أهل اليقين، الزاهد الورع المشتهر في المشارق والمغارب، الحاوي لفنون العلوم والمناقب، مالك الإرشاد على الإطلاق، ومعدن المكارم والأخلاق، الذي قد أشرقت شموسه في سماء الإشراق وانجلت عروس عرفانه في رياض الأنس حيث الهنا قد راق، أورى نار المحبة في أفئدة السالكين مظهر تجليات الأنوار الربانية، ومصدر الجذبات السبحانية، نتيجة فكره الدقيق يعجز عن دركها الأفهام وانكشاف خفيات المسائل بها لا يخفى على العلماء الأعلام ألا وهو مَن تفجرت من ينابيع فهمه أنهر التحقيق وفاضت من حياض ذهنه إلى أودية المقتبسين الداخلين الطريق، الشاربين من منهله العذب ومشربه الرحيق، حتى جال وساح في البلاد، تحصيلاً لزخر المعاد بالسداد والرشاد، وبلغ المراد واشتهر بين العباد، وصار كعبة للقاصدين، وموئلاً وكهفاً للعابدين، فشدت إليه الرحال، ونجا نحو جنات بابه الخلص من الرجال، فورد ماء مدين المأرب فوجد عليه أمة من الناس مختلفي المطالب، وليس لهم منه حاجب، بل كل ظمآن من كأسه شارب، وإن تعدوا نعمة الله عليه من شيمه =

إذا وجدت ذلك الكتاب لا أتساهل فيه ولو بالاستكتاب، والسلام عليكم في البدء والختام.

= المرضية وأخلاقه المحمدية لا تحصوها، وإن أطريتم في مدائحه لا تستقصوها، سيدنا الذي هو في كل ناد مندي حضرة أبو البهاء ضياء الدين مولانا خالد النقشبندي قدّس الله سرّه قد حسده بعض مَن اتسم بالمشيخة من أهل شهرزور وافترى عليه وأتى ببهتان وزور، فلما سمع ذلك بعض الجهلة من أهل الموصل ممن دأبه الطعن والذم في أهل الله بنى بنيانه على شفا جرف ذلك المفتري المعروف بالشيخ معروف الذي عن اختلافه ما تحاشا واتبع وتماشا، وهو أخو الوزير أحمد باشا، واستند له ولفق رسالة رديئة وسماها ردية لسيدنا خالد. وتفوَّه بكلمات أوردها فيها فأوردته النار فإن لم يتب عنها واستحلّها فهو مع المعروف فيها خالد. ثم أعانه عليه آخرون فجاءوا ظلماً وزوراً وقرظوها بتقريظات فكانوا قوماً بوراً من غير تحقيق حال الحضرة المفترى عليه وما زادوا إلاّ ثبوراً رجماً بالغيب وميلاً إلى العيب ومداهنة لذلك الخراص المبين وتمزيقاً بالدنيا أمر الدين، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

ولما وصلت تلك الرسالة الرديئة الباطلة إلى يد المولى الهمام ذخر الأنام الموفق السعيد محمد أمين سويدي زادة أسبغ الله عليه الحسنى وزيادة، وهو من أجلّة علماء الدين فلذا شهدوا بفضله وحسن شرحه المزبور ونطقوا بمزاياه المندرجة في تلك السطور، لأنه البارع الفائق المنصور المؤيد بتأييد إلٰهي فهو المشكور المأجور فتكفل بإماطة الأذى التي هي من شعب الإيمان وأبدع في الرد والزجر على ذوي الحس والبهتان، فنظر بفكره الثاقب فرأى ما فيها من الأراجيف فزيّف ما فيها كل التزييف وضعضع القواعد التي أسسها وهدم أركانها التي رصصها فصارت تلك الرسالة كأعجاز نخل خاوية أو قرية على عروشها هاوية، فاضحة لمؤلفها وبضاعة خاسرة لمقرضها، وما بقي في سماجتها التباس ولا في قبحها ريب عند الناس، نعوذ بالله من شر كل حسود يريد أن يطفىء نور الحق وشعاع النبراس ويخالف السنّة والإجماع والقياس بموالات الوسواس الخناس.

ولما بلغ إلى الشرخ المذكور، وتحقق عندي أن تلك الرسالة ملفقة من كلمات الزور وأن الحق مع الشارح المزبور، وجاء بعد ذلك تقريظات على ذلك الشرح من علماء بغداد وشهدوا بحقيقته وهم عدول ثقات. فلما اطلعت عليها وقد رجع بعض مقرظي الرسالة الرديئة الرديّة عن تقريظه لها وكتب قصيدة واعتذر فيها وتاب وأحسن بها فنعم المتاب، قرظت ذلك الشرح، إذ به أعطى المتجر الرِّبْحَ من الأجور ولما وقفت عليه بالإمعان زاد دعائي له بالتوفيق والإحسان.

وأما التقريظات: الأول على تلك الرسالة فشهادة زور على زور إذ لم يخالطوا مولانا وما أبصروا أحواله وأخلاقه آناً، وأني بحمد الله لازمت أعتابه واستمطرت سحابه، فما وجدت عنده سوى العلم والحلم والإصابة، ولم أصادف فيه شيئاً من خلاف السنّة أو =

حاشية: حاوية لأنواع الإخلاص وجالبة لكم حسن النظر وكمال

= خلاف الأولى بل هو مستمسك بالعروة الوثقى ومعتصم بحبل الزلفى إلى المولى أجزل الله خيره وبره وملأ بهما بحره وبره، اللهم أنفعنا بعبادك الصالحين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عمر الآمدي، إمام الجامع الأموي بدمشق الشام

«الرسالة الخامسة لعالم الشام»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أن أحمد أجمل ما ترجمه لسان القلم وأثبته على اللوح في القِدَم حمد باريء النسم، ومفيض أسرار الحكم من علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لا يعلم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد النور الأول لهذا الوجود، والسر الأعظم المستمد منه كل موجود، وما ذاك إلاَّ مظهر التفريد، وسرّ حقيقة التوحيد، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الهادين المهتدين.

وبعد: فإن من عادة الله الكريم الأبدي التفضل في كل قرن على هذه الأمة المرحومة بالوارث المحمدي وأن من المتحتم على كل مؤمن كامل من الأنام اتِّباع ذلك الوارث المرشد ليتم استعداده للعمل بشعائر الإسلام وقلّ أن يوجد ذلك على مدى الزمان وإنما لكل قرن مجدّد لما ترك وأهمل من شعائر الدين وأسرار اليقين ما تعاقب الملوان لما ثبت في الأثر عن سيد البشر أنه قال: «يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لهذه الأمة أمر دينها» فهذا هو الكبريت الأحمر وفريدة العقد الجوهر والإكسير الأعظم والحجر المكرم فمن ظفر به غنم سعادة الدارين، واشتغل عن الأثر بالعين وما انطبق هذا الحد في هذا الزمان إلاَّ على حضرة مولانا قطب العالم، والغوث الأعظم، العارف بالله، والحاضر بذكر مولاه، علاَّمة العصر، وفهَّامة كل مصر، مَن بزغت شمس عرفانه فأضاء نورها على جميع الأنام، وتسلسل سلسبيل إحسانه فاستفاض منه الخاص والعام، المؤيد بالعلمين الوهبي والكسبي، والذاكر في الحالين النطقي والسري، سيدي أبو البهاء ضياء الدين مولانا خالد النقشبندي القادري المجددي قدّس سرّه، فكم سرى سرّ إرشاده ونور فيض إمداده جلا مرآة قلب غافل وهيج همة مقصر متكاسل وشغل سالكاً بربه عن الأغيار وسلك مريداً فهجر الأوطان والأوطار، وأوصل سائراً في طريق مولاه ففاز بالقرب في معرفة الله وكم أفاد العلوم وأبداها وحرّر المسائل وأنشأها إن أخذ في التفسير فهو البيضاوي الثاني، أو الرواية والضبط، فالبخاري في تحرير الألفاظ والمعاني آخذاً من العزائم بالأقوى، عاملاً بما قام عليه الدليل والفتوى وهو حازم في الدين وصارم لا تأخذه في الله لومة لائم، فمذ عمَّ فضله في الآفاق ووقع على ولايته الاتفاق حسده حاسد مغرور فأنشأ يأتفك الزور والفجور، وهذا مما جرت به سنَّة الله تعالى في ابتلاء أحبابه من السلف الصالحين كابن الفارض وأمثاله الشيخ الأكبر محيي الدين فاصطنع ذلك الحاسد البهتان وأبداه ونسي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ =

الاختصاص بمنِّه تعالى من الجد مهما أمكن في أمور الدين والسعي على قدر المقدور في اتِّباع السنَّة وقضاء حوائج المسلمين، والسلام ختام.

انتهى

* * *

تمَّ بحمد الله تعالى هذا الأثر النفيس الذي لم يحرّر مثله في بابه، وهو

= يَدَاهُ﴾ [النّبَإِ: الآية 40]، واختلس ذلك منه مبتدع وهابي عن كل حق محجم، وأبي منكر على كل وليّ وعارف مقرّ لكل مبتدع ومخالف قد استولى على قلبه الشيطان فأنساه ذكر ربّه المنَّان فهو المسمى بالموصلي عثمان جزاه الله على إفكه بالخذلان، فرتّب رسالة مشحونة بأخلاط مملوءة بالأكاذيب والأغلاط كما قيل:

إن ينكروه فلا عن فقد معرفة قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

فلا بدع فيما صنعه ذلك الأفاك لأن الحياء من الدين كما نقله القادة النساك وكما ورد إذا لم تستح فاصنع ما شئت، والعقل مناط الخير والتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: الآية 197]، فنسأل الله القوي المتين أن يثبت علينا وعلى المسلمين العقل والدين وأن يعيذنا من مثل ما ابتلي به هذا الأفاك المهين. قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقَرَة: الآية 79]، وحفظ الله تعالى مولانا الهمام نجل الجهابذة الكرام العالم الفاضل والجهبذ الكامل الملا محمد أمين أفندي السويدي البغدادي حيث رد ذلك رداً شافياً وأظهر أغاليطه وأكاذيبه إظهاراً وافياً وكتب على ذلك علماء الإسلام من سائر الأماكن لا سيما بغداد والشام فبيَّنوا بعض مآثر المرشد الهمام الأواب من غير إطناب في الأوصاف والألقاب.

وليس يزيد الشمس نوراً وبهجة إطالة ذي وصف وإكثار مادح

فنسأل الله تعالى أن يحيي قلوبنا على حب أهل الله ويحفظ ألسنتنا من التجرىء بالافتراء على مسلم فضلاً على أولياء الله، ويثبِّت أقدامنا على هدى سيد الأنام، ويمنّ علينا بالعفو والعافية وحسن الختام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الغرّ الكرام أجمعين.

الفقير إليه تعالى صالح أبو الفتح زادة خادم العلم بدمشق الشام

«الرسالة السادسة لعالم بغداد»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نصر حزبه فكانوا هم الغالبين، وأيدهم بقواطع الحجج والبراهين، =

ملخص ما عثرت عليه من الكتب والرسائل في اللغة العربية المحرّرة بقلم حضرة

= ونوّر بمعرفته قلوبهم فلم يزالوا على الحق ظاهرين، وأذلّ أعدائه فكانوا في مهامة الضلالة تائهين، وفي بحار الغواية سابحين، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجَادلة: الآية 19]، والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى لإعلاء كلمة الدين، وكسر شوكة الملحدين، بعثه الله حين خلت الأرض ممن يدعو إليه ويدل الخلق عليه وكانوا قد اتخذوا أهواءهم دليلاً وعبادة الأوثان مألفاً وسبيلاً فلما دعاهم إلى توحيده وتقديسه وتمجيده وكان في ذلك قطع ما ألفوا وترك ما فيه تعودوا وبه اتصفوا وتوسلوا إلى تنقيصه بألف وسيلة وتحيّلوا فأعيتهم الحيلة فرموه تارة بالجنون وطوراً بالسحر وآونة بالكهانة وأخرى بالشعر وظنوا أنهم بذلك لأنوار إرشاده يطفئون ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التّوبَة: الآية 32] وعلى آله وأصحابه المقتفين منهاجه القويم والسالكين صراطه المستقيم.

وبعد: فقد وقفت على قراطيس سود وَجْهَهَا بعض الموصلين ممن ليس له خبرة في العلم ولا تمسك في الدين متضمنة لذمّ شيخ الزمان وقطب العصر والأوان من أحيا الله به ما اندرس من آثار الصالحين وأنار بظهوره ما خفي من شريعة سيد المرسلين ففتح أعيناً كان عليها عن إبصار طريق الهدى غشاوة، وشحذ ذهاناً لدرك المعارف بعد تناهيها في الغباوة وجلى بأنواره قلوباً قد استولى عليها الران وأرشد لطريق الحق من كان تائهاً في بيداء الجهالة حيران، فهو المقصود بقول الشيخ الأكبر:

لنا دولة في آخر العصر تظهر فتظهر مثل الشمس لا تنستر

الورع الزاهد والراكع الساجد ضياء الدين مولانا خالد قدّس الله تعالى سرّه وأفاض علينا كما أفاض على العالمين خيره وبرّه ومحتوية على تكفيره وتضليله وإبعاده عن الهدى وتجهيله بل على تكفير سائر المريدين ممن لا يحصى من العلماء والصالحين من غير استناد في ذلك إلى دليل يرجع إليه أو أخبار ثقة يعول في صحة النقل عليه مع أنه العلم المفرد في المعقول والأوحد في المنقول:

علاّمة العلماء واللج الذي لا ينتهي ولكل بحر ساحل

ومشتملة على تقاريظ من علماء البلدة ناطقة لها بحسن الشهادة ولفعل مبدعها بالإجادة، وإني إذ نظرت من حال مؤلفها ومبتكرها ومصنّفها بحسب ما تنقله الثقات من انهماكه في المعاصي واللذات أقول: لا يبعد صدور مثل هذا ممن ختم الله على سمعه وقلبه وحالت حجب المعاصي بين التقوى وبين لبّه فلا غرو أن يقع في أعراض الأولياء من كان لله من الأعداء، لكن العجب ممن اشتهر بالعلم بين الأنام وشاع ذكره لدى الخاص والعام، كيف شهدوا له بأنه بما قيل أجاد وأنه هدى بذلك إلى سبيل الرشاد، وكتبوا بأيديهم كتباً ناطقة بتلك الشهادة واعتقدوا كما هو صريح كلامهم أن ذلك قربة وعبادة ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 79]. =

قطب الفريقين مولانا خالد ذي الجناحين قدّس سرّه مع ما رأيته مناسباً من

= ثم وقفت على شرحها المتكفل برد ما فيها من التلبيسات والصادع بالحق في إبطال هاتيك الترهات فرأيته شرحاً قد ألبسها ملابس الذل والهوان وكساها رداء الخيبة والخسران ونقض منها ما كان أبرمه وهدّ من أركانها ما أحكمه وقصم بأحكامه وثيق عراها ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاً أحصاها فأقصاها، كيف لا وهو صادر من مصدر الفضل والكمال ووارد من مورد المجد والإفضال، علامة الزمان وأوحد العصر والأوان فرع بيت أذن الله لقدره أن يرفع المعتصم بحبل الله الهادي أبي الفوز محمد أمين السويدي البغدادي، فلقد أتى بما تقرّ به أعين الناظرين وتزهو بسماعه آذان السامعين من فرائد فوائد يتحلى بها جِيدُ الزمان، ونفائس جواهر تهزأ بقلائد العقيان، وأبكار أفكار لم تدنس بعد بأيدي اللامسين وعرائس أنظار زفّت إليها مع تمنعها عن الخاطبين قد خالف فيه طريق الإنصاف وخالف سبيل الجور والاعتساف فلم يودعه إلاّ ما هو من المشهورات ولم يضمنه من البديهي إلاً ما هو من الأوليات، فقرّت به أعين الصالحين بل المسلمين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأنا الفقير إليه عزّ شأنه محمد سعيد بن محمد أمين أفندي
المدرِّس بجامع الخلفاء عفي عنه

«الرسالة السابعة لعالم بغداد»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، رافع ألوية الأئمة الأعلام، وناشر طرائق المشايخ الكرام، وقامع أهل البغي والانصرام، وراد كل حاسد بالانتقام، نشكره كلما ذكره الذاكرون، ونوحِّده كلما غفل عن ذكره الغافلون، ونصلِّي ونسلِّم على خير خلقه وهو المأمون، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن عاندهم وعاداهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 121].

وبعد: فقد رأيت رسالة باطلة قد لفقها بالأكاذيب رجل من الظلمة الجهلة في تكفير العالِم العامِل والعارف الكامل شيخ الوقت والطريقة ومعدن السلوك والحقيقة حضرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي قدّس سرّه سقيمة الألفاظ عديمة الصحة محشوة بالتزوير والبهتان والكلمات القبيحة فوجدتها من أقبح العظائم وأفضح الجرائم لا يرتكب أمثالها إلاّ شقي ويقشعر منها لبشاعتها بدن كل تقي. ثم رأيت شرحها المتكفل بردها على وجه الصواب مجيباً عن شبهها الواهية بأبلغ جواب مشتملاً على الحق الصحيح والنصح النصيح شهدت بجزالته العلماء الأعلام من أهل الحل والإبرام، شكر الله سعي مؤلفه وبوّأه من الفردوس أعلى غرفه ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزَاب: الآية 4].

وأنا الفقير إليه تعالى مصطفى المدرِّس والواعظ بالجانب الغربي في بغداد عفي عنه =

التعليق عليها فيما هو مطابق للغرض المقصود مضافاً إلى ذلك تعليق رسائل

=

«الرسالة الثامنة»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ويلهمه ذكره مع الأحباب، والصلاة والسلام على من جاء بالهدى ودفع الردى بأشرف كتاب وعلى آله وأصحابه الذين مدحهم في كثير من الآيات وعمّت بطريقهم البركات.

وبعد: فقد رأيت الرسالة الباطلة التي لفقها بعض الظلمة الجهلة ووافقه بالمداهنة عليها بعض المنسوبين إلى العلم من غير دليل فضلوا وأضلوا كثيراً عن سواء السبيل بتضمينها تكفير شيخ الوقت والزمان وعلاّمة العلماء ونخبة أساطين العرفان محيي السنة وقامع البدعة حضرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي قدّس سرّه. ثم رأيت شرحها الذي هو السهم الصائب فوجدته موافقاً لاسمه سليماً من المعائب متكفّلاً بردّ الشبهات مشتملاً على المقدمات البديهيات مقبولاً لدى المنصفين دامغاً بقواطع حُجَجِهِ مفارق المتعسفين، نشهد بأنه الحق الحقيق بالقبول شكر الله سعي مؤلفه وأبلغه المأمول.

وأنا الفقير إليه تعالى محمد أمين أفندي زادة محمد أسعد مفتي الحلة عفي عنه

وليكن هذا آخر ما وفّقنا لتحريره من التعاليق الحافلة بالفوائد النافعة والمباحث الجامعة التي سنحت في الخواطر وجالت في السرائر أثناء الطبع مع بعض ما عثرنا عليه من ردود الأفاضل الأعلام على من التهبوا حسداً وتميّزوا غيظاً وحنقاً قصداً لإطفاء نور الله عزّ وجلّ فأبى الله إلاّ أن يتم نوره فغشيهم من الهوان ما غشيهم، والحق يقال إن هؤلاء السادة الأعلام ما دفعهم إلى تحرير تلك الردود ونشرها في أنحاء البسيطة إلاّ الحمية الدينية والغيرة الإسلامية انتصاراً للحق ودحضاً للباطل وتبرئة لساحة قطب كان مجدِّد العصر وإمام الدهر مما نُسب إليه من قِبَل مَن لا خلاق لهم ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب: الآية 34]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية 62] فلا بد أن تظهر الحقيقة مهما حاول الأعداء القضاء عليها.

إن يحسدوه على علاه فإنما متسافل الدرجات يحسد من علا

على أن الذي حال بيني وبين نشر ما عثرت عليه من بقية ردود العلماء الأعلام الدالة على تنزيه حضرة مولانا خالد وسمو مقامه وعلو مكانته هو فقدان الورق نظراً لاصطلام نيران الحرب الحاضرة وتأججها في أرجاء العالم من كل صوب وحدب، فنسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يجعل نهاية تلك الحروب النصر والظفر والفوز للمسلمين وأن يُهلك أعداء الدين ببقاء دولة مولانا الخليفة الأعظم أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازي محمد رشاد خان، اللهمَّ انصره وانصر عساكره وأيده ورجاله ووزراءه بتأييد منك واجعل النصر حليفه والفوز والتوفيق قرينه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

لمؤلفه: أسعد صاحب

بعض الجهابذة الأفاضل من علماء عصره الأعلام الذين دفعوا بحججهم القاطعة وبراهينهم الساطعة مفتريات ذوي الأراجيف من أهل التزوير والتزييف، الذين دفعهم الحسد إلى ذلك ولم يراعوا إلاًّ ولا ذمة فيما هنالك كعثمان بك الجليلي وأمثاله من أهل البغي والعناد، المفطورين بدنائتهم على الافتراء والفساد، والمقترفين ببدعهم مآثم العباد، من يعبّر عنهم بالمشاغبين الضالين.

وكفاني فخراً بتوفيقي لدحض أقوالهم وتزييف أعمالهم فيما علّقته عليها من كشف مخبآتِهم وبيان ما يلزم من تراجم الكبراء من معاصريه وخلفائه وذويه فيه راجياً من أهل الحق والإنصاف أن ينظروا إلى هذا الأثر نظرة منصف عادل، ويمحصوا الحق من الباطل، ويتفحصوا بإمعان أقوال الفريقين ليأخذوا الحق وينبذوا المين.

على أن هذه الرسائل المعلقة على تلك المكاتيب المشتملة على تنزيه حضرة مولانا خالد قدّس سرّه المشتملة بلسانها العربي المبين على دحض أقوال المفترين الحاسدين قد حرّر حضرة مولانا الشيخ العم أيضاً نظيرها باللسان الفارسي بما يشتمل على غير ما تضمنته من الفوائد العرفانية والآداب المحمدية مما حرّره عربياً لأهل لسانه من الناطقين بالضاد مشفوعاً بفوائد جزيلة وإرشادات جليلة، وكان بودي إلحاقها كذيل لهذه الرسائل كما وعدت في ديباجتي لهذا الكتاب، ولكني أخيراً استحسنت إفرازها مستقلة بجزء قائم بذاته مع ما اشتملت عليه من ترجمة حياته وما صدر عنه من الكرامات الظاهرة والخوارق الباهرة المنطبقَة تمام الانطباق على الدين الحنيف المبين.

على أني ما كنت أتخيّل يوماً ما أن يوجد فرد واحد ممن يؤمن بالله وباليوم الآخر يزيغ عن الحق ويصير من أهل البغي وهو متزِّي بزيّ العلماء وينتمي لعترة خير الأنبياء مع كونه من أهل العباء حتى تأخذ به ألفحة مأخذها ويدفعه الحسد والغيظ إلى الاستعانة بمن حرموا من الفيض كعثمان بك الجليلي المشهور بالبغل الذي آل أمره إلى القتل بصفع النعل، فيشترك معه بالطعن على تكفير قطب زمانه ومجدِّد عصره وأوانه مَن كان أعظم مؤيد للدين، وأكبر مجدّد لطريقة أهل اليقين الذي دفعني إلى التعليق على دحض مفترياته وتزييف ترهاته.

وأسأله تعالى أن يجعل خاتمة هذا الكتاب مقرونة بنتيجة خير هذا الحرب بنصر مولانا الخليفة الأعظم أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازي محمد رشاد خان أعلى الله كلمته وأيّد شوكته ودولته، راجياً منه سبحانه وتعالى أن يؤيد رجال دولته العلية الفخام ووزرائها العظام، لا سيما صاحب الدولة أحمد جمال باشا قائد الفيلق الرابع وناظر البحرية المعظم الذي كان له اليد الطولى في تنشيط أهل العلم إلى إخراج مثل هذا الكتاب من حيز القوة إلى حيز الفعل مستميحاً من مكارم أهل الفضل أن يغضوا النظر عمّا وقع فيه من الخطأ والزلل فإن العصمة لله وحده.

إن تجد عيباً فسُدَّ الخَلَلا   جلّ مَن لا عيبَ فيه وعلا

وقد وقع الفراغ من طبع هذا الأثر النفيس على يد مؤلفه العبد الذليل الضعيف الفاني محمد أسعد صاحب زاده الخالدي النقشبندي العثماني، وذلك يوم الاثنين المصادف للثامن والعشرين من شهر ربيع الأول للسنة الخامسة والثلاثين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العزّ والشرف، والحمد لله ربّ العالمين.

* * *

مقالات العلّامة الدّجوي

في الردّ على التيميّين

في التوسُّل

أحسن وأجود مَن كتب في الردّ عليهم في مسألة التوسل بالأنبياء والصالحين في عصرنا هذا العلاَّمة المرحوم الشيخ يوسف الدجوي سلسلة مقالات نشرت في مجلة الأزهر حين كانت تسمى «نور الإسلام»، أذكرها بتصرُّف فيها.

حكم التوسُّل بالنبي ﷺ

س: نرجو من فضيلتكم التكرُّم بإزاحة الستار عن موضوع اهتزّت له الآراء وتطاحنت من أجله الجماعات رغبة في تمكين عرى العقيدة التي أقلقت الكثير، وهذا الموضوع هو التوسُّل بالنبي ﷺ إلى الله تعالى، فقد تكلَّم في هذا الموضوع الكثير وذهبوا مذاهب شتى حتى أن بعضهم يقول إنه إشراك... إلخ.

ج: التوسل بالنبي ﷺ جائز ونافع وكان ينبغي ألا يكون فيه شبهة، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة ـ كما ستقف عليه ـ عندما نفيض القول فيه بعد. ولكن (نغيث) أولئك الملهوفين (الذين توسلوا إلينا) بكلمة موجزة تأتي على الموضوع إجمالاً ونرجىء القول في التفصيل وبيان الأدلة إلى عدد آخر، فنقول:

إن تلك الطائفة ارتكبت شططاً وكفَّرت المسلمين لأوهى الأسباب غلطاً، والتكفير أمر كبير لا يصح لمسلم يشفق على دينه أن يقدم عليه خصوصاً للمستدلين والمتأولين، وإني لا أدري كيف يكفِّرون من يقول: إن الله خالق كل شيء، وبيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، والمتوسل ناطق بهذا في توسله، فإن المتوسل إلى الله تعالى بأحد أصفيائه قائل إنه لا فاعل إلاَّ الله، ولم ينسب إلى مَن توسل به فعلاً ولا خلقاً، وإنما أثبت له القربة والمنزلة عند الله

تعالى، وهي ثابتة لا شك فيها، وبها يشفع صلى الله تعالى عليه وسلم للخلائق يوم القيامة، وبهذا الاعتقاد الراسخ الذي يكاد يكون فطرياً في النفوس كلها ذهبت الخلائق يوم القيامة إلى الأنبياء والمرسلين ليشفعوا لهم عند الله تعالى، على أن المؤمن قد خرج من تلك الوساوس بمقتضى إيمانه بأن الله تعالى ليس له شريك، وأن لا إلٰه إلاَّ هو، حتى إننا لو رأيناه أسند شيئاً لغير الله عزَّ وجلَّ، علمنا بمقتضى إيمانه أنه من الإسناد المجازي لا الحقيقي.

وقد قررنا ذلك في نحو قوله: «أنبت الربيع البقل»، وفرّقنا بين صدوره من المؤمن وصدوره من الكافر، فالمستغيث لا يعتقد أن المُستغاث به من الخلق مستقل في أمر من الأمور غير مستمد من الله تعالى أو راجع إليه، وذلك شيء مفروغ منه، ولا فرق في ذلك بين الأحياء والأموات، فإن الله خالق كل شيء ولا تأثير عندنا لشيء في شيء بنفسه فهذا هو ما عليه جماعة أهل الحق.

وقد قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: الآية 72]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: الآية 15]، وقال تعالى: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النّساء: الآية 8] إلخ ما في الكتاب والسنَّة، وهو كثير في لسان الشرع ومعروف في بديهة الفطرة.

وأعجب العجب أنهم لا يتحاشون الإسناد إلى الجمادات ولا يمتعضون منه فيقولون: أرواني الماء وأشبعني الخبز ونفعني الدواء، فإذا سمعوا مثل ذلك الإسناد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قامت قيامتهم وتبجح سفهاؤهم، ويحسبون إنهم يحسنون صنعاً، وإنَّا نسألهم ـ وهم أكثر الناس ترامياً على الناس ـ هل تعتقدون أن من تسألونه في قضاء حاجاتكم خالق مع الله مستقل؟، فإذا اعتقدتم ذلك كنتم أولى بالإشراك، وإن قلتم إننا نذهب إليه ونسند له الفعل والإعطاء والمنع على سبيل المجاز والتسبُّب فإن الله تعالى جعله من الأسباب التي يجري عندها الخير ويخلقه، قلنا لكم إننا كذلك فلا فرق بيننا وبينكم، وإن فرّقتم بين الأحياء والأموات قلنا: لا فرق، فإن الفاعل في كل ذلك هو الله تعالى

لا الحي ولا الميت، وإذا كان التوسل في الحقيقة إنما توسل بمنزلة المتوسل به عند الله تعالى، والفاعل هو الله عزَّ وجلَّ لم يكن هناك معنى للتفرقة بين الحي والميت فإن منزلته ميتاً كمنزلته حياً، على أن تلك التفرقة لا ينبغي صدورها من مؤمن فضلاً عن عالم فإن الأرواح بعد موتها باقية مدركة فاهمة على نحو ما كانت عليه في حياتها أو أشد، ولذلك يتساءلون عن الأحياء ويفرحون ويحزنون بما يكون منهم ويدعون لهم إلى آخر ما جاء في السنَّة.

وقد دعا آدم عليه الصلاة والسلام وغيره لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج، وقد شرع لنا أن نخاطبهم خطاب الحاضر المشاهد في قولنا: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، ونخاطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل صلاة بقولنا: السلام عليك أيها النبي. وتعرض أعمالنا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فإن وجد خيراً حمد الله تعالى، وإن وجد شراً استغفر لنا، بل تعرض أعمالنا على آبائنا وأهلينا كما جاء في السنَّة، وقد رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موسى عليه الصلاة والسلام يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة وراجعه صلى الله تعالى عليه وسلم في أمر الصلاة وذكر له حال أُمَّتِه، وقد بلَّغنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم السلامَ عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد اجتمعت الأنبياء في بيت المقدس ليلة المعراج وخطبوا وقالوا وفعلوا، وسمع بعض الصحابة ذلك الميت الذي ضرب خباءه على قبره يقرأ سورة الملك إلخ ما جاء في السنَّة الغراء.

وقد أثبت ابن تيمية، وهو مرجعهم الوحيد ومؤسس مذهبهم، كرامات الأولياء في كتبه، وكذلك ابن القيم، وهو من أئمتهم، أثبت في كتاب الروح أنَّ الروح القوية كروح أبي بكر رضي الله تعالى عنه ربما هزمت جيشاً إلى آخر ما قال، وكذلك الشوكاني، وهو من أئمتهم أيضاً، أثبت جواز التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بل بغيره من الأولياء والعلماء وردّ على مَن قال بقصر الجواز عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ـ كالعز بن عبد السلام ـ فإن المدرك فيه واحد،

وهو مزية المتوسل به وقربه ومنزلته عند الله، وإن كان الشوكاني متناقضاً وغالطاً في التطبيق في أشياء كثيرة، على أنه لا يتخبط تخبط هؤلاء ولا يجهل جهلهم،

وقد أثبت التبرُّك بالآثار في نيل الأوطار، وعلى كل حال فلا يتم مذهبهم إلاَّ إذا أثبتوا أن من نادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو توسل به فقد جعله إلٰهاً مع الله.

فإن قالوا: إن ذلك من لوازم النداء والاستغاثة، قلنا لهم: إنكم إذاً أول المشركين وأكبر الضالين، فإنكم أكثر الناس استغاثة بالمخلوق، وقد قلنا ذلك إلزاماً ليجعلوا الإيمان قرينة على ما يصدر من المؤمن، وليس يتم لهم مذهب أيضاً إلاَّ إذا قالوا: إن الأرواح قد فنيت بالموت وكذبوا الكتاب والسنَّة التي أثبتت الحياة للأرواح كلها ـ حتى أرواح الكفار كما في حديث القليب وغيره ـ أو قالوا إنها باقية لكن ضاعت منزلتها عند الله تعالى ولا تستطيع أن تدعو الله تعالى في أمر من الأمور، أو سلبت منها قوتها وجميع مواهبها فلا يمكنها أن تعمل شيئاً، وكذبوا بذلك صرائح ما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والسلف الصالح اتِّباعاً لوساوسهم، فإذا قالوا ذلك وخالفوا المعقول والمنقول كانوا أجهل الجاهلين وأضلّ الضالين، ولا نطيل معهم القول في هذه العجالة بأكثر من هذا، وإنا والله نحب أن يكون المؤمنون أخوة كالبنيان يشد بعضه بعضاً قائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشر: الآية 10]، أسأل الله تعالى أن يزيل الشحناء والبغضاء التي تحلق الدين من قلوب المسلمين، وأن يرشد إخواننا المخالفين إلى ما فيه الخير والهدى، وألا يجعلهم فتنة للناس بمنه وكرمه.

يوسف الدجوي، من هيئة كبار العلماء بالأزهر

التوسل وجهلة الوهابيين

كتبنا في العدد الثامن كلمة موجزة في التوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه

وسلم وحذرنا غلاة الوهابية ومن حذا حذوهم من تكفير المسلمين وقلنا لهم: إن التكفير أمر عظيم لا ينبغي لمن يشفق على دينه أن يسارع إليه، وذكرنا من الأدلة على جوازه ما يخضع له المنصف ولا يماري فيه إلاَّ الجاهل المتعسف، فجاءتنا رسائل من جهلة الوهابيين كلها سب وإقذاع وليس فيها غير ذلك ولا غرو، فسلاح السفهاء بذاءة اللسان لا قوة البرهان.

وإني أبادر فأقول: إن كل ما يجد القارىء في مقالي هذا من كلمة لاذعة فإنَّا لا نقصد بها إلاَّ سفهاءهم وأراذلهم، وحاشا أن نقصد منهم عاقلاً أو كاملاً، فإن سبق القلم بغير ذلك فهو على غير قصد منا وإنما جرنا إليه جهل الجاهلين وجمود الجامدين:

وجرم جرّه سفهاء قوم فحلّ بغير جانيه البلاء

وقد خيل لأولئك السفهاء أنهم سينسفون الحق وأهله بسفاهتهم التي لا تزيدهم عندنا إلاَّ صغاراً واحتقاراً، ولا نقيم لها وزناً وإن تفننوا فيها، وكم في كلامنا من إشارات لم يفهموها ورموز لم يدروا المراد منها وإن ظنوا أنهم مبرزون فيما يكتبون.

إن العصافير لما قام قائمها توهمت أنها صارت شواهينا

ويعزّ عليَّ أن أقول: إن مجلة أم القرى ـ وإنَّا نحترمها كل الاحترام ـ كان فيها مقال طويل الذيل من هذا القبيل، وللحق والإنصاف نقول: إنه جاءنا رسالة من بعض المكيين تحت إمضاء (أ. د) سلك فيها الكاتب مسلك الأدب، ولم يقذع أقذاع أولئك الزعانف، وربما نشرناها وعلقنا عليها تحقيقاً للحق وإبطالاً للباطل.

أما اليوم فنقول: ليعلم القارىء الكريم أن إسناد الفعل تارة يكون لكاسبه كفعل فلان كذا وتارة يكون لخالقه كفعل الله كذا، والكل حقيقة في اللسان العربي، وقد جاء ذلك في القرآن الشريف: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البَقَرَة: الآية 213]، و﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ﴾ [الأعرَاف: الآية 178]، ومع هذا فقد قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى: الآية 52] وهو كثير معروف.

فإن منع أولئك الجهال الإسناد على وجه الاكتساب فهم مجانين، وإن ادعوا أن الواقع في كلام الناس هو الإسناد للخالق لا للكاسب فهي دعوى كاذبة لم يقم عليها برهان، وقد استباحوا بها دماء المسلمين جهلاً وضلالاً، ومن منع الإسناد على وجه الكسب سقطت مخاطبته وانقطع الكلام معه.

فمثلاً: الغوث من الله خلق وإيجاد، ومن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تسبب وكسب، وهذا على فرض أننا طلبنا الغوث منه صلى الله تعالى عليه وسلم مع أننا لم نفعل ذلك، ولو فعلناه لصح على طريق التسبب والاكتساب بطلب الدعاء منه عليه الصلاة والسلام وقد قالت أم إسماعيل عندما سمعت الصوت: «أغث إن كان عندك غواث» فأسندته إليه على سبيل الكسب، فكيف يجوز مع هذا تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم بالتوسل والاستغاثة؟ حتى على اصطلاحهم الذي نوافقهم عليه والنزاع في معان لا في ألفاظ.

وقد جاء في الحديث الصحيح: «من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلاً رجعت عليه»، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النّساء: الآية 94]، فإذا كان هذا في رجل لم يكن منه إلاّ مجرد السلام الذي هو تحية المسلمين.

فكيف بمن يتجاسر على خيار الأمة المحمدية ويكفِّرهم بالتوسل بالأنبياء والصالحين بشبه أوهَى من بيت العنكبوت، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطفّفين: الآية 6].

ومن المقرّر أن اليقين لا يزول بالشك وأنه يؤول للمسلم من وجه إلى

سبعين وجهاً ـ كما نص عليه النووي وغيره من العلماء ـ، ولست أدري هل يأخذ هؤلاء بظواهر العبارات أم بالمقصود منها؟، فإن كان التعويل عندهم على الظواهر كان قول القائل: «أنبت الربيع البقل، وأرواني الماء، وأشبعني الخبز» شركاً وكفراً.

وإن كانت العبرة بالمقاصد والتعويل على ما في القلوب التي تعتقد أنه لا خالق إلاّ الله، وأن الإسناد لغيره إنما هو لكونه كاسباً له أو سبباً فيه، لا لكونه خالقاً له، لم يكن شيء من ذلك كله كفراً ولا شركاً، ولكن القوم متخبطون، خصوصاً في التفرقة بين الحي والميت على نحو ما يقولون: «كأن الحي يصح أن يكون شريكاً لله دون الميت» أو كأن الأرواح تستمد قوتها وسلطانها من الأشباح لا العكس، ولكنهم ليسوا أهل منطق ولا برهان.

ثم انضم إلى ذلك الصلف المذموم والكبرياء الممقوت، فبماذا نخاطبهم، وعلى أي قاعدة نحاورهم؟ ولكننا نكتب لغيرهم عسى أن نقيه شَرَّ سمومهم التي ينفثونها فيما يكتبون، تبعاً لأسلافهم مطبقين الآيات التي نزلت في الكفار على المسلمين، مع أن الشاذ عن جماعة المسلمين أولى بالتكفير منهم وأقرب إلى الخطأ والضلال.

وهل يرضون أن نقول لهم إنكم مخالفون لسَلَفِ الأمة وخلفها اتباعاً لمن قبلكم؟

ثم نطبق عليكم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البَقَرَة: الآية 170]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القَصَص: الآية 50]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: الآيتان 8 – 9].

وعندنا من ذلك شيء كثير، وهل لنا أن نأخذ بظاهر هذا الحديث؟ وهو أصح مما تأخذون به، فنقول: إنكم كفرتم عندما رميتم المسلمين بالكفر، أو

نقول: إنكم من أولئك الذين يحقر أحدنا صلاته بجنب صلاتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أو نقول: إنكم من أولئك الخوارج الذين قال فيهم عبد الله بن عمر ـ كما في صحيح البخاري ـ: «إنهم عمدوا إلى آيات نزلت في المشركين فجعلوها في المسلمين»، أو نطبق عليكم قوله عليه الصلاة والسلام في أسلافكم الحروريين: «يقتلون أهل الإيمان ويتركون أهل الأوثان»، أو نقول: «ولا نريد إلاً أولئك الفظاظ الغلاظ الجامدين الجاهلين»، إنكم أعداء الله حيث أثبتُّم له الجهة وشبَّهتموه بخلقه.

وأعداء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث لم توقروه ولم تراعوا حرمته، وأعداء أولياء الله حيث حقرتموهم كل التحقير، وأعداء جميع المسلمين حيث استحللتم دماءهم وأموالهم حتى قتل أطفالهم من بنات وبنين وذلك شيء نهى عنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع أكفر الكفرة وأفجر الفجرة إلى آخر فظائعكم وشنائِعكم.

فيا أيها الناس، اتقوا الله في المسلمين، فنحن أحوج إلى الوئام والاتحاد أمام العدو الذي أجمعنا جميعاً على كفره وعداوته، بل اتقوا الله في أنفسكم، واعلموا أن النفس أمارة بالسوء وأن من اتبع هواه ضلّ عن سبيل الله، ولو سلكنا مسلككم واتبعنا خطتكم وقابلنا السيئة بالسيئة لقلنا لمن يريد نصحكم ـ ونحن يائسون منكم ـ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: الآية 44]، وعلى نهجكم كان يمكننا أن نسير ولكن ديننا أعزّ علينا من أعراضنا التي نهشتموها ودمائنا التي استبحتموها، ولعمر الله لقد صيرتم الإسلام بذلك ناراً مضطرمة على وجه الأرض لا دين يسر وسلام كما جعله الله، بل صار دين جهالة وجمود مع أن نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيّاتكم».

وإنّا لنعلم أن الفرق الضالة كلها تستدل بالقرآن على نحلها ونزعاتها، فلا

يغرنكم ما تستدلون به من الآيات في غير محل الاستدلال مطبقين إياها على المسلمين خطأ وجهلاً ـ كما فعل أسلافكم ـ فإن ذلك لا يغني عنكم من الله شيئاً.

والناجي من نجّاه الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: الآية 17].

ولا أدري لماذا قامت قيامتكم؟ وقد قلنا إننا نعتقد في توسلنا أن الله هو الفاعل، ولسنا نطلب من غيره فعلاً ولا عملاً، ولكن نسأله بمنزلة النبي عنده، وتلك المنزلة ثابتة له في الدنيا والآخرة، وبها نذهب إليه للشفاعة يوم القيامة، وذكرنا وجوهاً أخرى هي في غاية الوضوح لا داعي لإعادتها، وسنفيض بعدُ فيما يقنع المناظر ويقحم المكابر، فما ذلك الشرك الذي شغفتم بذكره؟ وما ذلك التكفير الذي جننتم برمي المسلمين به؟.

وسنذكر من أدلة التوسل ما يلقمكم الحجر ونبيِّن لكم أن آية: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الأنفال: الآية 72] ما ذكرناها إلاَّ لما قاله بعض أئمتكم وستسمعونه بعد، ولأننا لا نستبعد منكم شيئاً مما يعقل وما لا يعقل، ولأن التفرقة بين الأحياء والأموات في هذا المقام غير صحيحة، فإن الطلب من الله والفعل لله لا من المستغاث به على أنه يستطيع أن ينفعنا بدعائه على ما نوضحه أتم توضيح.

ولنقتصر على هذا ونورد لكم شيئاً عن الأرواح وعملها بعد الموت مما قاله ابن القيم، وشيئاً عن التوسل مما قاله الشوكاني ـ وهما من أئمة الوهابية الذين يرددون كلامهم في كل موطن ـ، بل ما تراه لهم من علم أو ما يشبه العلم، فإنما هو لابن تيمية وابن القيم والشوكاني واحداً بعد واحد كالببغاء أو كالحاكي للصوت ـ الفنوغراف ـ، وليتهم كان لديهم من الأمانة ما للفنوغراف، وهذا هو كلام ابن القيم في الأرواح بعد موتها:

عمل الأرواح بعد الموت

قال ابن القيم في كتاب الروح: إن للأرواح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه في التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعان الصعود إلى الله تعالى والتعلق به سبحانه وتعالى ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه بسبب انغماسها في شهواتها.

فإذا كان هذا في عالم الحياة الأرضية، وهي محبوسة في بدنها، فكيف إذا تجردت عنه وفارقته؟ واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل نشأتها روحاً عالية زكية كبيرة ذات همة عالية، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر.

وقد تواردت الرؤى في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالاً لا تقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد، والفيالق بالعدد القليل جداً ونحو ذلك، وقد رؤي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في النوم، وقد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلتهم، هذا ما قاله ابن القيم، فانظر فيه مع ما يقول هؤلاء، ولا تنسى أنه ليس لهم علم ولا شبه علم إلا ما يقوله ابن تيمية وابن القيم، وأنهم قاصروا الاطلاع كما أنهم قاصروا العقل.

التوسل في رأي الشوكاني

وقال الشوكاني ـ وهو عندهم معتبر ـ: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه ما لفظه: «والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر وإما مخطىء ضال».

أقول: فليكن النزاع فيما هو اللائق به وما يقدر عليه وفيما لا يليق به ولا يقدر عليه، ولا شك أنه قادر على أن يدعو لنا وهو في البرزخ ـ كما قال في

الحديث الذي ستعلم صحته ـ: «تعرض عليَّ أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت لكم»، ولنرجع إلى تتميم كلام الشوكاني، قال الشوكاني: «وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا»، هذا ما قاله.

وإني أكرِّر لفت نظرك إلى أنه يجب أن يكون البحث إذاً في تحقيق ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه، وقد علمت أنه قادر على أن ينفعنا وهو في البرزخ بدعائه كما كان في الدنيا، فليكن محل النزاع هو كونه قادراً أو غير قادر، على أنه لا وجه للشرك على كل حال.

ثم قال الشوكاني: وفي سنن أبي داود أن رجلاً قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: إنَّا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله، فقال: «شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه»، فأقرّه على قوله: ونستشفع بك على الله، وأنكر عليه قوله: نستشفع بالله عليك، إلى أن قال:

وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام:

إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلاّ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، إن صح الحديث فيه، ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي في صحيحه وابن ماجه وغيرهم: إن أعمى أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أصبت في بصري، فادع الله لي، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «توضأ وصلِّ ركعتين. ثم قال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد إني أستشفع بك في ردّ بصري، اللهم شفِّع النبي فيَّ»، وقال: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك»، فردّ الله بصره، وإني ألفت نظرك إلى قوله: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك».

ثم قال الشوكاني: وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى

الله تعالى عليه وسلم ـ كما زعمه الشيخ عزد الدين بن عبد السلام ـ لأمرين:

الأول: ما عرّفناك به من إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

والثاني: أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلّا بأعماله.

فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركاً كما يزعمه المتشدِّدون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه لم تحصل الإجابة من الله لهم ولا سكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، وإني أرجوك أن تمعن النظر في جعله ابن عبد السلام متشدِّداً مع قوله بجواز التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم، غاية الأمر أنه قصر ذلك عليه.

ثم قال الشوكاني: وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون للتوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والصالحين من نحو قوله تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: الآية 3]، ونحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجنّ: الآية 18]، ونحو قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الرّعد: الآية 14] ليس بوارد، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه.

فإن قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: الآية 3] مصرّح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسِّل بالعالِم مثلاً لم يعبده بل علم أن له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجنّ: الآية 18] فإنه نهى أن يدعى مع الله غيره، كأن يقول: يا الله يا فلان، والمتوسل بالعالم مثلاً لم يدع إلّا

الله، وإنما وقع منه التوسل إليه بعمل صالح عمله بعض عباده، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الرّعد: الآية 14] الآية، فإن هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم، ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسل بالعالِم مثلاً لم يدع إلاّ الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه، فإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع.

إلى أن قال: والمتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة لله جل جلاله في أمر، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبياً أم غير نبي فهو في ضلال مبين.

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية 128]، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعرَاف: الآية 188]، فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أمر الله شيء، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً فكيف يملك لغيره؟ وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء.

وقد جعل الله لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبوه منه، وقال له: «سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّع».

إلى أن قال: وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 214] يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً، فإن هذا ليس فيه إلاّ التصريح بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستطيع نفع من أراد الله ضرّه ولا ضرّ من أراد الله نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله تعالى، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه إلاّ

يتوسل به إلى الله تعالى، فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو متفرِّد بالعطاء والمنع، هذا كلام علمائهم الذين يقدمونهم على علماء المذاهب الأربعة، على أن لهم مع هذا شذوذاً لا نوافقهم عليه في كثير من المواضع، ولكن أتباعهم الذين لم يتذوقوا العلم إلاَّ منهم ولم يتشدقوا بما يشبه الحق إلاَّ بفضل كتبهم التي لا يستقون الدين والهدى إلاَّ منها، وليس وراءها لديهم علم ولا دين يجب عليهم ألا يخالفوهم في ورد ولا صدر، وأن يكون كلامهم حجة عليهم، كما كان الحجة لهم.

ويكفي هذا اليوم، وسنذكر من الأدلة الصحيحة الصريحة ما يدل على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز التوسل به قبل وجوده وبعد وجوده في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة.

وقد وعدناهم في كلمتنا الأولى بذكر الأدلة وتمام التفصيل ولكنهم قوم لا يفقهون، وكثيراً ما تراهم إذا أرادوا أن يردوا علينا أو على غيرنا قرروا مذهبهم ـ ونحن أعرف به منهم ـ متخيلين أن الأدلة يرد عليها بالدعاوى غير المبرهنة.

وحيث عجزوا عن الاستدلال، فلنتبرع نحن بإقامة الأدلة على فساد كل دعاويهم ـ حتى دعوى التفرقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ـ وإن كان عجز المدعي عن إثباتها كافياً في سقوطها، فلينتظروا ما يخزيهم في الأعداد المقبلة إن شاء الله تعالى.

يوسف الدجوي من هيئة كبار العلماء

التوسُّل وجَهَلَة الوهابيين

قلنا في العدد السابق: إنه لا بأس أن نتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونستغيث به في حياته وبعد مماته، لأن التوسل إنما هو بمنزلته عند الله، وهي ثابتة له في الدنيا والآخرة، والمطلوب منه هو الله تعالى، على أنَّا لو طلبنا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتشفع لنا عنده تعالى لصحّ عقلاً ونقلاً، فإنه يمكنه وهو في البرزخ أن يسأل الله لنا كما كان يسأله في حياته.

وقد قلنا: إن الأرواح بعد الموت باقية فاهمة مدركة، بل نقلنا عن إمامهم ابن القيم أن للروح بعد مفارقة الجسد أعمالاً تعملها ـ في هذا العالم ـ لا يمكنها أن تعملها حال اتصالها بالبدن إلى آخر ما نقلناه عنه، وهو معقول جداً، فإنّ الأرواح لم تستمد قوتها من الأشباح حتى تذهب قواها وخصائصها بمفارقتها، بل الأشباح هي التي تستمد حياتها وأفاعيلها من الأرواح، فما هذا الاشتباه الذي أدّى إلى قلب الحقائق ومصادمة المعقول والمنقول؟، على أن تخصيص الجواز بالحي دون الميت أقرب إلى إيقاع الناس في الشرك، فإنه يقتضي أن للحي فعلاً يستقل به دون الميت، فأين هذا من قولنا: أن الفعل في الحقيقة لله لا للحي ولا للميت؟.

ومن أمعن النظر في كلامهم لم يفهم منه إلاّ مذهب المعتزلة في الأحياء، ومذهب الذين يئسوا من أصحاب القبور في الأموات، وعلى كل حال فالغفلة عن الفاعل الحقيقي وتخيل أن الفاعل غيره أظهر في الأحياء منه في الأموات.

وقد نقلنا لك كلام الشوكاني ـ وهو من أئمتهم ـ في التوسل ورده على العز

ابن عبد السلام في تخصيص جواز ذلك بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال: إنه لا فرق بينه وبين غيره.

ولنقل على سبيل التنزل، عسى أن ينقطع النزاع بيننا وبينهم: لماذا لا تجعلون التوسل بالولي أو النبي توسلاً بعمله الصالح؟ فإنك تتوسل بالولي من حيث هو وليّ مقرّب إلى الله تعالى وما تقرّب إليه إلاّ بما أحبه من صالح الأعمال.

وسؤال الله بالأعمال الصالحة مجمع على جوازه منا ومنكم، وستسمعون أكثر من هذا.

ولنذكر لكم عبارة ابن قدامة ـ وهو من كبار الحنابلة الذين أنتم على مذهبهم ـ وقد قال فيه ابن تيمية: إنه لم يدخل الشام بعد الأوزاعي أفضل منه، فلعله يحرّك منكم الإنصاف أو يذكركم بمذهبكم إن كان لكم مذهب ـ كما تدّعون ـ، نريد أن نحاكمكم إلى العقل تارة وإلى ما قاله الشوكاني وابن القيم وأئمة الحنابلة تارة أخرى، وليت شعري هل يفيد شيء من هذا؟

* بكل تداوينا فلم يشف ما بنا *

وقد قال الله في حق قوم أشربوا في قلوبهم التعصب والعناد: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: الآية 146].

وسر ذلك كما بيّن الله أنهم كانوا يتكبّرون في الأرض بغير الحق، وأي تكبُّر أعظم من تكبُّر من يحتقر جميع المسلمين ويعتقد أن لا ناجي غيره؟، ولكنا نكتب لغير جهلة الوهابيين كي نقيه من عدواهم، وللمنصفين منهم كي يرجعوا إلى الحق.

أما عبارة ابن قدامة الحنبلي في مغنيه الذي هو من أجلّ كتب الحنابلة أو أجلّها على الإطلاق.

فهناك نصها: قال في صفة زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم في صفحة (590) من الجزء الثالث:

تأتي القبر فتولّي ظهرك للقبلة، وتستقبل وسطه وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه.

إلى أن قال: اللهم أجز عنا نبيَّنا أفضل ما جازيت به أحداً من النبيين والمرسلين وابعثه المقام المحمود الذي وعدته يغبطه به الأولون والآخرون. إلى أن قال: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 64] وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربي.

فانظر إلى استشفاعه به وهو في قبره الذي يحرّم الوهابيون شدّ الرحال إلى زيارته، وأظن أنهم لا يجرأون على التفرقة بين الاستشفاع والتوسل وإن كنا لا نستبعد منهم ما يعقل وما لا يعقل، كما نعتقد أنهم لا يفهمون ما يفهمه الناس من أن الزائر يستغفر والرسول يستغفر أيضاً وهو في البرزخ، وإلاَّ فلا معنى لإيراد هذه الآية ولا بُعْدَ في استغفاره بعد موته.

فقد ورد في الحديث الصحيح: «تعرض عليَّ أعمالكم»، أي بعد الموت «فإن وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت شرّاً استغفرت لكم»، وقد أطال المناوي وغيره في تصحيح هذا الحديث.

فأنت ترى إثبات الاستغفار لنا بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بنص الحديث، وفي شرح المقنع المطبوع مع المغني صفحة (495) مثله بالحرف وفيه زيادة على ذلك نصها: روى الدارقطني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»، وفي رواية: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» اهـ.

والدارقطني من أعظم المحدِّثين تحرياً وأكثرهم تشدُّداً في الحديث.

وقد وافق على حديث الزيارة كغيره من الحفّاظ النقّاد كما بيّنه السبكي في «شفاء السقام» بما لا مزيد عليه.

فهذا كلام الحنابلة الأول المتبعين لمذهب الإمام أحمد المتمسكين بسنّة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبته كسائر علماء المذاهب.

ولنذكر لك بعد هذا شيئاً مما وعدنا به من أدلة التوسل من السنّة الصحيحة فنقول:

جواز التوسل وحسنه معلوم لكل ذي دين، وكأنه مركوز في الفطر الإنسانية أن يتوسل إلى الله بأنبيائه وأصفيائه والمقرّبين لديه، ولذلك يذهب الناس إلى الأنبياء كي يشفعوا لهم لمنزلتهم عنده تعالى، وإن كان الله أقرب إليهم من حبل الوريد، واتباع كل نبي كانوا يتوسلون إلى الله بذلك النبي.

وقد ثبت التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وجوده وبعد وجوده في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة. أما التوسل به قبل وجوده فيدل له ما أخرجه الحاكم وصححه ولم يتعقبه الذهبي في كتابه الذي تعقب به الحاكم في مستدركه.

وقد صح عن مالك ـ الإمام أيضاً ـ على ما رواه القاضي عياض في الشفاء أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة توسل إلى الله بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال له: من أين عرفت محمداً ولم أخلقه؟ فقال: وجدت اسمه مكتوباً بجنب اسمك فعلمت أنه أحب الخلق إليك، فقال الله: إنه لأحب الخلق إليّ وإذ توسلت به فقد غفرت لك. وقال مالك للمنصور وقد سأله: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؟ فقال له الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك إلى الله ووسيلة أبيك آدم، يشير إلى ذلك الحديث.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البَقَرَة: الآية 89]: إن قريظة والنضير كانوا إذا حاربوا مشركي العرب استنصروا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان فينتصرون عليهم، وهو مروي عن ابن عباس وقتادة وغيرهما، فأنت تراهم سألوا الله به قبل وجوده.

وأما التوسل به بعد وجوده في حياته فلا أظن أن أحداً يماري فيه، فقد كانوا يذهبون إليه في كل شدة إذا أجدبوا أو نزلوا منزلاً فلم يجدوا به ماء، وعندما يمسهم ضرّ أو كرب مما لا يسعنا الإفاضة فيه الآن، وإن أنكره منكر ملأنا له الدنيا أدلة وبراهين، وإن سموا بعضه استغاثة فلا ضرر فإنه يثبت المطلوب بالطريق الأولى ويرد عليهم على كل حال، والنزاع ليس في ألفاظ وعبارات ـ كما قلنا في العدد السابق ـ، ولكن نسوق لك الآن حديثاً صحيحاً أخرجه الترمذي وصححه النسائي والبيهقي والطبراني بأسانيد صحيحة ـ اعترف بها الحفاظ ـ حتى الشوكاني ـ.

رووا جميعاً عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً أعمى جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وهم جلوس معه، فشكا إليه ذهاب بصره فأمره بالصبر، فقال: ليس لي قائد، وقد شق عليَّ فقد بصري، فقال له: «ائت الميضأة فتوضأ ثم صلِّ ركعتين ثم قل: اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم شَفِّعْهُ فيَّ»، وفي رواية: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك».

قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرّق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً كأنه لم يكن به ضرّ، هذا هو الحديث الصحيح الصريح الذي يقطع النزاع، ولكن السخيف المتعصب لا يعْدِمُ خيالاً فاسداً وكلاماً فارغاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: الآية 54] فلننتظر حتى يتخيل.

وإني ألفت نظرك إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «فإن كان لك حاجة

فمثل ذلك وإلى ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غائب، ونداء الأموات شرك عند الوهابيين».

وأما التوسل به بعد وفاته فيمكننا أن نستدل عليه بهذا الحديث، فإن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك» صريح في جوازه بلا قيد ويدل له أيضاً ما رواه الطبراني والبيهقي والترمذي بسند صحيح عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان زمن خلافته في حاجة له فكان لا يلتفت إليه، فرجا عثمان بن حنيف أن يكلمه في شأنه، فعلَّمه الدعاء المذكور فتوضأ وصلى ثم دعا به كما علَّمه، ثم جاء إلى باب عثمان فأخذه الخادم وأدخله عليه فأجلسه بجانبه على الطنفسة ثم قضى حاجته وقال له: وإذا عرضت لك حاجة فأتنا، فلما قابل الرجل عثمان بن حنيف قال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته فيها، فقال له: والله ما كلمته، ولكني كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليه أعمى، وذكر الحديث.

هذا وقد توسل صلى الله تعالى عليه وسلم بالأنبياء بعد موتهم كما في الحديث الصحيح، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، وكانت رَبَّتْ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، دخل عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس عند رأسها ثم قال: رحمك الله يا أمي بعد أمي، وذكر ثناءه عليها، ثم كفّنها ببردته وأمر بحفر قبرها، قال: فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال: «الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسّع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين». أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح.

وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله تعالى عنه مثل ذلك، وروى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله تعالى عنه.

ثم نقول: إنهم كانوا يتبرّكون بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته، فقد ثبت أنه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم جبة عند أسماء بنت أبي بكر كانوا يستشفون بها، ولا معنى لهذا إلاّ أنهم كانوا يتوسلون بآثاره إلى الله تعالى فيشفيهم ببركتها، والتوسل يقع على وجوه كثيرة لا على وجه واحد ـ كما يفهمه هؤلاء ـ، أفتراهم يتوسلون بآثاره ولا يتوسلون به، وفي الباب شيء كثير لعلنا نذكره بعد.

أما توسل عمر بالعباس حين استسقى به دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلكون ذلك هو سنَّة الاستسقاء، ولكون العباس من ذوي الحاجات للمطر، أو لكون عمر أراد أن يبيِّن للناس أنه يجوز التوسل بغيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفضله أو لقرابته منه عليه الصلاة والسلام، أو لخوفه على ضعفاء المسلمين وعوامهم إذا تأخر المطر بعد التوسل، أو ليدلهم على أن التوسل بالمفضول جائز مع وجود الفاضل وإلاّ فعليّ أفضل من العباس وكذا عمر، على أن البيهقي في دلائل النبوة أخرج ما يأتي، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار خازن عمر رضي الله عنه قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام، فقال: ائت عمر فاقرأه السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس. فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضي الله عنه، ثم قال: يا رب ما آلوا إلاّ ما عجزت عنه. ومحل الاستشهاد في هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وإقرار عمر إياه على ذلك.

هذا وأحب أن تتذكر ما قلناه من أن المسؤول هو الله تعالى لا فاعل غيره

ولا خالق سواه، وإنما نسأله بمنزلة حبيبه لديه ومحبته له، وذلك شيء ثابت لا يتغير في الدنيا ولا في الآخرة، ومن شك في منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم عند ربه جلّ وعلا فقد كفر.

على أن قول عمر بمحضر من الصحابة: أنا أتوسل إليك بعم نبيك، يدل على جواز التوسل بالمنزلة وإلاَّ لم يكن له معنى، وأي حاجة إليه إذا كان المقصود دعاء العباس؟ أما التوسل به في عرصات القيامة فلا حاجة للإطالة فيه فإن أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر، وفيها أن الناس يذهبون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة، إلى آخر ما هو معروف.

والخلاصة: أنه مما لا شك فيه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له عند الله قدر علِّي ومرتبة رفيعة وجاه عظيم، فأي مانع شرعي أو عقلي يمنع التوسل به؟ فضلاً عن الأدلة التي تثبته في الدنيا والآخرة، ولسنا في ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين إلاَّ إياه، فنحن ندعوه بما أحب أياً كان، فتارة نسأله بأعمالنا الصالحة لأنه يحبها، وتارة نسأله بمن يحبه من خلقه كما في حديث آدم السابق وكما في حديث فاطمة بنت أسد الذي ذكرناه، وكما في حديث عثمان بن حنيف المتقدم، وتارة نسأله بأسمائه الحسنى كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أسألك بأنك أنت الله» أو بصفته أو فعله كما في قوله في الحديث الآخر: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك»، وليس مقصوراً على تلك الدائرة الضيقة ـ كما يعتقد الجاهلون ـ، وسر ذلك أن كل ما أحبه الله صحَّ التوسل به، وكذا كل من أحبه من نبي أو وليّ وهو واضح لدى كل ذي فطرة سليمة ولا يمنع منه عقل ولا نقل بل تضافر العقل والنقل على جوازه.

والمسؤول في ذلك كله الله وحده لا شريك له لا النبي ولا الولي الحي ولا الميت: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النِّساء: الآية 78].

وإذا جاء السؤال بالأعمال، فبالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولى، لأنه أفضل المخلوقات، والأعمال منها، والله أعظم حباً له صلى الله تعالى عليه وسلم من الأعمال وغيرها.

وليت شعري ما المانع من ذلك؟ واللفظ لا يفيد شيئاً أكثر من أن للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدراً عند الله تعالى، والمتوسل لا يريد غير هذا المعنى، ومن ينكر قدره عند الله فهو كافر كما قلنا، ولو كنا مثلهم نأخذ بالمظنة ونسارع إلى تكفير المسلمين لأمكننا أن نقول لهم: إن من لا يعرف قدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولى بالإشراك ممن عرفه، ومن استباح دماء المسلمين أقرب إلى الضلال ممن استبرأ لدينه وعرضه.

وبعد: فمسألة التوسل تدور على عظمة المسؤول به ومحبته، فالسؤال بالنبي إنما هو لعظمته عند الله أو لمحبته إياه، وذلك مما لا شك فيه، على أن التوسل بالأعمال متفق عليه منا ومنهم، فلماذا لا نقول أن من يتوسل بالأنبياء أو الصالحين هو متوسل بأعمالهم التي يحبها الله تعالى؟ وقد ورد بها حديث أصحاب الغار، فيكون من محل الاتفاق، ولا شك أن المتوسل بالصالحين إنما يتوسل بهم من حيث إنهم صالحون فيرجع الأمر إلى الأعمال الصالحة المتفق على جواز التوسل بها كما قلنا في صدر المقالة.

يوسف الدجوي، من هيئة كبار العلماء

التوسل والاستغاثة

لا تزال الرسائل واردة علينا بشأن التوسل طلباً للتوضيح والإسهاب، وقد ذكر بعض مرسليها أن من الناس من يكفِّر المتوسلين برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي سنتوسل به جميعاً يوم القيامة على ما نطقت به الأحاديث الصحيحة، ولو قالوا أن في المسألة تفصيلاً أو أن بعض العبارات التي يقولها المتوسلون أو الزائرون ينبغي التحاشي عنها وتعليمهم ما يصح أن يقولوه في توسلهم أو عند زيارتهم، لقبلنا منهم ذلك وشكرناهم عليه، ولكنهم أفرطوا كل الإفراط فرأينا أن نفيض القول في ذلك، فلعلنا بزيادة التقرير والتكرير نزيل تلك العقيدة التي هي أخطر شيء على الإسلام والمسلمين، ولنجعل الكلام معهم في مقامين حتى نفحمهم بالمعقول والمنقول فنقول:

الكلام معهم من جهة الدليل العقلي وما نضطر إليه من الدليل النقلي: قبل الخوض في الموضوع نشترط عليهم أن يصبروا صبر المرتاضين بصناعة المنطق العارفين بقوانين المناظرة، فلا يخرجوا عن الفرض الذي نفرضه حتى نتمّ الكلام فيه، وأن يعرفوا موضوع البحث فلا ينتقلوا عنه إلى غيره وسنفرض الفروض كلها ثم نبطلها واحداً واحداً، ولينظروا حتى لا يختلط المعقول بالمنقول ولا المنقول بالمعقول وسنوفي كلاً حقه إن شاء الله تعالى، وعسى أن لا يكونوا بعد ذلك ممن يسلم المقدمات وينازع في النتيجة، فنقول:

هؤلاء إن كانوا يمنعون التوسل والاستغاثة ويجعلونهما شركاً من حيث أنهما توسل واستغاثة، فاستغاثة المظلوم بمن يرفع ظلمه إذاً شرك، واستغاثة الرجل بمن يعينه في بعض شؤونه شرك، واستغاثة الملك بجيشه في الحروب

شرك، واستغاثة الجيش بالملك فيما يُصلح أمره شرك، بل نقول: يلزمهم على هذا الفرض أن طلب المعونة من أرباب الحِرَف والصنائع التي لا غِنى للناس عنها شرك، وطلب المريض للطبيب شرك، بل يلزم بناء على تلك الكليات التي تقتضيها الحيثية أن استغاثة الرجل الإسرائيلي بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وإجابته إياه كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القَصَص: الآية 15]، شرك، إلى غير ذلك مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل.

هذا كله إن كانوا يقولون إنها شرك من حيث إنها استغاثة بغير الله تعالى كما فرضنا، فإن قالوا: إن الاستغاثة والتوسل بالأموات شرك دون الأحياء، قلنا لهم: لا معنى لهذا بعد أن سلمتم أن الاستغاثة بغير الله من الأحياء ليست بشرك، وبعدما ورد به القرآن ووقع عليه الإجماع في كل زمان ومكان، ولا معنى لأن يكون طلب الفعل من غير الله شركاً تارة وغير شرك تارة أخرى، فإن فيه نسبة الفعل لغير الله على كل حال، وإن قالوا: إننا لا نعتقد التأثير الذاتي للحي، فإن وجد ذلك الاعتقاد فيه كان شركاً وإلاَّ فلا، قلنا: فلا فرق إذاً بين الأحياء والأموات فتفرقتكم بين الحي والميت لا دليل عليه من العقل ولا من النقل.

فلو استظهرتم بالثقلين على إثباتها عن السلف الذين جعلتموهم مِجَناً لأهوائكم الفاسدة لم تستطيعوا فضلاً عن إثباتها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فضلاً عن إثباتها من كتاب الله تعالى، وإن كان مناط المنع هو تلك السببية الظاهرة التي تفهم من ظواهر الألفاظ، وجب أن يكون ذلك كله شركاً، حتى طلب الرجل من أخيه أن يعينه في الحمل على دابته أو بناء داره أو حفر نهره إلى غير ذلك كما أوضحنا في الفرض الأول، فإن قالوا: إننا ننسب تلك الأفعال والتأثيرات إلى الأحياء معتقدين أن الخلق والإيجاد ليس إلاَّ لله تعالى وأن الحي ليس له إلاَّ الكسب.

قلنا: كذلكِ من يطلب من الأموات أو يتوسل بهم، والقرينة فيهما واحدة

يناديها وإغاثة من يستغيث بها كالأحياء سواء بسواء، بل أشد وأعظم.

وقد ذكرنا لك فيما سبق عن ابن القيم أن الأرواح القوية كروح أبي بكر وعمر ربما هزمت جيشاً إلى آخر ما ذكرناه، فإن كانوا لا يعرفون إلاَّ المحسوسات ولا يعترفون إلاَّ بالمشاهدات فما أجدرهم أن يسموا طبيعيين لا مؤمنين، على أننا نتنزل معهم ونسلِّم لهم أن الأرواح بعد مفارقة الأجساد لا تستطيع أن تعمل شيئاً، ولكن نقول لهم:

إذا فرضنا ذلك وسلمنا جدلاً قلنا: أن نقرر أنه ليست مساعدة الأنبياء والأولياء المستغيثين بهم من باب تصرف الأرواح في هذا العالم على نحو ما قدمنا، بل مساعدتهم لمن يزورهم أو يستغيث بهم بالدعاء لهم كما يدعو الرجل الصالح لغيره، فيكون من دعاء الفاضل للمفضول أو على الأقل من دعاء الأخ لأخيه، وقد علمت أنهم أحياء يشعرون ويحسون ويعلمون، بل الشعور أتم والعلم أعم بعد مفارقة الجسد لزوال الحجب الترابية وعدم منازعات الشهوات البشرية.

وقد جاء في الحديث: إن أعمالنا تعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فإن وجد خيراً حمد الله تعالى وإن وجد غير ذلك استغفر لنا.

ولنا أن نقول: إن المستغاث به والمطلوب منه الإغاثة هو الله تعالى، ولكن السائل يسأل متوسِّلاً إلى الله بالنبي أو الولي في قضاء حاجته، فالله هو الفاعل والسائل سأله تعالى ببعض المقربين لديه الأكرمين عليه، فكأنه يقول:

أنا من محبيه ـ أو محسوبيه ـ فارحمني لأجله، وسيرحم الله كثيراً من الناس يوم القيامة لأجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء بالشفاعة.

وبالجملة فإكرام الله لبعض أحباب نبيه لأجل نبيه بل بعض العباد لبعض أمر معروف غير مجهول، فمن ذلك الذين يصلُّون على الميت ويطلبون من الله

أن يكرمه ويعفو عنه لأجلهم بقولهم: وقد جئناك شفعاء فشفِّعنا فيه، ومن ذلك أيضاً إكرام الغلامين اليتيمين باستخراج الكنز من تحت جدارهما لصلاح أبيهما.

ومن ذلك أيضاً إلحاق الذرية الناقصين في الأعمال بدرجات آبائهم الكاملين فيها.

والمقصود من ذلك كله إثبات أن الله يرحم بعض العباد ببعض على أن توجه الإنسان إلى النبي أو الولي والتجاءه إليه تحسّ به روح النبي والولي تمام الإحساس وهو كريم ذو وجاهة عند الله تعالى.

وقد قال تعالى في كليمه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: الآية 69]، وقال تعالى في عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 45]، فتعتني تلك الروح بذلك الملتجىء أشد الاعتناء في تسديده وتأييده والدعاء له هي والملائكة الذين يجلِّونها ويحبون مسرتها ورضاها.

والأنبياء والأولياء محبوبون للملائكة بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه» إلى آخر الحديث. وأن الملائكة عليهم الصلاة والسلام لتقول للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [فُصّلَت: الآية 31]، كما نص على ذلك القرآن الشريف، وذلك سرّ التوجه إلى الأولياء وزيارتهم لتتنبه أرواحهم لحال الزائر وتلتفت إلى معونته بما أعطاهم الله تعالى من الخصائص، كما تنفع أخاكَ بما أعطاك الله من قوة أو وجاهة أو مكانة أو ثروة أو أعوان أو أنصار إلى آخره، وأن الإنسان هو هو في الدنيا والآخرة من حيث روحه التي هي باقية في العالمين، وليس الإنسان إنساناً إلاَّ بها كما شرحنا، والأمر جلي:

* ولكنها الأهواء عمَّت فأعْمَت *

ولنرجىء تتميم المقام الثاني، فربما طال الكلام فيه لعدد آخر إن شاء الله تعالى.

والخلاصة: أن المستغيث لا يكفر إلاَّ إذا اعتقد الخلق والإيجاد لغير الله تعالى، والتفرقة بين الحي والميت لا معنى لها، فإنه إن اعتقد الإيجاد لغير الله كفر، على خلاف المعتزلة في خلق الأفعال، وإن اعتقد التسبُّب والاكتساب لم يكفر، وأنت تعلم أن غاية ما يعتقد الناس في الأموات هو أنهم متسبِّبون ومكتسبون كالأحياء، لا أنهم خالقون موجدون كالإله، إذ لا يعقل أن يعتقد فيهم الناس أكثر من الأحياء وهم لا يعتقدون في الأحياء إلاَّ الكَسب والتسبُّب، فإذا كان هناك غلط فليكن في اعتقاد التسبب والاكتساب لأن هذا هو نهاية ما يعتقده المؤمن في المخلوق كما قلنا وإلاَّ لم يكن مؤمناً، والغلط في ذلك ليس كفراً ولا شركاً، ولا نزال نكرِّر على مسامعك أنه لا يعقل أن يعتقد في الميت أكثر مما يعتقد في الحي، فيثبت الأفعال للحيّ على سبيل التسبب ويثبتها للميت على سبيل التأثير الذاتي والإيجاد الحقيقي، فإنه لا شك أن هذا مما لا يعقل.

فغاية أمر هذا المستغيث بالميت بعد كل تنزُّل أن يكون كمن يطلب العون من المقعد غير عالم أنه مقعد، ومن يستطيع أن يقول أن ذلك شرك؟، على أن التسبب مقدور للميت وفي إمكانه أن يكتسبه كالحي بالدعاء لنا، فإن الأرواح تدعو لأقاربها كما في الحديث الشريف إذا بلغهم عنهم ما يسؤوهم فيقولون: «اللهم راجع بهم ولا تمتهم حتى تهديهم»، بل الأرواح يمكنها المعاونة بنفسها كالأحياء، ويمكنها أن تلهمك أو ترشدك كالملائكة إلى غير ذلك على ما شرحناه، وكثيراً ما انتفع الناس برؤيا الأرواح في المنام، ولعلنا نعود إليه.

يوسف الدجوي، من هيئة كبار العلماء

التوسل والاستغاثة

جاءنا خطاب مطول بإمضاء: (مسلم بمكة)، أطال فيه صاحبه وأعاد وأبدى وأكثر وكرّر ظناً منه أنه أتى بالقواصم، وقد ألحّ في طلب الإجابة حتى قال في آخره: «يا فضيلة الشيخ، أرجوك وأناشدُك الله الذي لا إلٰه إلاَّ هو إلاَّ ما حقّقت هذا الموضوع وأنصفت فيه».

ونحن نلخص ما جاء فيه من الأسئلة معرضين عما فيها من غمز مشوب بأدب وتعريض نسامحه فيه، فنقول وبالله التوفيق:

س: هل جاء في السنَّة أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علَّم الناس أن يسألوا الصالحين من الأموات ويطلبوا منهم الدعاء؟ أرجو أن تذكروا ولو حديثاً واحداً.

الجواب: ونحن نقلب عليه السؤال أولاً فنقول: هل جاء في السنَّة أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نهى الناس عن أن يسألوا الصالحين ويطلبوا منهم الدعاء؟، أرجو أن تذكر لنا ولو حديثاً واحداً.

وثانياً نقول له: إن جواز الأشياء لا يتوقف على ورود الأمر بها بل على عدم النهي عنها كما هو معروف ومقرّر في علم الأصول، فكل ما لم يرد فيه نص بالحَظْر فهو مباح.

وقد علَّمنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سنَّته الصحيحة أن ما أمرنا به فعلناه ولم نتركه، وما نهى عنه اجتنبناه ولم نفعله، وما سكت عنه فهو عفو.

فهذه هي قواعد العلم الذي يعرفه العلماء.

وأما شبهة الموت فهي واهية لأنكم فيها بين أمرين:

إما أن تنكروا إدراك الأموات وعلمهم ودعاءهم وسماعهم، وإما أن تقروا بذلك. فإن أنكرتموه ملأنا لكم الدنيا أدلة وبراهين على ثبوت ذلك لهم مثل دعاء آدم وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج كما في الصحيحين وغيرهما، وكما في حديث: «تعرض عليَّ أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم»، وكما في حديث عرض أعمال الأحياء على الأموات ودعائهم لهم.

وقد ذكره ابن تيمية نفسه في فتاويه، واعترف به ابن القيم كل الاعتراف وقرّره أتمّ التقرير.

ومن محاسن المصادفات في هذا ما يقرّره الأوروبيون الآن مما يوافق ذلك، وقد قرَّره قبلهم بعشرات القرون الفلاسفة الأقدمون مثل أفلاطون وغيره من الفلاسفة، فالمسألة متفق عليها بين علماء الدين وعلماء الدنيا، أو نقول: بين المسلمين وغير المسلمين، أو نقول: بين أهل الأثر والنقل، وبين أهل الفلسفة والعقل. أما إذا اعترف الوهابيون بأن للأموات إدراكاً وعلماً وسماعاً وأنهم يدعون ويردون السلام إلى غير ذلك، كما ورد في السنَّة ثم منعوا طلب ذلك منهم كانوا متناقضين، أو نقول: كانوا ممن يسلم المقدمات وينازع في النتيجة، أو ممن يقطع اللوازم عن ملزوماتها، وهو مما لا يقول به عاقل فضلاً عن فاضل. على أننا ذكرنا في ذلك ما يقطع الشغب من أصله والمراء من أسِّه، وذلك هو الحديث الصحيح الذي رويناه عن عثمان بن حنيف في التوسل به في حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد مماته. وقد قال فيه:

يا محمد: اشفع لي عند ربك، ولا معنى للشفاعة إلاَّ الدعاء الذي يكون منه صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفي الحديث الصحيح: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وفي

حديث آخر: بحق نبيك والأنبياء قبله. فالتوسل بالصالحين والدعاء ثابت وواقع.

وقد قلنا في بعض ما كتبناه: لا معنى لكون هذا شركاً ـ كما يقوله الوهابيون ـ، فإن الحي إذا طلب من الميت الذي هو حي بروحه متمتِّع بلوازم الحياة وخصائصها فإنما يطلب منه على سبيل التسبب والاكتساب لا على سبيل الخلق والإيجاد، لأنه ليس من المعقول أن يرفعه عن رتبة الحي، وهو إذا طلب من الحي فإنما يطلب منه على هذا الوجه لا على جهة الخلق والإيجاد، والطلب من المخلوق على سبيل التسبب ليس شركاً ولا كفراً، فلا معنى لتكفير المسلمين بذلك.

ولو فرضنا أن الميت لا عمل له، فإن خطأ المنادي أو المستغيث على هذا الفرض إنما هو في اعتقاد السببية لا الألوهية، واعتقاد السببية في غير الله ليس هو اعتقاد الإلٰهية كما يظنه الجاهلون، وقد عرفت مما قدمناه أنه ليس غلطاً أيضاً، وإنما الغالطون هم الوهابيون، وإن كان التوسل بمنزلته عند الله فالأمر واضح، لأن الموت لا يغير المنزلة عند الله تعالى.

س: هل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أهمل نوعاً من التوسل إلى الله تعالى أو ترك شيئاً مما يقرِّب إلى الله تعالى؟

ج: لم يهمل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً مما يقرِّب إلى الله تعالى، ولا ترك نوعاً من أنواع التوسُّل.

وقد علمنا التوسل في حديث عثمان بن حنيف المتقدم، بل توسل هو بحقه وحق الأنبياء قبله، وعرفنا أن آدم عليه الصلاة والسلام توسل به قبل وجوده، وقد بيَّن ذلكِ كله في الأعداد السابقة وبعد، فماذا عسى أن يدل ذلك للسائل، فلو فرضنا أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتوسل بالصالحين لأمكن أن يقال: إن مقامه أرفع من كل مقام، على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عريقاً في العبودية، وكان أعلم خلق الله بإطلاق الربوبية وسعتها وبأن الكل

عبيدها وتحت قهرها وليس هناك إلاّ فضلها الواسع وكرمها الشامل، وأنه لا بد من ظهور ذلّ العبودية على كل أحد، وذلك من تعظيم الربوبية، ويعلم صلى الله تعالى عليه وسلم أن عبيد السيد المطلق لهم منازل عنده، وأن لكل منهم مزية لديه، وأن المقتضى لعطائه تعالى إنما هو العبودية له عزَّ وجلَّ، فلا بد أن يكون بينهم ارتباط العبيد وتبادل المنافع، وعلى هذا قام بناء الكون، كان صلى الله تعالى عليه وسلم أعرف الناس بذلك كله، فطلب الدعاء من عمر وأمر عمر أن يطلب الدعاء من أويس القرني، وسأل الله تعالى بحق الأنبياء قبله كما في حديث فاطمة بنت أسد، وأمرنا أن نتوسل به إذا عرضت لنا حاجة إلى الله تعالى، فقال لذلك الأعمى: «فإن كان لك حاجة فمثل ذلك»، وقد فعلها الرجل الذي كان يتردد على عثمان بن عفان في خلافته، وقد بيَّنا ذلك أتمّ بيان، على أننا نريد منكم أن لا تكفِّروا المسلمين بمثل هذا العمل الذي لا شيء فيه، ونكتفي منكم أن تقولوا: إنه مباح أو خلاف الأولى أو مكروه ـ إذا أردتم ـ.

ولو قلتم ذلك لاحتملناه منكم وإن كان غير صحيح، ولكن قومك يا حضرة السائل الذي يظن منه أنه منصف وغير متعصب يعملون على خلاف ذلك.

س: هل ثبت ما يروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما تركت شيئاً يقرِّبكم إلى الله إلاّ بيَّنته لكم»؟ وإذا كان ثابتاً فهل الطلب من الأموات أن يدعوا للأحياء مما قاله الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأمر به وفَعَلَهُ أم لا؟

ج: نعم! ثبت أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك، ودعاء الأموات داخل في دعاء الأخ لأخيه الذي لا يمكنكم أن تمنعوه، وقد عرّفتنا السنّة الصحيحة أنه لا فرق بين الحي والميت في ذلك، وأن الميت يدعو كما يدعو الحي على ما سبق، فإن الموت ليس فناءاً أو عدماً كما يظنه الجاهلون وإنما هو انتقال من دار إلى دار:

لا تظنوا الموت موتاً إنه ... لحياة وهو غايات المنى

لا ترعكم هجمة الموت فما   هو إلاَّ نقلة من ها هنا

ولا نزال نكرِّر أنه قد دعا آدم عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو لأمته في البرزخ، بل آباؤنا يدعون لنا على ما عرفت وتعرف، على أننا نكتفي منكم أن تقولوا إنه مباح لا قربة أو على الأقل لا تكفِّروا به المسلمين، كما فعل إمامكم محمد بن عبد الوهاب على ما في الهدية السنيَّة وغيرها.

وقد قلنا فيما كتبناه في العدد الثالث من هذه السنة أنه لا وجه لذلك، ولو قلنا إن الميت لا يمكنه أن يدعو أو يفعل شيئاً فإن الغلط على هذا الفرض يكون غلطاً في اعتقاد التسبب لا الإلٰهية ولا نزال نكرر أن معتقد السببية في المخلوقات لا وجه لتكفيره ولا معنى له، فإن من يجعل غير السبب سبباً يكون جاهلاً لا كافراً، ويكفي هذا.

س: هل بيَّن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ما أُمر به من الوسيلة في آية المائدة عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المَائدة: الآية 67] الآية، أم لا؟

ج: هذا السؤال غير محرر وتقويمه هكذا: هل بيَّن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الوسيلة التي أمر بها المؤمنون في سورة المائدة؟، فإن المأمور بالوسيلة في هذه السورة مباشرة هم المؤمنون لا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وحده.

وإن قلنا إنه صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل في عموم خطابها.

وقوله في تمام سؤاله: «عملاً بقوله تعالى»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المَائدة: الآية 67]، جهل وتهويش، فإن الأمر والخطاب في هذه الآية خاص بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في تبليغه رسالة الله ووحيه إلى جميع الخلق، فهو حشو وتكرار لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بلّغ ما أمرت

به أمته من الوسيلة وبيَّنها في سنَّته بياناً شافياً. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: من حدّثك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئاً مما أنزل إليه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية 67] الآية ـ أخرجاه في الصحيحين ـ.

فالوسيلة واضحة المعنى ظاهرة الدلالة، والقرآن عربي نزل بلغة العرب، ولا وجه لقصركم إياها على نوع خاص فإنه قول بلا دليل، على أنه لا داعي لذلك كله، فقد ثبت التوسل مصرّحاً به في حديث عثمان بن حنيف وغيره، وقد جاء في آخر الحديث المذكور: «فإن كان له حاجة فمثل ذلك»، وقد عمل به في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه، كما بيَّناه فيما سبق من الأعداد.

س: هل يلزم من عدم دعاء الأموات ومخاطبتهم بغير المشروع إنكار كرامتهم؟ وإذا قلتم بالتلازم فبيِّنوا لنا وجهه بالبرهان، واذكروا لنا عن الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين، من قال بجواز هذا النوع من التوسل.

ج: نعم، من كان مثلكم ينكر وجاهة الأنبياء والصالحين عند الله تعالى يجب أن ينكر كرامات الأموات، فإنه إذا لم يكن لهم وجاهة عند الله تعالى، ولا يمكنهم أن يدعوا لنا ولا تستطيع أرواحهم أن تفعل شيئاً كما هو اعتقادكم، فأي كرامة تكون لهم بعد ذلك؟ وما معنى إثباتكم إياها وقد نفيتم عنهم كل عمل؟ وكفِّرْتُم المتوسل إلى الله تعالى بجاههم، فأي شيء يبقى بعد ذلك؟

وأما طلبكم منا ذكر من جوّز ذلك من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين فنقول:

إن الأمة كلها قبل ابن تيمية وبعده على هذا الجواز، ونتحداكم فنقلب السؤال عليكم فنقول:

هل يمكنكم أن تذكروا لنا عن الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين مَن منَعَ ذلك النوع من التوسل وقال إنه شرك؟، أليست المذاهب كلها مجمعة على

توسل الزائرين لقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به صلى الله تعالى عليه وسلم؟، وقد ذكرنا لكم نص الحنابلة في ذلك وكذلك جميع الأئمة، ولا سلف ولا سند لكم فيما تقولون بل جميع العلماء يصرحون بأن ذلك مطلوب من كل زائر لا جائز فقط، فهذا هو الإجماع، وقد مر من الأدلة العقلية والنقلية ما يكفي ويشفي، ثم نقول لكم: ألم يعترف ابن القيم بأن الروح القوية لها من الأعمال بعد الموت ما لا تستطيعه حالة حياتها في الدنيا؟

وقد وصل الأمر إلى أئمتكم أنفسهم، فأنتم في إثبات كرامات الأولياء وغيرها متناقضون تارة مع الهوى وتارة مع الحق.

ويرحم الله من قال: المبطل لا بد أن يتناقض شاء أم أبى، وأما تضليلنا إياكم فإنما هو لسلوككم نهج أسلافكم الحروريين كلاب النار بتكفيركم المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذمهم، ولو قلتم: أن الأولى أن يرجع الناس في كل أمورهم إلى الله تعالى بلا واسطة، أو قلتم: إن هناك مقاماً تسقط فيه الأسباب والوسائط كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لجبريل عليه الصلاة والسلام: «أما إليك فلا»، عندما قال له: «ألك حاجة؟»، لو قلبتم ذلك وسلكتم هذا المسلك لم ننكر عليكم ولم نشتد في مناقشتكم.

ولو كان لكم رأي في المسألة غير التكفير لقلنا مجتهدون ظنوا ظناً وإلى الله أمرهم وكم مجتهد أخطأ، ولكن أولئك الذين أخطأوا لم يقدسوا أنفسهم هذا التقديس ولم يحملوا الناس على رأيهم بالسيف لأنهم يجوِّزون أن يكون الحق في جانب غيرهم ويعلمون ما جاء عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من أن «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وأن من قال لأخيه المسلم: «يا كافر إن كان كما قال وإلاَّ رجعت عليه»، ولم يرض الإمام مالك من المنصور العباسي أن

يحمل الناس على الموطأ وهو هو عند مالك، ولا من الرشيد أيضاً أن يلزم الناس بما فيه احتراماً للأمة وعلمائها واتهاماً لنفسه، شأن أئمة الهدى وورثة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، والجاهل لا يعرف غير تعظيم نفسه، والعالم لا يعرف غير تعظيم ربه، ومن تعظيم الله تعظيم من عظّمه الله تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحجّ: الآية 32].

ثم قال السائل: لا يمكننا أن نسيغ توجه المسلم العارف بربه الآنس بذكره إلى عبد من عباده، انتقل من عالم إلى آخر لا يعلم حاله فيه إلاّ الله تعالى، يسأله ويخاطبه بعد أن كان متلذِّذاً بخطاب الله تعالى ومناجاته، ولا يخفى عليكم حديث أم العلاء في صحيح البخاري، وفيه: أنها شهدت لمهاجري وهو أبو السائب توفي عندها فقالت: أما شهادتي عليك لقد أكرمك الله، وأن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» إلى غير ذلك من الأحاديث من أمثاله، وكلها تدل على أن الأموات قد أفضوا إلى ما قدموا، وأنه لا يجوز لنا أن نحكم لأحد حكماً جازماً بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلاّ ما ورد النص بأنهم من أهل الجنة أو من أهل النار، كما ورد في أهل بدر وبعض الصحابة كعكاشة بن محصن.

وأقول: إن حضرة السائل أدمج في هذا الكلام الخطابي أشياء لا نتركها بل نناقشه الحساب فيها، أما التمويه بذكر توجه المسلم إلى ربه وتلذّذه بذكره فهو لذيذ في الأسماع يكاد يأخذ بمجامع النفوس، ولكن هذا مقام تحقيق علمي لا ينفع فيه التمويه ولا تفيد فيه الخطابة.

وقد قلنا فيما سبق: لو كان رأيهم أن هذا هو مقام الكمال لم نتعرض له، ولكنهم كفَّروا المسلمين المتوسلين برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصالحين من أمته، فأين هذا مما يقوله السائل؟ فإن كان يريد أن الاشتغال بذكر الله تعالى ومناجاته أولى فليس الخلاف بيننا وبينه في الأولوية، ولكن الناس درجات بعضها فوق بعض، فلا حرج على من يلتفت للأسباب والوسائط، عالماً

أن الله تعالى هو الأول والآخر، فهو ممد كل شيء والمفيض على كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، ولا على من ترك الأسباب ثقة بالمسبب فكان غريقاً في قدرته ناظراً إلى حكمته، فلا حرج على ذاك ولا على هذا.

وإن صح أن تقول: إن بعضهم أفضل من بعض، وهل ما ذكره السائل من حديث التلذذ والأنس الذي قطعه خطاب الأموات صحيح أم هو تمويه وخيال؟ ولماذا لا يقول مثل ذلك في الطلب من الأحياء؟ أليس الأنس بالله ومناجاته خيراً من الطلب من الأحياء أيضاً؟ ولو كان المطلوب منه وزيراً أو ملكاً أو خليفة، أم التفضيل الذي ذكره لا يتحقق إلاّ بين الطلب من الله تعالى والطلب من الأموات؟

وقد أدمج في كلامه ما يلهج به كثير من الجهلة من أن الميت لا ندري حاله ولا ما مات عليه، وهو سوء ظن كبير بالمسلمين بل بالله تعالى.

فنلفت نظر السائل إلى أن من عاش على شيء مات عليه كما في الحديث الشريف، فهذه هي سنّة الله الغالبة، وما عدا ذلك فشاذ لا يقاس عليه لحكمة يعلمها هو.

ثم نقول: أن الأمور في هذا العالم مبنية على الظن حتى الأمور الشرعية والأحكام الفقهية، وعلى هذا يجب أن نغسل أمواتنا ونكفنهم ونصلي عليهم وندفنهم في مقابر المسلمين ونورث ورثتهم أموالهم إلى غير ذلك، ولسنا على اليقين الذي يريده السائل من أمرهم ـ ولكن ذلك اليقين لم يشترطه أحد ـ، فعلينا أن نعد من عاش في حياته على خير وصلاح من أهل الخير والصلاح بعد موته، ولا يجوز لنا غير ذلك اتباعاً لتلك الوساوس التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان.

وليت شعري، هل إذا رمينا أحدهم بأن أباه لا ندري ما حاله أمسلم هو أم كافر أفيغضب أم لا؟ وهل يريد أن لا نعمل شيئاً إلاّ على جزم ويقين، إذاً يختل أمر هذا الوجود وتبطل أحكامه.

أما حديث عثمان بن مظعون الذي أشار إليه السائل، فالمراد منه أنه ينبغي الخوف من سعة التصريف الإلٰهي وأن مرتبة العبودية لا تتخطّى مقام الرجاء والضراعة.

وأم العلاء قد قطعت على الله تعالى أنه مكرمه على سبيل الجزم فأخرجت ذلك مخرج الشهادة.

وأظن أنها لو شهدت له بالدين والصلاح لتغير جواب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد قال في آخر الحديث: وإني لأرجو له الخير، فهل يفرق السائل بين رجاء الخير وظن الخير؟ ولماذا لم يذكر لنا ما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه؟

قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض. أو ما أخرجه عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة»، فقلنا: وثلاثة، قال: وثلاثة، فقلنا: واثنان، قال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد، أو ما أخرجه أيضاً من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في شهداء أُحد: «أنا شهيد على هؤلاء».

ثم نقول للوهابية جميعاً: لماذا لم تذكروا أو تؤمنوا بما أخرجه البخاري أيضاً من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «والله ما أخشى عليكم الشرك ولكن أخشى أن تُبْسَط عليكم الدنيا فتنافسوها» إلى آخره، ما أنتم إلاً مناوئون مكذبون للذي لا ينطق عن الهوى في قوله: هذا بحكمكم على أمته صلى الله تعالى عليه وسلم بالشرك الذي لا يخافه عليهم واستباحتكم دماءهم وأموالهم.

ونقول له أيضاً: يكفينا الظن وتحسين الظن بعامة المسلمين مطلوب شرعاً فكيف بالخاصة الصالحين منهم، وأما الجزم الذي تريده فلم يقله أحد من العلماء.

ثم قال السائل: وإن من المجازفة أن نزيد على حسن الظن فيمن لم يرد فيهم شهادة من المعصوم، ونحن نقول له: إن من المجازفة أن تسيء الظن بمن لم يرد فيهم ذمّ عن المعصوم، خصوصاً مَن ظهرت عليه علامات الخير والصلاح أو ظهرت له كرامات في حياته وبعد مماته، وتجويز أن يكون قد تغير حاله من سوء الظن بالمسلمين بل بالله تعالى كما أنه عقوق للآباء والأجداد، وما معنى الزيادة التي زدتها حضرتك، وليس ذلك كله إلاَّ أثراً لحسن الظن ومبنياً عليه.

ثم قال السائل: وكم أكون مسروراً جداً إذا عثرت لنا على نص صريح في هذا النوع من الوسيلة.

وأقول: ذكرنا من الأدلة العقلية والنقلية الشيء الكثير وقد كان يكفيه حديث واحد على ما يقول.

وقد قلنا: إن من يثبت الحياة والإدراك والعلم للأرواح ثم يمنع التوسل والاستغاثة بها متناقض غاية التناقض قاطع للملزوم عن لوازمه، وقد ذكرنا إجماع الأئمة على التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم عند زيارته ولو لم يكن في الموضوع إلاَّ حديث عثمان بن حنيف لكان كافياً شافياً، وعلى الجملة فقد أجمعت الشرائع كلها والفلاسفة الأقدمون والفلاسفة العصريون، أو نقول المسلمون والأوروبيون والأمريكيون والهندوس على إثبات الحياة ولوازمها للأرواح، وعلى أن لها من الإطلاق وسعة التصرف ما لم يكن لها حال حياتها في هذا العالم، وهو عين ما قرره ابن القيم في كتاب الروح، أسأل الله تعالى أن يزيل عنا حجاب المادة وكثافة الطبيعة وظلمة الأشباح بمنه وكرمه.

يوسف الدجوي، من هيئة كبار العلماء بالأزهر

مقالة المحقِّق المرحوم
يوسف الدجوي في التوحيد

توحيد الألوهية ـــ وتوحيد الربوبية

جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ما معناهما، وما الذي يترتب عليهما، ومن ذا الذي فرّق بينهما؟ وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه؟ فنقول وبالله التوفيق:

إن صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية الذي شاد بذكره قال: إن الرسل لم يبعثوا إلاّ لتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله ربّ العالمين المتصرف في أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العَنكبوت: الآية 61] .

ثم قالوا: إن الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء، فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد الألوهية بعبادتها، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلاّ الله تعالى، بل قال محمد بن عبد الوهاب: «إن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان، وإن شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة»، فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح، وفيه عدة دعاوى.

فلنعرض لها على سبيل الاختصار، ولنجعل الكلام في مقامين فنتحاكم إلى العقل ثم نتحاكم إلى النقل، فنقول: قولهم: «إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية

وتوحيد الألوهية» تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية، وغير معقول أيضاً كما ستعرفه، وما كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لأحد دخل في الإسلام أن هناك توحيدين وأنك لا تكون مسلماً حتى توحّد توحيد الألوهية، ولا أشار إلى ذلك بكلمة واحدة، ولا سمع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبجحون باتباعهم في كل شيء، ولا معنى لهذا التقسيم فإن الإلٰه الحق هو الرب الحق، والإلٰه الباطل هو الرب الباطل، ولا يستحق العبادة والتأليه إلاَّ مَن كان ربّاً، ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر، فهذا مرتب على ذلك كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: الآية 65] .

فرتّب العبادة على الربوبية، فإننا إذا لم نعتقد أنه ربّ ينفع ويضر فلا معنى لأن نعبده ـ كما قلنا ـ، ويقول تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النّمل: الآية 25]، يشير إلى أنه لا ينبغي السجود إلاَّ لمن ثبت اقتداره التام، ولا معنى لأن يسجدوا لغيره، هذا هو المعقول، ويدل عليه القرآن والسنّة.

أما القرآن فقد قال: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 80]، فصرَّح بتعدُّد الأرباب عندهم، وعلى الرغم من تصريح القرآن بأنهم جعلوا الملائكة أرباباً.

يقول ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب: إنهم موحِّدون توحيد الربوبية وليس عندهم إلا ربّ واحد، وإنما أشركوا في توحيد الألوهية، ويقول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوهما إلى التوحيد: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يُوسُف: الآية 39] ، ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى﴾ [الرّعد: الآية 30]، وأما هم فلم يجعلوه ربّاً.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف: الآية 38]، خطاباً لمن أنكر ربوبيته تعالى. وانظر إلى قولهم يوم القيامة: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان 97 - 98] أي في جعلكم أرباباً ـ كما هو ظاهر ـ، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟

وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: الآية 60]، فهل ترى صاحب هذا الكلام موحّداً أو معترفاً؟

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الرّعد: الآية 13] إلى غير ذلك وهو كثير لا نطيل بذكره، فإذاً ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية ـ كما قال ابن تيمية ـ، وما كان يوسف عليه السلام يدعوهم إلاّ إلى توحيد الربوبية، لأنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر يسمى توحيد الألوهية عند يوسف عليه السلام.

فهل هم أعرف بالتوحيد منه ويجعلونه مخطئاً في التعبير بالأرباب دون الآلهة؟ ويقول الله في أخذ الميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأنعَام: الآية 30]، فلو كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققاً عند المشركين ولكنه لا ينفعهم ـ كما يقول ابن تيمية ـ ما صح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا، ولا صح أن يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعرَاف: الآية 172]، وكان الواجب أن يغيّر الله عبارة الميثاق إلى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الألوهية حيث أن توحيد الربوبية غير كاف ـ كما يقول هؤلاء ـ، إلى آخر ما يمكننا أن نتوسع فيه، وهو لا يخفى عليك، وعلى كل حال فقد اكتفى منهم بتوحيد الربوبية، ولو لم يكونا متلازمين لطلب إقرارهم بتوحيد الألوهية أيضاً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزّخرُف: الآية 84] فإنه إلٰه في الأرض ولو لم يكن فيها مَن يعبده كما في آخر الزمان، فإن قالوا: إنه معبود فيها ـ أي مستحق للعبادة ـ، قلنا: إذاً لا فرق بين الإلٰه والربّ فإن المستحق للعبادة هو الرب لا غير، ما كانت محاورة فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام إلاّ في الربوبية وقد قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّازعَات: الآية 24]، ثم قال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشّعَراء: الآية 29]، ولا داعي للتطويل في هذا.

وأما السنّة فسؤال الملكين للميت عن ربه لا عن إلٰهه، لأنهم لا يفرّقون بين الرب والإلٰه ـ فإنهم ليسوا بتيميين ولا متخبطين ـ، وكان الواجب على مذهب هؤلاء

أن يقولوا للميت: من إلٰهك لا مَن ربك؟ أو يسألوه عن هذا وذاك.

وأما قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية 38]، فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم إجابة لحكم الوقت مضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات، ولعلهم نطقوا بما لا يكاد يستقر في قلوبهم أو يصل إلى نفوسهم، بدليل أنهم يقرنون ذلك القول بما يدل على كذبهم، وأنهم ينسبون الضر والنفع إلى غيره، وبدليل أنهم يجهلون الله تمام الجهل ويقدمون غيره عليه حتى في صغائر الأمور.

وإن شئت فانظر إلى قولهم لهود عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: الآية 54]، فكيف يقول ابن تيمية أنهم معتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع، إلى آخر ما يقول.

ثم انظر بعد ذلك في زرعهم وأنعامهم: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ [الأنعَام: الآية 136]، فقدّموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الأمور وأحقرها.

وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا﴾ [الأنعَام: الآية 94]، فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم، ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أُحد: «أعْلُ هُبَلُ»، فأجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «الله أعلى وأجلُّ».

فانظر إلى هذا ثم قل لي: ماذا ترى في ذلك التوحيد الذي ينسبه إليهم ابن تيمية ويقول إنهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء وإنما افترقوا بتوحيد الألوهية؟

وأدل من ذلك كله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعَام: الآية 108]، إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

فهل ترى لهم توحيداً بعد ذلك يصح أن يقال فيه أنه عقيدة؟

أما التيميون فيقولون بعد هذا كله: أنهم موحِّدون توحيد الربوبية، وأن

الرُّسل لم يقاتلوهم إلاّ على توحيد الألوهية الذي لم يكفروا إلاّ بتركه، ولا أدري ما معنى هذا الحصر مع أنهم كذّبوا الأنبياء وردوا ما أنزل عليهم واستحلُّوا المحرّمات وأنكروا البعث واليوم الآخر وزعموا أن لله صاحبة وولداً وأن الملائكة بنات الله ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ [الصافات: الآيتان 151 - 152]، وذلك كله لم يقاتلهم عليه الرسل ـ في رأي هؤلاء ـ وإنما قاتلوهم على عدم توحيد الألوهية ـ كما يزعمون ـ وهم بعد ذلك مثل المسلمين سواء بسواء أو المسلمون أكفر منهم في رأي ابن عبد الوهاب.

وما علينا من ذلك كله، ولكن نقول لهم بعد هذا على فرض أن هناك فرقاً بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ـ كما يزعمون ـ فالتوسل لا ينافي توحيد الألوهية فإنه ليس من العبادة في شيء لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً، ولم يقل أحد أن النداء أو التوسل بالصالحين عبادة، ولا أخبرنا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك، ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز بالحي ولا بالميت.

ومن المعلوم أن المتوسل لم يطلب إلاّ من الله تعالى بمنزلة هذا النبي أو الولي، ولا شك في أن لهما منزلة عند الله تعالى في الحياة وبعد الممات.

فإن تشبَّث متشبِّث بأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد فلا يحتاج إلى واسطة، قلنا له: «حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء...»، فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط في كل شيء، مع أن العالم مبني على الحكمة التي وضعت الأسباب والمسببات في كل شيء، ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة وهي معلومة من الدّين بالضرورة، فإنها على هذا الرأي لا حاجة إليها، إذ لا يحتاج سبحانه وتعالى إلى واسطة فإنه أقرب من الواسطة.

ويلزم خطأ عمر بن الخطاب في قوله: «إنّا نتوسل إليك بعم نبيك العباس...» إلخ، وعلى الجملة يلزم سدّ باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط، وهو خلاف السنَّة الإلٰهية التي قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها إلى آخرها، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين، فإنه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب اهـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين سيِّدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيسرنا ونحن نتقدَّم لإعادة طبع هذا السفر النفيس أن نصدره بمقدمة تكون بمثابة التتميم له والاستدراك عليه وتكشف الغطاء عن بعض ما يرد في هذا المجموع من أمور عسى أن يشتبه الأمر فيها على بعض القرّاء، فنقول وبالله التوفيق:

التصوُّف والكلام فيه في مقامات

حدُّ التصوُّف:

عُرِّف التصوُّف بتعاريف كثيرة ومن أجمعها ما عرّف به الشيخ قاسم الخاني بأنه: الوقوف مع الآداب الشرعيَّة ظاهراً وباطناً. وقال شيخنا المحقِّق الشيخ محمد العربكندي: أولى التعاريف عندي ما قاله بعض الأجلة من أن التصوُّف صرف الوقت فيما هو أوْلَى.

وواضعه هو الشارع، والشارع هو الله تعالى حقيقة والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجازاً، أوحاه الله تعالى إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والأنبياء قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيما أوحاه إليهم من الشرائع، فإنه روح الشرائع والأديان المنزّلة كلها واستمداده من الكتاب والسنَّة والآثار الثابتة عن خواص الأمة، وذلك لأنه جزء من الشريعة المطهرة التي تكفّل الله تعالى بالحفاظ عليها وعصمتها عن تطرُّق النقص والزيادة والتبديل والتحريف، وذلك بإنجاب الكثرة الكاثرة من العلماء المجتهدين وإقامة كل فريق منهم بالقيام بأعباء علم من علوم الإسلام والتخصص فيه وجمع متفرقاته المبعثرة في القرآن

والأحاديث النبوية وضمّ الأشباه إلى الأشباه والنظائر إلى النظائر واستنباط الأحكام والقواعد منها والتفريع والتخريج عليها، فمنهم المتخصصون في أصول الدين كالإمامين أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، ومنهم المتخصصون في الفقه كالأئمة الأربعة وغيرهم من مجتهدي الفقهاء، ومنهم المتخصصون في فقه الباطن وعلم إصلاح القلب وتزكية النفس وتهذيب الأخلاق المسمى بعلم التصوُّف كالإمام الجنيد البغدادي والشيخ عبد القادر الجيلي وشاه نقشبند ومنهم ومنهم. . .

ثم بإفضاء هؤلاء العلماء الأبرار علومهم ومحصول مجهودهم واجتهادهم إلى تلاميذهم الأخيار كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «يحمل هذا الدين من كل خلق عدوله ينفون عنه تحريف وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» وهلم جرا، إلى أن وصلت إلينا محرّرة منقاة، ومنها هذا العلم.

إطلاق هذا الاسم على هذا العلم

قال الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته التي ألّفها لبيان أن ما عليه الصوفية مؤيّد بالكتاب والسنّة لا يخالفها، والتي إذا أطلق اسم الرسالة في هذا العلم انصرف إليها: اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة، ولما أدرك أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين، ورأوا ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم: أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزهَّاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهَّاداً فانفرد خواص أهل السنَّة المراعون تقواهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طروق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المِئَتَين من الهجرة اهـ.

وبهذه المناسبة يروق لنا أن ننقل كلمة قيمة للشيخ أبي الحسن الندوي، قال أيده الله في تقديمه لكتاب «بين التصوُّف والحياة» للشيخ عبد الباري الندوي ما ملخصه: أن للمصطلحات الحادثة جناية على الحقائق إنها تولّد كائناً آخر تنشأ عنه الشبهات وتشتد حوله الخصومات، فلو عدلنا عن هذه المصطلحات ورجعنا إلى ما كان ينطق به رجال العهد الأول والسلف الأقدمون انحلت العقدة وهان الخطب وإصلاح الناس، ومن هذه المصطلحات التصوُّف، ومن هنا ثارت حوله أسئلة وبحوث، واشتد فيه الخصام. أما إذا عدلنا عن هذا المصطلح الحادث ورجعنا إلى الكتاب والسنَّة وجدناهما ينوهان بشعبة من شعب الدين ومهمة من مهمات النبوَّة، ويذكر أنها كركن من أركان الدين الحنيف يعبران عنها تارة بالتزكية وتارة بالإحسان وتارة بصلاح القلب. فكان الأجدر بالعلمين أن يسموا هذا العلم الذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها بعلم التزكية أو الإحسان أو فقه الباطن، ولو فعلوا ذلك لانحسم الخلاف وتصالح الفريقان اللذان فرّق بينهما المصطلح، إلى أن قال: لا شك أنه لولا هؤلاء أصحاب النفوس المزكاة لانهار المجتمع الإسلامي إيماناً وروحانية وابتلعت موجة المادية العاتية الطاغية، البقية الباقية من إيمان الأمة، انظر إلى بلاد ندر فيها وجود الدعاة إلى الله وإصلاح الباطن إنك تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه التبحُّر في العلم ولا التعمق في التفكير ولا فضل من ذكاء. إنها أزمة روحية وخلقية لا علاج لها ومشكلة من أدقّ مشكلات المجتمع لا حل لها.

وللعلاَّمة المؤرخ ابن خلدون مقالة قيمة طويلة الذيل أسفر فيها عن أصل التصوُّف وتفسيره وبيان ما عليه الصوفية لولا أن المؤلف نقلها في (ص 17) لنقلناها برمتها.

فظهر مما تقدَّم أن علم التصوُّف علم يبحث فيه عن تزكية النفس وإصلاح القلب وتهذيب الأخلاق والتخلي عن رذائل الصفات كالحرص والكبر والعجب والرياء والحقد والحسد وحب الدنيا والشهرة والمناصب والتحلِّي بمكارم

الأخلاق وتصحيح النيّات وتخليصها لله تعالى في جميع الأعمال والمعاملات وتحصيل الحضور والتضرّع إلى الله في العبادات، ومراقبة الله في جميع الأحوال والأطوار كما يبحث عن الأعمال المؤدية إلى هذه الأمور وتصفيتها عما يشوبها من العلل وحظوظ النفس ودسائسها ومعرفة الخواطر من ربانية وملكية ونفسية وشيطانية وعن محاسبة النفس المورثة للاطلاع على معائبها ونقائصها.

وهذه الأمور معظمها من أهم الواجبات وتركها من كبائر الذنوب كما نص عليه العلماء.

قال العلاّمة ابن حجر الهيتمي في الزواجر، الباب الأول في الكبائر الباطنة وما يتبعها، وقدَّمتُها لأنها أخطر ومرتكبها أذل العصاة وأحقر، ولأن معظمها أعم وقوعاً وأسهل ارتكاباً وأمرّ ينبوعاً، فقلما ينفك إنسان عن بعضها للتهاون في أداء فرضها ولذا لما ذكر بعض الأئمة الكبائر الباطنة وأوصلها إلى أكثر من ستين قال: والذم على هذه الكبائر أعظم من الذم على الزنا والسرقة والقتل وشرب الخمر لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه اهـ.

فإنه مما لا يخفى أن الكبائر الظاهرة إنما هي آثار عنها ونتائج لها كما نطق به الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». ولو ذهبنا نحصي دلائلها من الكتاب والسنَّة لأتينا على نحو النصف من القرآن الكريم والأحاديث المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فجميع الآيات والأحاديث التي تحث على هذه الأمور دلائل لعلم التصوُّف.

فهذه هي الأمور التي يبحث عنها علم التصوف، ومن ثم يقال له: علم الباطن، أي العلم المتعلق بباطن الإنسان وتهذيبه وتصحيح أعماله باطناً، كما أن الفقه متعلق ببيان صحة الأعمال وفسادها الظاهريين فاستحق ـ كما قال الندوي ـ أن يسمى بفقه الباطن. على أن تخصيص اسم الفقه بالعلم المتعلق بالأعمال

الظاهرة أمر مستحدث وتخصيص اصطلاحي فإن الفقه في لسان الشرع يعمّ فهْمَ جميع الأحكام الدينية سواء كانت متعلقة بالعقائد أو بالأعمال الظاهرة أو الباطنة بل أحق أن يطلق على فهم الأحكام المتعلقة بالباطن من غيرها.

قال حجة الإسلام الغزالي: كان اسم الفقيه في العصر الأول لمن علم طريق الآخرة ودقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال واستيلاء الخوف على القلب دون مَن علم الفروع وأحكام الفتاوى.

هذا وقد ظهر تظاهر دلائل الكتاب والسنَّة على وجوب التخلي عن هذه الرذائل ومداواتها والتحلِّي بأضدادها، وكذا الإجماع واقع عليه والسبيل إلى هذا هو المواظبة على الأعمال الصالحة والأذكار وعدم التواني فيها مع رعاية آدابها الظاهرة والباطنة. قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: الآية 28]. وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «ذكر الله شفاء القلوب»، وقال فيما يرويه عن ربّه تعالى: «من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويَدَهُ التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولأن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه» رواه البخاري.

والمراد، والله تعالى أعلم، أن العبد إذا تقرّب إلى الله تعالى بالمواظبة على الأعمال الصالحة وصفّى قلبه عن الأدناس والأرجاس توجه قلبه إلى الله وصلحت خطراته ونواياه فلا يستعمل شيئاً من جوارحه إلاَّ فيما خلقها الله تعالى له، وإذا صرفها إلى مباح قرنها بنية حميدة تحول المباح عبادة فلا يصرف شيئاً من جوارحه إلاَّ فيما يحبه الله تعالى ويرضاه، وإذا وصل العبد إلى هذا المقام فلا يرد الله تعالى له دعاء، وهذا هو مقام الشكر. قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: الآية 13]. إلاَّ أن هذا السالك لا بد له من المهارة في علم السلوك الذي هو علم التصوّف لأن السالك تعترض في طريقه صعوبات وعقبات

وتعرض له أحوال وخطرات وتحتال عليه النفس بحيل دقيقة وتدس له في أعماله دسائس عميقة ويسول له الشيطان تسويلات، فإن النفس مكّارة والشيطان بالمرصاد لا سيما لأمثال هذا السالك، فإذا لم يكن السالك على علم بهذه الصعوبات والعقبات وكيفية اقتحامها ولم يميِّز خير هذه الخطرات والأحوال من شرها، ولم يكن خبيراً بحيل النفس والشيطان ودسائسهما إلى غير ذلك مما يعرض لهذا السالك، فيبقى متحيِّراً في أمره، بل ألعوبة للنفس والشيطان.

ومن ثم قال العلماء بوجوب تعلُّم علم التصوُّف وعدّوه ومن الفروض العينية، ففي التحفة لابن حجر والنهاية للرملي وغيرهما من كتب الفقه في باب السير: ويجب على مَن لم يرزق قلباً سليماً أن يتعلم أدوية أمراض القلب من كبر وعجب ورياء ونحوها. وقال الرملي في شرح الزبد على قول الناظم في تعداد الفروض العينية:

وعلم داء للقلوب مفسد كالعجب والكبر وداء الحسد

وما ذكره المصنِّف نقله في الروضة عن الغزالي، ثم قال: وقال غيره: فيه تفصيل فمن رزق قلباً سليماً كفاه الله ذلك ومن لم يسلَم وتمكَّن من تطهير قلبه بغير تعلُّم العلم المذكور وجب تطهيره، وإن لم يتمكن إلاَّ بتعلُّمه وجب اهـ.

قال الغزالي في الإحياء: إن هذه الأمراض لم ينج منها أحد وقد تركها الناس اشتغالاً بما لا يعني اهـ.

وكذلك صرَّح العلماء بوجوب الرحلة لطلبه وإن كان في ذلك مخالفة لأمر الوالدين، وصرَّحوا بأن الزكاة تدفع إلى المشتغل بتحصيل علم الباطن عن الكسب لأن ذلك اشتغال بما هو من أهم الواجبات وليس اشتغالاً بنوافل الطاعات فقد صرَّحوا بأن المشتغل بها عن الكسب لا تدفع إليه، ففي التحفة والنهاية وغيرهما من الكتب الفقهية: ولو اشتغل بحفظ القرآن أو بعلم شرعي ومنه بل أهمه في حق مَن لم يرزق قلباً سليماً علم الباطن المطهر للنفس عن أخلاقها الرديئة والكسب يمنعه ففقير ولو اشتغل بالنوافل فلا اهـ.

وعلق الكردي على قوله: علم الباطن، أي العلم الذي يبحث عن أحوال الباطن أي عن الخصال الحميدة والرديئة للنفس وهو التصوُّف اهـ.

ومما تقدَّم يتضح معنى قول شاه نقشبند الشيخ محمد بهاء الدين قدّس الله سرّه: المعرض عن طريقتنا على خطر في دينه. والمراد بالإعراض الإنكار، فقد قالوا: أدنى الحظ من التصوُّف تسليمه لأهله وعدم الإنكار عليهم فإن إنكاره إنكار لنحو النصف من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وما أجمع عليه علماء الأمة ومناصبة لِأَوْلِيَاءِ الله بالعداء ومبارزة لله بالحرب كما نطق به الحديث القدسي وهو من أمارات سوء الخاتمة والعياذ بالله، فمن آذن الله بحربه كيف يختم له بحسن الخاتمة كما صرَّح به العلماء الأعلام.

مدى لزوم اتخاذ الشيخ

وإذا تقرّر أنه من الواجب على كل مسلم لم يرزق سلامة القلب تزكية نفسه وإصلاح قلبه وتقرّر أن السبيل إلى هذا الأمر الجلل أمران: المهارة في علم السلوك، ثم السلوك والمواظبة على الأعمال والأذكار كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» رواه الشيخان، وزاد الطبراني بإسناد حسن: ويلهمه رشده. فمن يرد الله به خيراً يبصره بأمور دينه ويرزقه حدّة البصر فيها ومنها بل أهمها علم الباطن ثم يلهمه السلوك في سبيل الرشاد. وتقرّر أن علماء التصوُّف هم المجتهدون في هذا السبيل والممهدون له.

إذا تقرّرت هذه الأمور نقول: هذان الأمران لا يتحققان في أحد من تلقاء نفسه إلاَّ في الأفذاذ من الرجال والعباقرة من العلماء الذين يوجد منهم في العصور الواحد تلو الآخر كالإمام الغزالي والإمام الملهم بديع الزمان سعيد النورسي وغيرهما ممن ربوا أنفسهم بأنفسهم.

أما التفقُّه في علم السلوك فلما تقرّر أن العلوم إنما تكتسب بأخذها عن أهلها، نعم يمكن للعلماء تحصيل هذا العلم بإجهاد أنفسهم في مطالعة كتب

التصوف إلاً أنهم قلما يوفقون لحسن التطبيق فإن إجادة التطبيق إنما تحصل في الغالب بالتمرين العملي من أهله كما هو مشاهد في جميع العلوم والصنائع.

وأما المواظبة على الأعمال الصالحة وعدم التواني فيها والازدياد منها والتمرُّن عليها فكل واحد منها يدرك من نفسه أنه عاجز عنها من تلقاء نفسه فإذا أتى بها يوماً تكاسل فيها آخر، وهذا أمر لا بد فيه من دوام النشاط والازدياد كي يثمر ويؤتى نتائجه الطيبة.

فلا بد للتحقق بهذين الأمرين من السير على يد رجل سلك الطريق إليه وتمهَّر فيه وحذق في فقه الطبابة الباطنية، فإن المرشد المربي المستوفي لشروط المشيخة يسوق الطالب إلى الأعمال الصالحة وينشله ويجنِّبه التواني فيها ويرقبه إلى الازدياد منها يوماً فيوماً ويبصِّره بالطريق وينقذه من العقبات ويجنِّبه مكائد النفس والشيطان ودسائسها ويشغله بمحاسبة نفسه ويبصِّره بعيوب نفسه، إلى غير ذلك.

وهذه أمور نجدها والحمد لله على أكمل وجه وأتمه في مولانا وشيخنا العارف بالله المحقق مرجع العلماء العاملين وفخر الصوفية المعاصرين حضرة الشيخ محمد العربكندي متعنا الله بطول حياته وأدام علينا سجال بركاته في معاملته مع أصحابه وكثيراً ما يقرّر في دروسه رضي الله عنه تعالى أن المقصود الأصلي من اتخاذ الشيخ وأعظم منافعه هو هذان الأمران ويختصرهما كما دأبه في اختصار درر الحكم ونثرها على مفارق الأصحاب في كلمة واحدة. ويقول: الشيخ سائق ودليل ـ يعني مرشد ـ. ويقول: الكتاب والسنَّة كافيان في الوصول إلى الله تعالى إلاً أنه في غاية الندرة فإنه نادراً ما يستقل الطالب بأخذ لوازم السير والوصول منها فلا بد من أخذهما من الشيخ.

وقد أوضح الشيخ سعيد حَوى شكر الله تعالى مسعاه وبلّغه مناه في كتابه «تربيتنا الروحية» ضرورة الشيخ في العلم والتربية في الفقرات التالية:

1 ـ أن الشيخ المبصر في الأمور يختصر لك الطريق، فبدلاً من أن يتنصب

في الطريق أي طريق كان سواء كان طريق تحصيل علم ما أو طريق الاستدلال على صلاح القلب أو طريق التخلص من مرض فإنه يختصره لك.

2 ـ أن الشيخ الكامل يجنِّبك الخطأ في الفهم أو الخطأ في السلوك أو الخطأ في التصورات التي يمكن أن تنشأ عن سير الإنسان نفسه.

3 ـ أن الشيخ من خلال صحبته تأخذ منه حالاً وتأخذ منه سَمْتَ العلماء وأدبهم.

4 ـ أن مجرد قبول الإنسان أن يأخذ العلم أو التربية عن أهلها يحرِّره من كثير من الأمراض كعرض الغرور أو العنجهية أو الكبر.

5 ـ وكل حالة يفترض على إنسان تحصيل شيء ولا يستطيع تحصيله إلاَّ من جهة ما، فإن الأخذ عن هذه الجهة في حقه يصبح فرضاً من باب ما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب.

6 ـ وإذا كان الشيخ صالحاً وداعياً إلى هدى فإن الانتفاع به في الدنيا والآخرة تدل عليه النصوص.

7 ـ والتجمع حول شيخ والمشاركة في حلقات العلم والذكر والتآخي الخاص في هذه الأجواء تترتب عليه مصالح كثيرة في الدنيا والآخرة، وكل ذلك غيض من فيض في محل الشيخ ومكانه، انتهى.

ومن ثمة قال علماء التربية والسلوك الذين هم المعول عليهم في هذا الباب، لأن كل علم إنما يؤخذ من أهله ولأن المعول عليه في كل علم كلام المتخصصين فيه، بلزوم اتخاذ الشيخ من باب ما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: قد جرت العادة وجرِّبت والتجريبيات بمنزلة اليقينيات أن إزالة الأمراض الباطنة إنما يتيسر بالسلوك على يد مرشد كامل وكثيراً ما ينشد الإمام الرباني في لزوم اتخاذ الشيخ هذا البيت:

من أجل كونك في البداية أحوالاً لا بـد مـن شـيـخ يـقـودك أولا

ويتمثّل بقولهم: الرفيق ثم الطريق.

ومما تقدَّم يتضح معنى الكلمة المأثورة عن الشيخ أبي يزيد البسطامي: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان. فإن من لم يكن له شيخ يربيه ويهتدي بهديه إلاَّ من عصمه الله وقليل ما هو يبقى مبتلى بأمراض الكبائر الباطنة ويسير على مقتضاها فيظل لعبة للنفس والشيطان مسيراً من قبلهما على نهجهما ولا يلزم من كون الشيطان شيخه أن يكون كافراً والعياذ بالله تعالى. هذا ولا ندّعي أن كل مَن ينتسب إلى مرشد كامل يتحقق بجميع ما أسلفناه من الثمرات والنتائج إنما يتحقق بها من يسير وفق تعاليمه، وأما مَن عداهم فهم أيضاً يستفيدون فوائد جمة كلٌّ حسب سعيه ومحبته، فإن منافع الانتساب إلى مرشد كامل لا تنحصر فيما تقدم بل لا تكاد تحصى، وأقل منافعه أنه يؤدي إلى محبة الأخيار ومجالستهم التي لو لم يرد في فضائلها التي لا تسعها هذه الأوراق إلاَّ قصة كلب أصحاب الكهف وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «المرء مع من أحب» رواه الشيخان، وقوله: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» رواه أبو داود، لكفى.

ولعلّ قائلاً يقول: كل ما قدمته حق ولكن أين التصوُّف الصحيح وأين المرشد الكامل المستجمع لشروط المشيخة؟ ونقول: إن آية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [يُوسُف: الآية 12] تجيب على هذا السؤال لأن حفظ القرآن إنما هو بحفظ علومه عن أن تندرس وتحرَّف وحفظ العلوم إنما هو بحفظها في الصدور لا في السطور. فالله تعالى الذي تكفّل بحفظ الدين تكفَّل بالحفاظ على التصوُّف الصحيح في صدور القائمين به حفظاً لدينه عن الضياع وإقامة لحجته على العباد وعلى الطالب طلب القائمين به والبحث عنهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ [العَنكبوت: الآية 69] .

نعم، لا ننكر رواج البدع وتفشي الدخن والدجل وشيوع الدغل والزغل في كثير من الطرق الصوفية كما لا ننفي وجود ناقصين من مشايخها لا يقومون

بحق التربية بل ربما يفسدون من حيث لا يشعرون بل كثيرة المدّعين الذين جعلوا التصوف من وسائل الشرف والجاه والدجل ومصائد الطغام والحطام الأمور التي شوهت وجهه المشرق ومهّدت الطريق لإنكار المنكرين وجعلت لهم بعض العذر في إنكارهم العميم. وإنّا لله وإنا إليه راجعون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 227] .

هل تسرَّب إلى الطرق الصوفية شيء من الإشراق وغيره

سيأتي في هذا الكتاب أن طريق معرفة الله تعالى على وجهين: **أحدهما**: طريق أهل النظر والاستدلال، **وثانيهما**: طريق أهل الرياضة والمجاهدة.

فالسالكون طريق أهل النظر والاستدلال إن التزموا ملّة من ملل الأنبياء والمرسلين فهم المتكلمون وإلاً فهم الحكماء المشاؤون. والسالكون طريق أهل الرياضة والمجاهدة إن وافقوا في رياضتهم ومجاهدتهم أحكام الشريعة الغراء فهم الصوفية المتشرّعون وإلاً فهم الحكماء الإشراقيون.

فالإشراق عبارة عن رياضات ومجاهدات لا تقرّها الشريعة الغراء، وعن التحيُّل في تحصيل الكشف والخوارق وجلب الأرواح العلوية والسفلية، ومعرفة خواطر البشر وطي الأرض والمشي على الماء والطيران في الهواء وغير ذلك بالعزائم والتبخيرات والطلسمات والعقاقير والمركبات مما اشتمل عليه مثل كتاب شمس المعارف للبوني.

ويعترض البعض بأن الطرق الصوفية قد تسرّب إليها شيء من الإشراق بعدما عرّبت كتبه بأمر الخليفة العباسي المأمون، ونحن لا ننكر تأثير بعض الطرق الصوفية وبعض المتصوِّفة بالإشراق، فقد عدّ ابن سينا والفارابي والشيخ شهاب الدين السهروردي المقتول ـ قتله السلطان صلاح الدين الأيوبي وهو غير شيخ المشائخ السهروردي من متصوِّفة الإشراق ـ وإنما ننكر سحب هذا الحكم على جميع الطرق الصوفية عموماً وعلى الطريقة التي وصفها العلاّمة ابن حجر الهيتمي في خاتمة فتاواه

الحديثية بأنها الطريقة الخالية عن كدورات جهلة الصوفية فضلاً عن الإشراق، ووصف أصحابها الملا علي القاري في شرح المشكاة بأنهم زبدة القادة الصوفية وهي الطريقة النقشبندية خصوصاً كيف وهي الطريقة المبنية على قواعد الشريعة الغراء والمؤسسة على الأخذ بالسنَّة والعزيمة ومتابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في القليل والكثير والاجتناب عن البدع والرُّخص، فترى أئمتها متشدِّدين في الأمر بالاعتصام بالسنَّة السنيَّة والاجتناب عن البدع الرديئة حتى أنهم من غاية تشدُّدهم في رفض البدع عدّوا كثيراً من الأمور التي عدّها العلماء من البدع الحسنة بدعاً سيئة، بل لا يقولون بالحسن في شيء من البدع. ويرون ما عدّه العلماء من البدع الحسنة بعضها بدعاً سيئة وبعضها غير بدع، ومن ثمة ترى أساطين العلماء لفضلها مذعنين وباستقامتها موقنين، فهذا صاحب بصيرة السالكين وهو المتشدِّد غاية التشدُّد في نقد المتصوفة وطرقهم لما بيَّن أن كثيراً من الخلوة والسلوك ممزوجة بعادة الحكماء الإشراقيين من الفلاسفة ومشحونة بالبدع وليست بطريقة الأولياء عقبه بالتنويه بشأن هذه الطريقة العلية النقشبندية والثناء عليها ونقل شهادات جهابذة الأئمة بفضلها واستقامتها.

نعم، يوجد في أعمالِ هذه الطريقة ما لم يرد في خصوصه نص إلاَّ أنها داخلة تحت العمومات لأنها في حقيقة الأمر وسائل، ومقدمات، وليست من غايات التصوف بتاتاً ولا يصح أن تعد أعمالاً مبتدعة لأن البدعة كما قال الشيخ عبد الباري الندوي: ليست إلاَّ إحداثاً في الدين بحيث يضاف إلى الدين ما ليس منه ويُعد من غاياته، أما أن يُحدث أمر في سبيل الدين كوسيلة لتحصيل غاية من غاياته كبناء المدارس وتأليف الكتب وتقرير مناهج مختلفة للتدريس والتعليم فلا يكون ابتداعاً بل يكون تجديداً ينفع الدين ولا يضيف إليه ما ليس منه ولن يعد ذلك بدعة.

ثم نقل الشيخ عبد الباري عن شيخه الشيخ علي التهانوي الذي يعتبره من المجدِّدين أنه قال: جميع الأشغال التي يختارها الصوفية ـ أي مما لم يرد فيه نص خاص ـ إنما هي لجمع الخاطر وإخلاص البال وليست مطلوبة لذاتها ولا

لغاية، ولذلك توسع فيها الصوفية وتوسعوا إلى حد أنهم أخذوا بعضها من اليوك مثل حبس النفس إذ هو من أعمال اليوك لأنهم وجدوا ذلك مؤثراً ونافعاً لجمع القلب وهو ليس من شعار أهل اليوك فاقتبسوه منهم ولا ضير في ذلك لأن العمل الذي لا يُعدّ شعاراً لفرقة أو ديانة لا بأس في اختياره وأخذه كوسيلة من الوسائل لا كغاية من الغايات. والشريعة الإسلامية لا تنهى عن ذلك، والحجة في ذلك ما وقع في يوم الخندق وأخذه صلى الله تعالى عليه وسلم بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق الذي هو من عادة الفرس وليس شعاراً لهم لأن الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها التقطها.

البيعة

هي مأخوذة من بيعة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، كما قاله ابن حجر في باب الشهادات من فتاواه، والتفصيل في (ص 30) من هذا الكتاب.

الذكر القلبي

فضل الذكر القلبي ثابت بقوله تعالى في مدح الصحابة: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: الآية 37] الآية. لأن الذكر الذي لا تزاحمه التجارة والبيع هو الذكر القلبي، وبخبره: الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً، رواه البيهقي بسند حسن.

وقد اختلف في أيهما أفضل: الذكر بالقلب واللسان معاً أم الذكر بالقلب فقط؟ فقال الحليمي والبيهقي: ذكر القلب أفضل لأنه يردع عن التقصير في الطاعة وعن المعاصي والسيئات. وقال النووي: ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده وهو أفضل من ذكر اللسان وحده.

قال ابن حجر في الفتاوى الحديثية: هذا بلسان أهل الظاهر وعند أهل الطريق في ذلك تفصيل، إلى أن قال: والحاصل أن الأولى بالسالك أن يكون مديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة فإنه هو الطبيب

الأعظم، فبمقتضى معارفه الذوقية وحِكَمِهِ الربانيَّة يعطي كل نفس وبدن ما يراه هو اللائق بشفائها والمُصلح لغذائها. ثم قال: على أن جماعة من أئمتنا وغيرهم يقولون: لا ثواب في ذكر القلب وحده ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه وينبغي حمله على أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص، أما اشتغال القلب بذلك وتأمُّل معانيه واستغراقه في شهودها فلا شك أنه بمقتضى الأدلة يُثاب عليه من هذه الحيثية الثواب الجزيل. ويؤيده خبر البيهقي. وقال قبل هذا الكلام: ذكر لا إلٰه إلاَّ الله أفضل من ذكر الجلالة مطلقاً، هذا بلسان أئمة الظاهر، وأما عند أهل الباطن فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك.

وفي المسائل المنثورة من فتاوى العلاَّمة الرملي سئل عن قول الشيخ العيدروس السيد العارف بالله عبد الله قدّس الله روحه وسرّه في كتابه الكبريت الأحمر: أجمع العارفون على أن أفضل العبادة مع الله الأنفاس ـ أعني أن يكون خروجها ودخولها بذكر الجلالة ـ ولو قولك: الله الله، أو ذكر لا إلٰه إلاَّ الله وهو الذكر الخفي الذي لم تتحرك به الشفتان. انتهى كلامه.

فهل هذا النقل عن إجماع العارفين صحيح أم لا؟ فإن قلتم: نعم، فقد صرَّح النووي في أذكاره بأن الأفضل الذكر باللسان والقلب جميعاً، ثم ما كان بالقلب فأجاب بأن النقل عن إجماع العارفين صحيح ولكن هذا مقام الكُمَّل، وما ذكره النووي هو مقام دون هذا المقام، انتهى.

وقد استدل العلماء على كون لفظ الجلالة ذكراً يثاب عليه صاحبه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في ما رواه البخاري: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض أحد يقول: الله الله» فإنه يدل على أن الله الله ذكر من الأذكار.

الرابطة

من الأعمال الرائجة في الطريقة النقشبندية: الرابطة، وهي عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل المكمل على وجه المحبة والإنسان لا يخلو من رابطة ما،

فمن مرابط لِماله، ومن مرابط لحِرْفته، ومن مرابط للنساء، ومن مرابط لأصحابه وأخدانه إلى غير ذلك. فالرابطة في اصطلاح الصوفية ليست إلاَّ عبارة عن نفي هذه الروابط عن القلب وصرفه عنها وجمعه على ربطه بالشيخ وتخيل كأنه معه، ومن المقرر أن إعمال الفكر في أمر من الأمور وربطه به على سبيل المحبة لا سيما إذا استولت هذه الخطرة على القلب يعمل في نفس الإنسان عمل مزاولة ذلك الأمر، فإعماله في الأمور المحمودة محمود وفي الأمور المذمومة مذموم.

ومن ثمة قال بعض الفقهاء بحرمة مجامعة الرجل زوجته متفكِّراً في محاسن أجنبية، وقال بعضهم: كل ما يحرم النظر إليه يحرم التفكر فيه. واستحسن بعض العلماء أن يستحضر الرجل في خياله حال المجامعة بعض الصلحاء لعل بركته تسري إلى الولد، فهذا حكم من هؤلاء العلماء بحرمة رابطة الأجنبية واستحسان رابطة الصلحاء، فصرف القلب عن التفكر في الأمور المحرَّمة والمباحة وجمعه على أعماله في صحبة بعض الصلحاء وربطه به الذي ليست الرابطة إلاَّ هو مما لا ينبغي أن يُقْدِمَ على إنكاره عاقل فإنه لا شك يفيد.

فائدة: صحبة ذلك الصالح وصحبة الصلحاء مما قامت الدلائل القطعية على طلبها أشد الطلب، فالرابطة ليست إلاَّ صحبة خيالية ومن ثمة استدل بعض الأجّلة على طلبها بقوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: الآية 119] وعمَّم الكينونة لما يكون بالجسم وما يكون بالخيال. ومن فوائد الرابطة تحصيل عظمة ذلك الصالح ومحبته في قلب المرابط المورثتان للمواظبة على صحبته وامتثال أوامره واجتناب مناهيه والتخلُّق بأخلاقه والاهتداء بهديه.

وفي البهجة السنية: أما الدليل على الرابطة من السنَّة فقد ذكر البخاري أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه شكا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عدم انفكاكه عنه حتى في الخلاء، وكان أبو بكر يأخذه الحياء من ذلك، انتهى.

وذلك بحسب الخيال، وهذه الحالة تسمى عند الصوفية: بالفناء في الرابطة، هذا وبعض المجازفين ممن لا يقام لكلامه وزن ويتورط في كل وَغْرٍ وحزن يعد

الرابطة شركاً وإذا كانت الرابطة شركاً فليس على وجه الأرض موحِّد لأن الإنسان لا يخلو من رابطة ما، ومن ثمة عنوَن الشيخ حسين الدوسري الباب الثالث من كتابه «الرحمة الهابطة في ذكر اسم الذات والرابطة» بقوله: الباب الثالث في كيفية رابطة أولى الاجتباء وبيان ثبوت الرابطة لكل أحد شاء أو أبى. ونكتفي بهذا القدر ونحيل مريد التوسع إلى هذه الرسالة وهي مطبوعة بهامش المجلد الأول من مكتوبات الإمام الرباني، وإلى الرقعة الرابعة من هذا المجموع.

الاستمداد

مما يلقاه قارىء الكريم في هذا الكتاب الاستمداد كما في الرقعة المرسلة إلى روضة الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم والتحريض على الاستمداد من أرواح سادة الطريق في بعض الرقع، وقد وعدنا أن نتكلم في هذه المقدمة على أمور عسى أن يشتبه فيها الأمر على بعض القرّاء فلا يسعنا أن نمر على هذا الموضوع غير مكترثين به ولا أن نكتفي فيه بالكلمة العابرة، ويجب أن نوليه أهمية قصوى ونعيره اهتماماً بالغاً ونكتفي هنا بكلمة وجيزة تلقم منكري الاستمداد الحجرَ وتأتي على صرحهم الذي أقاموه من الأضاليل من القواعد، ونحيل التوسع إلى مقالات الشيخ يوسف الدجوي الملحقة بآخر هذا الكتاب فقد أفاد فيها وأجاد وأتى بما ترتاح إليه النفس وينفلج له الفؤاد، فنقول وبالله التوفيق:

إنكار الاستمداد مبني على أمرين: إنكار أن يكون للأرواح قدرة التصرُّف والإمداد، وإنكار سماع الأرواح نداء الأحياء. فإذا ثبت هذان الأمران بقي إنكار الاستمداد خروجاً عن الفعل ونكولاً عن الاعتراف باللازم بعد ثبوت الملزوم ورد النتيجة بعد تسليم المقدمات.

أما أن للأرواح قدرة على التصرُّف والإمداد فثابت بأحاديث صحيحة صريحة منها حديث الإسراء والمعراج، فقد اشتمل على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى موسى يصلِّي في قبره وعلى أن الأنبياء اجتمعوا في المسجد الأقصى وصلُّوا

خلف المصطفى عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وعلى أن بعضهم عرجوا قبل المصطفى إلى السماوات، وعلى إشارة السيد موسى على نبينا عليهما الصلاة والسلام بمراجعة ربّه في تخفيف الصلاة عن أمته، فهذه الأمور تدل بكل صراحة على أن لأرواح الأنبياء من الطلاقة والتصرف ما ليس لهم وهم أحياء، فلولا قدرتهم على التصرف ولولا إمداد سيدنا موسى وإغاثته إيانا لصلّينا كل يوم خمسين صلاة، ومن المقرّر عند أهل السنَّة أن كل ما جاز أن يكون معجزة للنبي جاز أن يكون كرامة للولي من غير فارق سوى التحدي وعدمه.

وأما سماع الأرواح نداء الأحياء فثابت بما اتفق على صحته من ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم أهل القليب، وقوله: «ما أنتم بأسمع منهم». ومن قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكاه»، ومن سلامه عليه الصلاة والسلام على أهل القبور وخطابه إياهم. فثبت أن الأرواح مثل الأجسام الحية في قدرة التصرف وسماع الأحياء، وبقي السماع من بعد وهو جائز الوقوع كالتصرف ومطلق السماع بفرض عدم ورود نص بثبوتهما على سبيل المعجزة والكرامة، وقد وقع فعلاً حيث سمع سارية وهو بنهاوند كلام الفاروق رضي الله تعالى عنهما وهو على المنبر في المدينة المنورة.

وفي المسائل المنثورة من فتاوى العلامة الرملي سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، فهل ذلك جائز أم لا، وهل لهؤلاء الإغاثة بعد موتهم.

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والأولياء جائزة ولهم إغاثة بعد موتهم لأن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنقطع بعد موتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلُّون ويحجُّون كما وردت به الأخبار ويكون الإغاثة منهم معجزة لهم، والشهداء أيضاً أحياء شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار، وأما الأولياء فهي كرامة لهم اهـ.

محمد صالح بن أحمد الغرسي

فهرس المحتويات

مقالات العلّامة الدّجوي
في الردّ على التيميّين

مقالة المحقِّق المرحوم يوسف الدجوي في التوحيد